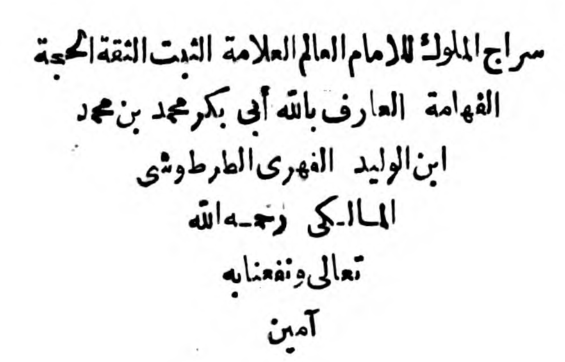
(فهرسة سراج الملوك)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)


سراج الملوك للامام العالم العلامة الثبت الثقة الحجة
الفهامة العارف بالله أبى بكر محمد بن محمد
ابن الوليد الفهرى الطرطوشى
المالكى رحمه الله
تعالى ونفعنا به
آمين

(وبهامشه كتاب التبر المسبوك فى نصائح الملوك)

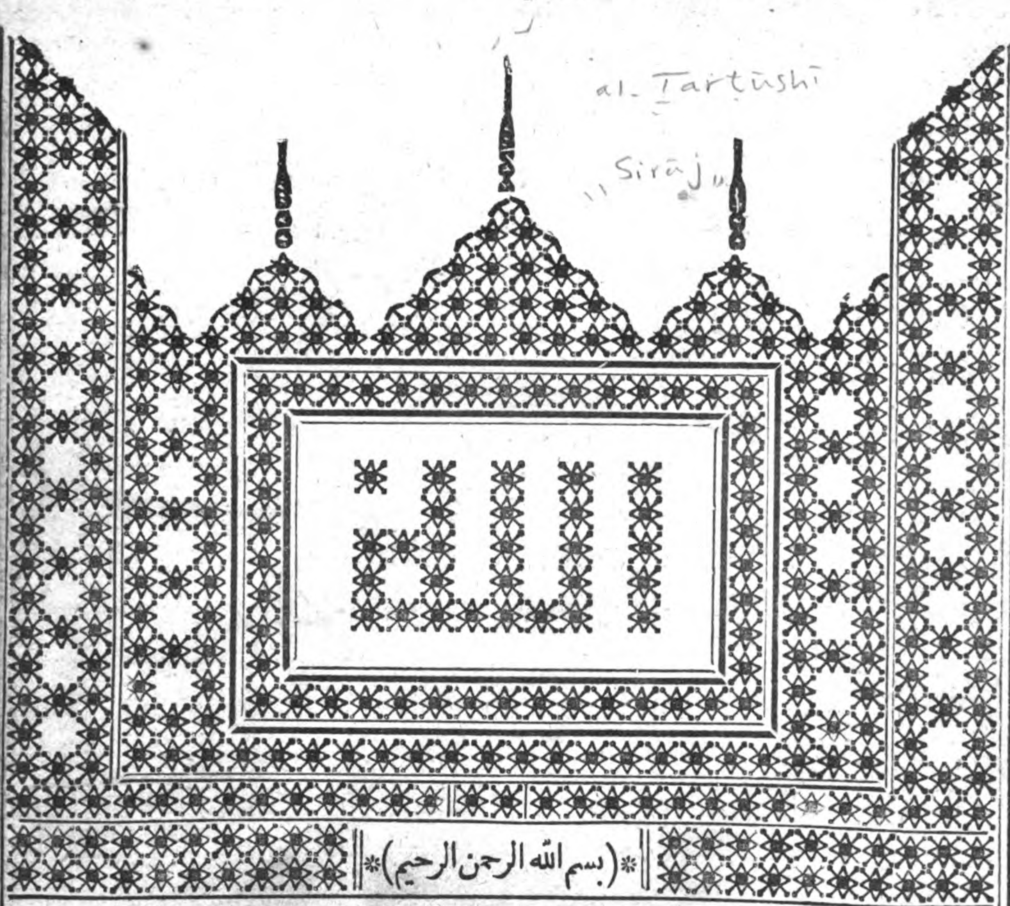
(قال صاحب كشف الظنون)

سراج الملوك لابى بكر الطرطوشى المالكى المتوفى سنة ٥٢٠ جمعه من سير الانبياء وآثار الاولياء ومواعظ العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء ورتبه ترتيبا أنيقا فما سمع به ملك الا استكتبه ولا وزير الا استصحبه يستغنى الحكيم بدراسته عن مباحثة الحكماء والملك عن مشاورة الوزراء وذكر فيه الامير أبا عبد الله الاموى وأبوابه أربعة وستون بابا

وقال أيضا التبر المسبوك فى نصائح الملوك فارسى للامام أبى حامد محمد ابن محمد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ ألفه للسلطان محمد بن ملك شاه السلجوقى ثم عربه بعضهم

(محل مبيعه بالمطبعة الازهرية)
(ادارة الراجى من الله الغفران)
(حضرة السيد محمد رمضان)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣١٩ هجرية)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والآثار ومكور النهار على الليل والليل على النهار العالم بالخفيات وما تنطوى عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير خالق الخلق بقدرته واحكمهم بعلمه وخصصهم بمشيئته ودبرهم بحكمته لم يكن له فى خلقهم معين ولا فى تدبيرهم مشير وظهير وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن او يستظهر من تقدس عن الذل بمن دخل تحت ذل التكوين ثم كلفهم معرفته وجعل علم العالمين بعجزهم عن ادراكه ادراكهم ومعرفة العارفين بتقصيرهم عن شكره شكرا لهم كما جعل اقرار المقربين بوقوف عقولهم عن الاحاطة بحقيقته ايمانا لهم لا يلزمه لم ولا يجاوزه اين ولا يلاصقه حيث ولا يحده ما ولا يعده كم ولا يحصره متى ولا يحيط به كيف ولا يناله أى ولا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام ولم يظهره قبل ولم يعينه بعد ولم يجمعه كل ولم يوجده كان ولم يفقده ليس وصفه لا صفة له وكونه لا أمد له ولا تخالطه الاشكال والصور ولا تغيره الايام والغير ولا تجوز عليه المماسة والمقاربة وتستحيل عليه المحاذاة والمقابلة ان قلت لم كان فقد سبق العلل ذاته ومن كان معلولا كان له غيره علة يسارقه فى الوجود وهو قبل جميع الاعيان بلا علة فقدرة الله فى الاشياء بلا امزاج وصنعه فيها بلا علاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه فان قلت أين هو فقد سبق المكان وجوده فمن أين الاين لم يفتقر وجوده الى اين هو بعد خلق المكان غنى بنفسه كما كان قبل خلق المكان وكيف يحل فيما منه بدا أو يعود اليه ما هو أنشا وان قلت ما هو فلا ماثية لوجوده وما موضوعة للسؤال عن الجنس والقديم تعالى لا جنس له لان الجنس مخصوص بمعنى داخل تحت الماثية وان قلت كم هو فهو أحد فى

ذاته

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله على انعامه
وافضاله * والصلاة على
سيدنا محمد وآله وصحبه
أجمعين * أما بعد فانه
سألنى بعض الكبراء أن
أنقل هذا الكتاب وهو
كتاب نصيحة الملوك من
اللغة الفارسية * الى
الالفاظ العربية
فامتثلت ذلك ونقلته
على ترتيبه وصورته * ولم
أغير شيأ من وضع الكتاب
وصيغته * واجتهدت فى
تسهيل عباراته * وايضاح
اشاراته * قصد الاستعمال
الكلام * ليكون اقرب
الى الافهام * بقدر ما
بلغته بلاغته * وأفصحت
عنه فصاحته * وما توفيقى
الا بالله عليه توكلت
واليه أنيب * (قال)
الشيخ الامام شرف الأئمة
أبو حامد محمد بن محمد بن
محمد الغزالى رحمه الله
وهو مخاطب للسلطان
محمد بن ملكشاه رحمه الله
(اعلم) يا سلطان العالم
وملك المشرق والمغرب
ان الله أنعم عليك نعما
ظاهرة * وآلاء متكاثرة
يجب عليك شكرها *
ويتعين عليك اذاعتها

ذاته منفرد بصفاته وان قلت متى كان فقد سبق الوقت كونه وان قلت كيف هو فمن كيف الكيف لا يقال له كيف ومن جازت عليه الكيفية جاز عليه النعت وان قلت هو فالهاء والواو خلقه بل الزم الكل الحدث كما قال بعض الاشياخ لان القدم له فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي بالاداة اجتماعه فقواها تمسكه والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه والذي الوهم يطرقه فالتصوير يرتقي اليه ومن آواه محل أدركه اين ومن كان له جنس طالبه كيف وجوده اثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور في الاوهام فهو بخلافه لا تخايله العيون ولا تخالطه الظنون ولا تصوره الاوهام ولا تحيط به الافهام ولا يقدر قدره الانام ولا يحويه مكان ولا يقارنه زمان ولا يحصره أمد ولا يسعه ولد ولا يجمعه عدد قربه كرامته وبعده اهانته علوه من غير توقل ومجيئه من غير تنقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير واشهد له بالربوبية والوحدانية وبما شهد به لنفسه من الاسماء الحسنى والصفات العلى والنعت الاوفى ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وأومن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون واشهد أن محمدا عبده المصطفى وامينه المرتضى أرسله الى كافة الورى بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى اهل بيته الطاهرين واصحابه المنتخبين وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين (أما بعد) فاني نظرت في سير الامم الماضية والملوك الخالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول والتزموه من القوانين في حفظ النحل فوجدت ذلك نوعين أحكاما وسياسات فاما الاحكام المشتملة على ما اعتقدوه من الحلال والحرام والبيوع والاحكام والانكحة والطلاق والاجارات ونحوها والرسوم الموضوعة لها والحدود القائمة على من خالف شيأ منها فامر اصطلحوا عليه بعقولهم ليس على شئ منه برهان ولا أنزل الله به من سلطان ولا أخذوه عن تدبر ولا اتبعوا فيه رسولا وانما هي صادرة عن خزنة النيران وسدنة بيوت الاصنام وعبدة الانداد والاوثان وليس يعجز أحد من خلق الله أن يصنع من تلقاء نفسه أمثالها وأشباهها وأما السياسات التي وضعوها في التزام تلك الاحكام والذب عنها والحماية لها وتعظيم من عظمها واهانة من استهان بها او خالفها فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها والتزام النصفة فيما بينهم على ما توجبه تلك الاحكام وكذلك في تدبير الحروب وامن السبل وحفظ الاموال وصون الاعراض والحرم كل ذلك فقد ساروا فيه بسيرة جميلة لا ينافي العقول شئ منه لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حسن سيرتهم بحفظ تلك الاصول الفاسدة كمن زخرف كنيفا أو بنى على ميت قصرا منيفا

ولو لبس الحمار ثياب خز * لقال الناس يا لك من حمار

فجمعت محاسن ما انطوى عليه سيرهم خاصة من ملوك الطوائف وحكماء الدول فوجدت ذلك في ست من الامم وهم العرب والفرس والروم والهند والسند والسندهند فاما ملوك الصين وحكماؤهم فلم يصل الى أرض العرب من سياساتهم شئ كثير لبعد الشقة وطول المسافة وأما من عدا هؤلاء من الامم فلم يكونوا أهل حكم بارعة وقرائح نافذة وأذهان ثاقبة وانما صدر عنهم الشئ اليسير من الحكمة فنظمت ما ألفيت في كتبهم من الحكمة البالغة والسير المستحسنة والكلمة اللطيفة والطريقة المألوفة والتوقيع الجميل والاثر النبيل الى ما رويته وجمعته من سير الانبياء عليهم السلام وآثار الاولياء وبراعة العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء وما انطوى عليه القرآن العزيز الذي هو بحر العلوم وينبوع الحكم ومعدن السياسات ومغاص الجواهر المكنونات ان اختصر فلمعة دالة

ونشرها * ومن لم يشكر نعم الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه * فقد عرض تلك النعم للزوال * وخجل من تقصيره يوم القيامة * وكل نعمة تفنى عند الموت فليس لها عند العاقل قدر * ولا عند اللبيب خطر * لان العمر وان تطاولت مدته لا ينفع طوله اذا انقضى امده * وفنى عدده * فان نوحا عليه السلام عاش الف سنة ونيفا ومنذ موته الى الآن ستة آلاف سنة وكأنه لم يكن فالقدر للنعمة التي تبقى على الدوام * وتدوم مدى الليالي والايام وهي نعمة الايمان الذي هو بذر السعادة المؤبدة والنعمة المخلدة * والله جلت قدرته قد خولك هذه النعمة وزرع بذر الايمان في صفاء صدرك واودعه قلبك وسرك ومكنك من تربية ذلك البذر وأمرك أن تسقيه بالطاعة حتى يصير شجرة أصلها في قعر السفلى وفرعها في السموات العلى * كما قال عز من قائل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واذا لم يثبت اصل شجرة الايمان ولم يكمل فرعها يخاف عليها من هبوب رياح الموت * وعواصف الفوت * فتنقلع عند النفس الاخير فيبقى العبد والعياذ بالله بغير ايمان * ويلقى ربه بغير احسان * (واعلم) أيها الملك ان لهذه الشجرة عشرة اصول

واشارة خفية وان أطال فالفاظ بارعة وآيات معجزة هو الهادي من الضلالة والحاوي لمحاسن الدنيا وفضائل الآخرة (ورتبته) ترتيبا أنيقا وترجمته تراجم بارعة حاوية لمقاصدها ناطقة بحكمها ومضمونها يلج الاذن من غير اذن ويتوج التامور من غير استئمار الفاظها قوالب لمعانيها ليس ألفاظها الى السمع بأسرع من معانيها الى القلب فانتظم الكتاب بحمد الله وعونه واحسانه غاية في بابه غريبا في فنونه وأسبابه خفيف المحمل كثير الفائدة لم يسبق الى مثله أقلام العلماء ولا جالت في نظمه افكار الفضلاء ولا حوته خزائن الملوك والرؤساء فلا يسمع به ملك الا استكتبه ولا وزير الا استصحبه ولا رئيس الا استحسنه واستوسده عصمة لمن عمل به من الملوك وأهل الرياسة وجنة لمن تحصن به من أولي الامر والسياسة وجمال لمن تحلى به من أهل الآداب والمحاضرة وعنوان لمن فاوض به من أهل المجالسة والمذاكرة (وسميته سراج الملوك) يستغني به الحكيم بدراسته عن مباحثة الحكماء والملوك عن مشاورة الوزراء (واعلموا) وفقكم الله ان أحق من أهديت اليه الحكم وأوصلت اليه النصائح وحملت اليه العلوم من آتاه الله سلطانا نافذا في الخلق حكمه وجازعليهم قوله (ولما رأيت) الاجل المأمون تاج الخلافة عز الاسلام فخر الانام نظام الدين خالصة أمير المؤمنين أبا عبد الله محمدا الاموي أدام الله لاعزاز الدين نصره وأنفذ في العالمين بالحق أمره وأوزع كافة الخلق شكره وكفاهم فيه محذوره وضره فقد تفضل الله تعالى به على المسلمين فبسط فيهم يده ونشر في مصالح أحوالهم كلمته وعرف الخاص والعام يمنه وبركته وتقلد امور الرعية وسار فيهم على أحسن قضية متحريا الصواب راغبا في الثواب طالبا سبيل العدل ومناهج الانصاف والفضل رغبت أن أخصه بهذا الكتاب رجاء لطف الله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ولنذكر فضائله ومحاسنه ما بقي الدهر كما قيل

الناس يهدون على قدرهم * لكنني أهدي على قدري
يهدون ما يفنى وأهدي الذي * يبقى على الايام والدهر

فان العلم عصمة الملوك والامراء ومعقل السلاطين والوزراء لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم ويصدهم عن الاذية ويعطفهم على الرعية فمن حقهم أن يعرفوا حقه ويكرموا حملته ويستبطنوا أهله (وهذه) أبواب هذا الكتاب وعدتها أربعة وستون بابا الباب الاول في مواعظ الملوك الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والسلاطين الباب الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر الباب الرابع في معرفة ملك سليمان بن داود وجه طلبه للملك وسؤاله أن لا يؤتاه أحد من بعده الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره الباب التاسع في معرفة منزلة السلطان من الرعية الباب العاشر في معرفة خصال ورد الشرع بها فيها انتظام الملك والدول الباب الحادي عشر في معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا ثبات له دونها الباب الثاني عشر في معرفة الخصال التي زعم الملوك انها أزالت دولتهم وهدمت سلطانهم الباب الثالث عشر في معرفة الصفات الراتبة التي زعم الحكماء انها لا تدوم معها مملكة الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان وقد اتفقت الحكماء والعلماء عليها الباب الخامس عشر في معرفة الخصال التي يعز بها السلطان الباب السادس عشر في معرفة الخصال التي هي ملاك أمور السلطان الباب السابع عشر في معرفة خير السلطان وشر السلطان الباب الثامن عشر في معرفة

العالي شرح هذه العشرة الاصول وهذه العشرة فروع ليشتغل سلطان العالم بتربية هذه الشجرة وانما يصح له ذلك اذا افرد يوما من أيام الاسبوع لعبادة ربه تعالى والاشتغال فيه بعمل الآخرة وهو يوم الجمعة فانه عيد المؤمنين * وفيه ساعة شريفة كل من سأل الله تعالى فيها حاجته بنية حاضرة وسريرة طاهرة فانه جل ذكره يقضي حاجته * ولا يخيب دعوته وماذا عليك اذا افردت من سبعة ايام يوما واحدا لخدمة ربك فانه في المثل لو كان لك عبد وأمرته أن يشتغل في كل أسبوع يوما واحدا بخدمتك لتهب له تقصيره في الايام الستة فما ظنك ذلك العبد كيف كان حاله عندك مع أن العبد لست بخالقه وانما هو عبدك مجازا وأنت أيها الملك مخلوق للخالق تعالى وعبده على الحقيقة فلم ترض من نفسك ما لا ترضاه من عبدك فانو الصيام من ليلة الجمعة فان أضفت اليه الخميس كان أولى وقم يوم الجمعة صبحا واغتسل والبس من الثياب ماله ثلاث صفات أحدها أن يكون حلالا وان يكون مما تجوز فيه الصلاة وأن لا يكون ابريسما في

منزلة

منزلة السلطان من القرآن الباب التاسع عشر في معرفة خصال جامعة لامر السلطان الباب العشرون في معرفة الخصال التي هي أركان السلطان الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل ابن زياد في العلم الباب الثالث والعشرون في معرفة العقل والدهاء والمكر الباب الرابع والعشرون في الوزراء وأوصافهم الباب الخامس والعشرون في الجلساء وآدابهم الباب السادس والعشرون في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة الباب الثامن والعشرون في الحلم ومحاسنه ومحمود عواقبه الباب التاسع والعشرون فيما يسكن به الغضب الباب الثلاثون في الجود والسخاء الباب الحادي والثلاثون في معرفة الشح والبخل وما يتعلق بهما الباب الثاني والثلاثون في معرفة الصبر وجميل عواقبه الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر ومحاسنه الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن لسائر الخصال وزعيم بالمزيد من الآلاء والنعماء من ذي الجلال وهي الشكر الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عليها الامير والمأمور وتسهل صحبة الخلائق أجمعين الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور وراحة القلوب وطيبة النفوس الباب السابع والثلاثون في معرفة الخصلة التي هي ملجأ الملوك عند الشدائد ومعقل السلاطين عند اضطراب الممالك الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصلة الموجبة لذم الرعية للسلطان الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والجائر الباب الاربعون فيما يجب على الرعية اذا جار السلطان الباب الحادي والاربعون في كما تكونوا يولى عليكم الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي بها تصلح الرعية الباب الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية الباب الرابع والاربعون في التحذير من صحبة السلطان الباب الخامس والاربعون في صحبة السلطان الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استجباء الخراج الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال الباب الخمسون في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال الباب الحادي والخمسون في أحكام أهل الذمة الباب الثاني والخمسون في بيان الصفات المعتبرة في الولاة الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعات الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته الباب السابع والخمسون في السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤول اليه أمرهما من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة الباب الستون في الشجاعة وثمراتها الباب الحادي والستون في الحروب وتدبيرها الباب الثاني والستون في القضاء والقدر وأحكامهما الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم وحكاياتهم الباب الرابع والستون يشتمل على حكم منثورة وهو آخر الكتاب وكمال الابواب

● (الباب الاول في مواعظ الملوك) ●

لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا اعلم أيها الرجل وكانا ذلك الرجل ان عقول الملوك وان كانت كبارا الا انها مشغوفة بكثرة الاشغال فيستدعي من الموعظة ما يتولج على تلك الافكار ويتغلغل في مكامن تلك الامراد فيرفع تلك الاستار ويفك تلك الاكنة والاقفال ويصقل ذلك الصدأ والران قال الله

الصيف الديبقي والقصب والنودي والكتان وفي الشتاء الخز والقطن والصوف ● الرومي وكل ثوب على غير هذه الصفة فان الله تعالى لا يرضاه وصل الصبح في جماعة ولا تتكلم الى أن تطلع الشمس ولا تحول وجهك من القبلة وخذ السبحة في يدك قل لا اله الا الله محمد رسول الله ألف مرة فاذا طلعت الشمس فأمر قارئا يقرأ عليك هذا الكتاب وكذلك فليقرأ عليك في كل جمعة ليحصل في محفوظك فاذا فرغ القارئ من الكتاب فصل أربع ركعات وسبح الى وقت الضحى فان ثواب هذه الصلاة عظيم وخاصة في يوم الجمعة وبعد ذلك ان كنت على تخت السلام أو كنت في الخلوة فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وترا وترا ومهما قدرت أن تتصدق في هذا اليوم فتصدق واجعل هذا اليوم الواحد من أيام الاسبوع لله تعالى ليجعل الله باقي الاسبوع لك ويكفر عنك

● (ابتداء قاعدة الاعتقاد الذي هو أصل الايمان) ●

اعلم أيها السلطان انك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم وجميع ما في العالم وانه واحد لا شريك له فرد لا مثل له كان في الازل وليس لكونه زوال ويكون مع الابد وليس لبقائه فناء وجوده في الازل والابد واجب وما للعدم اليه سبيل وهو موجود بذاته وكل أحد اليه محتاج وليس

له الى أحد احتياج ووجوده ووجود كل شئ به *(الاصل الثانى فى تنزيه الخالق تعالى)* اعلم أن البارى تعالى ليس

تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله تعالى جميع الدنيا بانها متاع قليل وانت تعلم انك ما أوتيت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعت به ولم تعص الله فيه فهو لهو ولعب قال الله تعالى انما الحياة الدنيا لهو ولعب ثم قال وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبع أيها العاقل لعبا قليلا يفنى بحياة الابد حياة لا تفنى وشباب لا يبلى كما قال الفضيل رحمه الله لو كانت الدنيا ذهبا يفنى وكانت الآخرة خزفا يبقى لوجب ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا ما آتى سليمان بن داود عليهما السلام حيث آتاه ملك جميع الدنيا والانس والجن والطير والوحش والريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب ثم زاده الله ما هو أعظم منها فقال تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتموها بل قال عند ذلك هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر ان يقول له ربه فى معرض المنة هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب ثم خاف سليمان عليه السلام ان يكون استدراجا من حيث لا يعلم هذا وقد قال لك ولسائر أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين تأمل بعقلك ما روى عن النبى عليه السلام انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وأت بعقلك الى ما نزل به جبريل عليه السلام من عند الله تعالى على محمد عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك عش ما شئت فانك ميت وأحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزى به فانظر ما اشتملت عليه هذه الكلمات من تصرم العمر وفراق الاحبة والجزاء على الاعمال فلو لم ينزل من السماء غيرها لكانت كافية انظر بفهمك الى ما رواه الحسن ان النبى عليه السلام مر بمنزل قوم قد ارتحلوا عنه واذا طلا مطروح فقال أترون هذا هان على أهله فقالوا من هوانه عليهم ألقوه قال فوالذى نفسى بيده لا الدنيا أهون على الله من هذا على أهله فجعل الدنيا أهون على الله من الجيفة المطروحة وقال أبو هريرة قال لى النبى عليه السلام ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى قال فأخذ بيدى وأتى بى الى واد من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص على الدنيا كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هى اليوم تساقط جلدا بلا عظم ثم هى صائرة رمادا رمدادا وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها فى بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم ولباسهم ثم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التى كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا (وقال ابن عمر) أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدى فقال يا عبد الله كن فى الدنيا كانك غريب أو كعابر سبيل واعدد نفسك فى الموتى يا أيها الرجل ان كنت لا تدرى متى يفجؤك الاجل فلا تغتر بطول الامل فانه يقسى القلب ويفسد العمل وقد عير الله أقواما مد لهم فى الاجل فقست منهم القلوب وطال منهم الامل فقال تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

يا أيها الرجل ألق الى سمعك وارع لبك

فان كنت لا تدرى متى الموت فاعلمن * بانك لا تبقى الى آخر الدهر

له صورة ولا قالب وانه تعالى لا ينزل ولا يحل فى قالب وانه تعالى منزه عن الكيف والكم وعن لماذا ولم وانه لا يشبهه شئ وكلما يخطر فى الوهم والخيال والفكر من التكييف والتمثيل فانه منزه عن ذلك لان تلك من صفات المخلوقين وهو خالقها فلا يوصف بها وانه تعالى جده ليس فى مكان ولا على مكان فان المكان لا يحصره وكل ما فى العالم فانه تحت عرشه وعرشه تحت قدرته وتسخيره فانه قبل خلق العرش كان منزها عن المكان وليس العرش بحامل له بل العرش وحملته يحملهم لطفه وقدرته وانه تقدس عن الحاجة الى المكان قبل خلقه العرش وبعد خلقه وانه متصف بالصفة التى كان عليها فى الازل ولا سبيل الى التغير والانقلاب الى صفاته وهو سبحانه متقدس عن صفات المخلوقين منزه وهو فى الآخرة مرئى كما نعلمه فى الدنيا بلا مثل ولا شبه كذلك نراه فى الآخرة بلا مثل ولا شبه لان تلك الرؤية لا تشابه رؤية الدنيا ليس كمثله شئ

(الاصل الثالث فى القدرة) وانه تعالى على كل شئ قدير وان قدرته وملكه فى نهاية الكمال ولا سبيل

ابن آدم أين أبو الاولين والآخرين اين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع العالمين اين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين النبيين والمرسلين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين وحبيب رب العالمين وسيد الاولين والآخرين أين اصحابه الابرار المنتخبون أين الامم الماضية اين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان اين الذين اغتروا باالاجناد والسلطان أين اصحاب السطوة والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والدساكر أين الذين أعطوا النصر في مواطن الحروب والمواقف أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا في اللذات والمآرب أين الذين أسرفوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا في الحال بكرة وعشيا أين الذين استلانوا الملابس أثاثا ورئيا اين الذين ملكوا ما بين الخافقين فخرا وعزا أين الذين فرشوا القصور خزا وبزا اين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وهزا اين الذين استذلوا العباد قهرا ولزاهل تحس منهم من أحد او تسمع لهم ركزا أفناهم والله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم واخرجهم من سعة القصور واسكنهم في ضنك القبور وتحت الجنادل والصخور رفاصعهم والاترى الامساكنهم فعاث الدود في أجسادهم واتخذ مقيلا في أبدانهم فسالت العيون على الخدود وامتلأت تلك الافواه بالدود وتساقطت الاعضاء وتمزقت الجلود وتناثرت اللحوم وتقطعت البطون فلم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما كسبوا اسلمك الاحبة والاولياء وهجرك الاخوان والاصفياء ونسيك القرباء والبعداء فأمسيت ولو نطقت لانشدت قولنا في سكان الثرى ورهائن الترب والبلى

مقيم بالحجون رهين رمس * واهلى راحلون بكل واد
كانى لم اكن لهم حبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد
فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على بعاد
فان طال المدى وصفا خليل * سوانا فاذكروا صفو الوداد
وذاك أقل مالك من حبيب * وآخره الى يوم التناد
فلو انا بموقفكم وقفنا * سقينا الترب من مهج الفؤاد

(وقال) مكرم بن يوسف العابد أوحى الله الى نبي من أنبياء بنى اسرائيل أن قف على المدائن والحصون وأبلغهم عنى حرفين لاثالث لهما كلوا الاطيبا ولا تتكلموا الا بالحق ولما دخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز قال عظني يا يزيد قال يا أمير المؤمنين اعلم انك أول خليفة تموت فبكى عمر وقال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الاأب ميت فبكى وقال زدني يا يزيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا يا أيها الرجل لا تغفلن عن تذكر ما تلقاه من خوف الفناء وتقضى المسار بذهاب اللذات وانقضاء الشهوات وبقاء التبعات وانقلابها حسرات وان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له وعليها يعادى من لاعلم له وعليها يحسد من لافقه له من صح فيها سقم ومن سلم فيها هرم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من ساعاها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن نظر اليها أعمته ومن بصر بها بصرته لاخير فيها يدوم ولا شر ما يبقى ولا فيها لمخلوق بقاء يا أيها الرجل لا تخدعن كما خدع من قبلك فان الذى أصبحت فيه من الامر انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج من يديك بمثل ما صار اليك فلو بقيت الدنيا للعالم لم تصر للعاهل ولو بقيت للاول لم تنتقل الى الآخر يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلمت عليك بالخلافة وألقت اليك مقاليدها وأفلاذ كبدها ثم كنت طريدة

اليه للعجز والنقصان بل ماشاء فعل وما يشاء يفعل وان السموات السبع والكرسي والعرش فى قبضته وقدرته وتحت قهره وتسخيره ومشيئته هو مالك الملك لا مالك الا ملكه

(الاصل الرابع فى العلم)
وانه تعالى عالم بكل معلوم وعلمه محيط بكل شئ وليس شئ من العلى الى الثرى الا وقد أحاط به علمه لان الاشياء بعلمه ظهرت وبقدرته انتشرت وانه تعالى يعلم عدد رمال القفار وقطرات الامطار وورق الاشجار وغوامض الافكار وان ذرات الرياح والهواء فى علمه ظاهرة مثل عدد نجوم السماء

(الاصل الخامس فى الارادة)
فان جميع ما فى العالم بارادته ومشيئته وليس من شئ قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع اوضر زيادة أو نقصان راحة أو نصب صحة أو وصب الا بحكمته وتدبيره ومشيئته وتقديره ولو اجتمع الجن والانس والملائكة والشياطين على ان يحركوا فى العالم ذرة أو يسكنوها او ينقصوا منها أو يزيدوا فيها بغير ارادته وحوله وقوته لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا ماشاء كان ومالا يشاء لا يكون ولا يردمشيئته شئ ومهما كان ويكون وهو كائن فانه بتدبيره وتسخيره *(الاصل السادس فى أنه سميع بصير)* وكما انه عالم بجميع المعلومات فانه

قد طال ما اكلوا يوما وما شربوا * فأصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

قال شيخنا اقرئ على القاضي ابي الوليد الباجي وأنا اسمع لبعض الشعراء

ويحك يا اسماء ماشاني * أضللتني والله ماشاني
الموت حق فاعلمي نازل * قرب لي لحدي وأكفاني
قد كنت ذا مال فلا والذي * اعطاني العيش واغناني
ماقرت العين به ساعة * الا تذكرت فأشجاني
علي بأني صائر للبلى * وفاقد اهلي وجيراني
وتارك مالي على حاله * نهبا لشيطان بن شيطان
لامرأة ابني او لزوج ابنتي * يالك من غي وخسران
يسعد في مالي وأشقى به * قوم ذوو غل وشنآن
ان أحسنوا كان لهم أجره * وخف من ذلك ميزاني

* وممن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وفناءها ونقصها وفوز والها ابراهيم بن ادهم بن منصور ومن أبناء الملوك ملوك خراسان من كورة بلخ ولما زهد في الدنيا زهد عن ثمانين سريرا قال ابراهيم ابن بشار سألت ابراهيم بن ادهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا قال غير هذا أولى بك قلت يرحمك الله لعل الله ينفعني به يوما ثم سألته ثانية فقال ويحك اشتغل بالله تعالى ثم سألته ثالثة فقلت ان رأيت يرحمك الله أن تخبرني لعل الله أن ينفعني فقال كان ابي من ملوك خراسان وكان من المياسير وكان قد حبب الى الصيد فبينما انا راكب فرسا وكلبي معي واثرت أرنبا او ثعلبا فحركت فرسي فسمعت نداء من ورائي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت في نفسي لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت نداء أقوى من الاول يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت مقشعرا أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله ابليس ثم حركت فرسي فسمعت من قربوس سرجي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقفت وقلت هيهات جاءني النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربي ماعصمني بعد يومي هذا فتوجهت الى اهلي وخلفت فرسي وجئت الى بعض رعاة أبي فأخذت جبته وكساءه والقيت اليه ثيابي فلم أزل أرض تقلني وأرض تضعني حتى صرت الى العراق فعملت بها اياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى مدينة يقال لها المنصورة وهي المصيصة فعملت بها اياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل كثير قال فبينما انا قاعد على باب البحر اذ جاءني رجل فاكتراني انظر له بستانا فتوجهت معه فكنت في البستان اياما كثيرة فاذا انا بخادم قد اظل ومعه اصحاب له ولو علمت ان البستان لخادم مانظرته فقعد في مجلسه ثم قال يا ناطور فأجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فأخذ الخادم رمانة فكسرها فوجدها حامضة فقال يا ناطور ما هذا انت منذ كذا وكذا في بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا لا تعرف الحلو من الحامض قلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ وما أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم اصحابه وقال الا تعجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن ادهم مازاد على هذا فلما كان من الغد حدث الناس في المسجد بالصفة فجاء الناس عنقا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان ابراهيم بن ادهم يأكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل في الطين وكان يوما يحفظ كرما فمر به جندي فقال اعطنا من هذا العنب فقال ما امر

بالجواز على الصراط والصراط أدق من الشعرة وأحد من الشفرة * فكل من كان في هذا العالم على الطريقة المستقيمة الصالحة وسلوك المحجة الواضحة عبره على الصراط وجازه في راحة واستراحة ومن لم يكن على السريرة المحمودة والاعمال الرشيدة وعصى مولاه واتبع هواه فانه لا يجد الطريق على الصراط ولا يهتدي الى الجواز ويقع في جهنم * والكل يوقفون على الصراط * ويسئلون عن أفعالهم * فيسئل الصادقون عن صدقهم * ويمتحن المنافقون والمراؤن ويفضحون فمن الناس قوم يدخلون الجنة بغير حساب * وجماعة يحاسبون بالرفق والمسامحة * وجماعة يحاسبون بالمناقشة والصعوبة والمضايقة * ثم يسحب الكفار الى جهنم بحيث لا يجدون خلاصا * ويدخل أهل الاسلام المطيعون الى الجنة * ويؤمر بالعصاة الى النار * فكل من نالته شفاعة الانبياء والعلماء والاكابر من الصلحاء عفي عنه * وكل من ليس له شفيع عوقب بقدر اثمه * وعذب بقدر جرمه * ثم دخل الجنة ان كان قد سلم ايمانه الى الآخرة

* (الاصل العاشر في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم) *

ولما قدر الله تعالى هذا التقدير * وجعل افعال الانسان واحواله واكتسابه واعماله منها

به

به صاحبه فاخذ يضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله فانحجز الرجل ومضى
وقال سهل بن ابراهيم صحبت ابراهيم بن ادهم فمرضت فانفق على نفقته فاشتهيت شهوة فباع حماره
وانفق ثمنه على فلما تماثلت قلت يا ابراهيم اين الحمار فقال بعناه فقلت فعلام اركب قال يا اخى على عنقى
قال فحملني ثلاث منازل رحمه الله وانشدوا شعرا

أيها المرء ان دنياك بحر * طافح موجه فلا تأمننها
وسبيل النجاة فيها مبين * وهو اخذ الكفاف والقوت منها

* وبلغني ان بالهند يوما يخرج الناس فيه الى البرية فلا يبقى فى البلد بشر من طين لا شيخ كبير ولا مولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض مائة سنة من يوم مثله فاذا اجتمع الخلق فى صعيد واحد نادى منادى الملك لا يصعدن هذا الحجر لحجر هناك منصوب الا من حضر فى المجمع الاول الذى قد خلا من مائة سنة فربما جاء الشيخ الهرم الذى قد ذهبت قوته وعمى بصره وفنى شبابه وتجىء العجوز تزحف لم يبق منها الا رسمها او قد اخنى الدهر عليها فيصعدان على الحجر الذى هناك ويقول الشيخ حضرت المجمع الاول منذ مائة سنة وانا طفل صغير وكان الملك فلانا ويصف الجيوش الماضية والامم الخالية وكيف طحنهم البلى وصاروا تحت اطباق الثرى ويقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم صرعة الموت وحسرة الفوت فيبكى القوم ويتوبون من المظالم ويكثرون الصدقات ويخرجون عن التبعات ويصلحون على ذلك مدة

* وقال وهب بن منبه صحب رجل بعض الرهبان سبعة ايام ليستفيد منه شيأ فوجده مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت اليه فى اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فى الدنيا رأس كل خير والتوفيق نتاج كل خير فاحذر رأس كل خطيئة وارغب فى رأس كل خير وتضرع الى ربك ان يهب لك نتاج كل خير قال فكيف اعرف ذلك قال كان جدى رجلا من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة اشياء فشبهها بالماء المالح يغر ولا يروى ويضر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبزهر الربيع ينضر ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام النائم يرى السرور فى منامه فاذا استيقظ لم يكن فى يده الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الذعاف يغر ويقتل فتدبرت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت حرفا واحدا فشبهتها بالغول التى تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها فرأيت جدى فى المنام وقال يا بنى اشهد انك منى وانا منك هى والله الغول التى تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها قلت فبأى شئ يكون الزهد فى الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعين والعين بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذها منا فلا اراك خلفى الا متجردا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به

(قلت) وقد وصف الله تعالى الدنيا واهلها بصفة اعم من هذه الصفة فقال سبحانه اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد والكفار هنا الزراع كأن الزرع يكون فى اول نباته اخضر ناعما اهتزت الارض به بعد يبسها فاعجبت فى العيون كاملح ما يكون ثم يهيج فتراه مصفرا أى يكبر ويستوى فيجف ويحترق ويتكسر اعلاه ويستقل بسنبله ثم يداس فيكون حطاما اى تبنا متكسرا متقطعا وهذا مثل ضربه الله لبنى آدم اذ كانوا أطفالا اول الولادة وفى حال الطفولية كاحسن مرأى يعجبون الآباء ويفتنون ذوى الاحلام والنهى ثم يكبرون فيصيرون شيوخا منكسة رؤسهم مقوسة ظهورهم قد ذهب جسمهم ونعومتهم وفنى شبابهم وجمالهم وذوت غضارتهم ونضارتهم واستولى عليهم الهرم والشيب ثم يموتون فيصيرون حطاما فى القبور كالتبن فى الحريق هذا بعد ما وصفها بخمس صفات مذمومة لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر وكان الصدر الاول يسمى الدنيا خنزيرة ولو وجدوا اسما أقبح

ماهو سبب لشقاوته ومنها ماهو سبب لسعادته والانسان لا يقدر أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه خلق الله تعالى بحكمة فضله ورحمته وطوله ومنته ملائكة وبعثهم الى أشخاص قد حكم لهم بالسعادة فى الازل وهم الانبياء عليهم السلام فارسلهم الى الخلق ليوضحوا لهم طرق السعادة والشقاوة ولئلا يكون للناس على الله حجة وأرسل رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم أخيرا وجعله بشيرا ونذيرا وأفضل نبوته الى درجة الكمال فلم يبق للزيادة فيها امكان ولا مجال ولهذا جعله خاتم الانبياء فلا نبى بعده وأمر الخلائق من الجن والانس بطاعته ومتابعته وجعله سيد الانبياء وجعل أصحابه خير أصحاب الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين

* (ذكر فروع شجرة الايمان) *

اعلم أيها السلطان انه كل ما كان فى قلب الانسان من معرفة واعتقاد فذلك أصل الايمان وما كان جاريا على أعضائه السبعة من الطاعة والعدل فذلك فرع الايمان فاذا كان الفرع ذابلا ذاويا دل على ضعف الاصل فانه لا يثبت عند الموت وعمل البدن عنوان ايمان القلب والاعمال التى هى فروع الايمان هى تجنب المحارم وأداء الفرائض وهى قسمان أحدهما بينك وبين الله تعالى مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة واجتناب شرب الشراب

منه لسموها به وكانوا يسمونها ام ذفر والذفر النتن وقال مالك بن انس بلغني ان ملكا من ملوك بني اسرائيل ركب يوما في زي عظيم فنشرت له الناس ينظرون اليه أفواجا حتى مر برجل يعمل شيأ مكبا عليه لم يلتفت اليه ولا رفع رأسه اليه فوقف الملك عليه وقال كل الناس ينظرون الي الا انت فقال الرجل اني رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية فمات هو ومسكين فدفن الى جنبه في يوم واحد وكنا نعرفهما في الدنيا باجسادهما ثم كنا نعرفهما بقبريهما ثم نسفت الريح قبريهما وكشفت عنهما فاختلطت عظامهما فلم اعرف الملك من المسكين فلذلك اقبلت على عملي وتركت النظر اليك وروي ان داود عليه السلام بينا هو يسيح في الجبال اذ وافى على غار فاذا فيه رجل عظيم الخلق من بني آدم واذا عند رأسه حجر مكتوب بكتاب محفور وفيه انا رستم الملك ملكت الف عام وفتحت الف مدينة وهزمت الف جيش وافترعت الف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى فصار التراب فراشي والحجارة وسادي فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني وقال وهب بن منبه خرج عيسى بن مريم عليه السلام ذات يوم مع جماعة من اصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد امكن من الفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فاوحى الله اليه ان ائذن لهم في اقواتهم فاذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون فبينا هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول زرعي وارضي ورثته عن آبائي باذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه فبعث الله تعالى جميع من ملك تلك الارض من لدن آدم الى ساعته فاذا عند كل سنبلة او ما شاء الله رجل او امرأة كلهم ينادون زرعي وارضي ورثته عن آبائي ففزع الرجل منهم وكان قد بلغه امر عيسى عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا رسول الله اني لم اعرفك زرعي ومالي لك حلال فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم قد ورثوا هذه الارض وعمروها ثم ارتحلوا عنها وانت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك ارض ولا مال وقال ابو العتاهية

وعظتك اجداث صمت * ونعتك ازمنة خفت
وتكلمت عن اوجه * تبلى وعن صور سبت
وارتك قبرك في القبو * ر وانت حي لم تمت
يا شامتا بمنيتي * ان المنية لم تمت
ولربما انقلب الشما * ت فحل بالقوم الشمت

وروي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما رأى فاطمة رضي الله عنها مسجاة بثوبها بكى حتى رثي له ثم قال

لكل اجتماع من خليلين فرقة * وان الذي دون الممات قليل
ارى علل الدنيا علي كثيرة * وصاحبها حتى الممات عليل
وان افتقادي واحدا بعد واحد * دليل على ان لا يدوم خليل

وقال

ألا ايها الموت الذي ليس تاركي * ارحني فقد افنيت كل خليل
اراك بصيرا بالذين احبهم * كانك تنحو نحوهم بدليل

ولما نقض يديه من ترابها تمثل بقول بعض بني امية

اقول وقد فاضت دموعي حسرة * ارى الارض تبقى والاخلاء تذهب
اخلاي لو غير الحمام اصابكم * عتبت ولكن ما على الموت معتب

وقال العتابي

قلت للفرقدين والليل ملق * سود اكنافه على الآفاق
ابقيا ما بقيتما فسيرمى * بين شخصيكما بسهم الفراق
غر من ظن ان يفوت المنايا * وعراها قلائد الاعناق

والعفة عن الحرام والاخرى ما بينك وبين الخالق وهي العدل في الرعية والكف عن الظلم والاصل في ذلك ان تعمل فيما بينك وبين الخالق تعالى من طاعة أمره والازدجار بزجره ما تختار ان يعتمده عبدك في حقك وان تعمل فيما بينك وبين الناس ما تريد ان يعمل معك من سواك اذا كان غيرك السلطان وكنت من رعيته واعلم انه ما كان بينك وبين الخالق تعالى فان عفوه قريب وانه غفور رحيم أما ما يتعلق بمظالم الخلق فانه لا يتجاوز به عنك على كل حال يوم القيامة وخطره عظيم ولا يسلم من هذا الخطر أحد من الملوك الا ملك عمل بالعدل في رعيته لتعلم كيف يطلب العدل والانصاف منك في يوم القيامة وأصول العدل والانصاف عشرة

(الاصل الاول من ذلك) وهو أن تعرف أولا قدر الولاية وتعلم خطرها فان الولاية نعمة من قام بحقها نال من السعادة ما لا نهاية له ولا سعادة بعده ومن قصر عن النهوض بحقها حصل في شقاوة ولا شقاوة بعدها الا الكفر بالله تعالى والدليل على عظم قدرها وجلالة خطرها ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عدل السلطان يوما واحدا أفضل من عبادة سبعين سنة وقال عليه السلام اذا كان يوم القيامة لا يبقى ظل ولا ملجأ

كم صفيين متعا باجتماع * ثم صارا لغربة وافتراق
لا يدوم البقاء للخلق لكن * دوام البقاء للخلاق

وانشدنى بعض الادباء

أسعدانى يانخلتى حلوان * وارثيالى من ريب هذا الزمان
ولعمرى لوذقتما حرق الفر * قة أبكاكما الذى أبكانى
واعلما ان بقيتما ان نحسا * سوف يأتيكما فتفترقان

ولما سافر الرشيد الى طوس وعلّ فى طريقه من حر اصابه فقال له الطبيب لا يبريك الا جمار النخل وكان نزوله قريبا من هاتين النخلتين فامر بقطع جمار احدى النخلتين فلما مثل بين يديه أنشده بعض الجلساء هذه الابيات لبعض الشعراء فى هاتين النخلتين فقال الرشيد لو سمعتهما ما أمرت بقطعهما ولما مات الاسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس فنظمه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت من حياتك لى عظات * فانت اليوم أوعظ منك حيا

ووجد مكتوبا على قبر تهرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبرة (وقال عبد الله بن المعتز)

نسير الى الآجال فى كل ساعة * وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الامانى باطل
وما اقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

ولما دخل ابو الدرداء الشام قال يا أهل الشام اسمعوا قول أخ لكم ناصح فاجتمعوا عليه فقال مالى أراكم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وأملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجمعهم بورا ومساكنهم قبورا * وروى الحافظ قال وجد مكتوبا فى حجر ابن آدم لو رأيت يسير ما بقى من اجلك لزهدت فى طول ما ترجو من املك ولرغبت فى الزيادة من عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك اهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت فى عملك زائد ولا الى اهلك عائد وقال مالك بن أنس بلغنى ان امرأتين أتتا عيسى عليه السلام فقالتا يا روح الله ادع الله لنا ان يخرج لنا ابانا فانه هلك ونحن غائبتان عنه قال تعرفان قبره فقالتا نعم فذهب معهما فاتيا قبرا فقالتا هذا هو فدعا الله فاخرج لهما فاذا هو ليس به فدعا فرده ثم دلتاه على قبر آخر فدعا ان يخرج فخرج فاذا هو فلزمتاه وسلمتا عليه ثم قالتا يا نبى الله يا معلم الخير ادع الله ان يبقيه معنا فقال وكيف أدعو له ولم يبق له رزق يعيش به ثم رده وانصرف وأنشدنى بعض الادباء

وا أسفى من فراق قوم * هم المصابيح والحصون
والمزن والمدن والرواسى * والخير والامن والسكون
لم تتغير بنا الليالى * حتى توفتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب * وكل ماء لنا عيون

(وروى) ان النعمان بن المنذر خرج متصيدا ومعه عدى بن زيد فمر بشجرة فقال عدى بن زيد ايها الملك أتدرى ما تقول هذه الشجرة قال لا قال انها تقول

من رآنا فليحدث نفسه * أنه موف على قرب سؤال

وقلبه فى المسجد ورجلان تحابا فى الله ورجل ذكر الله تعالى فى خلوته فاجرى دمعه من مقلته ورجل دعته امرأة ذات جمال ومال الى نفسها فقال انى أخاف الله ورجل تصدق سرا بيمينه ولم تشعر بها شماله وقال عليه السلام أحب الناس الى الله تعالى وأقربهم منه السلطان العادل وأبغضهم الى الله تعالى وأبعدهم عنه السلطان الجائر وقال عليه الصلاة والسلام والذى نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى السماء من العمل مثل عمل جملة الرعية وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة فاذا كان كذلك فلا نعمة اجل من أن يعطى العبد درجة السلطنة ويجعل ساعة من عمره لجميع عمر غيره ومن لم يعرف بقدر هذه النعمة واشتغل بظلمه وهواه يخاف عليه أن يجعله الله من جملة أعدائه ومما يدل على عظم خطر الولاية ما روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بعض الايام فلزم حلقة باب الكعبة وكان فى البيت نفر من قريش فقال صلى الله عليه وسلم يا سادات قريش عاملوا رعاياكم واتباعكم بثلاثة اشياء اذا سألوكم الرحمة فارحموهم واذا حكموكم فاعدلوا فيهم واعملوا بما

وصروف الدهر لا يبقى لها * ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال
عمروا الدهر بعيش حسن * آمنى دهرهم غير عجال
عصف الدهر بهم فانقرضوا * وكذاك الدهر حالا بعد حال

قال ثم جاوزوا الشجرة فمروا بمقبرة فقال له عدي أيها الملك أتدري ما تقول هذه المقبرة قال لا قال انها تقول

أيا الركب المخبونا * على الارض المجدونا
كما أنتم كذا كنا * كما نحن تكونونا

فقال النعمان قد علمت ان الشجرة والمقبرة لا يتكلمان وقد علمت انك انما أردت تعظني فجزاك الله عني خيرا فما السبيل الذي تدرك به النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتعبد الله وحده قال في هذه النجاة قال نعم فترك عبادة الأوثان وتنصر يومئذ واخذ في العبادة والاجتهاد (وقال) عبد الله بن العلم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالرويثة نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة ليس له منظر وهيئة فقال من يبغي خادما من يبغي ساقيا فقلت دونك هذه القربة فاخذها فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا فوضعها كالمسرور الضاحك ثم قال ألكم غير هذا قلنا لا واطعمناه قرصا باردا فاخذه وحمد الله تعالى وشكره ثم اعتزل وقعد فاكله اكل جائع فادركتني عليه الرأفة فقمت اليه بطعام طيب كثير فقلت له قد علمت انه لم يقع منك القرص بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فما أبالي بأي شيء رددتها فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبي أتعرفه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد فما عرف له أثر ولا وقف له على خبر فاعجبني قوله ثم اجتمعت به وآنسته وقلت له هل لك أن تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان لي معدا ثم أنس الي فجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ واني أمرت خادما لي ان تحشو فراشا لي من حرير ومخدة بورد نثر ففعلت واني لنائم اذا بقمع ورد قد أغفلته الخادم فقمت اليها فاوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال أفق من غشيتك أبصر من حيرتك ثم أنشأ يقول

يا خد انك ان توسد لينا * وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي هاربا الى ربي (وقال) عبد الواحد بن زيد ذكر لي ان في جوانب الابلة جارية مجنونة تنطق بالحكمة فلم ازل أطلبها حتى وجدتها في خرابة جالسة على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة الرأس فلما نظرت الي قالت من غير ان أكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها مرحبا بك وعجبت من معرفتها لي ولم ترني قبل ذلك فقالت ما الذي جاء بك ههنا فقلت جئت لتعظيني فقالت واعجباه لواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد فيظل حيران والهافان كان له نصيب عند الله عاتبه وحيا في سره فقال عبدي أردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل طاعتي في ارضي فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورثتك بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدي ارجع الى ما كنت عليه أرجع لك ما كنت تعرفه من نفسك ثم تركتني ووليت عني وانصرفت عنها وبقلبي حسرة منها وانشدوا

انك في دار لها مدة * يقبل فيها عمل العامل

تقولون فمن لم يعمل بهذا فعليه لعنة الله والملائكة ولا يقبل الله منه فرضا ولا نفلا وقال صلى الله عليه وسلم من حكم بين خصمين فظلم فلعنة الله على الظالمين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة سلطان كاذب وشيخ زان وفقير متكبر يعني انه يتكبر للطامع وقال صلى الله عليه وسلم للصحابة رضي الله عنهم سيأتي عليكم يوم تفتحون جانب المشرق والمغرب ويصير بايديكم فكل عمال تلك الاماكن في النار الا من اتقى الله تعالى وسلك سبيل التقوى وأدى الأمانة وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد ولاه الله أمر رعيته فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم الا حرم الله عليه الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من ولي أمور المسلمين ولم يحفظهم كحفظ أهل بيته فقد تبوأ مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم رجلان من أمتي يحرمان شفاعتي ملك ظالم ومبتدع غال في الدين يتعدى الحدود وقال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة السلطان الظالم وقال صلى الله عليه وسلم خمسة قد غضب الله عليهم وان شاء أمضى غضبه ومقرهم النار أمير قوم يأخذ منهم ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع الظلم عنهم ورئيس قوم يطيعونه وهو لا يساوي بين القوي والضعيف

ويحكم بالميل والمحاباة ورجل لايأمر أهله ولا ولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمور الدين ولا يبالي من أين أطعمهم ورجل

اماترى الموت محيطا بها * يقطع فيها امل الآمل
تعجل الذنب بما تشتهي * وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة * ماذا بفعل الحازم العاقل

* ولما نزل سعد بن أبي وقاص الحيرة قيل له ههنا عجوز من بنات الملوك يقال لها الحرقة بنت النعمان بن المنذر وكانت من اجل قبائل العرب وكانت اذا خرجت الى بيعتها نشرت عليها الف قطيفة حرير وديباج ومعها الف وصيف ووصيفة فارسل اليها سعد فجاءت كالشن البالي فقالت يا سعد كنا ملوك هذا المصر قبلك يحمل الينا خراجه ويطيعنا اهله مدة من المدد حتى صاح بنا صائح الدهر فشتت شملنا والدهر ذو نوائب وصروف فلو رأيتنا في ايامنا الا رعدت فرائصك فزعا منا فقال لها سعد ما انعم ما تنعمتم به قالت سعة الدنيا علينا وكثرة الاصوات اذا دعونا ثم انشأت تقول

وبينا نسوس الناس والامر امرنا * اذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف
فتبا لدنيا لايدوم نعيمها * تقلب تارات بنا وتصرف

ثم قالت يا سعد انه لم يكن اهل بيت خير الا والدهر يعقبهم غيره حتى يأتي أمر الله على الفريقين فاكرمها سعد وأمر بردها فلما ارادت القيام قالت يا سعد لا ازال الله عنك نعمة ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا ازال عن كريم نعمة ولا ازال عن عبد صالح نعمة الا جعلك الله سبيلا الى ردها عليه ولبعضهم

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وانه بين جنات ستبهجه * يوم القيامة اونار ستنضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * وما أقام عليه منه اسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

(وروى) ان عيسى عليه السلام كان مع صاحب له يسيحان فاصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وقام عيسى يصلي فجاء الرجل بثلاثة ارغفة فابطأ عليه انصراف عيسى فاكل رغيفا فانصرف عيسى فقال اين الرغيف الثالث فقال ما كانا الا رغيفين قال فمرا على وجوههما حتى مرا بظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام ظبيا منها فذكاه فاكلا منه ثم قال عيسى عليه السلام للظبي قم باذن الله فاذا هو يشتد فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي اراك هذه الآية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين قال فمضيا على وجوههما فمرا بنهر عجاج عظيم فاخذ عيسى عليه السلام بيده فمشى به على الماء حتى جاوزا الماء فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي اراك هذه الآية من صاحب الرغيف قال ما كانا الا اثنين فخرجا حتى اتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها لبن ثلاث من ذهب فقال الرجل هذا مال فقال عليه السلام اجل هذا مال واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف فقال انا صاحب الرغيف فقال عليه السلام هي لك كلها ففارقه فاقام عليها ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه واخذوا اللبن فقال اثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فأتنا بطعام فذهب فقال احد الباقيين تعال نقتل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا قال الآخر نعم وقال الذي ذهب يشتري الطعام اجعل في الطعام سما فاقتلهما وآخذ اللبن ففعل فلما جاء قتلاه واكلا من الطعام الذي جاء به فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم حولها منصرعين فقال هكذا تفعل الدنيا باهلها (وقال عبد الملك ابن عمير رأيت في هذا القصر عجبا رأيت رأس الحسين على ترس مصبوغ بين يدي ابن زياد ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدي المصعب بن الزبير ثم رأيت رأس المصعب

استأجر أجيرا فتم عمله ومنعه أجرته ورجل ظلم زوجته في صداقها وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شيع يوما جنازة فتقدم رجل وصلى بالجنازة فلما دفن الميت وضع ذلك الرجل يده على قبره وقال اللهم ان عذبته فبحقك لانه قد عصاك وان رحمته فانه فقير الى رحمتك وطوبى لك أيها الميت ان لم تكن أميرا أو عريفا أو كاتبا أو عوانيا أو جابيا فلما تكلم هذه الكلمات غاب شخصه عن عيون الناس فأمر عمر رضي الله عنه بطلبه فطلب فلم يوجد فقال عمر رضي الله عنه هذا الخضر عليه السلام وقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل للامراء وويل للعرفاء وويل للعوانية فانهم أقوام يعلقون يوم القيامة من السماء بذوائبهم يودون لو لم يعملوا عملا قط وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل ولي أمر عشرة من الناس الا جيء به يوم القيامة ويداه مغلولتان تغل الى عنقه فان كان عمله صالحا فك الغل عنه وان كان عمله سيئا غل آخر وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويل لقاضي الارض من قاضي السماء حين يلقاه الا من عدل وقضى بالحق ولم يحكم بالهوى ولم يمل مع أقاربه ولم يبدل حكما بخوف أو طمع لكن

ابن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان (وقال الاصمعي) لما زخرف الرشيد مجالسه وبحرم فيها وزوقها
وصنع فيها طعاما كثيرا ارسل الى ابي العتاهية وقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش ما بدا لك سالما * في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي البكور
واذا النفوس تقعقعت * في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا في غرور

فبكى هرون فقال الفضل بن يحيي بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال هرون دعه فانه رآنا في
ضلالة وعمي فكره ان يزيدنا عمي (ويروى) ان سليمان بن عبد الملك لبس أفخر ثيابه ومس أطيب
طيبه ونظر في مرآته فأعجبته نفسه وقال أنا الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال لجاريته كيف ترين فقالت

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير ان لا بقاء للانسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب * عابه الناس غير انك فاني

فاعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد فركبته الحمى فلم يزل صوته ينقص حتى
ما سمعه من حوله فصلى وجمع بين اثنين يسحب رجليه فلما صار على فراشه قال للجارية ما الذي قلت لي
في صحن الدار قالت ما رأيتك ولا قلت شيأ واني لي بالخروج الى صحن الدار فقال انا لله وانا اليه راجعون
نعيت الى نفسي ثم عهد عهده وأوصى وصيته فلم تدر عليه الجمعة الاخرى الا وهو في قبره (ووجد) مكتوبا
على قصر سيف بن ذي يزن

من كان لا يطأ التراب برجله * وطئ التراب بناعم الخد
من كان بينك في التراب وبينه * شبران كان بغاية البعد
لو بعثرت للناس أطباق الثرى * لم يعرف المولى من العبد

(وقال الهيثم بن عدي) وجدوا غارا في جبل لبنان زمان الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير
من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالرومية انا سبأ بن نواس بن سبا خدمت عيصو بن
اسحق بن ابراهيم خليل الرب الديان الملك الاكبر وعشت بعده عمرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما
رأيت اعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبر احبائه ويعلم انه صائر اليهم ثم
لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة سينزلوني عن سريري ويقولونه وذلك حين يتغير الزمان
وتتأمر الصبيان ويكثر الحدثان فمن ادرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا (ويروى) ان الاسكندر
مر بمدينة قد ملكها أملاك سبعة وبادوا فقال هل بقي من نسل الاملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحد
قالوا رجل يكون في المقابر فدعا به وقال له ما دعاك الى لزوم المقابر قال أردت ان اعزل عظام الملوك من
عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء قال فهل لك ان تتبعني فاحيي بك شرف آبائك ان كانت لك همة
قال ان همتي لعظيمة ان كانت بغيتي عندك قال وما بغيتك قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم فيه
وغنى لا يتبعه فقر وسرور لا يعتريه مكروه قال ما اقدر على هذا قال فانفذ لشانك وخلني أطلب بغيتي ممن
هي عنده فقال الاسكندر هذا احكم من رأيت (وروى) في الاسرائيليات ان عيسى بن مريم عليه السلام
بينما هو في بعض سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فامرها ان تتكلم فقالت يا روح الله انا بلوام بن حفص ملك
اليمن عشت ألف سنة وولد لي ألف ذكر وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف عسكر وقتلت ألف جبار
وافتتحت ألف مدينة فمن رآني فلا يغتر بالدنيا كما غرتني فما كانت الا كحلم نائم فبكى عيسى عليه السلام
(ووجد) مكتوبا على قصر بعض الملوك وقد باد اهله واقفرت ساحته

يجعل كتاب الله مرآته ونصب عينيه ويحكم بما فيه وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالولاة يوم القيامة فيقول الله تعالى أنتم كنتم رعاة خليقتي وخزنة ملكي في أرضي ثم يقول لاحدهم لم ضربت عبادي فوق الحد الذي أمرت به فيقول يا رب لانهم عصوك وخالفوك فيقول لا ينبغي أن يسبق غضبك غضبي ثم يقول للآخر لم عاقبت عبادي أقل من الحد الذي أمرت به فيقول يا رب رحمتهم فيقول الله كيف تكون أرحم مني خذوا الذي زادوا والذي نقص فاحشوا بهما زوايا جهنم وقال حذيفة اليماني رضي الله عنه انا لا أثني على احد من الولاة سواء كان صالحا أو غير صالح لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالولاة العادلين والظالمين يوم القيامة فيوقفون على الصراط فيوحي الله الى الصراط ان ينتفض بهم في النار مثل من جار في الحكم وأخذ رشوة على القضاء وأعار سمعه لاحد الخصمين دون الآخر فيسقطون من الصراط فيهوون في النار سبعين سنة حتى يصلوا الى قرارها وقد جاء في الخبر ان داود عليه السلام كان يخرج في الليل متنكرا بحيث لا يعرفه احد وكان يسأل كل من يلقاه عن سيرة داود سرا حتى فجاءه جبريل عليه السلام يوما في صورة فقال له ما تقول

هذى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا و بالذمم
تبكى عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الحلم والكرم

(وقال) عبد الله بن ابى نوح نزل حى من العرب شعبا من شعاب اليمن فتشاحنوا فيه واختلفوا واستعدوا للقتال فاذا صائح يصيح يا هؤلاء على رسلكم علام القتال فى فوالله لقد ملكنى سبعون اعور كلهم اسمه عمرو

(فصل) أيها الرجل اعتبر بمن مضى من الملوك والاقيال وخلا من الامم والاجيال وكيف بسطت لهم الدنيا وأنسئت لهم الآجال وانفسح لهم فى المنى والآمال وامدوا بالآلات والعدد والاموال كيف طحنتهم بكلكله المنون واختدعهم بزخرفه الدهر الخؤن واسكنوا بعد سعة القصور بين الجنادل والصخور وعاد العين أثرا والملك خبرا فاما اليوم فقد ذهب صفو الزمان و بقى كدره فالموت اليوم تحفة لكل مسلم كأن الخير اصبح خاملا والشر أصبح ناظرا وكأن الغى أصبح ضاحكا والرشيد باكيا وكأن العدل اصبح غائرا وأصبح الجور عاليا وكأن العقل أصبح مدفونا والجهل منشورا وكأن اللؤم اصبح باسقا والكرم خاويا وكأن الود أصبح مقطوعا والبغضاء موصولة وكأن الكرامة قد سلبت من الصالحين وتوخى بها الاشرار وكأن الخب اصبح مستيقظا والوفاء نائما وكأن الكذب اصبح مثمرا والصدق ماحلا وكأن الاشرار اصبحوا يسامون السماء واصبح الاخيار يردون بطن الارض اماترى الدنيا تقبل اقبال الطالب وتدبر ادبار الهارب وتصل وصال الملول وتفارق فراق العجول فخيرها يسير وعيشها قصير واقبالها خديعة وادبارها فجيعة ولذاتها فانية وتبعاتها باقية فاغتنم غفوة الزمان وانتهز فرصة الامكان وخذ من نفسك لنفسك وتزود من يومك لغدك ولاتنافس اهل الدنيا فى خفض عيشهم ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم قال الشاعر

رب مغروس يعاش به * عدمته عين مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وقد قال التهامى

تنافس فى الدنيا غرورا وانما * قصارى غناها ان تؤل الى الفقر
وانا لفى الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بها يجرى

ولبعض الشعراء

تروح لك الدنيا بغير الذى غدت * وتحدث من بعد الامور امور
وتجرى الليالى باجتماع وفرقة * وتطلع فيها الانجم وتغور
فمن ظن ان الدهر باق سروره * فذاك محال لا يدوم سرور
عفا الله عمن صير الهم واحدا * وأيقن ان الدائرات تدور

(وقال وهب بن منبه) قرأت فى كتب بعض الانبياء عليهم السلام ان المسيح اجتاز بجمجمة مائلة عظيمة نخرة فقال له اصحابه يا روح الله لو سألت الله تعالى ان يستنطق هذه الجمجمة فعسى تخبرنا بما رأته من العجائب ففعل فأنطقها الله تعالى فقالت يا روح الله انى عشت ألف سنة واستولدت الف ذكر وافتتحت الف مدينة وهزمت الف جيش وقتلت الف جبار وصحبت الدهر واختبرته وامتحنت تقلبه وانقلابه فلم أر شيئا أشد من طامح بلى امر صالح ولم أجد لهذا الدهر شيئا انفع من الصبر ومسالمة أهله ولم أر هلاك اهله الا فى الحرص والطمع و وجدت العز فى الرضا بالقسم (وقال محمد) بن ابى العتاهية آخر شعر قاله ابى فى مرضه الذى توفى فيه رحمه الله

الهى لا تعذبنى فانى * مقر بالذى قد كان منى
فما لى حيلة الا رجائى * وعفوك ان عفوت وحسن ظنى
وكم من زلة لى فى البرايا * وأنت على ذو فضل ومن

فى داود فقال نعم الرجل داود الا انه يأكل من بيت المال ولا يأكل من كده وتعب بدنه فعاد داود الى محرابه باكيا حزينا وقال الهى علمنى صنعة آكل بها من تعبى وكد يدى فعلمه الله تعالى عمل الزرد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كل ليلة يطوف مع العسس حتى يرى خللا يتداركه وكان يقول لو تركت عنز جرباء الى جانب ساقية لم تدهن لخشيت أن أسئل عنها يوم القيامة فانظر أيها السلطان الى عمر رضى الله عنه مع احتياطه وعدله وما وصل احد من الآدميين الى تقواه وصلابته كيف يتفكر ويتخوف من أهوال يوم القيامة وأنت قد جلست لاهيا عن احوال رعيتك غافلا عن اهل ولايتك قال عبد الله بن عمر وجماعة من أهل بيته اننا كنا ندعوا الله تعالى ليرينا عمر فى المنام فرأيته فى المنام بعد اثنتى عشرة سنة كأنه قد اغتسل وهو متلفع بازار فقلت يا أمير المؤمنين كيف وجدت ربك باى حسناتك جازاك فقال يا عبد الله كم لى منذ فارقتكم فقلت اثنتا عشرة سنة فقال منذ فارقتكم كنت فى الحساب وخفت ان أهلك الا ان الله غفور رحيم جواد كريم فهذا حال عمر رضى الله عنه ولم يكن له فى دنياه من أسباب الولاية سوى درة *(حكاية)* ادسل قيصر رسولا الى عمر بن

اذا فكرت في قدمي عليها * عضضت اناملي وقرعت سني
أجن بزهرة الدنيا جنونا * وأقطع طول عمري بالتمني
وبين يدي ميقات عظيم * كأني قد دعيت له كأني
ولو أني صدقت الله فيها * قلبت لاهلها ظهر المجن

(وقال ابن عباس) لما ورد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف قس بن ساعدة قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال رجل لست أنساه بعكاظ على جمل احمر وهو يخطب الناس ويقول أيها الناس اجتمعوا فاذا اجتمعتم فاسمعوا فاذا سمعتم فعوا فاذا وعيتم فقولوا فاذا قلتم فاصدقوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحر لا يغور أقسم قس قسم حق لا كذب فيه ولا اثم لئن كان في الارض رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو احب اليه من دينكم هذا الذي انتم عليه مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا أو تركوا على حالهم فناموا ثم قال أيكم يروي شعره فأنشدوه

في الذاهبين الأولين * من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها * تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي اليك ولا من الباقين غابر
سكنوا البيوت فوطنوا * ان البيوت هي المقابر
أيقنت اني لا محا * لة حيث صار القوم صائر

ثم قال الرجل لقد رأيت منه عجبا اقتحمت واديا فاذا أنا بعين جارية وروضة مدهامة وشجرة عادية واذا بقس بن ساعدة قاعد في اصل الشجرة وبيده قضيب وقد ورد على العين سباع كثيرة فكلما ورد سبع على صاحبه ضربه بالعصا وقال تنح حتى يشرب الذي ورد قبلك فلما رأيت ذلك ذعرت ذعرا شديدا فالتفت الي وقال لا تخف فالتفت فاذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان القبران قال هما قبرا اخوين كانا يعبدان الله تعالى معي في هذا الموضع وانا أعبد الله بينهما حتى الحق بهما فقلت له الا تلحق بقومك فتكون في خيرتهم فقال لي ثكلتك أمك اوما علمت ان ولد اسمعيل تركت دين أبيها واتبعت الاصنام وعظمت الانداد ثم تركني واقبل على القبرين وقال

خليلي هبا طالما قد رقدتما * اجدكما ما تقضيان كراكما
أرى النوم بين الجلد والعظم منكما * كأن الذي يسقي العقار سقاكما
ألم تعلما اني بسمعان مفرد * ومالي فيه من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لست نازحا * طوال الليالي او يجيب صداكما
أأبكيكما طول الحياة وما الذي * يرد على ذي غصة ان بكاكما
كأنكما والموت اقرب غاية * بروحي في قبريكما قد اتاكما
سلام وتسليم وروح ورحمة * ومغفرة المولى على ساكنا كما
فلو جعلت نفس لنفس وقاية * لجدت بنفسي ان تكون فداكما

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان قس بن ساعدة يبعث امة وحده يعني ان كل امة آمنت بنبيها اتبعت امة وحدها لا يخالطها غيرها ويبعث قس ايضا وحده امة ليس معه احد (ويروى) ان المهدي نام يوما فأنشد في نومه هذه الابيات

أمير قد خرج الى ظاهر المدينة فخرج الرسول في طلبه فرآه نائما في الشمس على الارض فوق الرمل الحار وقد وضع درته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه الى ان قد بل الارض فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع في قلبه وقال رجل يكون جميع الملوك لا يقر لهم قرار من هيبته وتكون هذه حالته ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرا خائفا أشهد أن دينك الدين الحق ولولا اني أتيت رسولا لاسلمت ولكني اعود بعد هذا واسلم أيها السلطان خطر الولاية عظيم وخطبها جسيم والشرح في ذلك طويل ولا يسلم الوالي الا بمقارنة علماء الدين ويحرص على استماع نصيحتهم وان يحذر من رؤية علماء السوء يحرصون على الدنيا فانهم يثنون عليك ويعرفونك ويطلبون رضاك طمعا فيما بيدك من خبيث الحطام ونسل الحرام ليحصلوا منه شيئا بالمكر والحيل والعالم الصالح هو الذي لا يطمع فيما عندك من المال وينصفك في الوعظ

والمقال كما يقال ان شقيقا البلخي دخل على هرون الرشيد فقال أنت شقيق الزاهد فقال له انا شقيق

كانى بهذا القصر قد باد اهله * واوحش منه ركنه ومنازله
فلم يبق الاذكره وحديثه * ينادى بليل معولات ثوا كله

فما اتت عليه عاشرة عشرة حتى مات (وانشدنى) القاضى ابو العباس الجرجانى رحمه الله بالبصرة هذه الابيات

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان يعمر باللذات والطرب
طارت عقاب المنايا فى جوانبه * فصاح من بعده بالويل والحرب

وانشدنى ايضا

ايها الرافع البناء رويدا * لن تذود المنون عنك المبانى
ان هذا البناء يبقى ويفنى * كل شئ أبقى من الانسان

(وقال الحكم بن عمرو) قال ابو جعفر المنصور عند موته اللهم ان كنت تعلم انى ارتكبت الامور العظام جراءة منى عليك فانك تعلم انى قد اطعتك فى احب الاشياء اليك شهادة ان لا اله الا الله منا منك لا منا عليك * وكان سبب احرامه من الخضراء انه كان يوما نائما فاتاه آت فى منامه فقال

كانى بهذا القصر قد باد اهله * واوحش منه اهله ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة * الى تربة تسفى عليه جنادله

فاستيقظ مرعوبا ثم نام فأنشد

ابا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وامر الله لا بد واقع
فهل كاهن اعددته ومنجم * ابا جعفر عنك المنية دافع

فقال يا ربيع ائتنى بطهورى فقام واغتسل ولبى وتجهز للحج ثم قال يا ربيع القنى فى حرم الله تعالى (وانشدنى) القاضى ابو العباس الجرجانى بالبصرة

ان كنت تسمو الى الدنيا وزينتها * فانظر الى ملك الاملاك قارون
زم الامور فاعطته مقادتها * وسخر الناس بالتشديد واللين
حتى اذا ظن ان لا شئ غالبه * ومكنت قدماه اى تمكين
راحت عليه المنايا روحة تركت * ذا الملك والعز تحت الماء والطين

وانشدنى ابو محمد التميمى ببغداد

لمن ابنى لمن اسم المطايا * لمن استأنف الشئ الجديدا
اذا ما صار اخوانى رفاتا * وصرت لفقدهم فردا وحيدا
اما ين معشر لهم شكول * واشكالى قد اعتنقوا اللحودا

(وممن زهد فى الدنيا) وابصر عيوبها من ابناء الملوك ابو عقال علوان بن الحسن من بنى الاغلب وهم ملوك المغرب وكان ذا نعمة وملك وله فتوة ظاهرة فتاب الى ربه ورجع عن ذلك رجوعا فارق نظراءه فرفض المال والاهل وهجر البناء والوطن وبلغ من العبادة مبلغا اربى فيه على المجتهدين وعرف باجابة الدعوة وكان عالما اديبا قد صحب عدة من اصحاب سحنون وسمع منهم ثم انقطع الى بعض السواحل فصحب رجلا يكنى ابا هرون الاندلسى منقطعا متبتلا الى الله تعالى فلم ير منه كبير اجتهاد فى العمل فبينا ابو عقال يتهجد فى بعض الليالى وابو هرون نائم اذ غلبه النوم فقال لنفسه يا نفس هذا عابد جليل القدر ينام الليل كله وانا اسهر الليل كله فلو ارحت نفسى فوضع جنبه فرأى فى منامه شخصا قائلا له ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الى آخر الآية فاستيقظ فزعا وعلم انه المراد فايقظ ابا هرون وقال له سألتك بالله هل أتيت كبيرة قط قال لا يا ابن اخى ولا صغيرة عن تعمد والحمد لله فقال ابو عقال لهذا تنام انت ولا يصلح لمثلى الا الكد والاجتهاد ثم دخل الى مكة ولزم بيت الله

ولست بزاهد فقال له اوصنى فقال له ان الله تعالى قد اجلسك مكان الصديق وانه يطلب منك مثل صدقه واعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله واقعدك مكان ذى النورين وانه يطلب منك حياءه وكرمه واقعدك موضع على بن ابى طالب وانه يطلب منك العلم والعدل كما يطلب منه فقال له زدنى من وصيتك فقال نعم اعلم ان لله تعالى دارا تعرف بجهنم وانه جعلك بواب تلك الدار واعطاك ثلاثة اشياء بيت المال والسوط والسيف وامرك ان تمنع الخلق من دخول النار بهذه الثلاثة فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه من بيت المال ومن خالفك فيما امر به تعالى فادبه بهذا السوط ومن قتل نفسا بغير حق فاقتله بالسيف باذن ولى المقتول فان لم تفعل ما امرك فانت تكون الزعيم لاهل النار والمتقدم لاهل دار البوار فقال زدنى من الوصية فقال انما مثلك كمثل معين الماء وسائر العمال فى العالم كمثل السواقى فاذا كان المعين صافيا لا يضر كدر السواقى واذا كان المعين كدرا لا ينفع صفاء السواقى خرج هارون الرشيد والعباس ليلا الى زيارة الفضيل بن عياض

...مصليا الى بابه وجداه يتلو هذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم

الحرام وحج مرارا واربى على عباد المشرق وكان يعمل بالقربة على ظهره بقوته ومات بمكة وهو ساجد فى صلاة الفريضة بالمسجد الحرام سنة ست وتسعين ومائتين وقال له رجل كان يصحبه يومالى اليك حاجة فقال له بعد الجهد به حاجتك مقضية قال ان كان لك شهوة اخبرنى بها قال نعم اشتهى ان آكل رأسا قال فاشتريت له رأسين ولففتهما فى رقاق وجئته بهما ثم سألته بعد ايام هل طاب لك الرأسان قال لا اما هو الا ان فتحتهما فاذا هما محشوان دودا ليس فيهما البتة لحم الا الدود فآتيت الرآس فاخبرته فاطرق متعجبا ثم قال ماظننت أن فى زماننا أحدا يحمى عن الحرام هذه الحماية تلك الرؤس كانت من غنم انتهبها بعض العمال ثم أعطانى رأسين من غير تلك الغنم فاتيت بهما أبا عقال فأكلهما فاخبرته بما قال الرآس فبكى ثم قال يارب ما كان يستحق عبدك أبو عقال مثل هذه الحماية ولكنه يارب فضلك وكرمك فلك على يارب أن لا آكل طعاما بشهوة أشتهيها حتى ألقاك ان شاء الله تعالى وكانت له أخت متعبدة فلما مات لحقت قبره بمكة وبكت عليه وكتبت عليه هذه الابيات

ليت شعرى ما الذى عاينته * بعد دوم الصوم مع نفى الوسن

مع عزوف النفس عن أوطارها * والتخلى عن حبيب وسكن

يا شقيق ليس فى وجدى به * علة تمنعنى عن أن أجن

وكما تبلى وجوه فى الثرى * فكذا يبلى عليهن الحزن

(وروى) ان رجلين تنازعا فى أرض فانطق الله لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم مت وصرت رميما ألف سنة فاخذنى خزاف واتخذنى خزفا ثم أخذنى وضربنى لبنا وأنا فى هذا الجدار كذا وكذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض (ومن أعجب) ما روى فى الاسرائيليات ان ابنة من بنات الملوك تزهدت فى الدنيا وتابت وخرجت من ملكها ففقدت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها اثر وكان هناك دير للمتعبدين فلحق بهم شاب يتعبد فابصروا منه من الاجتهاد والجد فى العمل وملازمة الاوراد ومواصلة الاعمال ما فاق به جميع من فى الدير واقام على ذلك ماشاء الله تعالى الى ان انقضت أيامه ووافاه حمامه فقضى الفتى نحبه فحزن له أهل الدير من الزهاد والعباد والمنقطعين وأذروا عليه الدموع ثم أخذوا فى غسله واذا هو امرأة ففحصوا عن أمره واذا هى بنت الملك فزادهم ذلك اعجابا به وتعظيما له وتشاوروا فى أمره ماذا يحدثون له من الكرامة ثم اجمعوا أمرهم أن لا يدفنوها تحت الثرى وان يحملوها فوق أكفهم فغسلوها وكفنوها وجهزوها وصلوا عليها ثم أقبلوا يحملونها على الاكف والسواعد كلما ضجر واحد جاء واحد يحمل مع من يحمل وكل من انقطع فى الدير لعبادة ربه جعل يحمل معهم الى أن بليت وتقطعت أوصالها مع طول الزمان فدفنت حينئذ رحمة الله عليها (وكان) فى بلاد الروم مما يلى أرض الاندلس رجل نصرانى قد بلغ فى التخلى من الدنيا مبلغا عظيما واعتزل الخلق والتزم قلال الجبال والسياحة فى الارض الى الغاية القصوى فورد على المستعين بن هود فى بعض الامر فاكرمه ابن هود ثم أخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخزائن أمواله وما حوته من البيضاء والحمراء وأحجار الياقوت والجواهر وأمثالها ونفائس الاعلاق والجوارى والحشم والاجناد والكراع والسلاح فاقاموا فى ذلك أياما فلما انقضت قال له كيف رأيت ملكى قال قد رأيت ملكا ولكنه يعوزك فيه خصلة ان أنت قدرت عليها ففيها انتظام ملكك وان لم تقدر عليها فهذا الملك لا شئ قال وما تلك الخصلة قال تعمد فتصنع غطاء عظيما حصينا قويا وتكون مساحته قدر البلد ثم تكبه على البلد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين سبحان الله أو يقدر البشر على هذا فقال العلج يا هذا أتفتخر بأمر تتركه غدا ومثال من يفتخر بما يفنى كمن يفتخر بما يراه فى النوم (ويروى) ان ملكا من الملوك

ومماتهم ساء ما يحكمون معنى الآية أيظنون ان الذين يكسبون الخطايا ويعملون الاعمال المذمومة ان نساوى بينهم فى الآخرة وبين الذين يعملون الخيرات وهم مؤمنون كلا ولما فقال هارون ان كنا جئنا لنطلب الموعظة فكفى بهذا موعظة ثم أمر العباس ان يطرق عليه الباب فطرق بابه وقال افتح الباب لامير المؤمنين فقال الفضيل ما يصنع عندى أمير المؤمنين فقال له أطع أمير المؤمنين وافتح الباب وكان ليلا والمصباح يتقد فطفاه وفتح الباب فدخل الرشيد وجعل يطوف بيده ليصافح الفضيل فلما وقعت يده عليه قال الويل لهذه اليد الناعمة ان لم تنج من العذاب ثم قال له يا أمير المؤمنين استعد لجواب الله تعالى يوم القيامة فانه يوقفك مع كل مسلم على حدة ويطلب منك انصافك اياه فبكى هارون بكاء شديدا فقال له العباس مهلا يا فضيل فقد قتلت أمير المؤمنين فقال له الفضيل يا هامان أنت وقومك أهلكتموه وتقول لى مهلا فقد قتلته فقال الرشيد للعباس ما جعلك هامان الا وقد جعلنى فرعون ثم وضع الرشيد بين يدى الفضيل ألف دينار وقال هذه من وجه حلال من صداق امى ومهرها فقال له الفضيل أنا آمرك أن ترفع يدك مما فيها وتعود

بني قصرا وقال انظروا من عاب منه شيئا فاصلحوه واعطوه درهمين فاتاه رجل فقال ان في هذا القصر عيبين قال وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على نفسه وترك الدنيا (ومن عجائب) اخبار الخضر عليه السلام قالوا سئل الخضر عليه السلام عن اعجب شئ رأيته في الدنيا في طول سياحتك وكثرة خلواتك وقطعك القفار والفلوات قال اعجب ما رأيته اني مررت على مدينة لم ار على وجه الارض احسن منها فسألت بعضهم متى بنيت هذه المدينة قالوا سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا اجدادنا متى بنيت هذه المدينة وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحوا من خمسمائة عام وعبرت عليها بعد ذلك واذا هي خاوية على عروشها ولم ار احدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت اين المدينة التي كانت ههنا قالوا سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا اجدادنا انه قط كانت ههنا مدينة فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان هذا البحر ههنا فقال سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا اجدادنا الا ان هذا البحر منذ بعث الله الطوفان ثم غبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها واذا ذلك البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة ملتفة بالقصب والبردي والسباع واذا صيادون يصيدون السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم اين البحر الذي كان ههنا فقال سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا اجدادنا انه كان ههنا قط بحر فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم اتيت الى ذلك المكان فاذا هو مدينة على حاله الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم اين الغيضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله ما يذكر احد الا ان هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحوا من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم ار احدا أسأله ثم رأيت راعيا فسألته اين المدينة التي كانت ههنا ومتى حدث هذا الدخان فقال سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا اجدادنا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهذا اعجب شئ رأيته في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الارض ومن عليها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (قال الشاعر)

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها اسائل مخبرا * عن أهلها أو ناطقا أو مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

(ومن الشعر) المستحسن في هذه الابيات قول القائل

رب ورقاء هتوف بالضحى * ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا * فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما أرقها * وبكاها ربما أرقني
فاذا تسعدني أسعدها * واذا أسعدها تسعدني
ولقد تشكو فما افهمها * ولقد اشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها * وهي أيضا بالجوى تعرفني

(ونظر) رجل من العباد الى باب ملك من الملوك وقد شيده واتقنه وزوقه فقال باب حديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد (ولما نقل) عبد الملك بن مروان رأى غسالا يلوي بيده ثوبا فقال وددت اني كنت غسالا لا اعيش الا بما اكسبه يوما فيوما فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عنده ما هم فيه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع هل يتوقع احدكم من الدنيا الا

الى خالقك وانت تلقيه الي ولم يقبلها وخرج من عنده سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب القرظي فقال صف لي العدل فقال كل مسلم اصغر منك فكن له ابا ومن كان اكبر منك سنا فكن له ولدا ومن كان مثلك فكن له اخا وعاقب كل مجرم على قدر جرمه واياك أن تضرب مسلما سوطا واحدا على حقد منك عليه فانه يصيرك الى النار حضر بعض الزهاد بين يدي خليفة الوقت فقال له عظني فقال يا أمير المؤمنين اني سافرت الى الصين وكان ملك الصين قد اصابه الصمم وذهب سمعه فرأيته يبكي ويقول ما ابكي لزوال سمعي وانما ابكي لاجل مظلوم يقف ببابي ويستغيث ولا اسمع استغاثته ولكن الشكر لله اذ بصري سالم وامر مناديا ينادي كل من كانت له ظلامة فليلبس عليه ثوبا احمر وكان يركب الفيل كل يوم فمن رأى عليه ثوبا احمر دعاه واستمع شكواه وانصفه من خصمه فانظر يا امير المؤمنين الى شفقة ذلك الكافر الى عباد الله تعالى وانت مؤمن ومن اهل بيت الرسول فانظر كيف تكون شفقتك حضر ابو قلابة مجلس عمر بن عبد العزيز فقال له عظني فقال من عهد آدم الى يومنا هذا خليفة فسوالك فقال زدني فقال انت اول خليفة يموت فقال زدني فقال ان كان الله معك فمن تخاف وان لم يكن معك فالى من

غني مطغيا أو فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او الدجال والدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة ادهى وأمر (وقال) عيسى عليه السلام اوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا تمرري على اوليائي ولا تحلولي لهم فتفتنيهم (وقال) مؤرق العجلي يا ابن آدم في كل يوم يؤتى برزقك وتحزن وينقص عمرك وانت لا تحزن تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته ايها الناس ان الايام تطوى والاعمار تفنى والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يترا كضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات (وقال) بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا وكالكاس من العسل في اسفله السم للذائق منه حلاوة عاجلة وله في اسفله الموت الذعاف وكالاحلام للنائم التي تفرحه في منامه فاذا استيقظ انقطع الفرح وكالبرق الذي يضيء قليلا ويذهب وشيكا ويبقى رائيه في الظلام مقيما وكدودة الابريسم التي لا يزداد الابريسم على نفسها لفا الا ازدادت من الخروج بعدا (وفيه قال القائل)

كدود كدود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

ومثال من يستعجل زهرة الدنيا ويعرض عن الدار الآخرة مثال رجلين القطا من الارض حبتي عنب فاما أحدهما فعمل يمص الحبة التذاذا بها ثم بلعها وأما الآخر فزرع الحبة فلما كان بعد زمان التقيا فأما الذي زرع الحبة وجدها قد صارت له كرما وكثرت ثمرته وفكر الآخر في صنعه في الحبة فوجدها قد صارت عذرة وليس عنده منها شيء الا الحسرة على تفريطه والغبطة لصاحبه (وقال) وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى نبي من أنبياء بني اسرائيل ان أردت ان تسكن معي في حضرة القدس فكن في الدنيا وحيدا فريدا مهموما وحشيا بمنزلة الطير الوحداني الذي يظل في الارض الفلاة ويأكل من رؤس الشجر ويشرب من ماء العيون فاذا كان الليل أوى وحده ولم يأو مع الطير استئناسا بربه (ولبعضهم)

كم للحوادث من صروف عجائب * ونوائب موصولة بنوائب
ولقد تقطع من شبابك وانقضى * ما لست اعلمه اليك بآيب
تبغي من الدنيا الكثير وانما * يكفيك منها مثل زاد الراكب

(وقال مالك بن أنس) بلغني ان عيسى عليه السلام انتهى الى قرية قد خربت حصونها وجفت أنهارها وتشعث شجرها فنادى يا خراب اين اهلك فلم يجبه احد ثم نادى يا خراب اين اهلك فلم يجبه احد فنودي عيسى بن مريم بادوا وتضمنتهم الارض وعادت اعمالهم قلائد في اعناقهم الى يوم القيامة فبكى عيسى عليه السلام (قال مالك) سئلت امرأة من بقية قوم عاد يقال لها هرمة اي عذاب الله رأيت اشد قالت كل عذاب الله شديد وسلام الله ورحمته على ليلة لا ريح فيها ولقد رأيت العير تحملها الريح بين السماء والارض (وقال) مجاهد كان طعام يحيى بن زكريا العشب وان كان ليبكي من خشية الله تعالى ما لو كان القار على عينيه لاحرقه ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه (ومر) بعض الملوك بسقراط الحكيم وهو نائم فركضه برجله وقال قم فقام غير مرتاع منه ولا ملتفت اليه فقال له الملك ما تعرفني قال لا ولكن ارى فيك طبع الدواب فهي تركض بأرجلها فغضب وقال اتقول لي هذا وانت عبدي فقال له سقراط بل انت عبد عبدي قال وكيف ذلك قال لان شهوتك قد ملكتك وانا ملكت الشهوات فقال انا الملك ابن الاملاك السادة املك من البلاد كذا ومن الاموال والرجال كذا قال أراك تفخر على بما ليس من نفسك وانما سبيلك ان تفخر علي بنفسك ولكن تعال نخلع ثيابنا ونلبس جميعا ثوبا من ماء

تنعمت في الدنيا طويلا فكيف يكون حالي في الآخرة وأنفذ الى أبي حازم وكان عالم أهل زمانه وأزهدهم وقال ابعث لي شيئا من قوتك الذي تفطر عليه فانفذ له قليلا من نخالة قد شواها وقال هذا فطوري فلما رأى سليمان ذلك بكا واثر في قلبه الخشوع تأثيرا كثيرا فصام ثلاثة أيام وطوى لياليها وافطر الليلة الثالثة على تلك النخالة المشوية فيقال انه في تلك الليلة تغشى اهله فكان منها عبد العزيز وجاء منه عمر ابن عبد العزيز وكان واحد زمانه في عدله وانصافه وزهده واحسانه وكان على طريقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل ان ذلك ببركة نيته وصيامه واكله من ذلك الطعام سئل عمر بن عبد العزيز ما كان بدء توبتك فقال كنت يوما أضرب غلاما لي فقال اذكر تلك الليلة التي تكون صبيحتها القيامة فعمل ذلك الكلام في قلبي رأى بعض الاكابر هرون الرشيد في عرفات وهو حاف حاسر قائم على الرمضاء الحارة وقد رفع يديه وهو يقول الهي أنت أنت وانا انا دأبي كل يوم ان اعود الى عصيانك ودأبك أن تعود علي بمغفرتك ورحمتك فقال الكبراء انظروا الى تضرع

في

فى هذا النهر ونتكلم اذ يتبين الفاضل من المفضول فانصرف الملك خجلا ﴿ وها انا احكى لك امرا اصابنى طيش عقلى وبلبل حزمى وقطع نياط قلبى فلا يزال مرآة لى حتى يوارينى التراب وذلك انى كنت يوما بالعراق وانا اشرب ماء فقال لى صاحب لى وكان له عقل يا فلان لعل هذا الكوز الذى تشرب فيه الماء قد كان انسانا يوما من الدهر فمات فصار ترابا فاتفق للفخارى ان اخذ تراب القبر وضربه خزفا وشواه بالنار فانتظم كوزا كما ترى وصار آنية يمتهن ويستخدم بعد ان كان بشرا سويا يأكل ويشرب وينعم ويلذ ويطرب فاذا الذى قاله من الجائزات فان الانسان اذا مات عاد ترابا كما كان فى النشأة الاولى ثم قد يتفق ان يحفر لحده ويعجن بالماء ترابه فيتخذ منه آنية فتمتهن فى البيوت او لبنة فتبنى فى الجدار او طين به سطح البيت او يفرش فى البلاد فيوطأ بالاقدام او يجعل طينا على الجدار وقد يجوز ان يغرس عند قبره شجرة فيستحيل تراب الانسان شجرة وورقا وثمرة فترعى البهائم اوراقها ويأكل الانسان ثمرها فينبت منها لحمه وينشر منها عظمه او تأكل تلك الثمرة الحشرات والبهائم فبينما كان يقتات صار قوتا وبينما كان يأكل صار مأكولا ثم يعود فى بطن الانسان رجيعا فيقذف فى بيت الراحة او يمر اينبذ بالعراء ويجوز اذا حفر قبره ان تسفى الرياح ترابه فتتفرق اجزاؤه فى بطون الاودية والتلول والوهاد اليس فى هذا ما اذهل العقول وطيش الحلوم ومنع اللذات وهان عنده مفارقة الاهلين والمال واللحوق بقلل الجبال والانس بالوحوش حتى يأتى امر الله اليس فى هذا ما صغر الدنيا وما فيها اليس فى هذا ما حقر الملك عند من عظمه والمال عند من جمعه اليس فى هذا ما زهد فى اللذات وسلى عن الشهوات (وقال) كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا وليس من اجله انكم لو ابصرتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره (ولما) بنى المأمون بن ذى النون وكان من ملوك الاندلس قصره وانفق فيه بيوت الاموال جاء على اكمل بنيان فى الارض وكان من عجائبه ان صنع فيه بركة ماء كانها بحيرة وبنى فى وسطها قبة وساق الماء من تحت الارض حتى علا على رأس القبة على تدبير قد احكمه المهندسون وكان الماء ينزل من اعلى القبة حواليها محيطا بها متصلا بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من ماء سكبا لا يفتر والمأمون قاعد فيها فروى عنه انه بينما هو نائم اذ سمع منشدا ينشد هذين البيتين

اتبنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعدها الا يسيرا حتى قضى نحبه (ووجد) مكتوبا على قصر قد باد أهله واقفرت منازله

هذى منازل اقوام عهدتهم * فى خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا اثر

ولو قيل للدنيا صفى نفسك لما عدت هذا البيت

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(وروى) أن الحجاج قال فى خطبته ايها الناس ان ما بقى من الدنيا اشبه بما مضى من الماء بالماء ولو اعطيت ما مضى من الدنيا بعمامتى هذه ما قبلتها فكيف آسى على ما بقى منها (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء فلما حضره الموت قال لاحدهم قد كنت لى خليلا مكرما وبرا وقد حضرنى من امر الله تعالى ما ترى فماذا عندك فيقول هذا امر الله غلبنى عليك لا استطيع أن أنفس كربك ولكن ها انا بين يديك فخذ منى زادا ينفعك ثم يقول للثانى قد كنت عندى آثر الثلاثة وقد نزل بى من امر الله تعالى ما ترى فما عندك فيقول هذا امر الله غلبنى عليك ولا استطيع ان أنفس كربك ولكن سأقوم عليك فى مرضك فاذا

تحت رأسك وكلما تختاره ان يأتيك الموت وأنت مصر عليه فافعله والزمه وكلما لا تؤثر ان يأتيك الموت وأنت عليه فاجتنبه فربما كان الموت منك قريبا فينبغى لصاحب الولاية أن يجعل هذه الحكاية نصب عينيه وان يقبل الموعظة التى وعظ غيره وكل ما رأى عالما سأله ان يعظه وينبغى للعالم ان يعظ الملوك بمثل هذه المواعظ ولا يغرهم ولا يدخرهم كلمة الحق وكل من غرهم فهو مشارك لهم فى ظلمهم

﴿(الاصل الثالث)﴾

أن لا تقنع بدفع يدك عن الظلم لكن تهذب غلمانك وأصحابك وعمالك ونوابك ولا ترضى لهم بالظلم فانك تسأل عن ظلمهم كما تسأل عن ظلم نفسك كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عامله أبى موسى الاشعرى اما بعد فان أسعد الولاة من سعدت به رعيته وان اشقى الولاة من شقيت به رعيته فاياك والتبسط فان عمالك يقتدون بك وانما مثلك مثل دابة رأت مرعى مخضرا فاكلت منه حتى سمنت فكان سمنها سبب هلاكها لانها بذلك السمن تذبح وتؤكل وفى التوراة مكتوب كل ظلم علمه السلطان من عماله فسكت عنه كان ذلك الظلم منسوبا اليه وأوخذ به وعوقب عليه

مت اتقنت غسلك و جودت كسوتك وسترت جسدك وعورتك وقال للثالث قد نزل بي من امر الله ماترى وكنت اهون الثلاثة علي فماذا عندك قال اني قرينك وحليفك في الدنيا والآخرة ادخل معك قبرك حين تدخله واخرج معك حين تخرج منه ولا أفارقك ابدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثاني اهله والثالث عمله (ولما) لقي ميمون بن مهران الحسن البصري قال له قد كنت احب لقاءك فعظني فقرأ الحسن افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام ابا سعيد فقد وعظت احسن موعظة واعجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى الاولى واعجبا كل العجب للشاك في قدرة الله تعالى وهو يرى خالقه واعجبا كل العجب للمكذب بالنشور وهو يموت في كل يوم وليلة ويحيا واعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور واعجبا كل العجب للمختال الفخور وانما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به (وروى) ان الله تعالى أوحى الى آدم عليه السلام جماع الخير كله في اربع واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيأ واما التي لك فاعمل ماشئت فاني أجزيك به واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فكن لهم كما تحب ان يكونوا لك (وقال) سليمان ابن داود عليهما السلام أوتينا ما أوتي الناس ومالم يؤتوا وعلمنا ما علم الناس ومالم يعلموا فلم نجد شيأ افضل من خشية الله تعالى في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر (وكتب) معاوية الى عائشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري علي فكتبت اليه سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس والسلام (ولما) ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم افاق ودعا الحسن والحسين رضي الله عنهما (فقال) أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيء فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا وقال له اما سمعت ما أوصيت به اخويك قال بلى قال فاني اوصيك به وعليك ببر اخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امرا دونهما ثم اقبل عليهما فقال أوصيكما به خيرا فانه أخوكما وابن أبيكما وانتما تعلمان ان اباكما كان يحبه فاحباه ثم قال يا بني أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء ٭ يا بني ماشر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية ٭ يا بني من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ومن رضي بقسم الله لم يحزن على مافاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن اعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله ذل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن جالس العلماء وقر ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن لا يملك نفسه ندم ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار ٭ يا بني الادب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين ٭ يا بني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت الا عن ذكر الله تعالى والواحدة في ترك مجالسة السفهاء ٭ يا بني لا شرف أعلى من الاسلام ولا كرم اعلى من التقوى ولا معقل أحرز من الورع ولا شفيع أنجح من التوبة ولا لباس أجمل من العافية الحرص مفتاح التعب ومطية النصب التدبير قبل العمل

وينبغي للوالي أن يعلم انه ليس أحد أشد غبنا ممن باع دينه وآخرته بدنيا غيره وجميع العمال والغلمان لاجل نصيبهم من الدنيا يغرون الوالي ويحسنون الظلم عنده فيلقونه في النار ليصلوا الى أغراضهم واي عدو أشد عداوة ممن يسعى في هلاكك لاجل درهم حرام يكتسبه ويحصله وفي الجملة ينبغي لمن أراد حفظ العدل على الرعية أن يرتب غلمانه وعماله للعدل ويحفظ أحوال اهله واولاده ومنزله ولا يتم لهم ذلك الا بحفظ العدل اولا من باطنه وذلك أن لا يسلط شهوته وغضبه على عقله ودينه ولا يجعل عقله ودينه اسير شهوته وغضبه بل يجعل شهوته وغضبه اسير عقله ودينه وأكثر الخلق في خدمة شهواتهم يستنبطون الحيل ليصلوا الى مرادهم من الشهوات ولا يعلمون ان العقل من جوهر الملائكة من جند الباري جلت قدرته وان الشهوة والغضب من جند الشيطان فمن يجعل جند الله وملائكته أسراء جند الشيطان كيف يعدل في غيرهم وأول ماتظهر شمس العدل في الصدر ثم تنشر نورها في اهل البيت وخواص الملك فيشتد شعاعها الى الرعية ومن طلب الشعاع من غير الشمس فقد طلب وطمع فيما لا ينال واعلم أيها السلطان وتيقن ان ظهور العدل من كمال العقل

يؤمنك

يومئذ من الندم بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد فطوبى لمن أخلص لله علمه وعمله وحبه وبغضه واخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله (وروى) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه لما طعن دعا بابن عشر به فخرج من طعنته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه فقال وددت ان أخرج منها كفافا كما دخلت فيها والله لو ان لى اليوم ما طلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع (قال) ابن عمر ولما حضرت الوفاة عمر غشى عليه فاخذت رأسه فوضعته فى حجرى فقال ضع رأسى بالارض لعل الله يرحمنى فمسح خديه بالتراب وقال ويل لامه ان لم يغفر له فقلت وهى فخذى والارض الاسواء يا أبتاه فقال ضع رأسى بالارض لا ام لك كما آمرك فاذا قضيت فاسرعوا بى فى حفرتى وانما هو خير تقدمونى اليه أو شر تضعونه عن رقابكم ثم بكى فقيل له ما يبكيك قال خبر السماء لا ادرى الى جنة ينطلق بى أو الى نار (ولما) حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم انك أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت وانعمت على فافضلت فان عفوت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت الا انى أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ثم قضى رحمه الله (ولما) حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكا وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له (ودخل) على المأمون فى مرضه الذى مات فيه فاذا هو قد امر ان يفرش له جل الدابة ويبسط عليه الرماد وهو راقد عليه يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول ملكه (وروى) ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه مر على طائر واقع على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تطير فتقع على الشجر وتأكل من الثمر وليس عليك حساب ولا عقاب ياليتنى كنت مثلك والله لوددت انى شجرة الى جنب طريق فمر على بعير فاخذنى فلاكنى ثم ازدردنى ثم أخرجنى بعرا ولم أك بشرا (وقال) عاصم بن عبد الله أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه تبنة من الارض فقال ياليتنى كنت مثل هذه التبنة ياليتنى لم تلدنى امى ياليتنى كنت نسيا منسيا (وقال) ابن مسعود وددت انى طائر فى منكبى ريش (وسمع) رجلا يقول ياليتنى كنت من اصحاب اليمين فقال ابن مسعود ياليتنى اذا مت لم أبعث (وقال) عمران بن حصين لوددت انى رماد فتنسفنى الرياح فى يوم عاصف (وقال) ابو الدرداء ياليتنى كنت شجرة تعضد وتؤكل ثمرتى ولم أك بشرا (وروى) ان على بن ابى طالب رضى الله عنه لما رجع من صفين فدخل أوائل الكوفة فاذا هو بقبر فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه آخرا ولن يضيع الله أجر من احسن عملا ثم مضى فاذا قبور فجاء حتى وقف عليها فقال السلام عليكم اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال يا اهل القبور اما الازواج فقد نكحت واما الديار فقد سكنت واما الاموال فقد قسمت فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت الى اصحابه وقال اما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا ان خير الزاد التقوى

(الباب الثانى فى مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والسلاطين)

دخل الاحنف بن قيس على معاوية وعليه شملة ومدرعة صوف فلما مثل بين يديه اقتحمته عينه فاقبل عليه وقال مه فقال الاحنف يا أمير المؤمنين اهل البصرة عدد يسير وعظم كسير مع تتابع المحول واتصال الذحول فالمكثر منها قد اطرق والمقل منها قد املق وبلغ به المخنق فان رأى امير المؤمنين ان ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصفح عن الذحول ويداوى المحول ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء ويزول اللأواء الا وان السيد من يعمر ولا يخص ويدعو الجفلى ولا يدعو النقرى ان احسن

وكمال العقل ان ترى الاشياء كما هى وتدرك حقائق باطنها ولا تغتر بظاهرها مثلا ان كنت تجور على الناس لاجل الدنيا فانظر أى شئ مقصودك من الدنيا فان كان مقصودك أكل الطعام الطيب فيجب ان تعلم ان هذه شهوة بهيمية فى صورة آدمى فان الشره الى الاكل من طبائع البهائم وان كان مقصودك لبس الديباج فانك امرأة فى صورة رجل لان التزين والرعونة من أعمال النساء وان كان مقصودك ان تمضى غضبك على أعدائك فانت أسد وسبع فى صورة آدمى لان احضار الغضب من طبائع السباع وان كان مقصودك ان يخدمك الناس فانت جاهل فى صورة عاقل لانك لو كنت عاقلا لعلمت ان الذين يخدمونك انما هم خدم وغلمان لبطونهم وفروجهم وشهواتهم وانهم قد جعلوك شركا الى تناول شهواتهم وان خدمتهم وسجودهم لانفسهم لا لك وعلامة ذلك انهم لو سمعوا أرجافا ان الولاية تؤخذ منك وتعطى لسواك لاعرضوا باجمعهم عنك وتقربوا الى ذلك الشخص وفى اى موضع علموا الدرهم فيه خدموا وسجدوا لذلك الموضع فعلى الحقيقة ليست هذه خدمة وانما هى ضحكة والعاقل من نظر ارواح الاشياء وحقائقها ولم يغتر بصورها وحقيقة هذه الاعمال

اليه شكروان امسى اليه غفر ثم يكون من وراء الرعية عمادا يدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال معاوية هاهنا يا ابا بحر ثم قرأ ولتعرفنهم في لحن القول (وقال) سفيان الثوري لما حج المهدي قال لابد لي من سفيان فوضعوا لي الرصد حول البيت فاخذوني بالليل فلما مثلت بين يديه ادناني ثم قال لاي شيء لا تأتينا فنستشيرك في امرنا فما امرتنا من شيء صرنا اليه وما نهيتنا عن شيء انتهينا عنه فقلت له كم انفقت في سفرك هذا قال لا ادري لي امناء ووكلاء قلت فما عذرك غدا اذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حج قال لغلامه كم انفقت في سفرنا هذا قال يا امير المؤمنين ثمانية عشر دينارا قال ويحك اجحفنا ببيت مال المسلمين (وقال) الزهري ما سمعت باحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين اسمع مني اربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك قال لا تعد احدا عدة وانت لا تريد انجازها ولا يغرنك مرتقى سهل اذا كان المنحدر وعرا واعلم ان الاعمال جزاء فاحذر العواقب والدهر تارات فكن على حذر (ولما دخل) ابن السماك على هارون الرشيد قال له عظني قال يا امير المؤمنين ان الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك فلا ترض من نفسك الا بما رضي الله به عنك فانك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت اولى الناس بذلك يا امير المؤمنين من طلب فكاك رقبته في مهلة من اجله كان خليقا ان يعتق نفسه يا امير المؤمنين من ذوقته الدنيا حلاوتها بركونه منه اليها اذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها يا امير المؤمنين ناشدتك الله ان تقدم الى جنة عرضها السموات والارض وقد دعيت اليها وليس لك فيها نصيب يا امير المؤمنين انك تموت وحدك وتحاسب وحدك وانك لا تقدم الا على نادم مشغول ولا تخلف الا مفتونا مغرورا وانك وانا في دار سفر وجيران ظعن (ولما) حج سليمان بن عبد الملك استحضر ابا حازم فقال له تكلم يا ابا حازم فقال فيم اتكلم قال في الخروج من هذا الامر قال يسير ان انت فعلته قال وما ذاك قال لا تأخذ الاشياء الا بحقها ولا تضعها الا في اهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله من الامر ما قلدك قال عظني يا ابا حازم قال يا امير المؤمنين ان هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك ثم قال يا امير المؤمنين نزه ربك في عظمته عن ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك يا امير المؤمنين انما انت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير او شر فاختر لنفسك ايهما شئت قال فما لك لا تأتينا قال وما اصنع باتيانك ان ادنيتني فتنتني وان اقصيتني احزنتني وليس عندي ما اخافك عليه ولا عندك ما ارجوك له قال فارفع الينا حوائجك قال قد رفعتها الى من هو اقدر منك عليها فما اعطاني منها قبلت وما منعني منها رضيت يقول الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فمن ذا الذي يستطيع ان ينقص من كثير ما قسم الله او يزيد في قليل ما قسم الله قال فبكى سليمان بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه اسأت الى امير المؤمنين قال ابو حازم اسكت فان الله تعالى اخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم خرج من عنده فلما وصل الى منزله بعث اليه بمال فرده وقال للرسول قل له يا امير المؤمنين والله ما ارضاه لك فكيف ارضاه لنفسي (وقال) الفضل بن الربيع حج هارون الرشيد فبينا انا نائم ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المؤمنين فخرجت مسرعا فاذا انا بامير المؤمنين فقلت يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء لا يخرجه الا عالم انظر لي رجلا اسأله قلت له هاهنا سفيان بن عيينة قال امض بنا اليه فاتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك قال خذ لما جئناك له فحادثه ساعة ثم قال له اعليك دين قال نعم قال يا عباسي اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيئا فانظر لي رجلا اسأله فقلت هاهنا عبد الرزاق بن همام قال امض بنا اليه نسأله فاتيناه فقرعت عليه الباب

مما ذكرناه فكل من لم يتيقن ذلك فليس بعاقل ومن لم يكن عاقلا لم يكن عادلا ومقره النار فلهذا السبب كان رأس مال كل السعادات العقل

(الاصل الرابع) الوالي في الاغلب فيكون متكبرا ومن التكبر تحدث غلبة السخط الداعية الى الانتقام والغضب غول العقل وعدوه وآفته وقد ذكرنا علاج ذلك في كتاب الغضب في ربع المهلكات واذا كان الغضب غالبا فينبغي ان تميل الى جانب العفو وتعود الكرم والتجاوز فاذا صار ذلك عادة لك ماثلت الانبياء والاولياء ومتى جعلت امضاء الغضب عادة ماثلت السباع

(حكاية) ابو جعفر المنصور امر بقتل رجل والمبارك بن الفضيل حاضر فقال يا امير المؤمنين اسمع مني خبرا قبل ان تقتله روى الحسن البصري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق في صعيد واحد نادى مناد من كان له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا عن الناس فقال اطلقوه فاني قد عفوت عنه واكثر ما يكون غضب الولاة على من ذكرهم وطول لسانه عليهم فيسعون في سفك دمه قال عيسى بن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريا اذا ذكرك رجل بشيء وقال فيك صدقا فاشكر الله تعالى وان

فقال

فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا امير المؤمنين لو ارسلت الى اتيتك فقال جد لما جئناله فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال يا عباسي اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما اغنى عني صاحبك شيأ فانظر لي رجلا اسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض قال امض بنا اليه فأتيناه واذا هو قائم يصلي في غرفة يتلو آية من كتاب الله ويرددها فقرعت الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فقال مالي ولامير المؤمنين فقلت سبحان الله اما عليك طاعة فقال أوليس قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس للمؤمن ان يذل نفسه فنزل ففتح الباب ثم ارتقى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف الرشيد كفي اليه فقال أواه من كف ما الينها ان نجت غدا من عذاب الله تعالى قال فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي فقال جد لما جئناله يرحمك الله قال وفيم جئت حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم ان يحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم حبالك اشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعددتها انت واصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان اردت النجاة من عذاب الله غدا فليكن كبير المسلمين لك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم ولدا فبر اباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان اردت النجاة من عذاب الله غدا فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت اذا شئت واني لاقول لك هذا واني لاخاف عليك اشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هذا القوم من يأمرك بمثل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت ارفق بأمير المؤمنين فقال يا ابن ام الربيع قتلته انت واصحابك وارفق به أنا ثم افاق فقال زدني فقال يا امير المؤمنين بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز شكا اليه سهرا فكتب اليه عمر بن عبد العزيز يا اخي اذكر سهر اهل النار في النار وخلود الابد فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظان واياك ان تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما اقدمك قال له خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك ولاية ابدا حتى القى الله تعالى فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدني فقال يا امير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء فقال يا رسول الله امرني على امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت ان لا تكون اميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني يرحمك الله قال يا حسن الوجه انت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان سألني والويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم الهم حجتي قال انما اعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا امرني ان اصدق وعده واطيع امره فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هذه الف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحان الله أنا ادلك على النجاة وتكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم (وروى) ان امرأة من نسائه دخلت

قال كذبا فازدد في الشكر فانه يزيد في ديوان اعمالك وانت مستريح يعني ان حسناته تكتب في ديوانك وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ان فلانا قوي شجاع فقال وكيف ذلك فقالوا انه يقوى بكل احد وما صارع احدا الا صرعه فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فقد كمل ايمانه من كظم غيظه وانصف في حال رضاه وغضبه وعفا عند القدرة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تعتمد على خلق رجل حتى تجربه عند الغضب خرج زين العابدين رضي الله عنه يوما الى المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه فنهاهم زين العابدين وقال كفوا ايديكم عنه ثم التفت الى ذلك الرجل وقال يا هذا ما لا تعرفه مني اكثر مما عرفته فان كان لك حاجة فاذكرها فخجل ذلك الرجل واستحيى فخلع زين العابدين عليه قميصه وامر له بالف درهم فمضى الرجل وهو يقول اشهد انك ابن رسول الله وروى ان زين العابدين استدعى غلامه وناداه مرتين فلم يجبه فقال له زين العابدين اما سمعت ندائي فقال بلى قال فلم لا اجبتني فقال امنت منك وعرفت طهارة اخلاقك فقال الحمد لله اذ قد امن مني عبدي ويروى عن زين العابدين انه كان له غلام فعمد الى شاة فكسر رجلها فقال له

عليه فقالت له يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال ففرجنا به فقال انما مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه موتوا يا اهلى جوعا ولا تذبحوا فضيلا فلما سمع الرشيد ذلك قال ادخل فعسى ان يقبل المال قال فدخلنا فلما علم بنا الفضيل خرج وجلس على التراب على السطح فجاء هرون الرشيد فجلس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينا كذلك اذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف يرحمك الله فانصرفنا (ووعظ) شبيب بن شبة المنصور فقال يا امير المؤمنين ان الله لم يجعل فوقك احدا فلا تجعل فوق شكر الله شكرا (ودخل) عمر بن عبيد على المنصور فقرأ والفجر وليال عشر حتى بلغ ان ربك لبالمرصاد لمن فعل مثل فعالهم فاتق الله يا امير المؤمنين فان ببابك نيرانا تأجج لا يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله وانت مسؤل عما اجترحوا وليسوا مسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم الا بفساد آخرتك اما والله لو علم عمالك انه لا يرضيك منهم الا العدل لتقرب به اليك من لا يريده فقال له سليمان ابن مجالد اسكت فقد غممت امير المؤمنين فقال له عمرو ويلك يا ابن ام مجالد اما كفاك انك خزنت نصيحتك عن امير المؤمنين حتى اردت ان تحول بينه وبين من ينصحه اتق الله يا امير المؤمنين فان هؤلاء قد اتخذوك سلما الى شهواتهم فانت كالماسك بالقرون وغيرك يحلب وان هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيأ (وقال) الاوزاعى للمنصور فى بعض كلامه يا امير المؤمنين اما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف من سفك دماء المسلمين وشقق استارهم وانتهب اموالهم ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها اعرابيا من غير تعمد فقال له جبريل عليه السلام ان الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون رعيتك يا امير المؤمنين لو ان ثوبا من النار نشر على ما فى الارض لاجتثه فكيف بمن يتقمصه ولو ان ذنوبا من النار صب على ما فى الارض لاجتثه فكيف بمن يتجرعه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يسلسل فيها او يرد فضلها على عنقه (ودخل) بعض العقلاء على سلطان فقال له ان احق الناس بالاحسان من احسن الله اليه واولاهم بالانصاف من بسط يديه بالقدرة فاستدم ما اوتيت من النعم بتأدية ما عليك من الحق (وروى) ان اعرابيا قام بين يدى هشام بن عبد الملك فقال ايها الامير أتت على الناس سنون ثلاث اما الاولى فأكلت اللحم واما الثانية فاذابت الشحم واما الثالثة فهاضت العظام وعندك فضول اموال فان كانت لله فاقسمها بين عباده وان كانت لهم فلم تحصرها عليهم وان كانت لكم فتصدقوا فان الله يجزى المتصدقين فامر هشام بمال فقسم بين الناس وامر للاعرابى بمال فقال اكل المسلمين مثل هذا قال لا يقوم بذلك بيت المال قال لا حاجة لى فيما يبعث لائمة الناس على امير المؤمنين (وقال) رجل لعمر بن عبد العزيز يا امير المؤمنين اذكر مقامى هذا لا يشغل الله عنك كثرة من يخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنب فبكى عمر بكاء شديدا ثم استرده الكلام فجعل يردده وعمر يبكى وينتحب ثم قال ما حاجتك قال عاملك باذربيجان اخذ منى اثنى عشر الف درهم قال الا تكتبون له حتى يرد عليه ماله (ولما) دخل زياد على عمر بن عبد العزيز قال يا زياد الا ترى ما ابتليت به من امر امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال زياد يا امير المؤمنين والله لو ان شعرة منك نطقت ما بلغت كنه ما انت فيه فاعمل لنفسك فى الخروج مما انت فيه يا امير المؤمنين كيف حال رجل له خصم الد قال سيئ الحال قال فان كان له خصمان الدان قال اسوأ الحالة قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهنئه عيش قال فوالله ما احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك قال فبكى حتى تمنيت ان لا

اكون

ويروى عنه ايضا ان رجلا سبه فقال له زين العابدين يا هذا بينى وبين جهنم عقبة ان انا جزتها فما ابالى بما قلت وان انا لم اجزها فانا اكثر مما تقول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد يبلغ الرجل بحلمه وعفوه درجة الصائم القائم ويكون رجل يكتب فى جريدة الجبارين ولا ولاية له ولا حكم الا على اهل منزله وقال صلى الله عليه وسلم باب لا يدخله الا من اتبع غضبه بخلاف الشرع ويروى ان ابليس اتى موسى عليه السلام فقال يا موسى اعلمك ثلاثة اشياء وتطلب لى من ربى حاجة فقال موسى وما الثلاثة اشياء فقال يا موسى احذر من الحدة والحرد فلن الحرد ان يكون خفيف الرأس وانا العب به كما يلعب الصبيان بالكرة واحذر من النساء فانى ما نصبت للخلق شركا اعتمد عليه مثل النساء واحذر من البخل فانى افسد على البخيل دينه ودنياه وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على ان يكظمه ملأ الله قلبه بالامن والايمان ومن لم يلبس ثوبا طويلا خوفا من التكبر والخيلاء وتواضع لله البسه الله تعالى حلل الكرامة وقال صلى الله عليه وسلم ويل لمن يغضب وينسى

أكون قلت له ذلك (وقال) محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين انما الدنيا سوق فيها
خرج الناس بما ربحوا فيها لآخرتهم وخرجوا بما يضرهم فكم من قوم غرهم مثل الذي أصبحنا فيه
حتى أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مرملين لم يأخذوا من الدنيا للآخرة فاقتسم ما لهم من لا يحمدهم
وصاروا الى من لا يعذرهم فانظر الى الذي تحب أن يكون معك فقدمه بين يديك حتى تخرج اليه
وانظر الى الذي تكره أن يكون معك اذا قدمت فابتغ به البدل حيث يجوز البدل ولا تذهبن الى سلعة
قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك يا أمير المؤمنين افتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم
(وحضر) رجل بين يدي بعض الملوك فأغاظ له السلطان فقال له الرجل انما أنت كالسماء اذا أرعدت
وأبرقت فقد قرب خيرها فسكن غيظه وأحسن اليه * ولما احتاج المنصور بن أبي عامر ملك الأندلس ان
يأخذ أرضا محبسة ويعاوض عنها خيرا منها استحضر الفقهاء في قصره فأفتوا بأنه لا يجوز فغضب السلطان
وأرسل اليهم رجلا من الوزراء مشهورا بالحدة والعجلة فقال لهم يقول لكم أمير المؤمنين يا مشيخة السوء
يا مستحلي أموال الناس يا آكلي أموال اليتامى ظلما يا شهداء الزور يا آخذي الرشا ومتلقي الخصوم
وملقحي الشرور وملبسي الأمور وملتمسي الروايات لاتباع الشهوات تبا لكم ولآرائكم فهو أعزه
الله واقف على فسوقكم قديما وخونكم لأماناتكم مغض عنه صابر عليه ثم احتاج الى دقة نظركم في
حاجة مرة واحدة في دهره فلم تسعفوا ارادته ما كان هذا ظنه بكم والله ليعارضنكم وليكشفن
ستوركم وليناصحن الاسلام فيكم والفحش عليهم بهذا ونحوه فأجابه شيخ منهم ضعيف المنة فقال
نتوب الى الله مما قاله أمير المؤمنين ونسأله الاقالة فرد عليه زعيم القوم محمد بن ابراهيم بن حيويه وكان
جلدا صارما فقال للشيخ مم نتوب يا شيخ السوء ونحن برآء من متابك ثم أقبل على الوزير فقال يا وزير
بئس المبلغ أنت وكل ما نسبته الينا عن أمير المؤمنين فهو صفتكم معاشر خدمه فأنتم الذين تأكلون أموال
الناس بالباطل وتستحلون ظلمهم بغير حق وتحيفون معايشهم بالرشا والمصانعة وتبغون في الأرض
بغير الحق وأما نحن فليست هذه صفاتنا ولا كرامة لا يقولها لنا الا متهم في الديانة فنحن أعلام الهدى
وسرج الظلمة بنا يتحصن الاسلام ويفرق بين الحلال والحرام وتنفذ الأحكام وبنا تقام
الفرائض وتثبت الحقوق وتحقن الدماء وتستحل الفروج فهلا اذ عتب علينا سيدنا أمير المؤمنين بشيء
لا ذنب فيه لنا وقال بالغيظ ما قاله تأنيت لابلاغنا رسالته بأهون من افحاشك وعرضت لنا بانكاره حتى
فهمناه منك فأجبناك عنه بما يصلح الجواب عنه به فكنت تربن على السلطان ولا تفشي سره وتحيينا
بما استقبلتنا به فنحن نعلم ان أمير المؤمنين لا يتمادى على هذا الرأي فينا ولا يعتقد هذا المعتقد في
صفاتنا وانه سيراجع بصيرته في ايثارنا وتعزيزنا فلو كنا عنده على هذه الحال التي وصفتها عنا والعياذ
بالله من ذلك لبطل عليه كل ما صنعه وعقده من أول خلافته الى هذا الوقت فما ثبت له كتاب من حرب
ولا سلم ولا شراء ولا بيع ولا صدقة ولا حبس ولا هبة ولا عتق ولا غير ذلك الا بشهادتنا هذا ما عندنا
والسلام ثم قاموا منصرفين فلم يكادوا يبلغوا باب القصر الا والرسل تناديهم فادخلوا القصر فتلقاهم
الوزراء بالاعظام ورفعوا منازلهم واعتذروا اليهم مما كان من صاحبهم وقالوا لهم أمير المؤمنين يعتذر
اليكم من فرط موجدته ويستجير بالله من الشيطان الرجيم ونزغته التي حملته على الجفاء عليكم ويعلمكم
انه نادم على ما كان منه اليكم وهو مستبصر في تعظيمكم وقضاء حقوقكم وقد أمر لكل واحد منكم ما ترون
من صلة وكسوة عامة لرضاه عنكم فدعوا له وقبضوا ما أمر لهم وانصرفوا طالبين لم يمسسهم سوء (ولما)
نظر مالك بن دينار الى المهلب بن أبي صفرة يجر أذياله ويتبختر في أثواب خيلائه ناداه ان ارفع من ثيابك
فقال له المهلب أوما تعرفني قال له مالك بلى اني أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت

غضب الله تعالى وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني عملا أدخل به الجنة قال لا تغضب قال وماذا قال استغفر
الله بعد صلاة العصر
سبعين مرة ليكفر عنك
ذنوب سبعين سنة فقال
مالي ذنوب سبعين سنة
فقال لأمك فقال ما لأمي
ذنوب سبعين سنة فقال
لأبيك فقال وليس لأبي
ذنوب سبعين سنة فقال
لأخوتك وروى ابن
مسعود رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يوما يقسم مالا
فقال رجل ما هذه القسمة
الله يعني انها ليست بانصاف
فحكيت ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فغضب
واحمر وجهه ولم يقل شيئا
سوى أن قال رحم الله أخي
موسى فانه أوذي وصبر
على الأذى هذه الجملة
والحكايات والأخبار
تنفع في نصيحة الولاة
واذا كان أصل ايمانهم
ثابتا أثر فيهم هذا القدر
فان لم يؤثر ما ذكرناه فيهم
فسبب ذلك خلو قلوبهم
من الايمان وانه ما بقي
من ايمانهم الا الحديث
باللسان عامل يتناول من
أموال المسلمين في كل
سنة كذا وكذا ألف دينار
ودرهم لأجل غيره وتبقى
في ذمته ويطالب بها في
يوم القيامة ويحصل
بنفعها سواه وهو يسوء
بالعقوبة والعذاب يوم
الحساب والمآب كيف يؤثر عنده هذه الأسباب وهذا نهاية الغفلة وقلة الدين وضعف النجدة * (الأصل الخامس) * في كل

واقعة تصل اليك وتعرض عليك تقدر انك واحد من جملة الرعية وان الوالي سواك فكما لا ترضاه لنفسك لا ترضى به لاحد من المسلمين وان رضيت لهم ما لا ترضاه لنفسك فقد خنت رعيتك وغششت أهل ولايتك ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعدا يوم بدر في ظل فهبط جبريل عليه السلام فقال أتقعد في الظل وأصحابك في الشمس فعوتب بهذا القدر وقال صلى الله عليه وسلم من أحب النجاة من النار والدخول الى الجنة فينبغي أن يكون اذا جاءه الموت وجد كلمة الشهادة وكل ما لا يرضى به لنفسه لا يرضى به لاحد من المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح وفي قلبه همة سوى الله تعالى فليس من الله في شيء ومن لم يشفق على المسلمين فليس منهم

* (الأصل السادس) *

أن لا تحتقر انتظار أرباب الحوائج ووقوفهم ببابك واحذر من هذا الخطر ومهما كان للمسلمين اليك حاجة فلا تشتغل بنوافل العبادة كان عمر بن عبد العزيز يقضي حوائج الناس فجلس الى الظهر فتعب ودخل بيته ليستريح من تعبه فقال له ولده ما الذي يؤمنك أن يأتيك الموت في هذه الساعة وعلى بابك منتظر حاجة وانت مقصر في حقه فقال صدقت ونهض وعاد الى مجلسه

فيما بين ذلك تحمل العذرة ويروى ان رجلا قال لعبيد الله العمري هذا هرون الرشيد في الطواف قد أخلي له المسعى فقال له لا جزاك الله عني خيرا كلفتني أمرا كنت عنه غنيا ثم جاء اليه فقال له يا هرون فلما نظر اليه قال لبيك يا عم قال كم ترى ههنا من خلق الله فقال لا يحصيهم الا الله عز وجل فقال اعلم أيها الرجل ان كل واحد منهم يسئل عن خاصة نفسه وانت واحد تسئل عنهم كلهم فانظر كيف تكون قال فبكى هرون وجلس وجعل يعطونه منديلا منديلا للدموع ثم قال له فيما قال ان الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه فكيف فيمن أسرع في مال المسلمين فيقال ان هرون كان يقول بعد ذلك اني أحب أن أحج في كل عام وما يمنعني من ذلك الا عبيد الله العمري ويروى ان الحسن بن محمد بن الحسين رضي الله عنهم دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان فقال له عمر ايه أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وجثا على ركبتيه فقال الحسن من اذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له (ولما) ولي عمر بن عبد العزيز وفدت الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون فقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال له عمر لينطق من هو اسن منك فقال الغلام اصلح الله امير المؤمنين انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبدا لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله من سمع خطابه ولو ان الامر يا امير المؤمنين بالسن لكان في الامة من هو احق بمجلسك هذا منك فقال صدقت قل ما بدا لك فقال الغلام اصلح الله امير المؤمنين نحن وفد تهنئة لا وفد مرزئة وقد اتيناك لمن الله الذي من علينا بك ولم يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة اما الرغبة فقد اتيناك من بلادنا واما الرهبة فقد امنا جورك بعدلك فقال له عمر عظني يا غلام فقال الغلام اصلح الله امير المؤمنين ان ناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول املهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم الاقدام فهووا في النار فلا يغرنك حلم الله عنك وطول املك وكثرة ثناء الناس عليك فتزل بك قدمك فتلحق بالقوم فلا جعلك الله منهم والحقك بصالحي هذه الامة ثم سكت فسأل عمر الغلام عن سنه فاذا هو ابن احدى عشرة سنة ثم سأل عنه فاذا هو من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فتمثل عمر عند ذلك فقال

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل

وفي مثل هذا قيل للعتابي وكان لا يبالي ما لبس ما لك لا تجيد الملبوس فقال انما يرفع الرجل ادبه وعقله لا حليته وحلته فحي الله امرأ يرضى ان ترفعه هيئته وجماله لا والله حتى يشرفه أصغراه لسانه وقلبه ويعلو به اكبراه همته ولبه ولما دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن المنذر وهو ملك وكان ضمرة ذا رأي وعقل احتقرته عيناه لدمامته فقال لان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فقال ضمرة أبيت اللعن ان القوم ليسوا بجزور تجزر انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا نطق نطق ببيان واذا قاتل قاتل بجنان والرجال لا تكال بالقفزان ولا توزن بالقبان فاعجب المنذر بكلامه وروى ان روح بن زنباع وكان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع اصحابه فنزلوا فضربت لهم الخيام والظلال وقدم اليهم الطعام والشراب المبرد فبينما هم كذلك اذا هم براع فدعاه للطعام فأبى وقال اني صائم قال له روح في مثل هذا اليوم الحار قال أفادع أيامي تذهب باطلا قال روح لقد ضننت بايامك يا راعي اذ جاد بها روح بن زنباع وروى ان اعرابيا قام بين يدي سليمان بن عبد الملك وقال يا امير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال هات يا اعرابي قال سأطلق لساني بما خرست به الالسن اداء لحق الله وحق امانتك انك قد اكتنفتك رجال أساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك

بسخط

(الاصل السابع) انك لا تعود نفسك الاشتغال بالشهوات من لبس الثياب الفاخرة واكل الاطعمة الطيبة لكن تستعمل القناعة في جميع الاشياء فلا عدل بلا قناعة سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض الصالحين هل رأيت من أحوالي شيأ كرهته فقال سمعت أنك وضعت رغيفين على مائدتك وان لك قميصين احدهما الليل والآخر للنهار فقال هل غير هذين شئ فقال لا والله فقال ان هذين أيضا لا يكونان

(الاصل الثامن) انه مهما أمكنك أن تعمل الامور بالرفق فلا تعملها بالشدة والعنف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل وال لا يرفق برعيته لا يرفق به يوم القيامة ودعا صلى الله عليه وسلم فقال اللهم الطف بكل وال يلطف برعيته واعنف على كل وال يعنف على رعيته وقال صلى الله عليه وسلم الولاية والامر حسنتان لمن قام بحقهما وسيئتان لمن قصر فيهما كان هشام بن عبد الملك من خلفاء بني أمية فسأل يوما أبا حازم وكان من العلماء ما التدبير في النجاة من أمر الخلافة فقال ان تأخذ كل درهم تأخذه من وجه حلال وان تضعه في موضع حق فقال من يقدر على هذا فقال من يرغب في نعيم الجنان و يرهب من عذاب النيران

(الاصل التاسع) أن تجتهد في ان يرضى عنك جميع رعيتك

بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك فاعظم الناس غبنا يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان اما انت فقد نصحت وارجو ان الله سيعيننا على ما قلدنا وقد جردت لسانك فهو سيفك فقال اجل يا امير المؤمنين وهو لك لا عليك وقال ابن ابي عروبة حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء وقال لحاجبه انظر من يتغدى معي واسأله عن بعض الامر فنظر نحو الجبل واذا هو براع بين شملتين نائم فضربه برجله وقال له ائت الامير فاتاه فقال له الحجاج اغسل يدك وتغد معي فقال دعاني من هو خير منك فاجبته قال ومن هو قال الله تعالى دعاني الى الصيام فصمت قال في هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم هو اشد منه حرا قال فافطر وصم غدا قال ضمنت لي البقاء الى غد قال ليس ذلك الي قال فكيف تسألني عاجلا بآجل لا تقدر عليه قال لانه طيب قال لم تطيبه انت ولا الطباخ ولكن طيبه العافية ولما حج هرون الرشيد بعث الى مالك بن انس بكيس فيه خمسمائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف ودخل المدينة بعث الى مالك بن انس ان امير المؤمنين يحب ان تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس بخاتمه وقال الرسول عليه السلام والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال وهب بن منبه ان ملكا كان يفتن الناس ويحملهم على اكل لحم الخنزير فاتى برجل افضل اهل زمانه فاعظم الناس مكانه وهالهم امره فراودوه على اكل لحم الخنزير فلم يفعل فرق له صاحب شرطة الملك فقال له أنا آتيك بجدي تذبحه مما يحل لك اكله فاذا دعا الملك بلحم خنزير اتيتك به فنفعل ثم أتى به الملك فدعا بلحم الخنزير فاتى صاحب الشرطة بذلك الجدي فامر به الملك ان يأكله فابى ان يأكله فجعل صاحب الشرطة يغمزه ان يأكله فابى ان يأكله فامر الملك صاحب الشرطة ان يقتله فلما ذهب به قال ما منعك ان تأكل وهو اللحم الذي ذبحته انت اظننت اني جئت بغيره قال لا قد علمت انه هو ولكني خفت ان يفتتن الناس بي فان أكرهوا على اكل لحم الخنزير قالوا قد اكله فلان فيفتتن بي فاكون فتنة لهم فقتل رحمه الله وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال اوليس فيكم كتاب الله وسنة رسوله قالوا بلى يا كعب ولكن خوفنا قال يا امير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لازدريت عملهم مما ترى فنكس عمر واطرق مليا ثم افاق ثم قال يا كعب خوفنا فقال يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا فقال يا امير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر على ركبتيه حتى يخر ابراهيم خليل الرحمن على ركبتيه يقول يا رب لا أسألك اليوم الا نفسي واستأذن ابو درهمان على بعض الامراء فحجبه ثم اذن له فلما دخل قال ان هذا الامر الذي صار اليك قد كان في يد غيرك فامسوا والله حديثا فان خيرا فخير وان شرا فشر فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب وتسهيل الحجاب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله على خلقه (ولما) دخل محمد بن واسع سيد العباد في زمانه على بلال بن ابي بردة أمير البصرة وكان ثوبه الى نصف ساقه فقال له بلال ما هذه الشهرة يا ابن واسع فقال له ابن واسع انتم شهرتمونا هكذا كان لباس من مضى وانما انتم طولتم ذيولكم فصارت السنة بينكم بدعا وشهرة واما انا فلما دخلت على ملك مصر وهو الافضل بن امير الجيوش فقلت سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا واكرم اكراما جزيلا وامرني بدخول مجلسه وامرني بالجلوس فيه فقلت ايها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد احلك محلا عاليا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امر احد فوق أمرك فلا ترض ان يكون احد اولى بالشكر منك وان الله تعالى قد ألزم الورى طاعتك فلا يكونن احد اطوع

لله منك وان الله تعالى امر عباده بالشكر وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم ان هذا الملك الذى اصبحت فيه انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج من يدك مثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله سائلك عن النقير والقطمير والفتيل قال الله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجرى بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم اعانك الله على ما قلدك وجعلك كهفا للملهوف واماناً للخائف ثم اتممت المجلس بان قلت قد دوخت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة تزوجت فيها وولد لى غير هذه المملكة ثم انشدت شعرا

والناس اكيس من ان يحمدوا رجلا • حتى يروا عنده آثار احسان

وكتب حكيم الى حكيم انى سائلك عن ثلاثة اشياء ان اجبت عنها صرت لك تلميذا اى الناس اولى بالرحمة ومتى تضيع امور الناس وبم تتلقى النعمة من الله تعالى فكتب اليه ان اولى الناس بالرحمة ثلاثة البر يكون فى سلطان فاجر فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع والعاقل يكون فى تدبير الجاهل فهو الدهر مغموم والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيع امور الناس اذا كان الرأى عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه وتتلقى النعمة من الله تعالى بكثرة شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فصار تلميذا له الى ان مات (وقال يحيى بن سعيد) حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فلما اشرفا على عقبة عسفان نظر سليمان الى السرادقات قد ضربت له فقال له يا عمر كيف ترى قال ارى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضا وانت المسؤل عنها المأخوذ بها فبينما هما كذلك اذ طار غراب من سرادقات سليمان فى منقاره كسرة فصاح فقال سليمان ما يقول هذا الغراب قال عمر ما ادرى ما يقول ولكن ان شئت اخبرتك بعلم قال اخبرنى قال هذا غراب طار من سرادقاتك فى منقاره كسرة انت بها مأخوذ وعنها مسؤل من اين دخلت ومن اين خرجت قال انك لتخبرنا بالعجائب قال أفلا اخبرك باعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف عصاه ومن عرف الشيطان كيف أطاعه ومن ايقن بالموت كيف يهنيه العيش قال لقد غششت علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار (ويروى) ان بلال ابن ابى بردة خرج فى جنازة وهو امير على البصرة فنظر الى جماعة وقوفا فقال ما هذا قالوا مالك بن دينار يذكر الناس فقال لوصيف معه اذهب الى مالك بن دينار فقل له يرتفع الينا الى القبر فجاء الوصيف فادى الرسالة الى مالك فصاح به مالك ما لى اليه حاجة فاجيئه فيها فان تكن له حاجة فليجئ الى حاجة نفسه فلما دفنوا ميتهم قام بلال بمن معه الى حلقة مالك فلما دنا منه نزل ونزل من معه ثم جاء يمشى الى الحلقة حتى جلس فلما رآه مالك بن دينار سكت فاطال السكوت فقال له بلال يا ابا يحيى ذكرنا فقال ما نسيت شيأ فاذكرك به قال فحدثنا قال اما هذا فنعم قدم علينا امير من قبلك على البصرة فمات فدفناه فى هذه الجبانة ثم اتينا بزنجى فدفناه الى جنبه فوالله ما ادرى أيهما كان أكرم على الله سبحانه فقال بلال يا ابا يحيى أتدرى ما الذى جرأك علينا وما الذى اسكتنا عنك لانك لم تأ كل من دراهمنا شيأ اما والله لو اخذت من دراهمنا شيأ ما اجترأت علينا هذه الجرأة فافاد هذا الحديث علما الافانة وادراهمهم (ودخل) ابن شهاب على الوليد ابن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث يحدثنا به اهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال حدثونا ان

بموافقة الشرع قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه خير امتى الذين تحبونهم ويحبونكم وشر امتى الذين يبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم وتلعنونهم

وينبغى للوالى ان لا يغتر بكل من يصل اليه واثنى عليه وان يعتقد أن جميع الرعية مثله راضون عنه فان الذى يثنى عليه من خوفه منه يثنى عليه بل ينبغى ان يرتب معتمدين يسئلون عن احواله من الرعية ويتجسسون ليعلم عيبه من ألسنة الناس

• (الاصل العاشر) •

ان لا يطلب رضا احد من الناس بمخالفة الشرع فان من سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول انى أصبح كل يوم ونصف الخلق على ساخط ولا بد لكل من يؤخذ منه الحق ان يسخط ولا يمكن أن يرضى الخصمان واكثر جهلا من ترك رضى الحق لاجل رضى الخلق كتب معاوية رضى الله عنه الى عائشة رضى الله عنها أن عظينى عظة مختصرة فكتبت اليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من طلب رضاه الله فى سخط الناس رضى الله عنه وارضى عنه الناس ومن طلب رضى الناس بسخط الله مثل أن لا يأمرهم بالطاعة ولا يعلمهم امور دينهم ولا يمنعهم الحرام ويمنع الاجير اجرته والمرأة مهرها سخط الله عليه واسخط عليه الناس

ان الله تبارك وتعالى اذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيآت قال كذبوا يا امير المؤمنين أنبي خليفة اقرب الى الله ام خليفة ليس بنبي قال بل نبي خليفة قال فانا أحدثك يا امير المؤمنين بما لا تشك فيه قال الله تعالى لنبيه داود يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يا امير المؤمنين فهذا وعيد الله لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغرونا عن ديننا (وروى) زياد عن مالك بن أنس قال بعث الى ابو جعفر والى ابن طاوس فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه انطاع قد بسطت وبين يديه جلاوزة بايديهم السيوف يضربون الاعناق وأومأ الينا ان اجلسا فجلسنا فاطرق عنا طويلا ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثنا عن ابيك قال نعم اني سمعت ابي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فامسك ابو جعفر ساعة قال مالك فضممت ثيابي مخافة ان ينضحني بدمه فامسك ابو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ناولني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ما يمنعك ان تناولنيها قال اخشى ان تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني قال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم قال مالك فما زلت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم (وقال احمد بن ابي الحواري) سمعت رجلا يحدث عن ابن السماك قال بعث الى هرون فلما انتهيت الى باب القصر أخذني حرسيان بضبعي فاحلاني في دهليز القصر فلما انتهيت الى باب القاعة لقيني خصيان فاخذاني من الحرسيين فاحلاني في قاعة القصر فانتهيت الى البهو الذي هو فيه فتلقاني خصيان دونهما فاخذاني فاحلاني في البهو فقال لهما هارون ارفقا بالشيخ فلما وقفت بين يديه قلت له يا امير المؤمنين ما مر بي يوم منذ ولدتني أمي أتعب فيه من يومي هذا فاتق الله في خلقه واحفظ محمدا في امته وانصح لنفسك في رعيتك فان لك مقاما بين يدي الله تعالى انت فيه اذل من مقامي هذا بين يديك فاتق الله واعلم ان من اخذ الله وسطواته على اهل المعصية كيت وكيت قال فاضطرب على فراشه حتى نزل الى مصلى بين يدي فراشه فقلت يا امير المؤمنين هذا ذل الصفة فكيف ولو رأيت ذل المعاينة قال فكادت نفسه تخرج فقال يحيى للخصيين اخرجوه فقد ابكى امير المؤمنين ثم دخل مرة أخرى فقال عظني واوجز فقال يا امير المؤمنين ان الذي اكرمك به لحقيق ان تحب ما يحب وتبغض ما ابغض فوالله لقد أحب الله دارا وابغضتها وابغض دارا واحببتها كأنما اردت خلاف ربك او اردت سواه واعلم يا امير المؤمنين ان الذي في يدك لو بقي على من كان قبلك لم يصل اليك فكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك فاتق الله في خلافته واحفظ وصية محمد صلى الله عليه وسلم في امته • ودخل هرون على بعض النساك فسلم عليه فقال وعليك السلام ثم قال ايها الملك تحب الله قال نعم قال فتعصيه قال نعم قال كذبت والله في حبك اياه انك لو احببته اذا ما عصيته ثم انشأ يقول

تعصى الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في المقال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة • منه وانت لشكر ذاك مضيع

(وروى زيد بن اسلم عن ابيه) قال قلت لجعفر بن سليمان بن عبد الله بن ابي طالب الهاشمي والي المدينة احذر ان يأتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسبة ولا أب ولا احد فيكون اولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون اولى بنوح ولوط عليهما السلام من زوجيهما وكما كانت زوجة

عينين للعلم تستمد الشجرة منهما الماء العين الاولى معرفة الدنيا وماهيتها ولم اوجد فيها الانسان اعلم أيها السلطان ان الدنيا منزلة وليست بدار قرار والانسان فيها على صورة مسافر فاول منازله بطن امه وآخر منازله لحد قبره وانما وطنه وقراره ومكثه واستقراره بعدها فكل سنة تنقضي من عمر الانسان كالمرحلة وكل شهر ينقضي عنه كاستراحة المسافر في سفره وكل اسبوع كقرية تلقاه في طريقه وكل يوم كفرسخ يقطعه وكل نفس كخطوة يخطوها وبقدر كل نفس يتنفسه يقرب من الآخرة وهذه الدنيا قنطرة فمن عبر القنطرة واشتغل بعمارتها فني فيها زمانه ونسي المنزلة التي اليها مصيره وهي مكانه وكان جاهلا غير عاقل وانما العاقل الذي لا يشتغل في دنياه الا بما يستعد به لمعاده ويكتفي منها بقدر حاجته ومهما جمعه منها فوق كفايته كان سما قاتلا وتمنى ان تكون جميع خزائنه وسائر ذخائره فانية رمادا وترابا لا فضة وذهبا ولو جمع مهما جمع فانما يصيبه ما يأكله ويلبسه لا سواه وجميع ما يخلفه يكون حسرة وندامة ويصعب عليه نزعه عند موته فحلالها حساب

وحرامها عذاب ان كان قد جمع المال من حلال طلب منه الحساب وان كان قد جمعه من حرام أوجب عليه العقاب وكان

نوح ولوط أولى بفرعون من زوجته من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه * وقال بشر بن السري بينما الحجاج جالس في الحجر اذ دخل رجل من اهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه فقال اذا خرج من طوافه فأتني به فلما فرغ من طوافه أتاه به فقال له ممن أنت قال من اهل اليمن قال أفلك علم بمحمد بن يوسف قال نعم قال فأخبرني عنه قال لقد تركته أبيض بضا سمينا طويلا عريضا قال ويلك ليس عن هذا أسألك قال فعمه قال عن سيرته وطعمته قال فأجور السير وأخبث الطعم وأعدى العداة على الله وأحكامه قال فغضب الحجاج وقال ويلك أما علمت انه أخي قال بلى قال أفأنت ما علمت ان الله ربي والله لهو أمنع بي منك أكثر منك لأخيك قال أجل ارسله ياغلام (وقال الاصمعي) حدثني رجل من اهل المدينة قال سمعت محمد بن ابراهيم يحدث قال شهدت اباجعفر بالمدينة وهو ينظر فيما بين رجل من قريش واهل بيت من المهاجرين ليسوا القريشي فقالوا لابي جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن ابي ذئب قال ابو جعفر لابن ابي ذئب ما تقول في بني فلان قال اشرار من اهل بيت اشرار قالوا اسأله يا امير المؤمنين عن الحسن بن يزيد وكان عامله على المدينة قال ما تقول في الحسن قال يأخذ بالاحنة ويقضي بالهوى فقال الحسن والله يا امير المؤمنين لو سألته عن نفسك لرماك بداهية ونعتك بشر قال ما تقول في قال اعفني يا امير المؤمنين قال لابد ان تقول قال انك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية فتغير وجه ابي جعفر فقام ابراهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل وقال طهرني بدمه يا امير المؤمنين قال له ابن ابي ذئب اقعد يا بني فليس في دم رجل يشهد ان لا اله الا الله طهور ثم تدارك ابن ابي ذئب الكلام فقال دعنا يا أمير المؤمنين مما نحن فيه بلغني انك رزقت ابنا صالحا بالعراق يعني المهدي قال أما ان قلت ذلك انه ليصوم اليوم البعيد ما بين الطرفين قال ثم قام ابن ابي ذئب فخرج فقال أبو جعفر أما والله ما هو بمستوثق العقل ولقد قال بذات نفسه (ودخل أبو النصر) سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة فقال له يا أبا النصر انه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بدا من انفاذها فما ترى قال أبو النصر قد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فأيهما اتبعت كنت من أهله

(الباب الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر)

قال الله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله جاء في التفسير من اتباع الهوى ان يحضر الخصمان بين يديك فتود أن يكون الحق للذي لك منه خاصة وبهذه الخصلة سلب سليمان بن داود عليهما السلام ملكه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي أصاب سليمان بن داود عليهما السلام ان ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من اكرم نسائه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فأحب أن يكون الحق لأهل جرادة فيقضي لهم فعوتب حين لم يكن هواه فيهم واحدا ومن ذلك آية الملوك التي أنزلها الله تعالى في السلاطين لما اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقاء الممالك وثبوت الدول قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ثم سمى المنصورين وأوضح شرائط النصر فقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فضمن الله تعالى النصر للملوك وشرط عليهم شرائط كما ترى فمن تضعضعت قواعدهم وانتقص عليهم من أطراف ممالكهم أو ظهر عليهم عدو أو باغ وفتنة أو حاسد نعمة او اضطربت عليهم الامور أو رأوا اسباب الغير فيلجؤا الى الله تعالى ويستجنوا من سوء أقداره باصلاح ما بينهم وبينه باقامة الميزان القسط الذي شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل والحق الذي قامت به السموات والارض واظهار شرائع الدين

أشد عليه من حسرة حلول العذاب به في حفرته وآخرته ومع هذا جميعه اذا كان ايمانه صحيحا سالما بحضرة الديان فلا وجه لليأس من الرحمة والغفران فان الله غفور رحيم جواد كريم واعلم أيها السلطان ان راحة الدنيا أيام قلائل وأكثرها منغص بالتعب ومشوب بالنصب وبسببها تفوت راحة الدنيا الآخرة التي هي الدائمة الباقية والملك الذي لا يفنى ولا نهاية له فسهل على العاقل ان يصبر في هذه الايام القلائل لينال راحة دائمة بلا انقضاء لو كان لانسان معشوقة وقيل له ان كنت في هذه الليلة تزورها فانها لا تعود تراها أبدا وان صبرت عنها هذه الليلة سلمت اليك ألف ليلة بلا تعب ولا نصب فانه وان كان عشقه لها عظيما وصبره عنها أليما لكن يهون عليه صبره على البعد عنها ليلة لينال قربها ألف ليلة وهذه الدنيا ليست واحدة من ألف من مدة الآخرة بل ليست بشيء في جنب الآخرة ولا نسبة بينهما لان الآخرة لا نهاية لها ولا يدرك الوهم طولها وقد أفردنا في صفة الدنيا كتابا لكن نقنع الآن بما نورده من أحوال الدنيا وقد أوضحنا حالها على

ونصر المظلوم والاخذ على يد الظالم وكف يد القوى عن الضعيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوى الخصاصة والمستضعفين وليعلموا انهم قد أخلوا بشئ من الشرائط الاربع التى شرطت فى النصر (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ألا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالامام الذى على الناس راع وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو مسؤل عن رعيته والمرأة راعية على اهل بيت زوجها وولدها وهى مسؤلة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤل عنه ألا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فجعل النبى صلى الله عليه وسلم كل ناظر فى حق غيره راعيا له واللفظ مأخوذ من الرعاية والمراعاة فاذا تقدم لرعاية غيره من ياكله فهو الهلاك كما قال الشاعر

و راعى الشاة يحمى الذئب عنها ● فكيف اذا الذئاب لها رعاه

(وروى مسلم) فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن امرئ يلى امر المسلمين ثم لم يجتهد لهم وينصح الالم يدخل الجنة معهم وقال معقل بن يسار سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول مامن عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه الالم يجد رائحة الجنة (وروى) عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت عليها (وروى) ابوهريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة وقال ابوذر رضى الله عنه قلت أمرنى يا رسول الله قال انها امانة وانها حسرة وندامة يوم القيامة الامن اخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها (وروى البخارى) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير الناس اشد الناس كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه (وفى الحديث) من ولى من أمر المسلمين شيأ ثم لم يحطهم بنصحه كما يحوط اهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فابى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيوقف على جسر جهنم فيأمر الله سبحانه الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عظم منه عن مكانه ثم يأمر الله العظام فترجع الى مكانها ثم يسائله فان كان لله تعالى طائعا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا انخرق به الجسر فيهوى به فى جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم مالم اسمع قال نعم وكان سلمان وأبوذر حاضرين فقال سلمان اى والله يا عمر ومع السبعين سبعين خريفا فى واد يلتهب التهابا فقال عمر بيده على جبهته انا لله وانا اليه راجعون من يأخذها بما فيها قال سلمان من سلب الله انفه وألصق خده بالارض (وروى) ان العباس رضى الله عنه قال امرنى يا رسول الله فأصيب واستريش فقال له يا عباس يا عم النبى صلى الله عليه وسلم نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ألا احدثكم عن الامارة اولها ملامة واوسطها ندامة وآخرها حسرة يوم القيامة (وروى) ابو داود فى السنن جاء رجل فقال يا رسول الله ان ابى عريف على الماء وانى أسألك أن تجعل لى العرافة من بعده فقال النبى صلى الله عليه وسلم العرفاء فى النار (وروى) الساجى عن أبى سعيد الخدرى قال قال النبى صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر وقال أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض الا ويؤتى به يوم القيامة حتى يقف بين يدى الله سبحانه على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرؤنها على رؤس الخلائق فان كان عادلا انجاه الله بعدله وان كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو من أعضائه مسيرة سنة ثم تخرق به الصراط فما يلقى قعر جهنم الا بحر وجهه (وروى) معاذ بن جبل ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان القاضى يزل فى مزلقة أبعد من عدن فى جهنم (وقالت) عائشة رضى الله عنها سمعت

عشرة أمثال ●(المثال الاول فى بيان سحر الدنيا)● قال النبى صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وأول سحرها تريك كأنها ساكنة عندك مستقرة معك واذا تأملتها خلتها ساكنة وهى هاربة نافرة عنك على الدوام وانما تنسلل على التدريج ذرة ذرة ونفسا نفسا ومثل الدنيا كمثل الظل اذا رأيته حسبته ساكنا وهو يمر دائما فكذلك عمر الانسان يمر بالتدريج على الدوام وينقص كل لحظة وكذلك الدنيا تدعوك وتهرب منك وانت غافل لا تخبر وذاهل لا تشعر

●(المثال الثانى)●

انها تظهر لك محبة لتعشقها وتريك انها لك مساعدة وانها لا تنتقل عنك الى غيرك ثم تعود عدوة لك على غفلة ومثلها كمثل امرأة فاجرة خادعة للرجال حتى اذا عشقوها دعتهم الى بيتها فاغتالتهم وأهلكتهم رأى عيسى عليه السلام الدنيا فى مكاشفاته وهى على صورة عجوز هرمة فقال لها كم كان لك زوج فقالت لا يحصون كثرة فقال ماتوا عنك أم طلقوك فقالت بل أنا قتلتهم وأفنيتهم فقال يا عجباه لهاولاء الحمقى الآخرين الذين يشاهدون ما بسواهم صنعت وهم فيك يرغبون وبغيرهم لا يعتبرون

●(المثال الثالث)●

ومن سحرها انها تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفى محنها

النبي صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى في شدة الحساب على ما قضى حتى يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة (وروى) الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خر لي فقال اقعد في بيتك وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليودن أقوام يوم القيامة لو وقعوا من الثريا ولم يكونوا أمراء على شيء وكم من متخول في مال الله ومال رسوله له النار غدا (وفي) الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة امام ظالم غشوم وغال في الدين مارق منه (وقال) ابو هريرة رضي الله عنه ما من امير يؤمر على عشرة الا جيء به يوم القيامة مغلولا لا نجاه عمله أو أهلكه (وقال) طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة من أشركه الله في ملكه فجار في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي وما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه (وقال) حذيفة بن اليمان من اقتراب الساعة أن يكون امراء فجرة وقراء كذبة وأمناء خونة وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة (وقال) عبيد بن عمير ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثر أتباعه الا كثر شيطانه ولا كثر ماله الا كثر حسابه (وفي الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بعلم فجار فهو في النار ورجل قضى بالحق فهو في الجنة رواه بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن سيرين جاء صبيان الى عبيدة السلماني يتخايرون اليه في ألواحهم فلم ينظر فيها وقال هذا حكم ولا أتولى حكما أبدا (وتخاير) غلامان الى ابن عمر فجعل ينظر الى كتابتهم وقال هذا حكم ولا بد من النظر فيه * والمصنفون يرسلون في كتبهم حديثا مرفوعا رواه أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم الى القضاء فقد ذبح بغير سكين (وفي أخبار) القضاة ان قاضيا قدم الى بلد فجاءه رجل له عقل ودين فقال له أيها القاضي أبلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال فبلغك ان امور الناس ضائعة في بلدنا فعجزت تجبرها قال لا قال أفأكرهك السلطان على ذلك قال لا قال فاشهد أني لا أطالك مجلسا ولا أؤدي عندك شهادة أبدا (وروى) ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال في بعض خطبه ان الملك اذا ملك زهده الله في ماله ورغبه فيما في يد غيره واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحى ظله حاسبه الله فاشد حسابه واقل عفوه (وذكر) السلطان لاعرابي فقال والله لئن عزوا في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الآخرة بالعدل وبقليل فان رضوا عن كثير باق وانما يكون الندم حين لا ينفع الندم (وقال) أبو بكر بن أبي مريم حج قوم فمات صاحب لهم بارض فلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا دلنا على الماء قال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن فيكم صرافا ولا مكاسا ولا عريفا ولا بريدا ويروى ولا عشارا فانا ادلكم على الماء فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا فدلهم على الماء ثم قالوا له عاونا على غسله فقال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم ذكره فحلفوا له فاعانهم على غسله ثم قالوا تقدم وصل عليه قال لا حتى تحلفوا لي اربعا وثلاثين يمينا كما تقدم فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا احدا وكانوا يرون انه الخضر عليه السلام (وقال) ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو قتله نبي وامام ضلالة وممثل من الممثلين (وقال) أبو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة ايام اعقل يا أبا ذر ما أقول لك ثم لما كان في اليوم السابع قال اوصيك بتقوى الله في أمر سرك وعلانيتك فاذا أسأت فأحسن ولا تسألن احدا وان سقط سوطك ولا تؤوين أمانة ولا تؤوين يتيما ولا تقضين بين اثنين (وقال) أبو ذر أيضا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر اني احب لك ما احب لنفسي واني اراك ضعيفا لا تتأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم (وروى) أبو ذر

وقبائحها في باطنها لتغر الجاهل بما يراه من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفي وجهها وتلبس أحسن الثياب وتتزين وتتجمل لتفتن الخلق من بعيد فاذا كشفوا اغطاءها وخمارها والقوا عنها ازارها ندموا على محبتها لما شاهدوا من قبائحها وعاينوا من فضائحها ولو قد جاء في الخبر ان الدنيا يؤتى بها يوم القيامة في صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العين وحشة الوجه قد فغرت عن أنيابها وكشرت عن أسنانها فاذا رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله منها ما هذه القبيحة المشوهة فيقال هذه الدنيا التي كنتم عليها تحاسدون ولاجلها تحاقدون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون أرحامكم وتغترون بزخرفها ثم يؤمر بها الى النار فتقول الهي أين أحبابي فيؤمر بهم فيلقون معها في النار

(المثال الرابع)

أن يحسب الانسان كم كان من الازل قبل أن يوجد في الدنيا وكم تكون مدة عدمه بالموت وكم قدر هذه المدة التي بين الازل والابد وهي مدة حياته في الدنيا فيعلم مثال الدنيا كطريق المسافر أوله المهد وآخره اللحد وفيما بينهما منازل معدودة وان كل سنة كمنزلة وكل شهر كفرسخ وكل يوم كميل وكل نفس كخطوة وهو يسير دائما دائبا فيبقى لواحد من طريقه فرسخ ولآخر اقل او اكثر وهو

ايضا

ايضا قلت يا رسول الله الا تستعملني فضرب بيده على منكبي وقال لي يا اباذر انك ضعيف وانها امانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها (وروى) على بن ابي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وانا حديث السن فقلت يا رسول الله انك تبعثني الى قوم شيوخ ذوي اسنان ولا علم لي بالقضاء فقال ان الله سبحانه هادي قلبك ولسانك فاذا جلس الخصمان فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الآخر فانك اذا سمعت ذلك عرفت كيف تقضي (فان قال قائل) كيف نهى أباذر عن القضاء وأمر عليا بالقضاء مع ما فيه من التغرير وما روى بان من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين وفيه البعد عن حضرته والتيمن بالمشاهدة وتعلم سننه وشرائع دينه والتخلق باخلاقه وشيمه وايهما افضل المثول بين يديه والكون بحضرته ومشاهدته والصلاة خلفه أو القضاء في غيبته مع البعد عنه (قلنا) انما نهى أباذر لمعنى فيه يقصر به عن رتبة القضاء مما كان ضده في علي رضي الله عنه ثم قال في آخره الا من اخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها فاستدللنا بذلك على ان من استجمعت فيه شروط القضاء وكان قويا على انفاذه لم يدخل تحت النهي ومما يعد ضعفا عن القضاء طلبه اياه اذلم يدر عواقبه وقد وصف الله سبحانه المتسرع الى الامانة بالجهل فقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا اي ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة امره والدليل على صحة هذا التأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل عرف الحق فلم يقض به وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار (قلت) فهذان الرجلان ضعيفان عن رتبة القضاء احدهما بغشه وظلمه والآخر بجهله وقد عابت جهلة بني اسرائيل طالوت فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فعابوه بخصلتين الفقر وانه ليس من سبط المملكة فقال لهم نبيهم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فبين شروط الولايات والممالك وأنها تفتقر الى العلم الذي به يحكم والى القوة التي بها تنفذ الاحكام دون ما ظنته بنو اسرائيل واما قولك ايهما افضل القضاء في غيبته او الحضور بين يديه والكون في حضرته فالجواب ان أوامره عليه السلام فرض يعصي بتركه والكون في حضرته مستحب بعد الهجرة لا يعصي بتركه فعلمنا بهذا انه انما بعث عليا رضي الله عنه للقضاء لانه افضل من سكناه بحضرته لانه مبلغ عنه الى الخلائق شريعته التي بعثه الله بها فهو خليفته في ذلك يدل على هذا انه اوجب الجنة لمن قضى بالحق

(الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهما السلام ووجه طلبه الملك وسؤاله أن لا يؤتى لاحد من بعده)

قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فطلب الملك ثم زاد على ذلك بان لا يؤتى مثله احدا بعده وكان ظاهره يؤذن بالبخل والكلام على هذه الآية من وجوه (احدها) انه انما سأل هذا بعد ان سلبه الله تعالى ملكه ثم اعاده اليه فهو بن طالب الملك كان ملكا فكأنه قال هذا الملك الذي جددته لي هبه لي على صفات لا اعصيك فيها فتسلبني اياه وتعاقبني يدل عليه انه بدأ بالمغفرة فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا اي ملكا لا اعصيك فيه فتؤاخذني والدليل على صحة هذا قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فكانه اجاب دعاءه فقال تصرف كيف شئت فلا حساب عليك فيه وقيل ان اعطيت أجرت وان امسكت فلا تبعة عليك فيه وهذا تخصيص لسليمان بن داود عليهما السلام ولم يخص به احد من ولد آدم سواه فلان الله تعالى قال للخلائق فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون واما قوله لا ينبغي لاحد

حصل بعد عشرة أيام في التراب

(المثال الخامس) اعلم ان مثل الدنيا وما يحتقب أهلها فيها ابشعه واتم لذاتهم من الفضائح التي يشاهدونها في الآخرة كمثل انسان أكل فوق حاجته من طعام حلو سمين الى ان ساء هضمه وهاضت معدته فرأى فضيحة من هلاك معدته ونتونة نفسه وكثرة برازة حاجته فندم بعد ذهاب لذته وبقاء فضيحته فكذلك كلما ألف الانسان لذات الدنيا كانت عاقبته أصعب وتبين له ذلك عند نزعه وخروج روحه لانه كان له نعم كثيرة وذهب وفضة وجواهر وجوار وغلمان وكرم وبستان كان ألم فراق روحه عليه أصعب من ألم من ليس له الا القليل فان ذلك الالم والعذاب لا يزول بالموت بل يزيد بالموت لان تلك المحبة صفة القلب والقلب بحاله لا يموت

(المثال السادس) اعلم أيها السلطان ان أمور الدنيا أول ما يبدأ بطلبها الانسان قريبة مختصرة لا يخاف ان شغلها يطول وربما كان من بعض أشغالها وأحوالها

اجر لتسليل منه مائة أمر و ينفق فيه بضاعة العمر قال عيسى عليه السلام طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا

من بعدي فمعناه لا اسلبه في باقي عمري فيصير لغيري كما سلبته فيما مضى من عمري وقيل لا تسلط على فيه شيطانا مثل الذي قد سلطت على وقيل انما سأل ذلك ليكون علما على المغفرة وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له وقيل انما سأل ذلك ليكون آية لنبوته وعلما على معجزته وقال مقاتل كان سليمان بن داود ملكا ولكنه أراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح والطير يدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى فسخرنا له الريح الى آخر الآية وقيل ان سليمان كان ملكه في خاتمه ولهذا ذهب ملكه بذهاب خاتمه فقال لا ينبغي لاحد من بعدي يعني اجعل ملكي في نفسي لا في خاتمي حتى لا يملكه احد غيري فان ابليس لما اخذ خاتم سليمان تحول ملك سليمان الى ابليس وقعد على كرسيه يحكم فيه حتى أنكرت بنو اسرائيل احكامه وكان قد ألقى عليه شبهه (وقال) عمرو بن عثمان المكي انما أراد به ملك النفس وقهر الهوى يدل عليه ما روى سلامان الشعباني قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ارأيتم سليمان وما آتاه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء تخشعا لله تعالى حتى قبضه الله تعالى وزاد غيره انما اراد ملك النفس وقهرها لئلا يفتتن بالمملكة ولهذا قدم سؤال المغفرة على طلب المملكة وقال بعض الوعاظ انما اراد حتى انتقم لآدم من ابليس وذريته حيث كان سببا في اخراجه وذريته من الجنة (وروى) البخاري في صحيحه ان النبي عليه السلام قال ان عفريتا من الجن جعل يتفلت على البارحة ليقطع على صلاتي وان الله تعالى أمكنني منه فصرعته ولقد هممت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى يصبح فتنظرون اليه كلكم فذكرت قول سليمان هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا (فان قيل) فما معنى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (قلت) يستفاد من الآية ان من حصل بين يدي ملك لا يعرف قدره اوامة لا يعرفون فضله فخاف على نفسه اوأراد ابراز فضله جاز له ان ينبههم على مكانه وما يحسنه دفعا للشر عن نفسه او اظهار الفضله فيجعل في مكانه وفيه فائدة أخرى وهو انه اذا رأى الامور في يد الخونة واللصوص ومن لا يؤدي الامانة ويعلم من نفسه اداء الامانة مع الكفاية جاز له ان ينبه السلطان على امانته وكفايته ولهذا قال بعض العلماء من اصحاب الشافعي من كمل فيه الاجتهاد وشروط القضاء جاز له ان ينبه السلطان على مكانه ويخطبه خطة القضاء وقال بعضهم بل يجب ذلك عليه اذا كان الامر في يدي من لا يقوم به

(الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا)

قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا ان الله تعالى اقام السلطان في الارض يدفع القوي عن الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لاهلك القوي الضعيف وتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله تعالى على الخلق باقامة السلطان فقال تعالى ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني في اقامة السلطان فيأمن الناس به فيكون فضله على الظالم كف يده عن المظلوم وفضله على المظلوم كف يد الظالم عنه (وروى) ابو هريرة ان النبي عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم (وروى) ان النبي عليه السلام قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (وروى) كثير بن مرة قال قال النبي عليه السلام السلطان ظل الله في ارضه يأوي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر

ولا تزال يشرب منه الى أن يهلك ولا يروى قال النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يمكن من خاض الغدران لا يناله البلل كذا لا يمكن من دخل في أمر الدنيا أن لا يتدنس

(المثال السابع)

مثل من حصل في الدنيا كمثل ضيف دعي الى مائدة وعادة المضيف ان تزين للاضياف داره ويدعو اليها قوما بعد قوم وفوجا اثر فوج ويضع بين يدي أضيافه طبقا من ذهب مملوأ بالجواهر ومجمرة من فضة فيها عود وبخور ليتطيبوا وليتبخروا وينالهم طيب رائحتها ثم يعاد الطبق والمجمرة بحالهما الى مالكهما ليدعو غيرهم كما دعاهم فمن كان عاقلا عارفا برسم الدعوات وضع من ذلك البخور وتطيب وانطلق ولم يطمع في أن يتناول المجمرة والطبق وتركهما بطيب نفس من قلبه وشكر اصاحب البيت وربه وانصرف راشدا ومن كان أحمق ابله توهم ان ذلك الطبق والمجمرة قد أعد اله وانهم يريدون ان يهبوه ماله فلما همّ بالخروج من الدار اخذ الطبق والمجمرة فاستعادوهما منه فضاق صدره وتعب قلبه وطلب الاقالة اذ ظهر ذنبه فالدنيا كمثل دار الضيافة يتزودون فيها الطريقهم ولا يطمعون فيما في الدار

(المثال الثامن) مثل أهل الدنيا واشتغالهم واهتمامهم بأحوالها

وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر (وروى) ابو هريرة يرفعه قال لعمل الامام العادل فى رعيته يوما افضل من عبادة العابد فى اهله مائة سنة او خمسين سنة (وقال) قيس بن سعد ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل فى بيته ستين سنة (وروى) ان سعد بن ابراهيم وابا سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان قالوا لسعيد بن سليمان ابن زيد بن ثابت لقضاء يوم بالحق افضل عند الله من صلاتك عمرك وسيتضح لك صحة هذه الاقوال اذا وقفت على ما نالته الرعية من الصلاح بصلاح السلطان (واعلم) ارشدك الله ان الانسان اعز جواهر الدنيا واغلاها قدرا واشرفها منزلة وبالسلطان صلاح الانسان اذ فهو اعز اعلاق الدنيا واعمها بركة ولذلك خلق الله تعالى دارين دار الدنيا ودار الآخرة ثم لما كان السلطان صلاح الدارين فاخلق بشخص يعم نفعه العباد والبلاد ويصلح بصلاحه الدنيا والآخرة ان يكون شرفه عند الله عظيما كما كان قدره فى العقول جسيما ومقامه عند الله كريما كما كان نفعه عميما وعلى قدر عموم المنفعة تشرف الاعمال وعلى قدر النعمة تكون المنة ألا ترى ان الانبياء عليهم السلام اعم خلق الله نفعا فهم اجل خلق الله قدرا لانهم تعاطوا اصلاح الخلائق واخراجهم من الظلمات الى النور كذلك سلطان الله فى الارض هو خلافة النبوة فى اصلاح الخلائق ودعائهم الى فناء الرحمن واقامة دينهم وتقويم اودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة الا نبي مرسل او ملك مقرب فاتخذ عظم قدر السلطان عندك حجة لله تعالى على نفسك وناصحه على قدر ما نفعك وليس نفعه مقصورا على عجالة عن حطام الدنيا يحبوك بها ولكن صيانة جمجمتك وصيانة حريمك وحراسة مالك عن البغاة أعم نفعا لك ان عقلت وليس لله سلطان الا وقد اخذ عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما انه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة السلطان الشرير الجائر رتبة لشرير لان شره يعم كما ان خير الاول يعم وكما ان بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد وتنال الزلفى الى الله تعالى والفوز بجنة المأوى كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد وتقترف المعاصي والآثام وتورث دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل فى رعيته فأقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فمات الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق فارسلت السماء غيثها واخرجت الارض بركاتها ونمت تجاراتهم وزكت زروعهم وتناسلت أنعامهم ودرت أرزاقهم ورخصت اسعارهم وامتلأت أوعيتهم فواسى البخيل وأفضل الكريم وقضيت الحقوق واعيرت المواعين وتهادوا فضول الاطعمة والتحف فهان الحطام لكثرته وذل بعد عزته فتماسكت على الناس مروآتهم وانحفظت عليهم اديانهم وبهذا تبين لك ان الوالى مأجور على ما يتعاطاه من اقامة العدل ومأجور على ما يتعاطاه الناس بسببه واذا جار السلطان انتشر الجور فى البلاد وعم العباد فرقت اديانهم واضمحلت مروآتهم ففشت فيهم المعاصي وذهبت أماناتهم فضعفت النفوس وقنطت القلوب فمنعوا الحقوق وتعاطوا الباطل وبخسوا المكيال والميزان وجوزوا البهرج فرفعت منهم البركة وأمسكت السماء غيثها ولم تخرج الارض ريعها ونباتها فقل فى ايديهم الحطام فقنطوا وامسكوا الفضل الموجود وتاخروا عن المفقود فمنعوا الزكوات المفروضة وبخلوا بالمواساة المسنونة وقبضوا ايديهم عن المكارم وتنازعوا المقدار اللطيف وتجاحدوا القدر الخسيس ففشت فيهم الايمان الكاذبة والختل فى البيع والخداع فى المعاملة والمكر والحيلة فى القضاء والاقتضاء ولا يمنعه من السرقة الا العار ومن الزنا الا الحياء فيظل احدهم عاريا عن محاسن دينه ومتجردا عن جلباب مروءته واكثر همه قوت دنياه اعظم مسراته من هذا الحطام ومن عاش كذلك فبطن الارض خير له من ظاهرها

ونسيان الآخرة واهمالها كمثل قوم ركبوا مركبا فى البحر فعدلوا الى جزيرة لاجل الطهارة وقضاء الحاجة فنزلوا الى الجزيرة والملاح يناديهم لا تطيلوا المكث لئلا يفوت الوقت ولا تشتغلوا بغير الوضوء والصلاة فان المركب سائر فضوا وتفرقوا فى الجزيرة وانتشروا فى نواحيها فالعقلاء منهم لم يمكثوا وشرعوا فى الطهارة وعادوا الى المركب فوجدوا الاماكن خالية فجلسوا فى أطهر اماكنه واوفقها واطيب مواضعه وارفقها ومنهم قوم نظروا الى عجائب تلك الجزيرة ووقفوا يتنزهون فى زهرها واثمارها وروضها واشجارها ويسمعون ترنم اطيارها ويتعجبون من حصبائها الملونة واحجارها فلما عادوا الى المركب لم يجدوا فيه موضعا ولا رأوا متسعا فقعدوا فى اضيق مواضعه وأظلمها ومنهم قوم لم يقنعوا بالنزهة ولم يقتصروا على الفرجة لكنهم جمعوا من تلك الحصباء الملونة وحملوها معهم الى المركب فلم يجدوا امكانا فقعدوا فى اضيق المواضع وحملوا ما استصحبوا من تلك الاحجار على اعناقهم فلم يمض الا يوم او يومان حتى تغير الوان تلك الاحجار واسودت وفاح منها أكره رائحة ولم يجدوا مخلصا من الزمان لقلة المكان عن أعناقهم فندموا على ما فعلوا وحصلوا بثقل الاحجار على أعناقهم اذ كانوا بتحصيلها اشتغلوا ومنهم قوم

(قال) وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجور او عمل به ادخل الله النقص في اهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شيء واذا هم بالخير والعدل او عمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته كذلك وقال عمر بن عبد العزيز تهلك العامة بعمل الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله سبحانه واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (وقال) الوليد بن هشام ان الرعية لتفسد بفساد الوالي وتصلح بصلاحه (وقال) سفيان الثوري لابي جعفر المنصور اني لاعلم رجلا ان صلح صلحت الامة قال ومن هو قال انت (وقال) ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فحلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة فعجب الملك لذلك وحدث نفسه باخذها فلما راحت عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلابها نقص اورعت في ارض غير مرعاها بالامس قال لا ولكن اظن ملكنا هم باخذها فانتقص لبنها فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الملك الله سبحانه في نفسه ان لا ياخذها فراحت من الغد فحلبت حلاب ثلاثين بقرة فتاب الملك وعاهد ربه لاعدلن ما بقيت * ومن المشهور في ارض المغرب ان السلطان بلغه ان امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو وان قصبة منها تعصر قدحا فعزم على اخذها منها ثم اتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم تبلغ نصف قدح فقال لها اين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الا ان يكون السلطان قد عزم على اخذها مني فارتفعت بركتها فتاب السلطان واخلص لله نيته ان لا ياخذها ابدا ثم امرها فعصرت فجاءت ملء القدح * وحدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة اراديب تمرا ولم يكن في الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل في ذلك العام شيئا ولا تمرة واحدة (قال) شيخنا رحمه الله قال لي شيخ من اشياخ الصعيد اعرف هذه النخلة في الغربية تجني عشرة اراديب ستين ويبة وكان صاحبها يبيعها في سنين الغلاء كل ويبة بدينار (قال) الشيخ رضي الله عنه وشهدت انا بالاسكندرية والصيد في الخليج مطلق للرعية والسمك فيه يغلي الماء به كثرة ويصيده الاطفال بالخرق ثم حجره الوالي ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يرى فيه الا الواحدة الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر (وروى) اصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس اذا اصبحوا في زمان الحجاج يتلاقون يتساءلون من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وامثال ذلك وكان الوليد صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان بن عبد الملك وكان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يتحدثون في الاطعمة الدقيقة ويتوسعون في الانكحة والسراري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك في كل ليلة وكم يحفظ فلان ومتى يختم وكم تصوم من الشهر وامثال ذلك

(الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير رابح)

اعلموا ارشدكم الله ان السلطان خطره عظيم وبليته عامة وقد يطرقه من الآفات ويحتوشه من الامور المهلكات ما يجب على كل ذي لب ان يستعيذ بالله مما حله ويشكره على ما عصمه لا تهدأ فكره ولا تسكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر لبه الخلق في شغل عنه وهو مشغول بهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف الف عدو والرجل يضيق بتدبير اهل بيته وانالة ضيعته وتقدير معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع اهل مملكته وكلما رتق فتقا من حواشي مملكته انفتق آخر وكلما رم منها شعثا ثار آخر وكلما قمع عدوا او صده له اعداء الى سائر ما يعانيه من اخلاق

وثقفوا امم عجائب تلك الجزيرة تنزهوا وفي الرجوع لم يتفكروا واحق سادا المركب فبعدوا عنه وانقطعوا في اماكنهم وتخلفوا اذ لم يصغوا الى المنادي ولم يسمعوا فمنهم من هلك من الجوع ومنهم من اكلته السباع ونهشته الضباع فالقوم المتقدمون هم المؤمنون المتقون والقوم المتخلفون الهالكون هم الكفار والمشركون الذين نسوا الله ونسوا الآخرة وسلموا كليتهم الى الدنيا وركنوا اليها كما قال جل جلاله الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة اي ركنوا اليها واما الجماعة المتوسطون فهم العصاة الذين حفظوا اصل الايمان ولكنهم لم يكفوا ايديهم من الدنيا فمنهم من تمتع بغناه ونعمته ومنهم من تمتع مع فقره وحاجته الى ان ثقلت اوزارهم وكثرت اوساخهم وآصارهم

(المثال التاسع)

روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما يا ابا هريرة تريد ان اريك الدنيا فقلت نعم فاخذ بيدي وانطلق حتى وقف بي على مزبلة فيها رؤس الآدميين ملقاة وبقايا عظام نخرة وخرق قد تمزقت وتلوثت بنجاسات الآدميين فقال يا ابا هريرة هذه رؤس الناس التي تراها كانت مثل رؤسكم كانت مملوءة من الحرص والاجتهاد على جمع الدنيا وكانوا يرجون

الناس و يقاسيه من خصوماته ونصب الولاة والقضاة و بعث الجيوش وسد الثغور واستجباء الاموال ودفع المظالم ثم من العجب العجاب ان له نفسا واحدة وانه يرزأ من الدنيا قوتها كما يرزأ آحاد الرعايا ثم يسأل غدا عن جميعهم ولا يسألون عنه فيالله و ياللعجب من رجل رضي ان ينال رغيفا و يحاسب منها على آلاف آلاف رغيف و يأكل في معي واحد و يحاسب على آلاف آلاف معي و يستمتع بنفس واحدة و يحاسب على آلاف آلاف من الانفس وعلى هذا النمط في جميع أحواله يحمل اثقالهم و يريح اسرارهم و يجاهد عدوهم و يسد ثغورهم و يدافع مناويهم ومناصبهم و يعصي ربه فيهم و يخالف امره و يركب نهيه من اجلهم و يقتحم جراثيم جهنم على بصيرة فيهم ثم تجدهم له قالين وعنه غير راضين ولولا ان الله تعالى يحول بين المرء وقلبه لم يرض عاقل بهذه منزلة ولا اختارها لبيب مرتبة وكل ما ذكرته في هذا الباب احكمه النبي عليه السلام في كلمة فقال مالكم ولا مرائكم صفوا امرهم وعليهم كدره ومثال السلطان مع الرعية كالطباخ مع الاكلة له العناء ولهم الهناء وله الحار ولهم القار وطالب لقومه الراحة فحصل على التعب وطلب لهم النعيم فأخطأ الصراط المستقيم وعن هذا قالوا سيد القوم اشقاهم وفي الحديث ساقي القوم آخرهم شربا وكان بعض سلاطين المغرب يسير يوما و بين يديه الوزراء اذ نظر الى جماعة من التجار فقال لوزيره اتحب ان أريك ثلاث طوائف طائفة لهم الدنيا والآخرة وطائفة لا دنيا و لا آخرة وطائفة دنيا بلا آخرة قال وكيف ذلك ايها الملك فقال الذين لهم الدنيا والآخرة فهؤلاء التجار يكسبون اقواتهم و يصلون صلاتهم ولا يؤذون احدا واما الذين لا دنيا ولا آخرة فهؤلاء الشرط والخدمة الذين بين ايدينا واما الذين لهم دنيا بلا آخرة فانا وانت وسائر السلاطين فحق على جميع الورى ان يمدوا السلطان بالمناصحات و يخصوه بالدعوات و يعينوه على سائر المحاولات و يكونوا له اعينا ناظرة وايديا باطشة وجننا واقية وألسنة ناطقة وقوادم تنهضه وقوادم تقله وهيهات منه السلامة وانى له بالسلامة وعن هذا قال بعض السلاطين يوما لاصحابه اعلموا ان السلطان والجنة لا يجتمعان (قال) شيخنا رحمه الله وحدثني رجل له قدر قال ارسل الى السلطان ان طلق امرأتك وكان قد ارادها لبعض اصحابه فابيت ذلك وراجعت الرسل غير مرة فقال لي ناصح منهم خذ الامر مقبلا فانه لا حيلة لك فان السلطان لا يخاف في الدنيا عارا ولا في الآخرة نارا ففارقتها (وروى) عن عبد الملك بن مروان انه لما ولي الخلافة أخذ المصحف فوضعه في حجره ثم قال هذا فراق بيني و بينك ولما حج هرون الرشيد لقيه عبد الله العمري في الطواف فقال له يا هرون قال لبيك يا عم قال كم ترى ههنا من الخلق قال لا يحصيهم الا الله فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وانت واحد تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكى هرون وجلس فجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع ثم قال له والله ان الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه فكيف بمن أسرع في مال المسلمين و يقال ان هرون كان يقول والله اني أحب ان أحج كل سنة وما يمنعني الا رجل من ولد عمر يسمعني ما أكره وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من أحمق من السلطان ومن اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايا راعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاما تتقعقع ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك

• (الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض) •

اعلموا أرشدكم الله ان في وجود السلطان في الارض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة لان الله سبحانه جبل الخلق على حب الانتصاف وعدم الانصاف ومثلهم بلا سلطان مثل الحيتان في البحر يزدرد الكبير الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر ولم يستقم لهم معاش ولم يهنؤا بالحياة ولهذا

من طول الامصار ماثر جون وكانوا يجدون في جمع المال وعمارة الدنيا كما تجدون فاليوم ثوت عظامهم وتلاشت أجسامهم كما ترى وهذه الخرق كانت أثوابهم التي كانوا يتزينون بها عند التجمل وقت الرعونة والتجمل والتزين فاليوم قد ألقتها الريح في النجاسات وهذه عظام دوابهم التي كانوا يطوفون أقطار الارض على ظهورها وهذه النجاسات كانت أطعمتهم اللذيذة التي كانوا يحتالون في تحصيلها ينهبها بعضهم من بعض قد ألقيت عنهم بهذه الفضيحة التي لا يقربها أحد من نتنها فهذه جملة أحوال الدنيا كما تشاهد وترى فمن أراد ان يبكي على الدنيا فليبك فانها موضع البكاء قال أبو هريرة فبكى جماعة الحاضرين

• (المثال العاشر) •

كان في زمن عيسى روح الله عليه السلام ثلاثة سائرون فوجدوا كنزا فقالوا قد جعنا فليمض واحد منا فليبتع لنا طعاما فمضى ليأتيهم بطعام فقال الصواب أن أجعل لهما في الطعام سما قاتلا ليأكلاه فيموتوا وانفرد أنا بالكنز دونهما ففعل ذلك وسم الطعام واتفق الرجلان الآخران انهما اذا وصل اليهما بالطعام قتلاه وانفردا بالكنز دونه فلما وصل اليهما بالطعام المسموم قتلاه وأكلا من الطعام فماتا فاجتاز عيسى عليه السلام بذلك المكان فقال

قال بعض القدماء لو رفع السلطان من الارض ما كان لله فى أهل الارض من حاجة ومن الحكم التى فى اقامة السلطان انه من حجج الله تعالى على وجوده سبحانه ومن علاماته على توحيده لانه كما لا يمكن استقامة أمور العالم واعتداله بغير مدبر ينفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما فيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان فى بلد واحد لا يستقيم الهان للعالم والعالم بأسره فى سلطان الله تعالى كالبلد الواحد فى يد سلطان الارض ولهذا قال على ابن ابى طالب رضى الله عنه امران جليلان لا يصلح احدهما بالتفرد ولا يصلح الآخر بالمشاركة وهما الملك والرأى فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الرأى بالانفراد به ومثال السلطان القاهر لرعيته والرعية بلا سلطان مثال بيت فيه سراج منير وحوله فئام من الخلق يعالجون صنائعهم فبينما هم كذلك طفئ السراج فقبضوا أيديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير وخشخش الهام الخسيس فدبت العقرب من مكمنها وفسقت الفارة من جحرها وخرجت الحية من معدنها وجاء اللص بحيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع واستطارت فيهم المضار كذلك اذا كان قاهرا لرعيته كانت المنفعة به عامة وكانت الدماء فى أهبها محقونة والحرم فى خدورهن مصونة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان الفاضل ظاهر والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من أهل الفسوق والدعارة خامل واذا اختل أمر السلطان دخل الفساد على الجميع ولو جعل ظلم الناس حولا فى كفة كان هرج ساعة اعظم وارجح من ظلم السلطان حولا وكيف لا وفى زوال السلطان أو ضعف شوكته سوق اهل الشر ومكسب الاجناد ونفاق أهل العيارة والسوقة واللصوص والمناهبة وقال الفضيل جور ستين سنة خير من هرج سنة ولا يتمنى زوال السلطان الا جاهل مغرور او فاسق يتمنى كل محذور فحقيق على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى فى اصلاح السلطان وان تبذل له نصحه وتخصه بصالح دعائها فان فى صلاحه صلاح العباد والبلاد وفى فساده فساد العباد والبلاد وكان العلماء يقولون اذا استقامت لكم امور السلطان فاكثروا حمد الله تعالى وشكره وان جاءكم منه ما تكرهون وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه بآثامكم واقيموا عذر السلطان لانتشار الامور عليه وكثرة ما يكابده من ضبط جوانب المملكة واستئلاف الاعداء وارضاء الاولياء وقلة الناصح وكثرة التدليس والطمع وفى كتاب التاج هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وألباب الملوك مشغولة بكل شئ والباب السوقة مشغولة بيسير شئ والجاهل منهم يعذر نفسه مع ما هو عليه من الراحة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من المؤنة ومن هنالك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت حكماء العجم لا تستوطن الا بلدا فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائمة وطبيب عالم ونهر جار

❁(الباب الثامن فى منافع السلطان ومضاره)❁

(قال) حكماء العرب والعجم مثل مضار السلطان فى جنب منافعه مثل الغيث الذى هو سقيا الله تعالى وبركات السماء وحياة الارض ومن عليها وقد يتأذى به المسافر ويتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدرسيوله فتهلك الناس والدواب والذخائر ويموج له البحر فتشتد بليته على أهله ولا يمنع ذلك الخلق اذا نظروا الى آثار رحمة الله تعالى فى الارض التى أحيا والنبات الذى أخرج والرزق الذى بسط والرحمة التى نشر ان يعظموا رحمة ربهم ويشكروها ويلغوا ذكر خواص الاذية التى دخلت على خواص الخلق (ومثاله) أيضا مثل الرياح التى يرسلها الله تعالى نشرا بين يدى رحمته فيسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وروحا للعباد ويتنسمون منها وينقلبون فيها وتجرى بها مياههم وتقد بها نيرانهم وتسير بها فى البحر أفلاكهم وقد تضر بكثير من الناس فى برهم وبحرهم وتخلص

الى

الموار يتن هذه الدنيا فانظروا كيف فنات هؤلاء الثلاثة وبقيت بعدهم ويل لطلاب الدنيا من الديان

❁(العين الثانية فى معرفة النفس)❁

اعلم ايها السلطان العالم ان بنى آدم طائفتان طائفة نظروا الى شاهد حال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل ولم يتفكروا فى النفس الاخير وطائفة عقلاء جعلوا النفس الاخير نصب أعينهم لينظروا الى ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وايمانهم سالم وما الذى يدخل معهم من الدنيا فى قبورهم وما الذى يتركونه لاعدائهم من بعدهم ويبقى عليهم وباله ونكاله وهذه الفكرة واجبة على جميع الخلق وهى على الملوك واهل الدنيا اوجب لانهم كثيرا أزعجوا قلوب الخلق وأنفذوا الى الناس الغلمان بالتلبيسات وازعجوا الخليقة وادخلوا فى قلوبهم الرعب فان بحضرة الحق تعالى ذكره غلاما يقال له عزرائيل يعرف بملك الموت لا مهرب لاحد من مطالبته وتشديده وكل موكلى الملوك يأخذون جعلهم ذهبا وطعاما وصاحب هذا التوكل لا يأخذ سوى الروح جعلا وسائر موكلى السلاطين تنفع عندهم الشفاعة وهذا الموكل لا ينفع عنده شفاعة شافع وجميع الموكلين يمهلون من يوكلون به

اليوم والساعة وهذا الموكل لايمهل نفسا واحدا وعجائب احواله كثيرة الا اننا نذكر من احواله خمس حكايات

(الحكاية الاولى)

وهي ما رواه وهب بن منبه وكان من علماء اليهود واسلم روى ان ملكا عظيما أراد ان يركب يوما في جملة اهل مملكته ويرى الخلائق عجائب زينته فأمر امراءه بالركوب ليظهر للناس سلطنته فأمر باحضار فاخر الثياب وامر بعرض خيوله الموصوفة وعتاقه المعروفة فاختار من جملتها جوادا يوصف بالمشي والسبق فركبه بالمركب والطوق المرصع بالجواهر وجعل يركض الحصان بين عسكره ويفتخر بتيهه وتبختره فجاء ابليس فوضع فمه على منخره ونفخ هواء الكبر في انفه فقال في نفسه من في العالم مثلي وجعل يركض بالكبرياء ويزهو بالخيلاء ولا ينظر الى احد من تيهه وكبره وعجبه وفخره فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثة فسلم عليه فلم يرد سلامه فقبض عنان فرسه فقال الملك ارفع يدك فانك لا تدري بعنان من قد مسكت فقال لي اليك حاجة فقال له اصبر الى ان انزل فقال حاجتي هذه الساعة اليك لا عند نزولك فقال اذكر حاجتك فقال انها سر لا اقولها الا في اذنك فأصغى بسمعه اليه فقال انا ملك الموت اريد اقبض روحك فقال امهلني بقدر ما اعود الى بيتي واودع اهلي واولادي

الى أنفسهم فيشكرها الشاكرون وقد يتأذى بها كثير من الناس ولا يزيلها ذلك عن منزلتها من قوام عبادته وتمام نعمته (ومثاله) أيضا مثال الشتاء والصيف الذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا للحرث والنسل ونتاجا للحب والثمر يجمعه ما البرد باذن الله ويخرجه ما الحر باذن الله فينضج على اعتدال الى غير ذلك من منافعهما وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما وسمومهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان الى الصلاح والخير وقد غمر صلاحهما اذيتهما (ومثاله) أيضا مثل الليل الذي جعله الله تعالى سكنا ولباسا ونوما وراحة وسباتا وقد يستوحش له أخو الفقر ويسارع فيه اهل الدعارة والفساد واللصوص وتعدو فيه السباع وتنتشر فيه الهوام وذوات الحمة والسموم القاتلة ثم لا ينسى العباد نعم الله تعالى عليهم به ولا يبرز أصغير ضرره بكبير نفعه (ومثاله) أيضا مثال النهار الذي جعله الله ضياء ونورا ونشورا واكتسابا وانتشارا وقد تكون فيه الحروب والغارات والتعب والنصب والشخوص والخصومات فتستريح الخلائق منه الى الليل ثم لم ينس العباد نعمة الله عليهم فيه وهكذا كل جسم من أمور الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شئ يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام ولو كانت نعم الدنيا صفوا من غير كدر وميسورها من غير معسور لكانت الدنيا هي الجنة التي لا تعب فيها ولا نصب (وقد قال الشاعر)

لا ترج شيأ خالصا نفعه * فالغيث لا يخلو من العيب

(الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية)

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا صفت الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة وسرت في جميع أجزاء الجسد فأمن الجسد من الغير فاستقامت الجوارح والحواس وانتظم أمر الجسد وان تكدرت الروح أو فسد مزاجها فيها وبح الجسد فتسري الى الحواس والجوارح كدرة وهي منحرفة عن الاعتدال فأخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد فرضت الجوارح وتعطلت فتعطل نظام الجسد وجر الى الفساد والهلاك (ومثال) السلطان أيضا مثال النار ومثال الخلائق مثال الخشب فما كان منها معتدلا لم يحتج الى النار وما كان منها متأودا احتاج الى النار ليقام أوده فيعدل عوجه فان أفرطت النار احترق الخشب قبل ان يستقيم أوده وان قصرت النار لم يلن الخشب لقبول الاعتدال فيبقى متأودا واذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب كذلك السلطان في أطواره ان أفرط أهلك الخلائق وان فرط لم يستقيموا وان اعتدل اعتدلوا (ومثاله) أيضا مثال عين خرارة في أرض خوارة فان حلا مشربه وعذب طعمه وسلمت من الكدر والفساد وصافه اختلج في الارض فابتلعته صافيا صرفا ثم شربته عروق الاشجار فاغتذت به كذلك فغلظت سوقها وفرعت أغصانها وامتدت أفنانها ثم اخرجت أوراقها وابرزت أزهارها ثم قذفت ثمارها فجاءت على أتم طبيعتها كبرا وطعما ولونا ورائحة فتقوت بها العباد وأكلت حظوظها البهائم والحشرات وسقط عليها الطير فأحرز كل منها قوته واستقام النظام وان كان في حواشي الارض ما يدق عن الانبات والنفع ويكدى عن الزكاة والريع أو كان فيها من الشجر ما يبرز جهله ويقل ريعه اعطى كل ذلك الغاية من نفسه واطلع ما في قواه ولم يغادر ممكنا الا وفاه وان كان في العين كدر أو فساد أو ملح شربتها الاشجار كذلك ففسد مزاجها وأضر الجزء الفاسد بالطيب فرقت سوقها وضعفت اغصانها وتغيرت أوراقها وقلت أزهارها وثمارها ودخل الفساد على جميع ذلك فجاءت الثمرة وهي نزرة قدرها ردى طعمها كاسف لونها فدخل بذلك من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل عليهم في الاولى ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الحشرات لتموت في أجحرتها هزلا بذنب ابن آدم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السماء غيثها ومنعت الارض نباتها فهلكت الهوام والحشرات والدواب

و زوجتي فقال كلا لا تقود تراهم فانك ميت قد فنيت مدة عمرك واخذ روحه على ظهر الفرش فخر ميتا فعاد ملك

●(الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها فيها انتظام الملك والدول)●

وهي ثلاثة اللين وترك الفظاظة والمشاورة وان لا يستعمل على الاعمال والولايات راغب فيها ولا طالب لها ولما علم الله تعالى ما فيها من انتظام امر الملة واستقامة الامر نص عليها الله سبحانه ورسوله ● اعلم ان هذه الخصال من اساس الممالك وقل من يعمل بها من الملوك اثنتان نزلتا من السماء وواحدة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم اما الالهية فقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وفي الآية اشارتان احداهما ان الفظاظة تنفر الاصحاب والجلساء وتفرق الجموع والحشم وانما الملك ملك بجلسائه واصحابه وحشمه واتباعه واخلق بخصلة تنفر الاولياء وتطمع الاعداء فقمن بكل سلطان رفضها والاحتراز من سوء مغبتها ولكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ● وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع اصحابه فجاء رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب فقالوا هذا الابيض المتكئ فقال الرجل يا ابن عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اجبتك دل الاثر على انه ما استأثر بشرف المجلس ولا فاتهم بزي ولا مقعد وقد يبلغ باللين ما لا يبلغ بالغلظة الا ترى ان الرياح تهون اصواتها فيتداخل لها الشجر وتنعطف الافنان والاغصان وفي الفرط تنكسر الاغصان والماء بلينه في اصول الشجر يقلعها من اصلها واذا كانت الحية مع صعوبتها وسمها وتغيبها في جحرها ترقى بالكلام حتى تستعطف فتخرج فالانسان احرى ان يستمال بلين القول وحسن المنطق فاذا اردت أن تنتقم ممن يسيء اليك فكافئه بكل كلمة سوء قالها كلمة جميلة وحسن ثناء عليه ● والاشارة الثانية انه قال وشاورهم في الامر فاذا قيل لنا كيف يشاورهم وهو نبيهم وامامهم وواجب عليهم مشاورته وان لا يفصلوا امرا دونه قلنا هذا أدب أدب الله تعالى نبيه عليه السلام به وجعله مأدبة لسائر الملوك والامراء والسلاطين لما علم الله تعالى ما في المشاورة من حسن الادب مع الجليس ومساهمته في الامور فان نفوس الجلساء والنصحاء والوزراء تصلح عليه وتميل اليه وتخضع عنوة بين يديه شرعة انبيه عليه السلام ولذوي الامرة من اهل ملته صلى الله عليه وسلم الا ترى ان النبي عليه السلام كان في غزوة فامرهم بالنزول فقال له سعد يا رسول الله ان كان هذا بامرك فسمع وطاعة وان كان غير ذلك فليس بمنزل فسمع منه النبي عليه السلام وقال ارتحلوا ومن اقبح ما يوصف به الرجال ملوكا كانوا اوسوقة الاستبداد بالرأي وترك المشاورة وسنعقد للمشاورة بابا ان شاء الله تعالى والخصلة الثالثة ما روى البخاري ومسلم وغيرهما ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال النبي عليه السلام انا لا نستعمل على عملنا من اراده والسر فيه ان الولايات امانات وتصرف في ارواح الخلائق واموالهم والتسرع الى الامانة دليل على الخيانة وانما يخطبها من يريد أكلها واذا ائتمن خائن على موضع الامانات كان كاسترعاء الذئب على الغنم ومن هذه الخصلة تفسد قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا اهتضمت حقوقهم واكلت اموالهم فسدت نياتهم واطلقوا ألسنتهم بالدعاء والتشكي وذكروا سائر الملوك بالعدل والاحسان فكانوا كالبيت السائر الذي انشدناه

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ● فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

فاذا خان أهل الامانات وفسد أهل الولايات كان الامر كما قال الاول

بالملح يصلح ما يخشى تغيره ● فكيف بالملح ان حلت به الغير

●(وقال آخر)●

ذئب تراه مصليا ● فاذا مررت به ركع
يدعو وجل دعائه ● ما للفريسة لا تقع
عجل بها يا ذا العلا ● ان الفؤاد قد انصدع

الموت من هناك فأتى رجلا صالحا عابدا رضي ربه عنه فقال له لي اليك حاجة وهي سر فقال الصالح قل حاجتك في اذني فقال انا ملك الموت فقال مرحبا بك الحمد لله على مجيئك فاني كنت كثير الترقب لمجيئك ووصولك ولقد طالت غيبتك وكنت مشتاقا الى قدومك فقال له ملك الموت ان كان لك شغل فاقضه قال فليس لي شغل اهم من لقاء ربي فقال كيف تحب أن اقبض روحك فاني امرت ان اقبض روحك كيف آثرت واخترت فقال اتركني ريثما اتوضأ واصلي فاذا انا سجدت فخذ روحي وانا ساجد ففعل ملك الموت ما امره ونقل الى رحمة ربه

●(الحكاية الثانية)●

يروى انه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا البرفه نفسه ويتفرغ لاكل ما جمعه فجمع نعما طائلة وبنى قصرا عاليا مرتفعا شامخا يصلح للملوك والامراء والاكابر والعظماء وركب عليه بابين محكمين واقام عليه الغلمان الاجلاء والحرسة والاجناد والبوابين كما اراد وامر بعض الايام ان يصطنع له من اطايب الطعام وجمع

• ومن اشراط الساعة التصدى للامانة وخطبة الولاية (وروى) عن النبى عليه السلام انه قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغنما فحينئذ يدعو عليه الضعيف وأهل الصلاح و يقعد له بالمراصد الشرير و يحام عليه القوى و يقبح ثناؤه عند الجماعة و يتمنون الراحة منه و ينظرون من يصلح لما سواه

•(الباب الحادى عشر فى بيان معرفة الخصال التى هى قواعد السلطان ولا ثبات له دونها)•

فاول الخصال وأحقها بالرعاية العدل الذى هو قوام الملك ودوام الدول وأس كل مملكة سواء كانت نبوية أو اصلاحية اعلم ارشدك الله أن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه ان ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطالب الاحسان وهو فوق العدل فقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى فلو وسع الخلق العدل ماقرن الله به الاحسان فمن لم يصلح حتى يزاد على العدل كيف يصلح اذا لم يبلغ به العدل والعدل ميزان الله فى الارض الذى به يؤخذ للضعيف من القوى وللمحق من المبطل وليس موضع الميزان بين الرعية فقط بل بين السلطان والرعية أيضا فمن أزال ميزان الله الذى وضعه من القيام بالقسط فقد تعرض لسخط الله تعالى • واعلم أيها الوالى ان الملك بمنزلة رجل فرأسه انت وقلبه وزيرك و يداه أعوانك ورجلاه رعيتك وروحه عدلك ومابقاء جسد بلا روح واذا أردت ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة أنفس كبير وصغير ووسط فاجعل كبيرهم أبا ووسطهم أخا وصغيرهم ابنا فبر أباك وأكرم أخاك وارحم ابنك فانك واصل بذلك الى بر الله وكرامته ورحمته • واعلم ان عدل الملك يوجب الاجتماع عليه وجوره يوجب الافتراق عنه عدل الملك حياة رعيته وفى منثور الحكم سلطان جائر أو بعين عاما خير من رعية مهملة ساعة واحدة من النهار اذا عدل السلطان فيما قرب منه صلح له ما بعد عنه فضل الملوك فى الاعطاء وشرفها فى العفو وعزها فى العدل عدة السلطان ثلاثة مشاورة النصحاء وثبات نيات الاعوان واقامة سوق العدل أفضل الازمنة أزمنة أئمة العدل ثم العدل ينقسم قسمين قسم الهى جاءت به الرسل والانبياء عليهم السلام عن الله تعالى والثانى مايشبه العدل وهو السياسة الاصلاحية التى هرم عليها الكبير ونشأ عليها الصغير و بعيد أن يبقى سلطان أو تستقيم رعية فى حال ايمان أو كفر بلا عدل قائم ولا ترتيب للامور ثابت فذلك مالا يجوز ولا يمكن وقد ذكرنا فى أول الكتاب ان سليمان بن داود سلب ملكه حين جلس الخصمان بين يديه وكان لاحدهما خاصة بسليمان فقال فى نفسه وددت ان يكون الحق لخاصتى فأقضى له فسلبه الله تعالى ملكه وقعد الشيطان على كرسيه فاجعل العدل رأس سياستك فتسقط عنك جميع الآفات المفسدة للسياسة وتقوم لك جميع الشرائط التى تقوم بها المملكة قال على بن ابى طالب رضى الله عنه امام عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم وقال ابن مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر وان كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر وقال سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك واتفق حكماء العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناء والجند أساسه فاذا قوى الاساس دام البناء وان ضعف الاساس انهار البناء فلا سلطان الا بجند ولا جند الا بمال ولا مال الا بجباية ولا جباية الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل فصار العدل أساسا لسائر الاساسات فأما العدل النبوى فان يجمع السلطان الى نفسه حملة العلم الذين هم حفاظه ورعاته وفقهاؤه وهم الادلاء على الله تعالى والقائمون بأمر الله والحافظون لحدود الله والناصحون لعباد الله وروى أبو هريرة ان النبى عليه السلام قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم

أهله وخدمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده و يناولوا فذه وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يانفس قد جمعت نعم الدنيا باسرها والآن افرغى بالك وكلى هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل والحظ الجزيل فلم يفرغ مما حدث به نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب خلقة ومخلاة فى عنقه معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة باب القصر طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا الى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا ياضعيف ما هذا الحرص وسوء الادب اصبر الى أن نأكل ونطعمك مما يفضل فقال لهم قولوا لصاحبكم يخرج الى فلى اليه شغل مهم وأمر ملم فقالوا للشيخ أيها الضعيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال أنتم عرفوه ماذكرت لكم فلما عرفوه قال هلا انهرتموه وجردتم عليه وزجرتموه ثم طرق حلقة الباب أعظم من الطرقة الاولى فنهضوا من أماكنهم بالسلاح ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا أماكنكم فانا ملك الموت فرعبت قلوبهم وطاشت جلودهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم فقال لهم الملك قولوا له يأخذ بدلا منى وعوضا عنى فقال ما آخذ ولا أتيت الا لاجلك لافرق بينك وبين النعم التى

فاتخذ أيها الملك العلماء شعارا والصالحين دثارا فتدور المملكة بين نصائح العلماء ودعوات الصلحاء وأخلق بملك يدور بين هاتين الخصلتين ان تقوم عمده ويطول امده وكيف لا وقد فرقهم الله فى سلطانه واصطفاهم بخالص معرفته فقال جل من قائل شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط فبدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث باولى العلم وهم ورثة الانبياء عليهم السلام الموفقون عن الله تعالى لان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ففى تعظيمهم وتقريبهم امتثال لامر الله تعالى وتعظيم لمن أثنى عليه ويجب ترفيع مجالسهم وتمييز مواضعهم عمن سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وفيه استمالة قلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته فواجب على السلطان أن لا يقطع أمرا دونهم ولا يفصل حكما الا بمشاورتهم لانه فى ملك الله يحكم وفى شريعته يتصرف وأقل الواجبات على السلطان أن ينزل نفسه مع الله منزلة ولاته معه أليس اذا خالف واليه أمره وما رسمه له من الاحكام عزله وعاقبه ولم يأمن سطوته واذا امتثل أوامره وازدجر من زواجره حل منه محل الرضاء فواعجبا لمن يغضب على واليه اذا خالفه ثم لا يخاف سطوة ربه عليه اذا خالفه فهذه طريق اقامة العدل الشرعى والسياسة الاسلامية الجامعة لوجوه المصلحة الآخذة لازمة التدبير السالمة من العيوب الممهدة لاستقامة الدنيا والدين وكما ان الملك الحازم لا يتم حزمه الا بمشاورة الوزراء والاخيار كذلك لا يتم عدله الا باستفتاء العلماء الابرار وقد وقع المأمون فى قصة متظلم من عمرو بن مسعدة يا عمرو أعمر نعمتك بالعدل فان الجور يهدمها وفى اشاعة العدل قوة القلب وطيبة النفس ولزوم اليقين وأمان من العدو ولما استأذن الهرمزان على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يجد عنده حاجبا ولا بوابا فقيل له هو فى المسجد فاتى المسجد فوجده مستلقيا متوسدا كوما من الحصباء ودرته بين يديه فقال له عدلت فأمنت فنمت وقال الحسن رأيت عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد جمع الحصباء فى مسجد النبى عليه السلام عند رأسه وقد وضع أحد جانبى ردائه عليه وهو يومئذ أمير المؤمنين ما عنده أحد من الناس ودرته بين يديه وكتب عامل حمص الى عمر بن عبد العزيز ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور والسلام وقالت الحكماء من حرم العدل فلا خير فيه ولا للناس فى سلطانه وقال يحيى بن اكثم ماشيت المأمون فى بستان والشمس عن يسارى والمأمون فى الظل فلما رجعنا وقعت الشمس أيضا على فقال لى المأمون تحول مكانى وأتحول مكانك حتى تكون فى الظل كما كنت وأقيك الشمس كما وقيتنى فان اول العدل ان يعدل الرجل على بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى فعزم على فتحولت وكان يقال ليس شئ ابعد من بقاء الملك الغاصب وقيل للاسكندر لو أكثرت من النساء حتى يكثر نسلك ويحيا ذكرك فقال انما يحيى الذكر الافعال الجميلة والسيرة الحميدة ولا يحسن بمن يغلب الرجال ان تغلبه النساء وقال الحكيم من اتخذ العدل سنة كان له أحسن جنة ومن استشعر حلة العدل استكمل زينة الفضل وقال ابو عبيد بن عبد الله بن مسعود ان الامام العادل ليسكت الاصوات عن الله وان الامام الجائر لتكثر منه الشكاية الى الله تعالى وقال الحكيم لا يزال السلطان مهملا حتى يتخطى الى اركان العمارة ومبانى الشريعة فينذير يح الله منه وقالوا لا تظلم الضعفاء فتكون من اشرار الاقوياء وقال بعض الحكماء أمير بلا عدل كغيم بلا مطر وعالم بلا ورع كارض بلا نبات وشاب بلا توبة كشجر بلا ثمر وغنى بلا سخاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال كسرى اتفقت ملوك العجم على اربع خصال ان الطعام لا يؤكل الا على شهوة والمرأة لا تنظر الا الى زوجها والملك لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل واحق الناس باجبار نفسه على

جمعتها والاموال التى قدحويتها وخزنتها فتنفس الصعداء وقال لعن الله هذا الذى غرنى وأضرنى ومنعنى من عبادة ربى وكنت أظن انه ينفعنى فاليوم صار حسرتى وبلائى وخرجت صفر اليدين منه وبقى لاعدائى فانطق الله تعالى المال حتى قال لاى سبب تلعننى العن نفسك فان الله تعالى جده خلقنى واياك من تراب وجعلنى فى يدك لتتزود بى الى آخرتك وتتصدق بى على الفقراء وتتزكى على الضعفاء وتعمر بى الربط والمساجد والجسور والقناطر لاكون عونا لك فى اليوم الآخر وأنت جمعتنى وخزنتنى وفى هواك أنفقتنى ولم تشكر حقى بل كفرتنى فالآن تركتنى لاعدائك وأنت بحسرتك وضرائك فاى ذنب لى فتسبنى وتلعننى ثم ان ملك الموت قبض روحه قبل أكل الطعام فسقط عن سريره صريع الحمام

(الحكاية الثالثة)

قال يزيد الرقاشى كان فى بنى اسرائيل جبار من الجبابرة وبينما هو فى بعض الايام جالس على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل من باب الدار ذا صورة منكرة وهيئة هائلة فلشدة خوفه من هجومه وهيبة قدومه وثب فى وجهه وقال له من أنت أيها الرجل ومن أذن لك فى الدخول الى دارى فقال امرنى صاحب الدار وأنا الذى لا يحجبنى حاجب ولا احتاج فى دخولى

العدل الملوك الذين بعدلهم يعدل من دونهم والذين اذا قالوا او فعلوا كان نافذا غير مردود وقالت الحكماء
رم ماشئت بالانصاف وانا زعيم لك بالظفر به والظلم أدعى شئ الى تغيير نعمة أو تعجيل نقمة وقال الحكيم
شر الزاد الى المعاد الذنب بعد الذنب وشر من هذا العدوان على العباد ومتى اراد السلطان حسن الصيت
وجميل الذكر فليقم سوق العدل وان احب الزلفى عند الله وشرف المنزلة عنده فليقم سوق العدل وان
أحبهما جميعا فليقم سوق العدل والذى يخلد به ذكر الملوك على غابر الدهور عدل واضح أو جور فاضح
هذا يوجب له الرحمة وهذا يوجب له اللعنة

(فصل) فأما القسم الثانى من العدل وهو السياسة الاصلاحية وان كان اصلها على الجور فيقوم
بها أمر الدنيا وكأنها تشاكل مراتب الانصاف على نحو ما كانت عليه ملوك الطوائف فى أيام الفرس
وكانوا كفارا يعبدون النيران ويتبعون هواجس الشيطان فوضعوا بينهم سننا وأسسوا لهم احكاما
واقاموا لهم مراتب فى النصفة بين الرعايا واستجباء الخراجات وتوظيف المكوس على التجارات كل
ذلك بعقولهم على وجوه ما انزل الله بها من سلطان ولا نصب عليها من برهان بيد أنه لما جاءت الشريعة
من عند الله تعالى على لسان نبيه صاحب المعجزة محمد صلى الله عليه وسلم فمنها ما أقرته فى نصابه ومنها
ما نسخته وأبطلت حكمه فعادت الحكمة البالغة الى الله تعالى والحكم بما انزل الله وبطل ما سواه وكان
ملكهم محفوظا برعاياتهم للقوانين المألوفة بينهم فانقطع بذلك حبل الهمل فكانوا يقيمون بها واجب
الحقوق ويتعاطون بها مالهم وعليهم ومن هذا كان يقال ان السلطان الكافر الحافظ لشرائط
السياسة الاصلاحية ابقى وأقوى من السلطان المؤمن العدل فى نفسه المضيع للسياسة النبوية العدلية
والجور المرتب ابقى من العدل المهمل اذ لا شئ أصلح لامر السلطان من ترتيب الامور ولا شئ أفسد له من
اهمالها واعلم ان درهما يؤخذ من الرعية على وجه الاهمال والخرق وان كان عدلا أفسد لقلوبهم من
عشرة تؤخذ منها سياسة على زمام معروف ورسم مألوف وان كان جورا فلا يقوم السلطان لاهل الايمان
ولا لاهل الكفر الا باقامة العدل النبوى وما يشبه العدل من الترتيب الاصطلاحى وقال ابن المقفع
الملوك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوى فأما ملك الدين فانه اذا اقام لاهل المملكة دينهم
كانوا راضين وكان الساخط فيه بمنزلة الراضى واما ملك الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والسخط
ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوى واما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار دهر ولقد بلغنا ان ملكا من
ملوك الهند نزل به صمم فأصبح موجعا مهتما بامور المظلومين وانه لا يسمع استغاثتهم فأمر مناديه
ان لا يلبس أحد فى مملكته ثوبا أحمر الا مظلوم وقال لئن منعت سمعى لم أمنع بصرى فكان كل من ظلم
لبس ثوبا احمر ووقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته قال شيخنا وأخبرنى أبو العباس الحجازى وكان
ممن دخل الصين بسيرة عجيبة غريبة لملوكها فى سياستهم وذلك ان للبيت الذى يكون فيه الملك ناقوسا
موصولا بسلسلة وطرف السلسلة فى خارج الطريق وعليها أمناء السلطان وحفظة فيأتى المظلوم فيحرك
السلسلة فيسمع الملك صوت الناقوس فيأمر بادخال المظلوم فكل من حرك السلسلة تمسكه تلك الحفظة
حتى تدخله على السلطان

(الباب الثانى عشر فى التنصيص على الخصال التى زعم الملوك انها أزالت دولتهم وهدمت سلطانهم)

ايها الملك احرص كل الحرص ان تكون خبيرا بأمور عمالك فان المسئ يفرق من خبرتك به قبل ان تصيبه
عقوبتك والمحسن يستبشر بعلمك به قبل أن يأتيه ثوابك قال أبو جعفر المنصور ومازال أمر بنى أمية
مستقيما حتى أفضى امرهم الى أبنائهم المترفين فكانت همتهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد

على الملوك الى اذن ولا أرهب سياسة سلطان ولا يفزعنى جبار ولا لاحد من قبضتى فرار فلما سمع هذا الكلام خر على وجهه ووقعت الرعدة فى جسده وقال أنت ملك الموت فقال له نعم فقال أقسم عليك بالله الا ما أمهلتنى يوما واحدا لاتوب من ذنبى وأطلب العذر من ربى وارد الاموال التى أودعتها خزائنى الى أربابها ولا أتحمل مشقة عذابه فقال كيف أمهلك وأيام عمرك محسوبة وأوقاته مثبوتة مكتوبة فقال أمهلنى ساعة فقال ان الساعات فى الحساب وقد غبرت وأنت غافل وانقضت وأنت ذاهل وقد استوفيت أنفاسك ولم يبق لك نفس واحد فقال من يكون عندى اذا نقلت الى لحدى فقال لا يكون عندك سوى عملك فقال مالى عمل قال له فلا جرم يكون مقيلك فى النار ومصيرك الى غضب الجبار وقبض روحه فخر من سريره ووقع وعلا الضجيج من أهل مملكته وارتفع ولو علموا ما يصير اليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه أكثر وعويلهم أوفر

(الحكاية الرابعة)

يروى ان ملك الموت عليه السلام دخل يوما على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل يحد بصره ويطيل نظره الى رجل من ندمائه فقال ذلك النديم يا نبى الله من كان هذا الرجل الذى دخل علينا فقال ملك الموت فقال أخاف

الشهوات وايثار اللذات والدخول في معاصي الله ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله تعالى وامنا لمكره فسلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة قال عبيد الله بن مروان ومروان هذا هو المعروف بمروان الحمار وهو آخر ملوك بني أمية قتل في أرض مصر في كورة بوصير لما زال ملكنا وهربت الى أرض النوبة فيمن اتبعني من أصحابي فسمع ملك النوبة بخبري فجاءني فقعد على الارض ولم يقعد على فراش افترشته فقلت له الا تقعد على ثيابنا قال لا قلت ولم قال لاني ملك وحق على كل ملك ان يتواضع لامر الله سبحانه اذ رفعه ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ولم تطؤن الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون الديباج والحرير وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل أنصارنا وانتصرنا بقوم من الاعاجم دخلوا ديننا ولنا عبيد وأتباع فعلوا ذلك على كره منا فاطرق مليا يقلب كفيه وينكت في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز بذنوبكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها واخاف ان يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم وانما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم اليه وارتحلوا عن بلدي فتزودنا وارتحلنا وسئل بزرجمهر ما بال ملك آل ساسان صار الى ما صار اليه بعدما كان فيه من قوة السلطان وشدة الاركان فقال ذلك لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال وعن هذا قالت الحكماء موت ألف من العلية أقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة وفي الامثال ان زوال الدول باصطناع السفل وقال الشافعي رضي الله عنه أظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل وسئل بعض الملوك بعد زوال ملكه ما الذي سلبك ملكك قال اعطاؤنا من بطر وطغى ورفع عمل اليوم لغد وسئل بعض الملوك بعد ان سلبوا ملكهم ما الذي سلب عزكم وهدم ملككم فقال شغلتنا لذاتنا عن التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكفاتنا فآثروا مرافقهم علينا وظلم عمالنا رعيتنا فانفسدت نياتهم لنا وتمنوا الراحة منا وحمل على أهل خراجنا فقل دخلنا وبطل عطاء عبيدنا فزالت الطاعة منهم لنا وقصدنا عدونا فقل ناصرنا وكان أعظم ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا وقالت الحكماء أسرع الخصال في هدم السلطان وأعظمها وأسرعها في افساده وتفريق الجمع عنه اظهار المحاباة لقوم دون قوم والميل الى قبيلة دون قبيلة في اعلان بحب قبيلة فقد برئ من قبائل وقد قيل المحاباة مفسدة وقال مهبوذ الموبذان من زوال السلطان تقريب من ينبغي ان يباعد ومباعدة من ينبغي ان يقرب وحينئذ حان أوان الغدر وقيل لملك بعد ذهاب ملكه ما الذي أذهب ملككم قال ثقتي بدولتي واستبدادي بمعرفتي واغفالي استشارتي واعجابي بشدتي واضاعتي الحيلة وقت حاجتي والتاني عند العجلة ولما أحيط بمروان الجعدي وهو آخر ملوك بني أمية قال لهفاه على دولة ما نصرت وكف ما ظفرت ونعمة ما شكرت فقال له خادمه نسيل وكان من أولاد أشراف الروم من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى يظهر أصابه مثل هذا وسئل بعض العلماء ما الذي أذهب ملك بني مروان قال تحاسد الا كفاء وانقطاع الاخبار وذلك ان زيد بن عمر كان يحب أن يضع من نصر بن سيار وكان لا يمده بالرجال ولا يرفع الى السلطان ما يورد عليه من أخبار خراسان فلما رأى ذلك نصر بن سيار قال

أرى خلل الرماد وميض نار ✱ فيوشك أن يكون لها ضرام
وان النار بالعودين تزكو ✱ وان الحرب أولها الكلام
فقلت تعجبا يا ليت شعري ✱ أأيقاظ أمية أم نيام

وكان العباسيون يؤسسون لدولتهم ولا تصل أخبارهم الى بني أمية حتى استفحل امرهم وضعف أمر بني

ان يريد قبض روحي فخلصني منه فقال كيف أخلصك فقال تأمر الريح ان تحملني هذه الساعة الى أقصى بلاد الهند لعله يضل عني ولا يجدني فأمر سليمان الريح فحملته الى أقصى بلاد الهند في الوقت والحال فعاد ملك الموت ودخل على سليمان فقال له لاي سبب كنت تطيل النظر الى ذلك الرجل فقال كنت أتعجب منه لاني أمرت ان اقبض روحه بالهند وكان بعيدا عنها الى ان اتفق بحمل الريح له الى هناك ما قدره الله سبحانه وتعالى

✱(الحكاية الخامسة)✱

يروى ان ذا القرنين اجتاز بقوم لا يملكون شيأ من اسباب الدنيا وقد حفروا قبورا موتاهم على أبواب دورهم وهم كل وقت يتعهدون تلك القبور ويكنسونها وينظفونها ويزورونها ويعبدون الله تعالى بينها وما لهم طعام الا الحشيش ونبات الارض فبعث ذو القرنين اليهم رجلا يستدعي ملكهم فلم يجبه وقال ما لي اليه حاجة فجاء ذو القرنين اليه وقال له كيف حالكم فاني لا أرى لكم شيأ من ذهب ولا فضة ولا ارى عندكم شيأ من نعم الدنيا فقال ارى نعم الدنيا لا يشبع منهما أحد قط فقال لهم لم حفرتم القبور على أبوابكم فقال لتكون نصب أعيننا فننظر اليها و يجدد لنا ذكر الموت ويبرد حب الدنيا في قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة

أمية وسئل مروان بن محمد الجعدي وهو آخر ملوك بني امية ما الذي أضعف ملكك بعد قوة السلطان وثبات الاركان فقال الاستبداد برأيي لما كثرت علي كتب نصر بن سيار أن أمده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال بما يظهر من فساد الدولة قبله وهيهات أن ينتقض علي خراسان فانتقضت دولته من خراسان

(الباب الثالث عشر في الصفات الراتبة التي زعم الحكماء انها لا تدام معها المملكة)

ومن اعجب العجاب دوام الملك مع الكبر والاعجاب اعلموا ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل لان الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة والمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصح وقبول التأديب والكبر يكسب المقت ويمنع من المسئلة وكل كبر ذكره الله في القرآن فمقرون بالشرك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس أنهاك عن الشرك بالله والكبر فان الله سبحانه يغضب منهما وقال اردشير بن بابك ما الكبر الا فضل حمق لم يدر صاحبه اين يذهب به فصرفه الى الكبر وقال الاحنف بن قيس ما تكبر احد الا من ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتأنف منه قال الشاعر فتى كان عذب الروح لا من غضاضة * ولكن كبرا أن يقال به كبر

ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت اني مثلك في ظنك وان أعدائي مثلك في الحقيقة قالت الحكماء قد يدوم الملك مع معظم النقائص فرب فقير ساد قومه ورب أحمق ساد قبيلته منهم الاقرع بن حابس الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاحمق المطاع قالوا ولا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة وأعظم من ذلك ان الله تعالى حرم الجنة على المتكبرين فقال سبحانه وتعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد ومنعهما من دخول الجنة وقال جل وعز سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول داؤه في يعني أني أتكبر عليه واعلم ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله ومن أبغضته بطانته كان كالغص بالماء ومن كرهه الحماة تطاولت عليه الاعداء واما الاعجاب فيحمله على الاستبداد وترك مشورات الرجال ومن الصفات التي لا تقوم معها المملكة الكذب والغدر والخبث والجور والسخف وقالت حكماء العرب والعجم ست خصال لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف والحسد والحدة والبخل والجبن فانه اذا كان كذابا لم يوثق بوعده ولا بوعيده فلم يرج خيره ولم يخف شره ولا بهاء لسلطان لا يرهب وقال الحكماء خراب البلاد وفساد العباد مقرونان بابطال الوعد والوعيد من الملوك والكذب أسقط الاخلاق وأغلب شيء على صاحبه وأحرى أن لا ينزع عنه اضراوته وقيل لاعرابي لم لم تكذب قال لو تعززت به ما تركته وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة وأصله استعذاب المنى وهو أضغاث فكر الحمقى ومن بليته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا سمعت كذبة طائحة نسبت اليه قال الشاعر

حسب الكذوب من المها * نة بعض ما يحكى عليه
واذا سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

(وقال غيره)

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتي فيه قليله

وقال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأما الحسد فانه اذا كان حسودا لم يشرف

ثم مد يده الى طاقة فيها قحف رأس آدمي فوضعه بين يديه وقال يا ذا القرنين تعلم ما كان من هذا قال لا قال كان صاحب القحف ملكا من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستفرغ زمانه في جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا قحفه ثم مد يده ووضع قحفا آخر بين يديه وقال له اتعرف هذا فقال لا فقال كان هذا ملكا عادلا مشفقا على رعيته محبا لاهل مملكته فقبض الله روحه وأسكنه جنته ورفع درجته ثم انه وضع يده على رأس ذي القرنين وقال ترى أي هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكى ذو القرنين بكاء شديدا وضمه الى صدره وقال ان رغبت في صحبتي فاني أسلم اليك وزارتي واقاسمك مملكتي فقال مالي في ذلك رغبة فقال لم قال لان جميع الخلق اعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم أصدقائي بسبب القناعة والصعلكة فالله معك فالآن يجب ان تعلم حكايات النفس الاخير وتتدبرها وتتيقن معرفتها وتتصورها وينبغي أن تعلم أن هذا لغفلة المغترين بالمهلة لا يحبون استماع ذكر الموت لئلا يرد حب الدنيا في قلوبهم

احدا واذا ضاعت الاشراف هلكت الاتباع ولا يصلح الناس الا على اشرافهم قال الشاعر

لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واما البخل فاذا كان بخيلا لم يناصحه احد ولا تصلح الولاية الا بالمناصحة وليس للملك ان يبخل لان بيوت الاموال في يديه واما الجبن فاذا كان جبانا اجترا عليه عدوه وضاعت ثغوره واذا كان حديدا غضوبا والقدرة من ورائه هلكت رعيته وليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته ولما دخل اسقف نجران على مصعب بن الزبير ضرب وجهه بالقضيب فادماه فقال الاسقف ان شاء الامير اخبرته بما انزل الله على عيسى عليه السلام قال قل قال لا تغضب بعدها قال هات قال لا ينبغي للامام ان يكون سفيها ومنه يلتمس الحلم ولا جائرا ومنه يلتمس العدل وقال الاوزاعي يهلك السلطان بالاعجاب والاحتجاب فاما الاعجاب فقد ذكرناه واما الاحتجاب فهو اوحى الخلال في هدم السلطان واسرعها خرابا للدول فانه اذا احتجب السلطان فكانه قد مات لان الحجبة موت حكمي فتعبث بطانته بارواح الخلائق وحريمهم واموالهم لان الظالم قد أمن ان لا يصل المظلوم الى السلطان ومعظم ما رأينا في اعمارنا وسمعنا ممن سمعنا من دخول الفساد على الملوك من حجبتهم عن مباشرة الامور ولا تزال الرعية ذا سلطان واحد ما وصلوا الى سلطانهم فاذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة يا ايها الملك المغرور احتجبت عن الرعية بالحجاب والابواب وجعلت دونهم بروجا مشيدة وحظائر بالحجارة والماء والطين مانعة وباب الله مفتوح للسائلين ليس هناك لا حاجب ولا بواب قال الله تعالى الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقال معاوية ليس بين ان يملك السلطان رعيته او يملكه الا الحزم والتواني وكماله أمران شدة في غير افراط ولين في غير امتهان وسئل بزرجمهر اي الملوك احزم قال من ملك جده هزله وقهر لبه هواه واعرب عن ضميره فعله ولم يختدعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده وقال بعض الحكماء زوال الدول في اصطناع السفل ومن طال عدوانه زال سلطانه وقالوا من لم يستظهر باليقظة لم ينتفع بالحفظة وقال يحيى بن خالد احسن ما وجدت في طراز الحكم من البلاغة البخل والجهل مع التواضع خير من السخاء والعلم مع الكبر فيالها حسنة غطت على سيئتين ويالها سيئة غطت على حسنتين

(الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان)

وقد اتفقت العلماء والحكماء عليها فقالوا ايها الملك ان قصرت قوتك عن عدوك فتخلق بالاخلاق الجميلة التي ليس لعدوك مثلها فان الكفاية من الغارة الشعواء وقال معاوية لصعصعة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان عالما برعيته عادلا في قضيته عاريا من الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحر بالصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوي ولا جاف للقريب وقالوا المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والصدق يوجب الثقة والامانة توجب الطمأنينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب المقة والجود يوجب الحمد والبخل يوجب المذمة والتواني يوجب التضييع والجد يوجب رجاء الاعمال والهوينى توجب الحسرة والحزم يوجب السرور والتغرير يوجب الندامة والحذر يوجب العذر واصابة التدبير توجب بقاء النعمة وبالتأني تسهل المطالب وبلين الكنف المعاشرة تدوم المودة وبخفض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وعدل المنطق يوجب الجلالة وبالنصفة تكثر المواصلة وبالافضال يعظم القدر وبصالح

وتنغص عليهم لذة ماكولهم ومشربهم وقد جاء في الخبر ان من اكثر ذكر الموت وظلمة اللحد كان قبره روضة من رياض الجنة ومن نسي الموت وغفل عن ذكره كان قبره حفرة من حفر النار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف يوما ثواب الشهداء واجر السعداء الذين قتلوا في معركة حرب الكفار فقالت عائشة رضي الله عنها هل ينال مثل ثواب من لم يمت شهيدا فقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الموت بكل يوم عشرين مرة كان له مثل اجر الشهداء ودرجتهم وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت فانه يمحو الذنوب ويبرد حب الدنيا في القلوب وسئل صلى الله عليه وسلم من احزم الناس واعقلهم فقال اعقل الناس اكثرهم للموت ذكرا واحزمهم احسنهم له استعدادا له شرف الدنيا وكرامة الآخرة ومن عرف الدنيا كما ذكرناه وكرر في قلبه ذكر النفس الاخير سهلت عليه امور دنياه وقوي اصل شجرة الايمان في قلبه ولم يأخذ في عليها الظالمون لتفرق اهل الولايات الى ولايات غيرها ويقع النقص في الملك ويقل في البلاد الدخول وتخلو الخزائن من الاموال ويتكدر عيش الرعايا لان الرعايا لا يحبون جائرا ولا يزال دعاؤهم عليه متواترا فلا يتمتع بمملكته وتسرع اليه

الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤن يجب السودد وبالحلم عن السفيه تكثر انصارك عليه وبالرفق والتؤدة تستحق اسم الكرم وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل واعلم ان السياسة تكسو اهلها المحبة والفظاظة تخلع عن صاحبها ثوب القبول ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر فى العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم ومن اطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأنى السلامة زارع البر يحصد السرور وصاحب العاقل مغبوط صديق الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا زللت فارجع واذا أسأت فاندم واذا ندمت فاقلع واذا افضلت فاكتم واذا منعت فاجمل واذا اعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم من بدلك بره فقد شغلك بشكره المروآت كلها تبع للعقل الرأى تبع للتجربة العقل اصله التثبت وثمرته السلامة والتوفيق اصله العقل وثمرته النجح والتوفيق والاجتهاد زوجان فالاجتهاد سبب والتوفيق ينجع الاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والاعمال كلها تبع للقدور واختار العلماء اربع كلمات من اربع كتب من التوراة من قنع شبع ومن الزبور من سكت سلم ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن القرآن ومن اعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز والجهل سفه والايام دول والدهر غير والمرء منسوب الى فعله ومأخوذ بعمله اصطناع المعروف يكسب الحمد اكرموا الجليس يعمر ناديكم انصفوا من نفوسكم يوثق بكم اياكم والاخلاق الدنيئة فانها تضيع الشرف وتهدم المجد نهنهة الجاهل اهون من جريرته رأس العشيرة يحمل اثقالها واجمعت حكماء العرب والعجم على اربع كلمات لا تحمل بطنك ما لا تطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال وان كثر

(الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان)

وهى الطاعة قال ملك فارس لموبذان موبذ ما شئ واحد يعز به السلطان قال الطاعة قال فما ملاك الطاعة قال التودد الى الخاصة والعدل على العامة قال صدقت الامانة معقل الطاعة والطاعة زينة الملك وكان يقال طاعة السلطان على اربعة اوجه على الرغبة والرهبة والمحبة والديانة ولما دخل سعد العشيرة على بعض ملوك حمير قال له يا سعد ما صلاح الملك قال معدلة شائعة وهيبة وازعة ورعية طائعة فان فى المعدلة حياة الانام وفى الهيبة نفى الظلام وفى طاعة الرعية التألف والالتئام طاعة الائمة فرض على الرعية كما ان طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله اتقوا الله بحقه والسلطان بطاعته من اجلال الله اجلال السلطان عادلا كان او جائرا الطاعة تؤلف شمل الدين وتنظم امور المسلمين عصيان الائمة يهدم اركان الملة اولى الناس بطاعة السلطان ومناصحته اهل الدين والنعم والمروآت اذ لا يقوم الدين الا بالسلطان ولا تكون النعم والحرم محفوظة الا به الطاعة ملاك الدين الطاعة معاقد السلامة وارفع منازل السعادة الطريقة المثلى والعروة الوثقى قوام الامة وقيام السنة بطاعة الائمة الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة طاعة الائمة عصمة لمن لجأ اليها وحرز لمن دخل فيها وليس للرعية ان تعترض على الائمة فى تدبيرها وان سولت لها انفسها بل عليها الانقياد وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقوم الحدود وتؤدى الفرائض وتحقن الدماء وتأمن السبل الامامة عصمة للعباد وحياة للبلاد اوجب الله لمن خصه بفضلها وحمله اعباءها الطاعة فقرنها بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاء بنورها وموئل لمن حافظ عليها الخارج من الطاعة منقطع العصمة برئ من الذمة مبدل بالكفر النعمة طاعة الائمة حبل الله المتين ودينه القويم وجنته الواقية وكفايته العالية اياكم والخروج عن انس الطاعة الى وحشة

ذواعى هلكته وقال مؤلف الكتاب الظلم نوعان احدهما ظلم السلطان لرعيته وجور القوى على الضعيف والغنى على الفقير والثانى ظلمك لنفسك وذلك شؤم معصيتك فلا تظلم ليرفع عنك الظلم كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

يقال انه كان فى بنى اسرائيل رجل يصيد السمك ويقوت بصيده اطفاله وزوجته فكان فى بعض الايام يتصيد فوقعت فى شبكته سمكة عظيمة ففرح بها وقال امضى بهذه السمكة الى السوق فابيعها واخرجها فى نفقة الاولاد فلقيه بعض العوانية فقال له تبيع هذه السمكة فقال الصياد فى نفسه ان قلت له نعم اشتراها منى بنصف ثمنها فقال ما ابيعها فغضب العوانى وضربه بخشبة كانت معه على صلبه واخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهى خلقتنى مسكينا ضعيفا وخلقته قويا عنيفا فخذ لى بحقى منه فى هذه الدنيا فما اصبر الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وامرها ان تشويها فلما شوتها ووضعتها بين يديه على المائدة مد يده ليأكل منها ففتحت السمكة فاها ولكزته فى اصبعه لكزة سلبت قراره وازالت بشدة عضتها اصطباره فقصد الطبيب وشكا اليه حاله وذكر له ما ناله فقال الطبيب ينبغى

المعصية ولا تسر واغش الائمة وعليكم بالاخلاص والنصيحة ما مشى قوم الى سلطان ليذلوه الا أذلهم الله قبل ان يموتوا الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة افضل من طاعة الهيبة للرعية على السلطان الاستصلاح لهم والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم والعدل عليهم والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة والشكر والمحبة بالرعية من الحاجة الى الراعي ماليس بالراعي من الحاجة اليهم لولا الرعاة هلكت الرعية ولولا المسيم هلكت السوائم

(الباب السادس عشر في ملاك أمور السلطان)

قال سليمان بن داود عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك وقال زياد ملاك السلطان ثلاثة أشياء الشدة على المذنب والمجازاة للمحسن وصدق القول ولما غزا سابور ذو الاكتاف ملك الروم واخرب بلاده وقتل جنده وافنى بطارقته قال له ملك الروم انك قد قتلت واخربت فاخبرني ما الامر الذي تشبثت به حتى قويت على ما أرى وبلغت في السياسة مالم يبلغه ملك فان كان ممن يضبط الامر بمثله أديت اليك الخراج وصرت كبعض الرعية في الطاعة لك فقال له سابور اني لم أزد في السياسة على ثمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهي ولم أخلف في وعد ولا وعيد ووليت أهل الكفاية وأثبت على العناء لا على الهوى وضربت للادب لا للغضب وأودعت قلوب الرعية المحبة من غير جراءة والهيبة من غير ضغينة وعممت بالقوت ومنعت الفضول فاذعن له وأدى اليه الخراج وكتب الوليد الى الحجاج ان يكتب له بسيرته فكتب اليه اني أيقظت رأيي وأنمت هواي وأدنيت السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم في أمره وقلدت الخراج الموفي لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من نظري ولطيف عنايتي وصرفت السيف الى البطر والمسيء فخاف المذنب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب وقال ابو عبيدة اذا كان الملك محصنا لسره بعيدا من أن يعرف ما في نفسه متخيرا للوزراء مهيبا في أنفس العامة مكافئا بحسن البلاء لا يخافه البريء ولا يأمنه المجرم كان خليقا لبقاء ملكه

(الباب السابع عشر في خير السلطان وشر السلطان)

افضل الملوك من كان شكره بين الرعايا الكل واحد منهم فيه قسطه ليس أحد أحق به من احد لا يطمع القوي في حيفه ولا ييأس الضعيف من عدله كان النبي صلى الله عليه وسلم تأخذ بيده الامة من اماء المدينة فتطوف به على سكك المدينة حتى تقضي حاجتها وفي حكم الهند أفضل السلطان من أمنه البريء وخافه المجرم وشر السلطان من خافه البريء وأمنه المجرم وقال عمر للمغيرة لما ولاه الكوفة يا مغيرة ليأمنك الابرار وليخفك الفجار وفي حكم الهند ايضا شر المال مال لا ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البريء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا امن وخير السلطان من اشبه النسر وحوله الجيف لا من أشبه الجيفة وحولها النسور وعن هذا المعنى قالوا سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها وفي الامثال العامة رهبوت خير لك من رحموت وكان يقال شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء والقسوة على الضعفاء والبخل عند الاعطاء وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاثة من الفواقر جار ملازم ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة أذاعها وامرأة ان دخلت عليها السنتك وان غبت عنها لم تأمنها وسلطان ان أحسنت لم يحمدك وان أسأت قتلك وقال رجل لبعض العلماء متى أضل وانا أعلم فقال اذا ملكتك أمراء ان اطعتهم اذلوك وان عصيتهم قتلوك وقال أبو حازم لسليمان بن عبد الملك السلطان سوق ما نفق عنده أتي به وفي كتاب ابن المقفع الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروءة عنده نفاق فسيكسد بذلك الفجور والدناءة في آفاق الارض

أن تقطع هذه الاصبع لئلا يسرى الالم الى جميع اليد فقطع اصبعه فانتقل الوجع الى يده وازداد تألمه وزال قراره فقال الطبيب ينبغي أن تقطع اليد من المعصم لئلا يسرى الالم الى الساعد فقطع يده فتوجع ساعده فقال الطبيب ينبغي ان يقطع ساعده لئلا يسرى الالم الى الكتف فقطع ساعده فتوجع كتفه فخرج من مكانه هاربا على وجهه داعيا الى ربه ليكشف ما قد نزل به فرأى شجرة فاتكأ اليها فاخذه النوم فنام فرأى في منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع امض وأرض خصمك فانتبه من نومه وتفكر فتذكر وقال انا اخذت السمكة غصبا واوجعت الصياد ضربا وهي التي لكزتني فنهض وقصد المدينة وطلب الصياد فوجده فوقع بين يديه والتمس الاقالة واعطاه شيأ من ماله وتاب من فعاله فرضي عنه خصمه ففي الحال سكن ألمه وبات تلك الليلة على فراشه وقد تاب واقلع عما كان يصنع ونام على توبة خالصة ففي اليوم الثاني تداركه ربه برحمته ورد يده كما كانت بقدرته ونزل الوحي الى موسى عليه السلام ان يا موسى وعزتي وعظمتي لولا ان الرجل ارضى خصمه لعذبته مهما امتدت حياته

(حكاية) كان موسى عليه السلام يناجي ربه على الطور فقال

وسمع

وسمع زياد رجلا يذم الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ان الزمان هو السلطان وقال معاوية لابن الكواء صف لي الزمان فقال أنت الزمان ان تصلح يصلح وان تفسد يفسد والمثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكماء ان أحق الناس ان يحذر العدو الفاجر والصديق الغادر والسلطان الجائر وقال بزرجمهر أدوم التعب صحبة السلطان السيئ الخلق وقال بعض الحكماء اذا ابتليت بصحبة سلطان لا يريد صلاح رعيته فقد خيرت بين أمرين ليس بينهما اختيار اما الميل مع الوالي على الرعية فهو هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالي فهو هلاك الدنيا فلا حيلة لك الا الموت أو الهرب منه وقالوا الملك العادل كالنهر الصافي ينتفع به الاشرار والاخيار ولا يضر أحدا والملك السوء مثل الجيفة يسرع اليها شرار الحيوان ويتحاماها الناس

(الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليزعى بالسلطان ما لا يزعى بالقرآن معناه اى يدفع وقال كعب مثل الاسلام والسلطان والناس مثل الفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاطناب والاوتاد الناس لا يصلح بعضهم الا ببعض وقال أردشير لابنه يا بني ان الملك والدين اخوان لا غنى لأحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس وما لم يكن له أس فهو مهدوم وما لم يكن له حارس فضائع يا بني اجعل حديثك مع اهل المراتب وعطيتك لاهل الجهاد وبشرك لاهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك ولتكن من أهل العقل وكان يقال الدين والسلطان توأمان

(الباب التاسع عشر في خصال جامعة لامر السلطان)

قالوا اظفر الملك بعدوه على حسب عدله في رعيته ونكوبه في حروبه على حسب جوره في عساكره واصلاح الرعية أنفع من كثرة الجنود وقالوا تاج الملك عفافه وحصنه انصافه وسلاحه كفاءته وماله رعيته وقالت حكماء الهند لا ظفر مع بغي ولا صحة مع نهم ولا بناء مع كبر ولا شرف مع سوء أدب ولا بر مع شح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا ولاية حكم مع عدم فقه ولا سودد مع انتقام ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزارة ولما ولي أبو بكر رضي الله عنه خطب فقال أيها الناس انه لا احد أقوى عندي من المظلوم حتى آخذ له بحقه ولا اضعف من الظالم حتى آخذ الحق منه وقيل للاسكندر بم نلت ما نلت قال باستمالة الاعداء والاحسان الى الاصدقاء وقال بزرجمهر سوسوا أحرار الناس بمحض المودة والعامة بالرغبة والرهبة والسفلة بالمخافة وقال الموبذان السياسة التي بها صلاح الملك الرفق بالرعية وأخذ الحق منهم في غير مشقة وسد الفروج وأمن السبل وان ينصف المظلوم من الظالم ولا يحمل القوي على الضعيف وقالوا الوالي من الرعية كالروح من الجسد لا حياة له الا به وبعد الوالي من اصلاح الرعية مع افساد نفسه كبعد الجسد مع البقاء بعد ذهاب الرأس والسلطان خليق ان يعود نفسه الصبر على من خالف رأيه من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم ولا ينبغي ان يحسد الا على حسن التدبير ولا ان يكذب لان أحدا لا يقدر على استكراهه ولا ان يغضب لان الغضب والقدرة لقاح الشر والندامة ولا ان يبخل لانه أقل الناس خوفا من الفقر ولا ان يحقد لان قدره جل عن المجازاة ولا ينبغي للوالي ان يستعمل سيفه فيما يكتفي فيه بالسوط ولا سوطه فيما يكتفي فيه بالحبس ولا حبسه فيما يكتفي فيه بالجفاء والوعيد وقال معاوية اني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا سوطي حيث يكفيني لساني ولو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا مدوها خليتها واذا خلوها مددتها ونحو هذا قول الشعبي كان معاوية كالجمل الطب والجمل الطب هو الحاذق بالشئ لا يضع يده الا حيث تبصر عينه وينبغي له ان يعلم رعيته انه لا يصاب خيره الا بالمعونة له على الخير ولا ينبغي له ان يدع تفقد لطيف أمور الرعية اتكالا على نظره في

في مناجاته الهي أرني هذلك وانصافك فقال له تعالى يا موسى أنت رجل جلد جريء لا تقدر أن تصبر فقال اقدر على الصبر بتوفيقك فقال اقصد العين الفلانية واختف بازائها وانظر الى قدرتي وعلمي بالغيوب فمضى موسى وصعد الى تل بازاء تلك العين وقعد مختفيا فوصل الى العين فارس ونزل عن فرسه وتوضأ من العين وشرب من مائها وحل من وسطه هميانا فيه ألف دينار ووضعه الى جانبه وصلى ركعتين ثم ركب ونسي الهميان في موضعه وسار فجاء بعده صبي صغير فشرب من الماء وأخذ الهميان ومضى فجاء بعد الصبي شيخ أعمى فشرب من الماء وتوضأ ووقف في الصلاة فذكر الفارس الهميان فعاد من طريقه الى العين فوجد الشيخ الاعمى فلزمه وقال اني نسيت هميانا فيه ألف دينار في هذا الموضع في هذه الساعة وما جاء احد الى هذا المكان سواك فقال انا رجل أعمى كيف أبصر هميانك فغضب الفارس من ذلك وجرد سيفه وضرب به الاعمى فقتله وفتشه عن الهميان فلم يجده فتركه ومضى فقال موسى عليه السلام الهي نفد صبري وأنت عادل فعرفني كيف هذه الاحوال فهبط جبريل عليه السلام وقال الباري جلت قدرته يقول لك أنا عالم الاسرار اعلم ما لا تعلم أما الصغير الذي أخذ الهميان فانه أخذ حقه وملكه وكان

جسيمها فان اللطيف موقعا ينتفع به وقد آتى الله ملك الدنيا سليمان بن داود عليهما السلام ثم تفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد لان التهاون باليسير أساس الوقوع فى الكبير وقد قال الشاعر

لا تحقرن شبيبا ٭ كم جر شرا شبيب

وقالوا أصل الاشياء كلها شئ واحد ولا تدع مباشرة جسيم أمره فلكل جسيم موضع ان غفل عنه تفاقم ولا يلزم نفسه مباشرة الصغير أبدا فيضيع الكبير وقال زياد لحاجبه وليتك حجابتى وعزلتك عن أربع المؤذن للصلاة وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد سخنه فسد وصارخ الليل لشر دهاه وصاحب البريد فالتهاون بالبريد ساعة يخرب عمل سنة وكان أبو العباس السفاح يقول لاعمان اللين حتى لا ينتفع الا بالشدة ولا كثرن من الخاصة ما أمنتهم على العامة ولاغمدن سيفى حتى يسله الحق ولاعطين حتى لا أرى للعطية موضعا وقال أردشير لما كمل ملكه وأباد أعداءه انه لم يحكم حاكم على العقول كالصبر ولم يحكمها محكم كالتجربة وليس شئ أجمع للعقل من خوف وحاجة يتأمل بهما صفات حاله وكان عمر يقول ان هذا الامر لا يصلح له الا اللين فى غير ضعف والقوة فى غير عنف وقال الاصمعى قال لى الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الاخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها تكون لاغراضها الفقا ولمقاصدها وفقا تشرح المستبهم وتوضح المستعجم قلت نعم يا أمير المؤمنين دخل أكثم بن صيفى حكيم العرب على بعض ملوكها فقال له انى سائلك عن أشياء لا تزال بصدرى مختلجة وما تزال الشكوك عليها والجة فانبئنى بما عندك فيها فقال ابيت اللعن سألت خبيرا واستنبأت بصيرا والجواب يشفعه الصواب فسل عما بدا لك قال ما السودد قال اصطناع المعروف عند العشيرة واحتمال الجريرة قال فما الشرف قال كف الاذى وبذل الندى قال فما المجد قال حمل المغارم وابتناء المكارم قال فما الكرم قال صدق الاخاء فى الشدة قال فما العز قال شدة العضد وكثرة العدد قال فما السماحة قال بذل النائل وحب السائل قال فما الغنى قال الرضا بما يكفى وقلة التمنى قال فما الرأى قال لب تعينه تجربة قال له الملك أوريت زناد بصيرتى واذكيت نار حيرتى فاحتكم قال لكل كلمة هجمة قال هى لك قال الاصمعى فقال لى الرشيد ولك بكل كلمة بدرة فانصرفت بثمانين ألفا وكان قس بن ساعدة يفد على قيصر فيكرمه فقال له يوما ما أفضل العقل قال معرفة الرجل بنفسه قال ما افضل العلم قال وقوف الرجل عند علمه قال فما افضل المروءة قال استبقاء الرجل ماء وجهه قال فما أفضل المال قال ما قضى به الحقوق

٭(الباب الموفى عشرين فى الخصال التى هى أركان السلطان)٭

قال أبو جعفر المنصور ما كان أحوجنى ان يكون على بابى أربعة لا يكون على بابى اعف منهم قيل من هم يا أمير المؤمنين قال هم أركان الملك لا يصلح الملك الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا بأربع قوائم فان نقص قائمة واحدة عابه ذلك احدهم قاض لا تأخذه فى الله لومة لائم والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية فانى غنى عن ظلمهم ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات يقول فى كل مرة آه آه قال من هو يا أمير المؤمنين قال صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يصلح الوالى الا بأربع خصال ان نقصت واحدة لم يصلح له أمر ولا نهى قوة على جمع المال من أبواب حله ووضعه فى حقه وشدة لا جبروت فيها ولين لا وهن فيه

٭(الباب الحادى والعشرون فى بيان حاجة السلطان الى العلم)٭

قال ابن المقفع اذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك فان زوال الكرامة بزوالهما ولكن يعجبك ان أكرموك لادب أو علم أو دين ٭ اعلم ارشدك الله ان أكثر الناس حاجة الى النفقة أكثرهم عيالا واتباعا وحشما وأصحابا والخلق مستمدون من السلطان ماله من الخلائق السنية والطرائق العلية

مفتقرون

أبو هذا الصبى أجيرا لذلك الفارس واجتمع له عليه بقدر ما فى ذلك الهميان فالآن وصل الصبى الى حقه وأما ذلك الشيخ الاعمى فانه قبل ان يعمى قتل أبا ذلك الفارس فقد اقتص منه ووصل كل ذى حق الى أهله وعدلنا وانصافنا دقيق كما ترى فلما علم موسى ذلك تحير واستغفر وهذه الحكاية أوردناها ليعلم العقلاء ويتصور الالباء ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ وانه ينصف المظلوم فى الدنيا ونحن غافلون اذا جاءنا بلاء لا نعلم من أين جاء سئل ذو القرنين أى شئ من مملكتك أنت أكثر به سرورا فقال بشيئين أحدهما العدل والانصاف والثانى ان أكافئ من أحسن الى باكثر من احسانه وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الاحسان فى كل شئ حتى انه يحب انسانا اذا ذبح شاة ان يهيئ لها المدية ليعجل خلاصها من ألم الذبح وقال ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يخلق الله فى الارض شيأ أفضل من العدل والعدل ميزان الله فى الارض من تعلق به أوصله الى الجنة وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمحسنين فى الجنة منازل حتى المحسن الى أهله وأتباعه وقال قتادة فى تفسير هذه الآية ألا تطغوا فى الميزان

مفتقرون اليه في الاحكام وقطع التشاجر وفصل الخصام فهو أحوج خلق الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم وشخص بلا علم كبلد بلا اهل وأفضل ما في السلطان خصوصا وفي الناس عموما محبة العلم والتحلي به والشوق الى استماعه والتعظيم لحملته فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعده من البهيمة ومضاهاته للعالم العلوي وهو من آكد ما يتحبب به الى الرعية واذا كان الملك خاليا من العلوم ركب هواه واضر برعيته كالدابة بلا رسن تمر في غير طريق وقد تتلف ما تمر به ✽ واعلم أن زهر الفضائل وحسن المناقب وبهاء المحاسن وما ضاد ذلك من قبح المثالب وفحش الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوتيته من علو المنزلة وشرف الحظوة فيكون حسنك أحسن كما يكون قبحك أقبح وليس أحد من اهل الدرجات السنية والمراتب العلية أحوج الى مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب العلوم والحكم ومطالعة دواوين العلماء ومجامع الفقهاء وسير الحكماء من السلطان وانما كان كذلك من وجهين ✽ أحدهما انه قد نصب نفسه لممارسة اخلاق الناس وفصل خصوماتهم وتعاطي حكوماتهم وكل ذلك يحتاج الى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة بالعلم قوية ودراسة طويلة فكيف يكون حاله لو لم يعد لهذه الامور عدتها ولم يقدم لها اهبتها والثاني ان من سواه من الناس لا يعدمون من ينكر عليهم ويعارضهم ويذكر لهم مساويهم ويخالفهم في مذاهبهم فيكون ذلك مما يعينهم على رياضة أنفسهم وتعلمهم مراشدهم ومناظرة الاكفاء ومعاشرة النظراء تلقح العقول وتهذيب النفوس وتدريب المأخذ الاحكام بخلاف السلطان فان ارتفاع درجته يقطع عنه جميع ذلك اذ لا يلقاه ولا يجالسه الا معظم لقدره مبجل لشأنه وساتر لمساويه ومادح له بما ليس فيه وانما جوابه لهم صدق الامير وعلى قدر المرتبة يكون علو السقطة كما ان على قدر ارتفاع الحائط يكون صوت الوجبة

✽(فصـــل)✽ يا أيها الملك ليس احد فوق ان يؤمر بتقوى الله ولا احد دون ان يؤمر بتقوى الله ولا احد اجل قدرا من ان يقبل امر الله ولا ارفع خطرا من أن يتعلم حكم الله ولا اعلى شأنا من ان يتصف بصفات الله ومن صفات الله العلم الذي وصف به سبحانه نفسه وتمدح بسعته فقال تعالى وسع كرسيه السموات والارض والكرسي هو العلم والكراسي هم العلماء واذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك وذوي الاخطار والاقدار والاشراف والشيوخ فيه اولى لان الخطأ فيهم أقبح والابتداء بالفضيلة فضيلة (حكي) ان ابراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال يا عم ما عندك فيما يقول هؤلاء فقال يا امير المؤمنين شغلونا في الصغر واشتغلنا في الكبر فقال المأمون لم لا تتعلم اليوم فقال او يحسن بمثلي طلب العلم فقال نعم والله لان تموت طالبا للعلم خير من ان تعيش قانعا بالجهل قال والى متى يحسن العلم قال ما حسنت بك الحياة ✽ وروي ان بعض الحكماء رأى شخصا يطلب العلم ويحب النظر فيه ويستحيي فقال يا هذا أتستحيي ان تكون في آخر عمرك افضل مما كنت في اوله ولان الصغير اعذر وان لم يكن في الجهل عذر ✽ وفي منثور الحكم جهل الشباب معذور وعلمه محقور فاما الكبير فالجهل به اقبح ونقصه عليه أفضح لان علو السن اذا لم يكسبه فضلا ولم يفده علما كان الصغير أفضل منه لان الامل فيه اقوى وحسبك نقيصة في رجل يكون الصغير المساوي له في الجهل افضل منه وكما ذكرنا من حاجة الشيخ الى العلم فحاجة السلطان اليه أكثر ودواعيه الى اكتسابه أشد لان من عداه انما يخص نفسه الواحدة فيقرب عليه تحصيل ما يقومها به والملك منتصب لسياسة اهل مملكته وتعليمهم وتقويم اودهم فهو الى العلم أحوج قال الشاعر

اذا لم يكن مر السنين مترجما ✽ عن الفضل في الانسان سميته طفلا
وما تنفع الاعوام حين تعدها ✽ ولم تستفد فيهن علما ولا عقلا

قال أو أحبه العدل فقال يا ابن آدم اعدل كما تحب ان يعدل الله فيك وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لما أهبط آدم الى الارض أوحى اليه أربع كلمات وقال يا آدم عملك وعلم جميع ذريتك على هذه الكلمات الاربع وهي كلمة لي وكلمة لك وكلمة بيني وبينك وكلمة بينك وبين الناس اما الكلمة التي هي لي فهي ان تعبدني ولا تشرك بي وأما الكلمة التي هي لك فاني أجازيك بعملك وأما الكلمة التي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الاجابة وأما الكلمة التي بينك وبين الناس فهي ان تعدل فيهم وتنصف بينهم قال قتادة الظلم ثلاثة أضرب ظلم لا يغفر لصاحبه وظلم لا يدوم وظلم يغفر لصاحبه فاما الظلم الذي لا يغفر لصاحبه فهو الشرك بالله تعالى لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وأما الظلم الذي لا يدوم فانه ظلم العباد بعضهم لبعض وأما الظلم الذي يغفر لصاحبه فهو ظلم العبد لنفسه بارتكاب المعاصي ثم يرجع الى ربه ويتوب فان الله يغفر له برحمته ويدخله الجنة بفضله ومنته الدين والملك توأمان فينبغي أن يكون الملك دينا محبا للدين لان الدين والملك مثل أخوين ولدا في بطن واحد فيجب ان يهتم الملك بامر الدين ويؤدي الفرائض في أوقاتها ويجتنب الهوى والبدعة

أرى الدهر من سوء التصرف مائلا ✽ الى كل ذى جهل كان به جهلا

وقال بعض الحكماء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤكده عقل مضلة وكيف يستنكف ملك أو ذو منزلة علية عن طلب العلم وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام الى مجمع البحرين فى اقصى المغرب على بحر الظلمات الى لقاء الخضر ليتعلم منه فلما ظفر به قال هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا هذا وهو نبي الله وكليمه وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته من جميع خلقه قد أوصاه ربه وعلمه كيف يستنزل ما فى خزائنه فقال وقل رب زدنى علما فلو كان فى خزائنه اشرف من العلم لنبهه عليه وهذا آدم عليه السلام لما فخرت الملائكة بتسبيحها وتقديسها لربها فخر آدم بالعلم فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلما عجزوا أمرهم بالسجود له وأخلق بخصلة تستدعى السجود لحاملها ان يتنافس فيها كل ذى لب وهذا فصل الخطاب لمن تدبره ولا تنصبن لك عذرا بما روى فى بعض الاخبار مثل الذى يتعلم العلم فى الصغر كالوشم على الصخر والذى يتعلم فى الكبر كالنقش على الماء فقد سمع الاحنف رجلا يقول التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر فقال الكبير اكبر عقلا ولكنه اشغل قلبا ففحص عن المعنى ونبه عن العلة ✽ وقد كان اصحاب النبي عليه السلام يسلمون شيوخا وكهولا واحداثا وكانوا يتعلمون العلم والقرآن والسنن وهم بحور العلم وأطواد الحكم والفقه غير ان العلم فى الصغر ارسخ اصولا وابسق فروعا وليس اذا لم يحزه يفوته كله ✽ قال رجل لابى هريرة رضى الله عنه انى اريد ان اتعلم العلم وأخاف ان اضيعه فقال أبو هريرة كفى بتركك له تضييعا وبعض الخير خير من كل الشر وانما مثل الجاهل تحت غب الجهل مثل الحمال تحت حمل ثقيل فانه كلما اعيا انقصه قليلا قليلا يوشك ان ينقصه كله فيستريح منه وان هو لم يطرح القليل حتى يطرح الكثير فما أوشكه ان يصرعه حمله وكذلك الجاهل اذا تعلم قليلا قليلا يوشك ان يأتى على بقيته وان لم يتعلم فى الكبر لما فاته فى الصغر فأوشك به ان يموت تحت غب الجهل

✽(الباب الثانى والعشرون فى وصية امير المؤمنين على بن أبى طالب)✽

رضى الله عنه لكميل بن زياد فى العلم وأهله قال كميل بن زياد النخعى خرجت مع على بن أبى طالب رضى الله عنه الى الجبانة فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل بن زياد ان القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير احفظ عنى ما أقول لك الناس ثلاثة فعالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا منه الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال تنقصه النفقة والعلم حاكم والمال محكوم عليه ومحبة العالم دين يدان الله به يكسبه الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته مات خزان الاموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدهر أشخاصهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة ها ان ههنا وأشار بيده الى صدره لعلما جما لو أصبت له حملة بلى قد أصبت له لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا فيستظهر بحجج الله تعالى على كتابه أو كما قال وبنعمته على عباده أو منقادا لاهل الحق لا بصيرة له فى أحنائه ينقدح الشك فى قلبه باول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك أو منهوما باللذات سريع الانقياد للشهوات أم آخر شأنه جمع المال والادخار ليسا من رعاة الدين أقرب شبها بهما الانعام السائمة اللهم فكذلك يموت العلم بموت حامليه ولكن لن تخلو الارض من قائم لله سبحانه بحجة لئلا تبطل حجج الله وبيناته ومن أولئك وأين أولئك أولئك الاقلون عددا الاكثرون عند الله قدرا تخزن الحكمة فى قلوبهم حتى يزرعوها فى قلوب أشباههم ويودعوها فى صدور نظرائهم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوحشه المترفون واستأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأجساد أرواحها متعلقة بالمحل الاعلى أولئك خلفاء الله فى بلاده ودعاته الى دينه آه شوقا الى رؤيتهم

والمنكر والشبهة وكما يرجع بنقصان الشرع وان علم ان فى ولايته من يتهم فى دينه ومذهبه فيأمر باحضاره وتهديده وزجره ووعيده فان تاب وأناب والا اوقع به العقاب ونفاه عن ولايته ليطهر الولاية عن اغوائه وبدعته وتخلو من أهل الاهوية ويعز الاسلام ويستديم عمدة الثغور بانفاذ العساكر والحماة اليها ويجتهد فى اعزاز الخلق ويحتاط فى اعادة رونق السنة والنبوة والسيرة المرضية لتحمد عند الله تعالى طريقته وتعظم فى القلوب هيبته وتخاف سطوته أعداؤه ويعلو قدره ومنزلته وبهاؤه ويكبر فى عيون اضداده ويعظم عند أنداده ويجب ان تعلم ان صلاح الناس فى حسن سيرة الملك فينبغى للملك ان ينظر فى أمور رعيته ويقف على قليلها وكثيرها وعظيمها وحقيرها ولا يشارك رعيته فى الافعال المذمومة ويجب عليه احترام الصالحين وان يثبت على الفعل الجميل ويمنع من الفعل الردىء الوبيل ويعاقب على ارتكاب القبيح ولا يحابى من أصر على القبيح ليرغب الناس فى الخيرات ويحذروا من السيآت ومتى كان السلطان بلا سياسة وكان لا ينهى المفسد عن فساده ويتركه على مراده أفسد سائر اموره فى بلاده وقال الحكماء ان طباع الرعية نتيجة طباع الملك لان العوام

(الباب الثالث والعشرون في العقل والدهاء والخبث)

قد ذكرت في كتاب الاسرار حقيقة العقل وأقسامه ومحاله وأحكامه بما لا مزيد عليه ونذكر ههنا منافعه ومداركه ولباب ما تحرر من القول فيه انه الاستشهاد بالشاهد على الغائب فمن كان في طوقه ان يستدل بما شاهده على ما غاب عنه كان معه عقل ويسمى عاقلا عند الموحدين وبه يتوجه التكليف عليه وذلك أن من نظر الى قصر قد كمل بنيانه وحصنت أركانه وجعلت فيه من الآلات ما يكتفي به ساكنوه فأشرف عليه انسان فرأى بيوتا مقطوعة وأبوابا منصوبة وفرشا مفروشة وزرابي مبثوثة وموائد موضوعة وصحافا مصفوفة وأرائك منصوبة وحبالا ممدودة وطسوتا وأباريق وبيوت ماء وميازيب تصب الماء وتحتها بالاليع لغيض الماء الى سائر ما يستعده العقلاء للانتفاع ثم فكر هل هذا القصر بما حواه صنعة قادر صانع عالم حي أو اتفق لنفسه وتركب على صورته بلا صانع فيستقر في عقله بالضرورة استحالة وجوده من غير صانع وانه مفتقر الى صانع صنعه وهذا علم يهجم على العقول لا يفتقر الى نظر واستدلال وانما كثرت لك هذه الامثلة لان ما في الانسان من الاعضاء ولطيف الصنعة والعجائب أكثر مما في القصر باضعاف مضاعفة فاذا نظر الى ما في نفسه فرأى فيها من العجائب والتركيب ومنفعة كل عضو وتخصيصه اما بجلب نفع أو دفع ضر فامعن نظره في عضو واحد مثلا وهو فمه فيرى في أوله أسنانا تشبه الفاس تصلح للقطع وفي آخره طواحين مضرسة تصلح للطحن وشدقين كأنهما اقفال الرحى يمنعان ان يمرق الطعام الى خارج ولسانا يرد ما انقلب من الطعام اليه على الطواحين ثم يلي ذلك بلعوم لازدراده بعد الطحن علم بادنى تأمل ان هذه الخلقة ما انفعلت بنفسها اتفاقا بل هي مفتقرة الى قصد قاصد وجعل جاعل وعلى هذا النمط لو ذهبنا نذكر منفعة كل عضو لوقفت على العجب ولكن تركناه كراهية التطويل وعلى هذا المعنى نبه الكتاب المهيمن فقال تعالى وفي انفسكم أفلا تبصرون وبهذه العبرة تستقل العقول باثبات الصانع وتستغني عن النظر في الجواهر والاعراض فالعلم المفيد لاثبات الصانع في الشاهد مثل البناء والنجار والخياط واشباههم بعد النظر في صنائعهم على اضطرار والعلم المثبت للصانع سبحانه عند النظر في حدوث العالم علم استدلال اعتبارا للغائب بالشاهد اذ لا فرق في العقول بين صنعة وصنعة في اقتضاء صانع وانما كان العلم في الشاهد ضروريا لان الانسان لم يزل يرى البناء يبني والخياط يخيط والنجار ينجر الخشب ولم تر العقلاء القديم سبحانه يخلق ويخترع وانما استفادوه من النظر في الشاهد فان قيل فاي العلمين أقوى في النفوس وأثبت في العقول العلم بالصانع الناظر في السرير واقتضائه للنجار أم العلم بالاله عند النظر في السموات والارضين وما بينهما فالجواب ان هذا يستدعي تفصيلا وتدقيقا وليس هذا الكتاب موضوعا لذلك فحينئذ نعلم ان معه عقلا غريزيا ونسميه عاقلا ونوجه التكليف عليه وهو العقل التكليفي واذا ثبت هذا فاعلم أن الله تعالى خلق الخلق على أربعة انحاء ملائكة وآدميين وشياطين وبهائم فاما الملائكة فعقول بلا شهوات ولا هوى يقارنه وأما البهائم فشهوات بلا عقول وأما الشياطين والجن فركب الله فيها العقول والشهوات والهوى وهكذا ركب في بني آدم العقل والهوى والشهوة فغلبت شهوات الشياطين وهواهم عقولهم فقطعوا أوقاتهم بالاخلاق المذمومة بالكبر والعجب والمقت والفخر والدعوى والحسد والاذية وسائر الاخلاق المهلكة وأما البهائم فتقضت أوقاتها في شهوات البطن والفرج واما الآدميون فركب فيهم عقول الملائكة وأخلاق الشياطين وشهوات البهائم فمن غلب عقله هواه منهم فكأنه من عالم الملائكة كالانبياء والرسل والاولياء والاصفياء وقليل ما هم وأما من كان عقله مغلوبا بهواه وشهواته فان كان ذلك من المباحات من المطاعم والملابس والمراكب والنساء والخيل المسومة والانعام

انما يعملون ويركبون الفساد وتضيق أعينهم اقتداء منهم بملوكهم فانهم يتعلمون منهم ويلزمون طباعهم الاترى انه قد ذكر في التاريخ ان الوليد ابن عبد الملك من بني أمية كان مصروف الهمة الى العمارة والزراعة وكان سليمان بن عبد الملك همته في كثرة الاكل وتطييب الطعام وقضاء الاوطار وبلوغ الشهوات وكانت همة عبد العزيز في العبادة والزهادة قال محمد بن علي بن الفضيل ما كنت أعلم ان امور الرعية تجري على عادة ملوكها حتى رأيت الناس في أيام الوليد بن عبد الملك قد اشتغلوا بعمارة الكرم والبساتين واهتموا ببناء الدور وعمارة القصور ورأيتهم في زمان سليمان ابن عبد الملك قد اهتموا بكثرة الاكل وطيب الطعام حتى كان الرجل يسأل صاحبه أي لون اصطنعت وما الذي أكلت ورأيتهم في ايام عبد العزيز قد اشتغلوا بالعبادة وتفرغوا للتلاوة القرآن وأعمال الخيرات واعطاء الصدقات لتعلم ان في كل زمان تقتدي الرعية بالسلطان ويعملون باعماله ويقتدون بافعاله من القبيح والجميل واتباع الشهوات وادراك الارادات كما يقال

(حكاية)

ذكروا ان في زمن الملك العادل كسرى أنوشروان ابتاع رجل من رجل ارضا فوجد فيها

كنزاً فمضى سريعاً الى البائع وأخبره بذلك فقال انما بعتك أرضاً ولا أعلم ما فيها والكنز الذي وجدته فهو لك ومبارك عليك

والحرث فأكل وتمتع بعد ان كسبه من حله فهذا من عالم البهائم وانما ألحقناه بعالم البهائم لانه لا تكليف على البهائم وكذلك هذه المباحات لا حرج في الاستمتاع بها بعد ان يكون كسبه من حله وان كان الغالب عليه أخلاق الشياطين من الكبر والعجب والحسد والغش الى سائر الاخلاق المذمومة فهذا من عالم الشياطين وان اجتمع في الشخص افراط الشهوات واتباع الهوى والاخلاق المذمومة فيكون آدميا في صورته شيطانا في خلائقه بهيمة في شهواته فلا يصلح للصحبة وان ثبت هذا فاعلم ان هذا العقل الغريزي أطول رقدة من العين وأحوج الى الشحذ من السيف

(فصل) فاما العقل المكتسب وهو نتيجة العقل الغريزي فهو نهاية المعرفة واصابة الفكرة وليس له حد ينتهي اليه لانه ينمو اذا استعمل وينقص ان أهمل ونماؤه يكون بأحد وجهين اما ان يقارنه من مبدأ النشوء ذكاء وحسن فطنة كالذي قال الاصمعي قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحدثني وأمتعني الله بفصاحته وملاحته أيسرك ان يكون لك مائة ألف درهم وانك أحمق قال لا والله قلت ولم قال أخاف ان يجني على حمقي جناية تذهب بمالي ويبقى على حمقي فاستخرج هذا الصبي بفرط ذكائه ما يدق على من هو أكبر منه سنا وقيل لبعض الصبيان ألك أب قال فكأني عيسى بن مريم وقد قالت الحكماء آية العقل سرعة الفهم وغايته اصابة الوهم وليس للذكاء غاية ولا لجودة القريحة نهاية الا ترى ان اياس بن معاوية الذي يضرب المثل بذكائه قال لابيه وهو طفل وكان أبوه يؤثر أخاه عليه يا أبت تعلم ما مثلي ومثل أخي معك أنا كفرخ الحمام أقبح ما يكون أصغر ما يكون وكلما كبر ازداد ملاحة وحسنا فتبنى له العلالي وتتخذ له المربعات ويقتنيه الملوك ومثل أخي مثل الجحش أملح ما يكون أصغر ما يكون وكلما كبر تقبح وصار الى القهقرى انما يصلح لحمل الزبل والتراب والوجه الثاني ما يصلح لذوي الحنكة وصحة الروية لطول ممارسة الامور وكثرة التجارب ومرور الغير على اسماعهم وتقلب الايام وتصرف الحوادث وتناسخ الدول قد مرت على عيونهم وجوه الغير وتصدت لاسماعهم أنواع الاخبار وآثار العبر قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأدبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل ولذلك حمدت آراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الايام حنكة وتجربة وقد قال الشاعر

ألم تر ان العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر

اذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الايام في كرها عقلا

غير ان للعقل آفات كما قال بعض الحكماء كيف يرجو العاقل النجاة والهوى والشهوة قد اكتنفاه والهوى أبعد من أن ينفذ فيه حيلة الحازم المحتال وهو أغمض مسلكا في الجنان من الروح في الجثمان وأملك بالنفس من النفس والمالك للشئ ولهذا قيل كم من عقل أسير عند هوى أمير فمن أحب أن يكون حرا فلا يهوى والا صار عبدا كما قال علي بن الجهم

أتنفس حرة ونحن عبيد * ان رق الهوى لرق شديد

واختلف الناس في العقل المكتسب اذا تناهى وزاد في الانسان هل يكون فضيلة أم لا فقال معظم العقلاء انه فضيلة اذا كان مجموع آحاد والآحاد فضائل ولا شك ان كثرة الفضائل فضيلة اما الشئ المحدود فتكون الزيادة فيه نقصانا من المحدود كالتهور في الشجاعة والتبذير في الكرم فاما الزيادة في العقل المكتسب فزيادة علم بالامور وحسن اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن بما قد كان وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل الناس اعقل الناس وقال عليه السلام العقل حيث كان الف مألوف

فقال لا اريده ولا اطمع في أموال الناس فترافعا بهذه الدعوى الى الملك العادل ففرح انوشروان بذلك وقال هل لكما أولاد فقال احدهما لي ابن وقال الآخر لي بنت فقال انوشروان أحب أن يكون بينكما قرابة وصلة وان تزوجا الابن بالبنت وتنفقا هذا الكنز في جهازهما ليكون الكنز لكما ولولديكما ففعلا ما أمرهما وتراضيا بما رسم لهما الملك ولو كان الرجلان في زمن سلطان جائر لقال كل واحد منهما الكنز لي ولكنهما لما علما ان مليكهما عادل طلبا الحق وآثرا الصدق وقالت الحكماء الملك كالسوق وكل واحد يجلب الى السوق ما يعلم انه نافق فيه غير كاسد وما يعلم انه كاسد لا يجلبه الى السوق والرجلان اللذان وجدا الكنز وترافعا الى السلطان علما ان الزهد والعدل والصدق يعز عند ذلك السلطان وان الحق له عنده نفاق فلذلك جلباه اليه ومرضاه عليه اما الآن في هذا الزمان فكلما يجري على ايدي امرائنا والسنة ولاتنا هو جزاؤنا واستحقاقنا فكما انا ردئ الاجمال قبيح الافعال ذو خيانة وقلة امانة فامراؤنا ظالمة جائرون وفقهاؤنا متعدون كما تكونوا

وقال

وقال القاسم بن محمد من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه فى اغلب الخصال عليه ولما مات بعض الخلفاء حشدت الروم واجتمعت ملوكها وقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وضربوا فى ذلك مشاورات وتراجعوا فيه بالمناظرات واجمعوا على انه فرصة الدهر ونغرة النحر وكان رجل منهم من ذوى الرأى والمعرفة غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأى عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال غدا اخبركم ان شاء الله فلما أصبحوا اغدوا عليه وقالوا القد وعدتنا قال نعم فأمر باحضار كلبين عظيمين قد أعدهما ثم حرش بينهما وألب كل واحد على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل منه على الكلبين ذئبا عنده قد أعده فلما أبصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فنالا منه ما أحبا ثم أقبل الرجل على أهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج والقتال بينهم ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر لهم عدو من غيرهم تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو فاستحسنوا قوله وتفرقوا عن رأيهم واما المذموم فى هذا الباب فصرف العقل الى الدهاء والمكر قال الشعبى ودهاة العرب ستة معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أمية وقيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل بن ورقاء وقال الاصمعى كان معاوية يقول أنا للاناة وعمرو للبديهة وزياد للصغار والكبار والمغيرة للامر العظيم قال قبيصة بن جابر ما رأيت اعطى لجزيل مال بغير سلطان من طلحة بن عبيد الله ولا رأيت أثقل حلما ولا أطول اناة من معاوية ولا رأيت اغلب للرجال ولا أبدأ هم حين يجتمعون من عمرو بن العاص ولا أشبه سرا بعلانية من زياد ولو ان المغيرة كان فى مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها الا بالمكر لخرج من أبوابها كلها (وقال) ابو الدرداء قال النبى عليه السلام يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قربا قلت بابى وأمى ومن لى بالعقل قال اجتنب محارم الله وأد فرائض الله تكن عاقلا ثم تنفل صالح الاعمال تزدد فى الدنيا عقلا وتزدد من ربك قربا وعليه عزا (ويروى) لعلى ابن أبى طالب رضى الله عنه شعر

ان المكارم أخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم انى لا أصدقها * ولست أرشد الا حين أعصيها
والعين تعلم فى عينى محدثها * ان كان من حزبها او من اعاديها

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله فى ارشاد ومن رأيه فى امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله فى اغواء فقوله سقيم وفعله ذميم فاما من صرف فضل عقله الى الدهاء والمكر والشكر والحيل والخديعة كالحجاج وزياد واشباههما فمذموم وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لست بالخب والخب لا يخدعنى وقال المغيرة كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أفضل من ان يخدع وأعقل من أن يخدع والموصوف بالدهاء والمكر مذموم وصاحبه محذور تخاف غوائله وتحذر عواقب حبائله وقد امر عمر بن الخطاب رضى الله عنه اباموسى الاشعرى ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زياد أعن موجدة أو خيانة يا أمير المؤمنين قال لا عن واحدة منهما ولكن كرهت ان احمل الناس على فضل عقلك وكتب زياد الى معاوية رضى الله عنه ان العراق فى شمالى ويمينى فارغة فولنى الحجاز اكفك اهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم اكفه فطعن فى اصبعه بعد أيام فمات فنحن وان كنا نرغب عن الدهاء والمكر فانا نرغب فى الحيلة ونرضى بها والاتساع فى الحيلة مما تواصى به العقلاء قديما وحديثا وليس شئ

يولى عليكم فقد صح بهذا الحديث ان أفعال الخلق عائدة الى أفعال الملوك الاترى انه اذا وصف بلد من البلاد بالعمارة وان أهله فى امان وراحة ودعة وغبطة فان ذلك دليل على عقل الملك وحسن نيته مع رعيته وانه ليس ذلك من الرعية فقد صح ماقاله الحكماء ان الناس بملوكهم أشبه منهم بزمانهم وقد جاء أيضا فى الخبر الناس على دين ملوكهم وكان من سياسة انوشروان بحيث لو ان رجلا أتى فى مكان حملا من ذهب وبقى مهما بقى فى موضعه لم يقدر احد على ازالته من مكانه الا صاحبه وكان لوبان وزير انوشروان فقال له يوما لا تكن موافقا للاشرار فتخرب ولايتك وتقتصر رعيتك فتصير حينئذ مالك الخراب وسلطان الفقراء ويقبح اسمك فى الدنيا فكتب انوشروان الى عماله ان خبرت أنه قد بقى فى مملكتى أرض خراب سوى أرض سبخة لا تقبل الزرع صلبت عامل تلك الولاية وخراب الارض من شيئين احدهما عجز السلطان والثانى جوره وكان الملوك فى ذلك الزمان يتفاخرون بالعمارة ويتحاسدون على اجتماع الرعية

(حكاية)

بعث ملك هندوستان رسولا الى أنوشروان وقال أنا أولى بالملك منك فانفذ لى خراجا ولا بلدك فأمر أنوشروان بانزال الرسول ثم جمع

من امور الدنيا الطالب الرفعة وباغي الوسيلة ومرتاد أي أمر كان دق او جل خير من الحيلة وأضعف
الحيلة أنفع من كثرة الشدة وقالت الحكماء ملاك العقل الحيلة والتأني للسبب الضعيف والقوي من
الامور (وروى) ان رجلا وقف لكسرى فقال أنا أصنع ما تعجز الخلائق عنه قال ما هو قال يشد برجلي
حبل طرفه برقبة الفيل وبرجلي الاخرى كذلك ويشد طرفه برقبة الفيل ثم يساق الفيل بالضرب والزجر
فلا أتزحزح ثم طلب ان يفعل ذلك باربع من الفيلة فرت بحدتها فقسمه وشطرين فقال كسرى من لم يكن
أكبر ما فيه عقله هلك بأكبر ما فيه فنظمه بعض الشعراء فقال

من لم يكن أكبره عقله * أهلكه أكبر ما فيه

(وسمعت) استاذنا أبا الوليد يحكي ان رجلا استأذن على هرون الرشيد وقال اني أصنع ما تعجز الخلائق
عنه قال الرشيد هات فاخرج انبوبة قصب فيها ابر عدة ثم وضع واحدة في الارض وقام على قدميه وجعل
يرمي ابرة ابرة من قامته فتقع كل ابرة في عين الابرة الموضوعة حتى فرغ دسته فامر الرشيد بضربه مائة
سوط ثم أمر له بمائة دينار فسئل عن جمعه بين الكرامة والهوان فقال وصلته لجودة ذكائه وادبته كي
لا يصرف فرط ذكائه في الفضول ومن زعم أن العقل المكتسب اذا تناهى لا يكون فضيلة قال لان
الفضائل هيئات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيلة كالكرم الذي
هو متوسط بين البخل والتبذير والشجاعة وسط بين التهور والجبن (وقالت الحكماء للاسكندر) أيها
الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز (وفي الحديث) أن النبي عليه
السلام قال خير الامور أوساطها (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه خير الامور الاوسط اليه يرجع
العالي ومنه يلحق التالي قالوا ولان زيادة العقل تفضي بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك مذموم (قلنا)
هذا كله باطل بما قدمناه لنصرة القول الاول وهو منقوض بالعقل الغريزي وبالعلوم وبسائر الفضائل
وأما قولهم انه يفضي بصاحبه الى الدهاء والمكر قلنا الدهاء والمكر كسب معان أخر غير العقل ليست من
لوازم العقل فان شاء تداهى ومكر وان شاء كف عما يقول في كل شر يكتسبه العاقل باختياره وليس عقله
أوقعه فيه بل انما اوقعه فيه قلة عقله * وكان بزرجمهر لما فرغ من كتاب أمثاله ونسق كل باب على
حياله يقول ليس العجب ممن حفظ هذه الامثال فصار عالما انما العجب ممن حفظها ولم يصر عالما وأنا
اقول ليس العجب ممن قرأ كتابي هذا وصار مهذبا كاملا انما العجب ممن قرأه ولم يصر مهذبا كاملا

* (الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم) *

قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من اهلي فلو كان السلطان يستغني عن الوزراء
لكان احق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران ثم ذكر حكمة الوزراء فقال اشدد به أزري وأشركه في
أمري دلت الآية على ان موضع الوزارة أن تشد قواعد المملكة وأن يفضي اليه السلطان بعجره
وبجره اذا استكملت فيه الخلال المحمودة ثم قال كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا دلت هذه الكلمة
على ان بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا وأمور الآخرة وكما أن أشجع
الناس يحتاج الى السلاح وأفره الخيل الى السوط واحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج اجل الملوك
واعظمهم واعلمهم الى الوزير (وروى ابو سعيد الخدري) قال ما بعث الله نبيا ولا استخلف خليفة
الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من
عصمه الله تعالى وانما اشتقت الوزارة من الوزر وهو الثقل يريد أنه يحمل من امر المملكة واعبائها وأثقالها
مثل الاوزار * اسعد الملوك من له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه * وقال وهب بن منبه قال
موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاوره في ذلك فقال

في اليوم الثاني ارباب دولته واعيان مملكته واذن للرسول في الدخول عليه فلما دخل عليه ومثل بين يديه قال له اسمع
جواب رسالتك ثم
أمر انوشروان باحضار
صندوق ففتحه واخرج
منه صندوقا صغيرا واخرج
منه قبضة من كبر وسلمها
الى الرسول وقال هل في
ولايتك شيء من هذا قال
نعم هذا عندنا كثير فقال
له انوشروان ارجع وقل
للملك الهندي يجب عليك
ان تعمر ولايتك فانها
خراب ثم تطمع في ولاية
عامرة فانك لو طفت جميع
أطراف ولايتي وطلبت
اصلا واحدا من كبر لم
تجده ولو سمعت ان في
موضع من ولايتي اصلا
واحدا من كبر اصلبت
عامل تلك الولاية فيجب
على الملك ان يسلك طريق
الملوك الذين تقدموا
ويعمل على سننهم في
الخير ويقرأ كتب
مواعظهم ووصاياهم
لانهم كانوا اطول أعمارا
واكثر تجاربا واعتبارا
وانهم فرقوا بين الجيد
والردي وعرفوا الجلي
والخفي وكان انوشروان
مع حسن سيرته يقرأ
كتب المتقدمين ويطلب
استماع حكاياتهم ويمضي
على منهاجهم وسننهم
وملوك هذا الزمان اجدر
أن يفعلوا ذلك

* (حكاية) *

سأل انوشروان العادل يوما وزيره يونان وقال اريد تخبر في بسيرة الملوك المتقدمين فقال له يونان

بينما

تريد أن امدحهم بثلاثة أشياء أم بشيئين أو بشيء واحد فقال امدحهم بثلاثة أشياء فقال يونان ما وجدت لهم في شغل من الاشغال

بنعما انت له تعبد اذ صرت تعبد فانف واستكبر وكان من امره ما كان * وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن ابي مسلم لا يالوه خبالا وبئس القرين لشر خدين واشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة الوزير عون على الامور وشريك في التدبير وظهير على السياسة ومفزع عند النازلة الوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه * وفي الامثال نعم الظهير الوزير (واعلم) ان اول ما يستفيد الملك من الوزراء امران علم ما كان يجهله ويقوى عنده علم ما كان يعلمه فيزول شكه واول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في استنجاب الوزراء واستنقاد الجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال تدل على كماله وبها يجمل في الخلائق ذكره ويجل في العقول قدره وترسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه * وكان يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم * وفي كتاب كليلة ودمنة لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان ولا الاعوان الا بالمودة والنصيحة والمودة والنصيحة الا بالسر والعفاف وأعظم الاشياء ضررا على الناس عامة وعلى الولاة خاصة أن يحرموا صالح الوزراء والاعوان فتكون اعوانهم غير ذي جدوى وغناء ويحذر الملك أن يولي الوزارة غير المتحرين كي لا تضيع الامور كما يحذران يتطبب بغير طبيب بصير مأمون (قال شريح بن عبيد) لم يكن في بني اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب له ثلاث صحائف في كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله صحيفة حتى يسكن غضبه (وقال اردشير) يحق على الملك أن الطف ما يكون نظرا أعظم ما يكون خطرا ولا يذهب حسن اثره في الرعية خوفه لها ولا يستغني بتدبير اليوم عن تدبير غد وان يكون حذره للاقين اكثر من حذره للمتباعدين وان يتقي بطانة السوء أشد من اتقائه العامة ولا يطمعن في اصلاح العامة الا بالخاصة (وقال اردشير) لكل ملك بطانة حتى يجمع بذلك جميع المملكة فاذا اقام الملك بطانة على حال الصواب أقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية * ومثال الملك الخير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا وكان الى الماء محتاجا ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء فان كذب السفير بطل التدبير وكان السفير اذا اراد ان يقتل احدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن هنا شرطنا ان يكون الوزير صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في الخلافة بصيرا بأمور الرعية وتكون بطانة الوزير من اهل الامانة والبصيرة ويحذر الملك ان يولي الوزارة لئيما فاللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل * ولما اراد سليمان بن عبد الملك ان يستكتب كاتب الحجاج يزيد بن ابي مسلم قال له عمر بن عبد العزيز أسألك بالله يا امير المؤمنين ان لا تحيي ذكر الحجاج باستكتابك اياه فقال يا ابا حفص اني لم أجد عنده خيانة دينار ولا درهم قال عمر أنا اوجدك من هو اعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابليس ما مس دينارا ولا درهما وقد اهلك هذا الخلق (ودخل) رجل له عقل وأدب على بعض الخلفاء فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقربه فقال

يا ملك طاعته في الورى * وحبه مفترض واجب

ان الذي شرفت من اجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذمي فاسئله يا امير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجد بدا من ان يقول هو صادق فاعترف بالاسلام * لا يعرف وزير الملك ماله وما عليه حتى يراعي من صاحبه الواثق به ما يراعيه العاشق الغيور من

ولا في عمل من الاعمال قط كذبا ولا رأيت لهم بشيء جهلا ولا رأيت لهم في حال من الاحوال غضبا فقال امدحهم بالشيئين فقال كانوا يسارعون في أعمال الخير وكانوا أبدا يحذرون من أعمال الشر فقال امدحهم بشيء واحد فقال يونان كانت سلطنتهم وجراءتهم على انفسهم أكثر مما كانت على غيرهم فطلب أنوشروان الكاس وقال لهذا الكاس سرور بالكرام الذين يأتون بعدنا ويملكون تاجنا وتختنا ويذكروننا كما نذكر نحن من تقدمنا واشقى الناس من اغتر بملكه وعمر الدنيا وهو لا يدري كيف ينبغي أن يعيش فيها فيعمر دنياه بالتعب ويحصل في الآخرة بالندم السرمد والعذاب المؤبد وانما كان قصد أولئك الملوك واجتهادهم في عمارة الدنيا ليبقى فيها بعدهم طيب الذكر مدى الايام والدهر كما جاء في الحكاية

(حكاية)

كان لانوشروان كرم يعرف بهزار كام فاجتمع يوما فيه قيصر ملك الروم وفغفور الصين وملك هندوستان في ضيافة أنوشروان فتكلم كل واحد منهم بكلمة حكمة فقال قيصر ليس شيء في هذه الدنيا أجود من فعل الخير والاسم الصالح والذكر الطيب فانه يذكر

المعشوقة المتهومة (وكان بعض) الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتني غضبان فادفع الى رقعة فكان في الواحدة انك لست باله وانك ستموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك * اذا كان الوزير يساوي الملك في الرأي والهيبة والطاعة فليصرعه الملك فان لم يفعل فليعلم انه المصروع (وفي الامثال) اذا سكنت الدهماء خاف الوزراء * ولما كانت امور المملكة عائدة الى الوزراء وازمة الملوك في اكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء المثل السائر فقالوا لا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا احبك الوزير فلا تخش الامير ويقال الخرق مماراة الامراء ومعاداة الوزراء ورب امر كرهه الامير فتم بالوزير وكم من امر اراده الامير فثناه عنه الوزير وانما السلطان كالدار والوزير بابها فمن أتى الدار من بابها ولج ومن أتاها من غير بابها أزعج (وقال أنوشروان) لا يتم للملك أمره حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له جليس مأمون الغيب وخادم ناصح الجيب وموقع الوزارة من المملكة كموقع المرآة من النظر فكما ان من لم ينظر الى المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعرف محاسن دولته وعيوبها وكاتب الملك مستقر اسراره ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته والمخصوص بقربه ولزومه دون نظرائه ظهير الامير وزينه وحاجبه ولسانه كاتبه ورسوله عينه الكتابة قوام الخلافة وقرينة الرياسة وعمود المملكة * للكاتب على الملك ثلاثة أشياء يرفع الحجاب عنه ويتهم الوشاة عليه ويفشي سره اليه (وقد قالت الحكماء) لا يطمعن ذو الكبر في الثناء ولا الخب في كثرة الصديق ولا السيء الادب في الشرف ولا الشحيح في البر ولا الحريص في قلة الذنوب ولا الملك المتهاون الضعيف الوزراء في بقاء الملك وكما ان المرآة لا تريك وجوه الابصار صفاء جوهرها وجودة صقلها ونقائها من الصدا كذلك الامير لا يكمل امره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه وصفاء نفسه ونقاء قلبه (ومن شروط الوزير) أن يكون مكين الرحمة للخلق رؤفا بهم ليأسو برحمته ما يجرحه السلطان بغلاظته (ومن شروطه) أن يكون نقي الجيب ناصح الغيب لا يقبل دقيقة ولا يكتم نصيحة وقال بعض الملوك لوزيره لا تكونن الى ما تسرني به أسرع مبادرة من انذاري فيما يخاف علي منه وقال بعض الملوك أعط من أتاك بما تكره كما تعطي من أتاك بما تحب فان من انذرك كمن بشر (ومن شروطه) ان يكون معتدلا كليل تهامة لا حر ولا قر وموقع الوزير من الملك موقع الملك من العامة وكما ان السلطان اذا صلح صلحت الرعية واذا فسد فسدوا كذلك الوزراء اذا فسدوا فسد الملك واذا صلحوا صلح الملك (وكان) يقال آفة العقل الهوى وآفة الامير مخافة الوزير وقال المقتدر بالله لوزيره علي بن عيسى اتق الله يعطفني عليك ولا تعصه فيسلطني عليك * وقال المأمون لمحمد بن يزداد اياك أن تعصي الله فيما تتقرب به الي فيسلطني عليك (واعلم) انه ليس للوزير أن يكتم السلطان نصيحة وان استقلها وموقع الوزير من المملكة كموقع العينين من الانسان وكاليدين فانه اذا صح قبضهما وبسطهما صح التدبير واذا سقما دخل النقص على الجسد ولا تصلح الوزارة ان تكون في غير أهلها كما لا يصلح الملك أن يكون في غير أهله وشر الوزراء من كان الاشرار أبضاله وزراء وبطانة ودخلا وأوصت امرأة ابنها وكان ملكا فقالت يا بني ينبغي للملك أن يكون له ستة أشياء وزير يثق برأيه ويفضي اليه باسراره وحصن يلجأ اليه اذا فزع وسيف اذا نازل الاقران لم يخنه وذخيرة خفيفة المحمل اذا نابه نائبة كانت معه وامرأة اذا دخلت عليه اذهبت همه وطباخ اذا لم يشته الطعام طبخ له ما يشتهيه

(الباب الخامس والعشرون في الجلساء وآدابهم)

نه صاحبه دائما فيقال بعده لم لا نكون نحن مثله فقال أنوشروان تعالوا حتى نفعل الخير ونتفكر في الخير فقال قيصر اذا فكرت في الخير عملت الخير واذا عملت الخير نلت المراد فقال فغفور رحمن الله يعدنا فكره ان ظهرت استحيينا وان ذكرناها خجلنا وان فعلناها ندمنا وقال قيصر لانوشروان أي شئ أحب اليك قال أحب الاشياء الي أن اقضي حاجة من رآني أهلا لقضاء حاجته فقال قيصر انا احب ان لا اذنب حتى لا اخاف ملوكا يكون هذا حديثهم وكلامهم انظر كيف كان سيرتهم مع رعيتهم يا سلطان الاسلام يجب أن تسمع اقوال هؤلاء الملوك وتنظر أعمالهم وتقرأ حكاياتهم من الكتب وما ينظر فيها من نعت عدلهم وانصافهم وحسن سيرتهم وطيب خبرهم وذكرهم الجاري على ألسنة الخلق الى يوم القيامة كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من العدل والسياسة الى حد اقام فيه الحد والعقاب على ولده حتى مات وكان اذا أنفذ عمالا الى أعمال قال لهم اشتروا دوابكم واسلحتكم من ارزاقكم ولا تمدوا أيديكم الى بيت مال المسلمين ولا تغلقوا أبوابكم دون ارباب الحوائج قال عبد الرحمن بن عوف دعاني عمر بن الخطاب ذات ليلة وقال قد نزل بباب المدينة قافلة

قال

قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال سبحانه ياويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وينبغي للملك أن يجالس أهل العقل والادب وذوي الرأي والحسب وذوي التجارب والعبر فمجالسة العقلاء لقاح العقل ومادته ولذلك حمدت آراء الشيوخ فقال القدماء المشايخ اشجار الوقار وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وقالوا عليك بآراء المشايخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آثار الغير وقالوا رأي الشيخ خير من مشهد الغلام (وقال عبد الملك لجلسائه جنبوني ثلاثا لا تطروني فاني أعرف بنفسي منكم ولا تكذبوني فانه لا رأي لكذوب ولا تغتابوا عندي أحدا فيفسد قلبي عليكم (وقال بعض الحكماء) كفى بالتجارب تاديبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل وقد قال هرم بن قطبة وهو احد حكماء العرب حين تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة عليكم بالحديث السن الحديد النظر (وقال كثير من حكماء العرب) عليكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجون رأيا لم يعله طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم والمذهب الاول أصدق على العقول وقال عبد العزيز بن زرارة لمعاوية عليك بمجالسة الالباء أعداء كانوا أو اصدقاء فان العقل يقع على العقل (وقال ابن عباس) مجالسة العقلاء تزيد في الشرف وقال سفيان بن عيينة ان الرجل ممن كان قبلكم ليلقى الرجل العاقل فيكون عاقلا أياما وقال مالك بن أنس مر سليمان بن داود عليهما السلام بقصر بارض مصر فوجد فيه مكتوبا

غدونا من قرى اصطخر * الى القصر فقلناه
فمن يسأل عن القصر * فمبنيا وجدناه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما هو ماشاه
وفي الشيء على الشيء * علامات واشباه
فلا تصحب اخا الجهل * واياك واياه
فكم من جاهل اردى * حليما حين آخاه

قال ووجدنا عليه نسرا واقعا فدعاه فقال من بنى هذا القصر قال لا ادري قال كم لك منذ وقعت عليه قال تسعمائة سنة (وفي الامثال) يظن بالمرء ما يظن بخليله (ولما) حج عبيد الله بن جعفر نزل مكة ليلا فلما اصبح قال يا أهل مكة عرفنا خياركم من اشراركم في ليلة واحدة قالوا كيف ذلك قال نزلنا ومعنا أخيار وأشرار فنزل اخيارنا على اخياركم واشرارنا على اشراركم فعرفناكم واعلم انه ليس الدخان على النار بادل من الصاحب على الصاحب وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب ان لم تكن في مثله شانته وقال مالك بن مسمع للاحنف بن قيس يا أبا بحر ما اشتاق الى غائب اذا حضرت ولا انتفع بحاضر اذا غبت فاخذه ابراهيم بن العباس الكاتب فنظمه فقال

وأنت هوى النفس من بينهم * وانت الحبيب وانت المطاع
وما بك ان بعدوا وحدة * وما معهم ان بعدت اجتماع

* وقال عبد الله بن طاهر المال غاد ورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرة وقال الاصمعي تناظر رجلان واعرابي حاضر فقال لاحدهما مناظرتك في الدين فرض والاستماع منك ادب ومجالستك زين ومعرفتك عز ومذاكرتك تلقيح للعقول وشحذ واخاؤك شرف وفخر وقال العسماني غني مخارق بين يدي المأمون

واني لمشتاق الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

واخاف عليهم اذا ناموا ان يسرق شيء من متاعهم فمضيت معه فلما وصلنا قال لي نم أنت ثم انه جعل يحرس القافلة طول ليلته

وقال عمر رضي الله عنه يجب علي ان اسافر لاقضي حوائج المسلمين في أقطار الارض لانهم ضعفاء لا يقدرون على قصدي في حوائجهم لبعد المكان فينبغي ان أطوف في البلاد لاشاهد احوال العمال واسبر سيرتهم واقضي حاجات المسلمين فلا يكون في سني عمري أبرك من هذه السنة

(حكاية)

قال زيد بن أسلم رأيت ذات ليلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف مع العسس فتبعته وقلت أتأذن لي ان اصحبك فقال نعم فلما خرجنا من المدينة رأينا نارا من بعد فقلنا يكون هناك مسافر فقصدنا النار فرأينا امرأة ارملة ومعها ثلاثة اطفال صغار وهم يبكون وقد صنعت لهم قدرا على النار وهي تقول الهي انصفني من عمر وخذ لي منه بالحق فانه شبعان ونحن جياع فلما سمع عمر بن الخطاب ذلك تقدم وسلم عليها وقال لها أتأذنين ان ادنو اليك فقالت المرأة ان دنوت بخير فبسم الله فتقدم وسألها عن حالها وحال أطفالها فقالت وصلت وهؤلاء الاطفال معي من مكان بعيد وانا جائعة والاطفال جياع وقد بلغ مني ومنهم الجهد والجوع وقد منعهم عن الهجوع فقال عمر واي شيء في هذه القدر فقالت

عذيري من الانسان لاان جفوته * صفالي ولا ان صرت طوع يديه

فطرب المأمون وقال ويحك يامخارق خذ مني نصف الخلافة واعطني هذا الانسان وقالت الحكماء النظر في عواقب الامور تلقيح العقول وقالوا العاقل لاتنقطع صداقته والاحمق لاتدوم مودته فاتخذ من نصحاء اصحابك مرآة لطباعك وفعالك كما تتخذ لوجهك المرآة المجلوة فانك الى صلاح طباعك احوج منك الى تحسين صورتك وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة خلا سبعة قال وما السبع يا امير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطئ والنظر الى الحسن من كل شئ قال فاين انت يا امير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي اولاهن وقال هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطر من كل شئ فاكلت الحلو والحامض حتى لا اجد منهما طعما وشممت الرائحة حتى لا اجد لها رائحة واتيت النساء حتى ما ابالي مرأة اتيت ام حائطا فما وجدت شيأ الذ من جليس يسقط بيني وبينه مؤنة التحفظ وقال عبد الملك بن مروان قد قضيت الوطر من كل شئ الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر على التلال العفر وقال عبد الملك من قرب السفلة وادناهم وباعد ذوي العقل واقصاهم استحق الخذلان ومن منع المال من الحمد ورثه من لا يحمده ومن الكلام الشريف قول الحكماء ما احوج ذا القدرة الى دين يحجزه وحياء يكفه وعقل يعدله والى تجربة طويلة وعبر محفوظة والى اعراق تسري اليه واعلاق تسهل الامور عليه والى جليس رفيق وواد شفيق والى عين تنظر العواقب وعقل يخاف الغير ومن لم يعرف يوم ظفر الايام لم يحترس من سطوات الدهر ولم يتحفظ من فلتات الزلل ولم يتعاظمه ذنب وان عظم ولا ثناء وان سمج واذا رأيت من جليسك امرا تكرهه او خلة لا تحبها او صدرت منه كلمة عوراء او هفوة غبراء فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن داو كلمه واستر عورته فابقه وابرأ من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل اني برئ مما تعملون فلم يأمر بقطعهم وانما امر بالبراءة من عملهم السوء قال الشاعر

اذا راب مني مفصل فقطعته * بقيت ومالي للنهوض مفاصل
ولكن اداويه فان صح سرني * وان هو اعيا كان فيه تحامل

* واتى رجل الى بعض الحكماء فشكا اليه صديقه وعزم على قطعه والانتقام منه فقال له الحكيم اتفهم ما اقول لك فاكلمك ام بك من فورة الغضب ما شغلك عنه فقال اني لما تقول واع فقال اسرورك بوده كان اطول ام غمك بذنبه قال بل سروري قال افحسناته عندك اكثر ام سيآته قال بل حسناته قال فاصفح بصالح ايامك عن ذنبه وهب لسرورك جرمه واطرح مؤنة الغضب والانتقام منه ولعلك لاتنال ما املت فتطول مصاحبة الغضب وانت صائر الى ما تحب

(الباب السادس والعشرون في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان)

قد ذكرنا الخصال التي تجري من المملكة مجرى الاساس من البنيان ونذكر الآن الخصال التي تجري من المملكة مجرى التاج والطيلسان وحسن الهيئة والكمال فاولها وقاعدتها العفو قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فلما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسأل العالم فذهب جبريل ثم عاد فقال يا محمد ربك يقرؤك السلام ويأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك واعلموا ارشدكم الله ان الله تعالى امر بالعفو وندب اليه وذكر فضيلته وحث عليه ووصف به نفسه فقال سبحانه والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فاوجب الله تعالى محبته للعافين واثنى عليهم بالاحسان فقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن عزائم الامور من صفات المصطفين من الرسل قال الله تعالى فاصبر كما

صبر

تركت لهم فيها ماء اشاغلهم به ليظنوا انه طعام قال زيد فعاد امير المؤمنين وقصدنا دكانا يباع فيه الدقيق فابتاع منه ملئ جراب ومضى الى دكان القصاب فابتاع منه دسما ووضع الجميع على كاهله وجعل يطلب به المرأة والاطفال فقلت يا امير المؤمنين ناولنيه لاحمله عنك فقال ان حملته عني فمن يحمل عني ذنوبي ومن يحول بيني وبين دعاء تلك المرأة علي وجعل يسعى ويبكي الى ان وصلنا الى المرأة فقالت المرأة جزاك الله عني خير الجزاء فاخذ عمر جزأ من الدقيق وشيأ من الدسم فوضعه في القدر وجعل يوقد النار وكلما ارادت ان تخمد نفخها وكان الرماد يسقط على وجهه ومحاسنه حتى انطبخت القدر فوضع الطبيخ في القصعة وقال للاطفال كلوا فاكلت المرأة والاطفال فقال عمر أيتها المرأة لا تدعين على عمر فانه لم يكن عنده منك ومن اطفالك خبر واول من دعي باميرالمؤمنين عمر بن الخطاب فان ابا بكر رضي الله عنه دعوه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل الامر الى عمر كانوا يقولون يا خليفة خليفة رسول الله فكان يطول ذلك فقال يا ايها المؤمنون سموني اميرا فاني اميركم وان دعوتموني امير المؤمنين فاني ذلك ابن الخطاب *(حكاية)* سئل خازن بيت المال هل انبسط عمر في بيت المال فقال كان

صبر أولو العزم من الرسل وقال سبحانه واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال سبحانه وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم فاستعطف الخلق وندبهم الى ان يعفوا عن الجناة والظالمين والخاطئين كما يحبون ان يفعل الله بهم وقال فيمن انتصر ولم يعف ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل فرفع الحرج عن المنتصر والمنتقم ولم يوجب له فضيلة ثم كشف الغطاء وازاح العذر وصرح بتفضيل العافين على المنتصرين والواهبين حقوقهم على المنتقمين فقال سبحانه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهذا نص لا يحتمل التأويل وتحقيق القول في ذلك ان الانتصار عدل والعفو فضل وفضل الله احب الينا من عدله لانه ان عدل علينا فاخذنا بحقه هلكنا وان عفا عنا برحمته تخلصنا ولو كان العدل يسع الخلائق لما قرنه الله بالاحسان فلما علم ان العدل استقصاء ومناقشة وذلك مما تضيق عنده النفوس وتحرج له الصدور ناط الاحسان بالعدل فقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايضا فان الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان والعفو محبة من الله واحسان وايضا فالانتصار سيئة والعفو حسنة قال الله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والدليل على ان الانتصار سيئة قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها غير انها انما سميت سيئة لما كانت نتيجة سيئة لانه لا يجوز الانتصار وهو كقول عمرو بن كلثوم التغلبي

الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فسمى الجزاء على الجهل جهلا وان لم يكن في الحقيقة جهلا ومن هذا روت عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط غير انه اذا انتهك شيء من محارم الله فلا يقوم لغضبه شيء (وروى) انه قال ينادي مناد يوم القيامة من كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا في الدنيا فان عفوت ايها الطالب كان اجرك على الله وان لم تعف كان حقك قبل من ظلمك ولا يكون اجرك في ضمان الله تعالى اوثق من ان يكون قبل مخلوق وايضا فان لم تعف نلت حقك بلا زيادة عليه وان عفوت كان حسنة اسديتها الى اخيك والله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وشفع الاحنف بن قيس في محبوس الى السلطان فقال له ان كان مجرما فالعفو يسعه وان كان بريا فالعدل يسعه (وقيل) لبعض الكتاب بين يدي امير المؤمنين بلغ امير المؤمنين عنك امر فقال لا ابالي فقيل له ولم لا تبالي قال ان صدق الناقل وسعني عفوه وان كذب الناقل وسعني عدله * ولما دخل عيينة بن حصن على عمر بن الخطاب قال يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر وهم ان يوقع به فقال ابن اخيه يا امير المؤمنين ان الله تعالى يقول خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان عمر وقافا عند كتاب الله (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال ارحم ترحم وكان يقال اولى الناس بالسلطان احقهم بالرأفة والرحمة وفي الانجيل افلح اهل الرحمة لانهم سيرحمون (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام لقد ابغض الله المتسرعين الى اراقة الدماء فاليهم انتهت القصوة والغلظة والتباعد من الرحمة * ولما تمكن داود من قتل جالوت ابقى عليه وهو يومئذ عدوه وطالبه وقال يا رب اعظم دمي في عين اعدائي كما عظمت في عيني دم عدوي وكذلك خلصني من جميع الهموم * وقالت حكماء الهند لا سودد مع انتقام ولا سياسة مع عزازة نفس وعجب (وقالت) الحكماء ليس الافراط في شيء اجود منه في العفو ولا هو في شيء اقبح منه في العقوبة وكذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العقوبة * واعلم انك ان تخطئ في العفو في الف قضية خير من ان تخطئ في العقوبة في قضية واحدة (وقال) معاوية اني لارفع نفسي ان يكون ذنب اعظم من عفوي وجهل اكبر من حلمي وعورة

ايها الناس قد كان الوحي ينزل علينا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نعرف به ظاهر الناس وباطنهم وجيدهم ورديئهم والآن قد انقطع الوحي عنا فنحن ننظر من كل احد الى علانيته والله اعلم بسريرته وانا على الجهد وعمالي لا نأخذ شيأ بغير حق ولا نعطي شيأ بغير حق فان شئت ان تعلم ان عدل السلطان وتقيته سبب لجميل ذكره ونبيل فخره فانظر في اخبار عمر ابن عبد العزيز فانه لم يكن لاحد من بني امية و بني مروان مثل مدحه ومحمدته ولا يدعى لاحد من بني امية و بني مروان سواه ولا يثنى الا عليه لانه كان عادلا تقيا كريما حسن السيرة نقي السريرة

(حكاية)

كان في عهد عمر بن عبد العزيز قحط عظيم فوفد عليه وفد من العرب واختاروا رجلا منهم لخطابه فقال ذلك الرجل يا امير المؤمنين انا اتيناك من ضرورة عظيمة وقد يبست جلودنا على اجسادنا لفقد العظام وراحتنا في بيت المال وهذا المال لا يخلو من ثلاثة اقسام اما ان يكون لله او لعباد الله اولك فان كان لله فان الله غني عنه وان كان لعباد الله فآتهم اياه وان كانه

لابواريها سترى (وقال) المأمون ليس على في الحلم مؤنة ولوددت ان أهل الجرائم علموا رأيي في العفو
فيذهب الخوف عنهم فتخلص لي قلوبهم * وقال رجل للمنصور يا أمير المؤمنين ان الانتقام انتصاف
والتجاوز فضل والمتجاوز قد جاوز حد المنصف ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه بأوكس
النصيبين وأن لا يرتفع الى أعلى الدرجتين فاعف عنا يعف الله عنك فعفا عنهم وأنشدوا

واذا بغى باغ عليك بجهله * فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

وقال بعضهم لمسلم بن قتيبة لما عفا عنه والله ما أدري أيها الأمير أي يوميك أشرف أيوم ظفرت أم يوم
عفوت وقال الشاعر

مازلت في العفو للذنوب واطـ * ـلاقك جان بجرمه علق
حتى تمنى العفاة أنهمو * عندك أسرى في القيد والحلق

ورفع الى انوشروان ان العامة تؤنب الملك في معاودة الصفح عن المذنبين مع تتابعهم في الذنوب فوقع
المذنبون مرضى ونحن أطباء وليس معاودة الداء اياهم بمانعنا من معاودة العلاج لهم (وقال) عمر بن
عبد العزيز رحمه الله ما قرن شيء الى شيء افضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة (وقال) رجل لعبد الملك
ابن مروان لما ظفر بالمهلب ما رأيت احدا يا امير المؤمنين ظلم ظالمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك
(وقال) بعض التابعين المعاقب مستدع لعداوة اولياء المذنب والعافي مستدع لشكرهم اومكافاتهم
ايام قدرتهم ولان يثني عليك باتساع الصدر خير من ان تنسب الى ضيقه واقالة العثرة موجبة لاقالة
عثرتك من ربك وعفوك عن الناس موصول بعفو الله عنك وعقابك موصول بعقاب الله تعالى
لك والله يحب العافين (وقال) المنصور عقوبة الاحرار التعريض وعقوبة الاشرار التصريح (وقال)
المأمون لما رأيت الذنوب جلت عن المجازاة بالعقاب جعلت العقاب فيها عفوا أمضى من الضرب
للرقاب وقال الاحنف لا تزال العرب بينة الفضل ما لم تعد العفو ضيما والبذل سرفا * وفي الحكمة
اذا انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت (وقال) بعض الحكماء اقبل العذر وان كان مصنوعا
الا ان يكون ممن اوجبت المروءة قطيعته او يكون في قبولك عذره تشجيعه على المكروه او عونه على الشر
فان قبولك للعذر فيه اشتراك في المنكر (ولما دخل) الفيل دمشق حشر الناس لرؤيته وصعد معاوية
الى علية له متطلعا فبينما هو كذلك اذ نظر في بعض الحجر في قصره رجلا مع بعض حرمه فاتى الحجرة ودق
الباب فلم يكن من فتحه بد فوقعت عينه على الرجل فقال يا هذا أفي قصري وتحت جناحي تهتك حرمي
وانت في قبضتي ما حملك على ذلك فبهت الرجل وقال حلمك اوقعني قال له معاوية فان عفوت عنك
تسترها علي قال نعم فخلى سبيله وهذا من الدهاء العظيم والحلم الواسع ان يطلب الستر من الجاني وهو
عروض قول الشاعر

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

(واتى موسى الهادي) برجل قد جنى فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده فقال اعتذاري عما تقرعني به رد
عليك واقراري بما ذكرته ذنب ولكني اقول

فان كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا تزهدن عند المعافاة في الاجر

فامر باطلاقه (وقال المهلب) لا شيء أبقى للملك من العفو فان الملك اذا وثقت رعيته منه بحسن العفو لم
يوحشها الذنب وان عظم وان خشيت منه العقوبة اوحشها الذنب وان صغر حتى يضطره ذلك الى
المعصية ومن الحكمة البالغة في مثل هذا قول سابور وقد جمع اولاده فقال يا بني ان اعجزكم ان تملؤوا قلوب
الرعية حبا فاملؤوها خوفا وليس ذلك بان تحمل العقوبة على من لا يستحقها ولكن تجعلها لمن يستحقها وفي

حوائجهم من بيت المال
فهم الاعرابي بالخروج
فقال له عمر أيها الانسان
الحر كما اوصلت حوائج
عباد الله الي واسمعتني
كلامهم فاوصل كلامي
وارفع حاجتي الى الله
فحول الاعرابي رأسه
ووجهه قبل السماء وقال
الهي بعزتك وجلالك
اصنع مع عمر بن عبد
العزيز كصنيعه في عبادك
فما استتم كلامه حتى
ارتفع غيم فامطر مطرا
غزيرا وجاء في المطر بردة
كبيرة فوقعت على آجرة
فانكسرت فخرج منها
كاغد عليه مكتوب هذه
براءة من الله العزيز لعمر
ابن عبد العزيز من النار
ويقال ان عمر بن عبد
العزيز كان ينظر ليلا في
قصص الرعية وبرنامجاتهم
في ضوء السراج فجاء غلام
له فحدثه في معنى شيء
كان يتعلق ببيته فقال له
عمر اطفئ السراج ثم حدثني
لان هذا الدهن من بيت
مال المسلمين ولا يجوز
استعماله الا في اشغال
المسلمين هكذا يكون
حذر السلطان وتقواه
وتوقيه اذا كان عادلا كما
جاء في الحكاية

(حكاية)

كان لعمر بن عبد العزيز
غلام وكان خازنا لبيت المال وكان لعمر ثلاث بنات فجئنه يوم عرفة وقلن له غدا العيد ونساء الرعية

هذا المعنى قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم وهذا معنى لا يحتمل مما اوجبناه وهو معنى قول سابور ولا يخالف ما قررناه من حسن العفو بل هذا محمول على الواجب المستحق او على ما في تركه اغرار بركوب أمثاله فههنا يكون العفو مفسدة فيا أيها المعاقب اذا اتفقت على مذنب عقوبة فلا تكن كالمتشفي المتلذذ بعذابه لانك واياه أخوان لاب وام آدم وحواء لم تفضله بحولك وقوتك بل بما فضلك الله به تطولا عليك فاذكر لو كنت في مقامه وكان في مقامك ولا تأمن تقلب الدهر فتقوم مقامه بين يدى من لا يرحم ولا ينظر في العواقب واحذر التفريط والتقصير واقم نفسك مذنبا اقيم للعقوبة وليكن عقابك مقدرا كما كان عطاؤك مقدرا وليكن عقابك للتقويم لا للانتقام وللزجر لا للهوى وعن هذا قال بزرجمهر لا ينبغي للملوك ان يكرموا احدا بهوان من ليس للهوان اهلا ولا ان يهينوا احدا باكرام من ليس للكرامة اهلا لا تكن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ولا على البخل أسرع منك الى البذل قال الشاعر

صفوح عن الاجرام حتى كأنه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما
فليس يبالي أن يكون به الاذى * اذا ما الاذى بالكرم لم يغش مسلما

(وقال سليمان بن داود) عليهما السلام التنكيل والعقوبة أمنية الملك الشرير وعلى مثله يبعث الله ملكا غير رحيم وقال معاوية لا ينبغي للملك أن يظهر منه غضب أو رضا الا لثواب أو عقاب وقال اردشير فضل الملك على السوقة انما هو بقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم فكلما استكثر منهما بانت فضيلته واستحقاقه لموضعه من الولاية عليهم وكلما انتقص منهما اقترب من السوقة (وقال المأمون) انى لاجد للعفو لذة أعظم من لذة الانتقام واعلم انه اذا عاقب الملك أو أهان على ظن بغير يقين أدخل على نفسه من قبح الخطأ في الرأي أعظم مما أدخل على صاحبه من العقوبة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الغالب بالشر مغلوب وما ظفر من ظفر بالاثم (وقيل) لافلاطون أي شيء من أفعال الناس يشبه افعال الله تعالى فقال الاحسان الى الناس وقال الحكيم الحلم فدام السفيه والعفو زكاة العقل وقال الحكيم السيد الذي لا يشين حسن الظفر بقبح الانتقام وخير مناقب الملوك العفو وكان يحيى بن معاذ يقول سبحان من أذل العبد بالذنب وأذل الذنب بالعفو الهي ان عفوت فخير راحم وان عذبت فغير ظالم الهي ان كنت لا ترضى الا عن اهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون وان كان لا يرجوك الا اهل وفائك فبمن يستغيث المستغيثون وقال الشاعر

وان الله ذو حلم ولكن * لعز الحلم ينتقم الحليم

(وروى ان الحجاج) اخذ القطرى بن الفجاءة فقال لاقتلنك قال ولم قال لخروج أخيك على قال فان معى كتاب امير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي قال هاته قال ان معي أوكد منه قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فتعجب من جوابه وخلى سبيله ولما وفد عقيل بن ابي طالب على معاوية أمر له بمائة ألف درهم فلما أراد الانصراف رأى في الطريق جارية باربعين الف درهم فرجع الى معاوية فاخبره قال وما تصنع بها قال تلد لي غلاما فان اغضبته يضرب مفرقك بالسيف فامر له بها فابتاعها فولدت له مسلم بن عقيل ثم قدم مسلم الشام فابتاع منه معاوية ضيعة فبلغ الحسين بن على الخبر فكتب الى معاوية انى لا أجيز بيع مسلم فارسل معاوية الى مسلم فقال هذا كتاب الحسين يأمر برد المال فقال مسلم امادون ان اضرب مفرقك بالسيف فلا فضحك معاوية وقال والله لقد تهددني ابوك بذلك قبل ان يشتري أمك بسوقه المال فقال الحسين غلبنا معاوية حلما وجودا

(الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة)

وهذا الباب مما يعده الحكماء من أساس المملكة وقواعد السلطنة و يفتقر اليه الرئيس والمرؤس

و بناتهم يلمننا و يقلن انتن بنات امير المؤمنين و نراكن عريانات لا أقل من ثياب بيضاء تلبسنها و بكين عنده فضاق صدر عمر فدعا غلامه الخازن وقال له اعطني مشاهرتي لشهر واحد فقال الخازن يا امير المؤمنين تأخذ المشاهرة من بيت المال سلفا انظر ان كان لك عمر شهر فخذ مشاهرة شهر فتحير عمر وقال نعم ما قلت أيها الغلام بارك الله فيك ثم قال لبناته اكظمن شهواتكن فان الجنة لا يدخلها احد بغير مشقة لما كان الامراء كذلك كان حواشيهم وخدمهم على قاعدتهم والعدل التام هو ان يساوى بين المجهول الذي لا يعرف و بين المحتشم صاحب الجاه المعروف في مقام واحد في الدعاوى و ينظر اليهما بعين واحدة في الدعاوى ولا يفضل احدهما على الآخر لاجل ان احدهما غني والآخر فقير فان الجوهر والخزف في الآخرة بسعر واحد ولا يحرق عاقل نفسه بالنار لحشمة الاغيار واذا كان لرجل ضعيف على سلطان من السلاطين دعوى فينبغي ان يقوم من صدر مملكته و يعمل بحكم الله تعالى فينصف ذلك الضعيف و يرضيه ولا يخاف ولا يستحي من الحق و يعمل بقول الله عز وجل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وحقيقة ذلك انه ان كان للملك على احد حق ان يسامحه و يعين عليه و يأمر عماله النقاب ان يقتدوا بامثاله

وقد ذكرناه في باب الخصال الفرقانية ونذكر ههنا فوائدها ومحاسنها اعلموا ان المستشير وان كان افضل رأيا من المشير فانه يزداد برأيه رأيا كما تزداد النار بالسليط ضوأ فلا يقذفن في روعك انك اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك فيمنعك ذلك من المشاورة فانك لا تريد الرأى للفخر به ولكن للانتفاع به فان أردت الذكر كان افخر لذكرك واحسن عند ذوى الالباب لسياستك ان يقولوا لا ينفرد برأيه دون ذوى الرأى من اخوانه ولا يمنعك عزمك على انفاذ رأيك وظهور صوابه لك من الاستشارة ألا ترى ان ابراهيم عليه السلام امر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها فحمله حسن الادب وعلمه بموقعه في النفوس على الاستشارة فيه فقال فيه يا بنى انى ارى في المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى وهذا من احسن ما يرسم في هذا الباب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرأى الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين والثلاثة الآراء لا تكاد تنقطع ويروى ان روميا وفارسيا تفاخرا فقال الفارسى نحن لا نملك علينا من يشاور وقال الرومى ونحن لا نملك علينا من لا يشاور وقال بزرجمهر اذا اشكل الرأى على الحازم كان بمنزلة من اضل لؤلؤة فجمع ما حول مسقطها فالتمسها فوجدها كذلك الحازم يجمع وجوه الرأى في الامر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص له الصواب (وكان) يقال من كثرت استشارته حمدت امارته وفى حكم الهند قال بعض الملوك ان الملك الحازم يزداد برأى الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بمواده من الانهار وينال بالحزم والرأى ما لا يناله بالقوة والجند ولم تزل حزمة الرجال يستحلون مرائر قول النصحاء كما يستحلى الجاهل المساعدة على الهوى وقال المأمون لطاهر بن الحسين صف لى اخلاق المخلوع يعنى اخاه الامين فقال كان واسع الصدر ضيق الادب ينتج من نفسه ما تأباه همم الاحرار لا مصغيا الى نصيحة ولا يقبل مشورة يستبد برأيه فيرى سوء عاقبته فلا يردعه ذلك عما يهم به قال فكيف حروبه قال يجمع الكتائب بالتبذير ويفرقها بسوء التدبير فقال المأمون لذلك ما حل محله اما والله لو ذاق لذاذة النصائح واختار مشورة الرجال وملك نفسه عند شهوتها ما ظفر به وقال بعضهم انفاذ الملوك الامور بغير روية كالعبادة بغير نية ولم تزل العقلاء على اختلاف آرائهم يشهدون العيوب ويستشيرون صواب الرأى من كل احد حتى الامعة الوعك هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الى عيوبى وكان يقال من اعطى اربعا لم يمنع اربعا من اعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطى التوبة لم يمنع القبول ومن اعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال بعضهم خمير الرأى خير من فطيره وتأخيره خير من تقديمه (وذكر صاحب كتاب التاج) ان بعض ملوك العجم استشار وزراءه فقال احدهم لا ينبغى للملك ان يستشير منا احدا الا خاليا فانه اموت للسر واحزم في الرأى واجدر للسلامة واعفى لبعضنا من غائلة البعض وكان بعض ملوك العجم اذا شاور مرازبته فقصروا في الرأى دعا الموكلين بارزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطئ مرازبتك وتعاقبنا فيقول نعم لم يخطئوا الا لتعلق قلوبهم بارزاقهم واذا اهتموا أخطؤا وكانوا اذا اهتموا بمشاورة رجل بعثوا اليه بقوته وقوت عياله لسنته ليتفرغ لبه وكان يقال النفس اذا احرزت قوتها اطمأنت واذا شاورت فاصدق الخبر تصدقك المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك وقال بعض ملوك العجم لا يمنعك شدة بأسك في باطنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع الى رأيك رأى غيرك فان أجدت أحمدت وان اخطأت عذرت فان في ذلك خصالا منها ان وافق رأيك رأى غيرك ازداد رأيك شدة عندك وان خالفه عرضته على نظرك فان رأيته معتليا لما رأيته قبلته وان رأيته متضعا استغنيت عنه وتجدد بذلك النصيحة ممن شاورته وان أخطأ وتمحض لك مودته وان قصر ولو لم يكن من فضيلة المشاورة الا انك ان اصبته مستبدا سلبت فائدة الاصابة بألسنة الحسدة وقال قائل هذا اتفاق ولو فعل

ويعملوا بسيرته لئلا يسأل عن رعيته يوم القيامة فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل راع يسأل عن غنمه وكل سلطان يسأل عن رعيته والحال على هذه الصفة لتعلم ذلك

(حكاية)

يقال ان اسمعيل بن احمد امير خراسان نزل بمرو وكان رسمه في كل موضع ينزله ان يأمر المنادى ان ينادى في العسكر ان الجند ما لهم مع الرعية شغل فمضى رجل من الخزنبديه في جملة اصحابه فدخل مبطخة وتناول من البطيخ قدرا يسيرا فجاؤا الى باب الملك واستغاثوا فامر الامير باحضاره فاحضر بين يديه فقال له لك علينا اجرة ام لا قال بلى قال فما سمعت المنادى فقال قد سمعته قال فلأى سبب آذيت رعيتى فقال اخطأت فقال انا لا اقدر لاجل خطئك على دخولى النار وامر به فقطعت يده

(حكاية)

ويحكى عن اسمعيل السامانى في كتاب سير الملوك انه كان ينزل بجواء وليان وكان كل وقت يصل الى مدينة كندر يأمر المنادى ان ينادى وقت العصر في الناس وكان يرفع الحجاب ويبعد الحجاب ويريح البواب ليجيء كل من له ظلامة ويقف على جانب البساط ويخاطبه ويعود مقضى الحاجة وكان يقضى بين الخصوم مثل

كذا الكان احسن واذا شاورت فاصبت احد الجماعة رأيك لانهم لنفوسهم يحمدون وان اخطأت
جل الجماعة خطاك لانهم عن نفوسهم يكافحون واعلم ان القول الغليظ يستمع لفضل عاقبته كما
يستكاره شرب الدواء المر لفضل مغبته (وقال اعرابي) ما غبرت قط حتى غبر قومي قالوا وكيف ذلك قال
لا افعل شيأ حتى اشاورهم (وقيل) لرجل من بني عبس ما اكثر صوابكم يا بني عبس فقال نحن الف رجل
وفينا حازم واحد ونحن نطيعه فكأنا الف حازم وكان ابن هبيرة امير البصرة يقول اللهم اني اعوذ بك
من صحبة من غايته خاصة نفسه والانحطاط في هوى مستشيره (وفي حكم الهند) من التمس من الاخوان
الرخصة عند المشورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبه اخطأ الرأي وازداد
مرضا وحمل الوزر وقالت الحكماء لا تشاور معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب
حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا من يرهقه احد السبيلين وقالوا لا رأي لحاقن ولا لحازق ولا لحاقب
ولا تشاور من لا دقيق عنده والحازق هو الذي ضغطه الخف الضيق والحاقب هو الذي يجد في
بطنه ثقلا وقالوا من شكا الى عاجز اعاره عجزه وامده من جزعه (ومن لطيف ما جرى في الاستشارة) ان
زياد بن عبيد الله الحارثي استشار عبيد الله بن عمر في اخيه ابي بكر ان يوليه القضاء فاشار به فبعث الى
ابي بكر فامتنع عليه فبعث زياد الى عبيد الله يستعين على ابي بكر فقال ابو بكر لعبيد الله انشدك الله
اترى لي القضاء قال اللهم لا قال زياد سبحان الله استشرتك فاشرت علي به ثم اسمعك تنهاه فقال ايها الامير
استشرتني فاجتهدت لك رأيي ونصحتك ونصحت للمسلمين واستشارني فاجتهدت له رأيي ونصحته (وروى
ان الحجاج) بعث الى المهلب يستعجله حرب الازارقة فكتب اليه المهلب ان من البلاء ان يكون الرأي
لمن يملكه دون من لا يبصره

(فصل في النصيحة) اعلموا ان النصح للمسلمين وللخلائق اجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى
اخبارا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقال
شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
وقال عليه السلام ان العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين (وروى) ابو هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال
لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم فالنصح في الجملة فعل الشيء الذي به الصلاح ودفع الملامة
مأخوذ من النصاحة وهي السلوك التي يخاط بها وتصغيرها نصيحة تقول العرب هذا قميص منصوح
اي مخيط ونصحته نصحا اذا خطته ويختلف النصح في الاشياء لاختلاف الاشياء فالنصح لله هو وصفه بما
هو اهله وتنزيهه عما ليس باهل له عقدا وقولا والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في
محابه والتباعد من مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته
قولا وفعلا وارادة بث جميع ما ذكرناه في عباده والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة
وتفهم ما فيه واستعماله والذب عنه من تأويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق اجمعين
قال الله تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب والنصيحة للرسول عليه
السلام موازرته ونصرته والحماية من دونه حيا وميتا واحياء سنته بالطلب واحياء طريقته في بث
الدعوة وتأليف الكلمة والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للائمة معاونتهم على ما تكلفوا القيام به
في تنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء واعلامهم
باخلاق عمالهم وسيرهم في الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع الكلمة عليهم ورد القلوب
النافرة اليهم والنصح لجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم

الحكام الى أن يقضي الدعاوى ثم يقوم من موضعه ويقبض على محاسنه بيده ويوجه وجهه نحو السماء ويقول الهي هذا جهدي وطاقتي قد بذلته وانت عالم الاسرار تعلم علانيتي ولا اعلم على اي عبد من عبيدك اجنفت او لاي عبد ظلمت وما انصفت انا واحد من اصحابي فاغفر لي يا الهي من ذلك ما لا اعلم فاما كان تقي النية جميل الطوية لاجرم علا امره وارتفع قدره وكان عسكره الف فارس معتدين بالسلاح مقتدين بالحديد وببركة ذلك العدل والانصاف ظفره الله بعمرو بن ليث انفذ اليه من السجن وقال لي بخراسان اموال كثيرة وكنوز موفورة وانا اسلمها اليك فاطلقني من السجن فلما سمع اسمعيل ذلك ضحك وقال الى الآن لم يستقم معي عمرو بن ليث يريد ان يحول المظالم التي احتقبها والمآثم التي ارتكبها في عنقي ويخلص من ثقل اوزارها في الآخرة وقال والله مالي في مالك حاجة واخرجه من السجن وانفذه الى بغداد فنال من امير المؤمنين الخلع والتشريف وجلس اسمعيل في مملكة خراسان آمن البال حسن الحال وبقيت المملكة في عصر الساسانية مائة وثلاثين سنة فلما انتقل الامر الى أصاغرهم وصبيانهم ظلموا الخلق وتعدوا الحق فزال ملكهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل السلطان يوما واحدا خير

ودعوتهم الى ما يسعدهم وتوقي ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوساوس عليهم ومن النصيحة للمسلمين رفع مؤنة نفسه وبدنه وحوائجه عنهم (قال الاصمعي) لفظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه نواة من الطريق فامسكها بيده حتى مر بدار قوم فالقاها في الدار وقال يأكلها داجنهم والنصح لجميع الملل ان يحب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان بالقول ويحذرهم سوء مغبة الكفر وبالسيف ان كان ذا سلطان او يكفوا عن قتال المسلمين فيكونوا اذمة والا فالقتل نصحا لاقامة امره فيهم (وروى معاذ) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم العمل لله ومناصحة ولاة الامر والاعتصام بجماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم * وقال جابر بن عبد الله بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم (وروى) انس ان النبي عليه السلام قال لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه * وقال ابو الدرداء العلم يبلغه البر والفاجر والحكمة ينطق بها البر والفاجر والنصيحة لله تعالى لا تثبت الا في قلوب المنتجبين الذين صحت عقولهم وصدقت نياتهم واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا اولو العزم * وكان عمر بن الخطاب رحمه الله يقول رحم الله امرأ اهدى الى عيوبي * وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رحمه الله قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره * وقال مالك النصيحة لله في ارضه هي التي بعث الله بها انبياءه * ومن امر الاسلام القصد والنصيحة لعباد الله في امورهم والنفوس مستثقلة للنصح نافرة عن اهله ومائلة الى ما وافق هواها (وفي منثور الحكم) ودك من نصحك وقلاك من مشى في هواك * وكان يقال اخوك من احتمل اثقل نصيحتك وقال بعضهم شعرا

عرضت نصيحة مني لزيد * فقال غششتني والنصح مر
ومالي ان اكون نصحت زيدا * وزيد طاهر الاثواب بر
ولكن قد اتاني ان زيدا * يقال عليه في مغناه شر
فقلت له تجنب كل شئ * يقال عليك ان الحر حر

وقال آخر

وعلى النصوح نصيحتي * وعلى عصيان النصوح

وللقطامي شعر

ومعصية الشفيق عليك مما * تزيدك مرة منه استماعا
وخير الامر ما استقبلت منه * وليس بان تتبعه اتباعا

ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * انا النذير فلا يغرركم احد
لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * الا الاله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

قال ابن وهب انما يحسن الاختيار لغيره من يحسن الاختيار لنفسه ولا خير لك فيمن لا خير له في نفسه * وقالت العلماء ان ينصحك امرؤ لا ينصح لنفسه (وقال بعضهم) رأي ورأيك في المعرفة امثل لنفسك من رأيك لانه خلو من هواك * وقال ابو الدرداء ان شئتم لانصحن لكم ان احب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويعملون في الارض نصحا وروى ان رجلا لطم ابراهيم بن أدهم فرفع رأسه الى السماء وقال الهي ان كنت تثيبني وتعاقبه فلا تثبني ولا تعاقبه

* ومن الخصال التي تجري مجرى الجمال والكمال الحلم *

* (الباب الثامن والعشرون في الحلم) *

قال الله تعالى ان ابراهيم لحليم أواه منيب وقال تعالى فاصفح الصفح الجميل (قال) علي رضي الله عنه الصفح الجميل الرضا بلا عتاب وقيل الصفح الجميل الرضا بلا توبيخ فيه ولا حقد معه وفي الامثال القديمة

من عباده سبعين سنة وقال صلى الله عليه وسلم نصفة المظلوم زكاة العقل قال صلى الله عليه وسلم من سل سيف الجور سل عليه سيف الغلبة ولازمه الغم كما قال الشاعر

تقطب منك طلق الوجه يوما * ترى بالعدل من جور جزاء
فقل للناس ما تهوى استماعا

* ولا تقل ان اخترت البقاء جاء في الخبر ان داود عليه السلام كان ينظر يوما الى السماء فرأى شيأ مثل النخالة ينزل من الهواء فقال الهي ما هذا فاوحى الله اليه هذه لعنتي انزلها على بيوت الجبارين الجائرين

* (حكاية) *

لما قعد انوشروان في المملكة كتب اليه يونان الوزير فقال اعلم ايها الملك أن أمور الملك على ثلاثة أشياء اما ان ينصف رعيته ولا ينتصف منهم فذلك فضل وهذه الدرجة العليا أو ينصف وينتصف وهذه الدرجة الوسطى أولا ينصف ولا ينتصف وهذه درجة الجور السفلى فانظر أيها الملك الى هذه الثلاثة واختر أيها شئت وانا أعلم ان الملك يختار الاولى كما قال الشاعر

من انصف الناس ولم ينتصف * بفضله منهم فذاك الامير
ومن يرد انصافهم مثل ما * أنصف أضحى ماله من نظير
ومن يرد انصافهم وهو لا * ينصفهم فهو الدني الحقير

* (نصيحة وموعظة) * دخل شبيب بن شيبة

كاد

كاد الحليم ان يكون نبيا (ويروى) ان رجلا قال يا رسول الله علمني كلمات اعيش بهن ولا يكثرن على فانسى قال لا تغضب * واعلم ان الحلم اشرف الاخلاق واحقها بذوى الالباب لما فيه من راحة السر واجتلاب الحمد واحق الناس به السلطان لانه منصوب لاقامة اود الخلائق وممارسة اخلاقهم ولا يطيقون به فى حال سلمهم وانما يغشون بابه حين تنازعهم وخصوماتهم وشرورهم وتكدر نفوسهم وضيق اخلاقهم فان لم يكن معه حلم يرد به بوادرهم والا وقع تحت عبء ثقيل * وكان انوشروان ذا حلم واناة وكان يقول فى خصلتان لولا انهما ظاهرتان عند الرعية لضقت بهما ذرعا الحلم والاناة (وروى) ان يحيى بن زكريا لقى عيسى بن مريم عليهم السلام فقال يا روح الله اخبرنى باشد الاشياء فى الدارين قال غضب الله تعالى قال يا روح الله وما ينجينى من غضب الله تعالى قال ترك الغضب قال يا روح الله كيف بدو الغضب قال التعزز والتكبر والفخر على الناس * وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وجبت محبة الله تعالى على من اغضب فحلم * والذى يحمل ان يضرب فى هذا الباب قصة اسحق عليه السلام قال له ابراهيم يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم انه تله للجبين وامر على حلقه السكين فلم يقل الاخير افقال الله تعالى وبشرناه بغلام حليم (وفى الاخبار) يقول ابليس لعنه الله ان الحديد من الرجال لم ييأس منه وان كان يحيى الموتى بدعائه لانه تاتى عليه ساعة يحتد فيها فيصير منه الى ما يريد (ويروى) ان جعفر بن محمد دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال له يا امير المؤمنين انك انما تغضب لله تعالى ولا تغضب له باكثر من غضبه لنفسه * واعلم ارشدك الله ان هذه الكلمة لا قيمة لها والله اعلم حيث يجعل رسالاته فما افخمها واجل قدرها واعظم شأنها الا انك اذا كنت ايها السلطان انما تتصرف فى ملك الله بامر الله فالله تعالى قد حد حدودا وشرع شرائع واقام فروضا وسننا ونهى عن حدود ورسوم ثم قدر فى كل خصلة عند مخالفته حدا محدودا ونهى ان يتجاوز ذلك الحد فلا يقيل من استحق القطع والحبس والادب والحد ولا يحبس غير من استوجب الحبس * وكانت الخلفاء يؤدبون الناس على قدر منازلهم فمن عثر من ذوى المروآت اقيلت عثرته ولم يقابل بشئ لقوله عليه السلام اقيلوا ذوى الهيآت عثراتهم ومن سواهم كان يقابل على قدر منزلته وعقوبته فكان يقام قائما فى مجلس يقعد فيه نظراؤه فتكون هذه عقوبته وآخر يشق جيبه وآخر تنزع عمامته من راسه وآخر يكلم بالكلام الذى فيه بعض الغلظة * قال الشعبى كانت العصاة فى زمن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم اذا اخذ الرجل منهم نزعت عمامته وطيف به فى المسجد على قومه وقيل هذا اخذ بثغره فلما ولى زياد ضربهم ونزع عمائمهم فلما ولى مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رؤسهم فلما ولى بشر بن مروان اقامهم على الكراسى ثم مدت ايديهم وسمرها بمسمار ثم نزع الكرسى من تحت رجليه حتى يخرم يده فمن ميت ومن حى فلما ولى الرجل المعروف بالحجاج قال كل هؤلاء لعب من اخذ بثغره ضرب عنقه وقال ارسطاطاليس النفس الذليلة لا تجد الم الهوان والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام وفيه قيل

من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام

واعلم ان من تجاوز فى العقوبة فوق ما حد الله تعالى فيما شارك المجرم فى الذنب واستوجب ما استوجبه المجرم من العقوبة ويتبين فى الآخرة انه انما يعاقب للهوى والتشفى اذا فاغضب لله تعالى (وفى كتاب سليمان بن داود عليهما السلام) القاهر لنفسه اشد من يفتتح المدينة وحده وصدق نبى الله صلى الله عليه وسلم فان السلطان يفتتح المدينة ويقهر اهلها ويغلب جنودها وحماتها ويقتل ابطالها ثم تغلبه شهوته ويبقى اسيرا فى ذل هواه قد قهرته قينة بطنبورها او قدح خمر يذهب بعقله * وقال اكثم

يوما على المهدى فقال له يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد اعطاك الدنيا فاعط رعيتك قسطا من طيب عيشك فقال المهدى وما الذى ينبغى ان تعطى الرعية فقال العدل فانه اذا نامت الرعية فى امن منك نمت آمنا فى قبرك وقال احذر يا امير المؤمنين من ليلة لا يوم بعدها ومن يوم لا ليلة بعده واعدل ما استطعت فانك تجازى بالعدل قدلا وبالجور جورا وزين نفسك بالتقوى فان فى الحشر لا يعيرك احد زينة كقول الشاعر

فخل نفسك بالحسنى وزينتها
فلن تعار تقى فى الحشر من رجل
وليس تبلى يد المعروف فاحظ بها
تربح كثيرا ورأس المال لم يزل

(وصل كتاب من قيصر ملك الروم الى انوشروان) يقول بماذا يكون دوام المملكة فكتب اليه جواب ذلك انى لا ارسم شيأ بجهالة واذا امرت بامر اتممته ولا اتركه بخوف ولا رجاء ويزيدانى اذا امرت بشئ لا ابطله لاجل من رجانى او خافنى وانى لا اغير شيأ امرت به (سئل ارسطاطاليس) هل يجوز ان يدعى احد ملكا غير الله تعالى فقال من وجدت فيه هذه الخصال وان كانت عادية العلم والعدل والسخاء والحلم والرأفة وما ناسبها الان الملوك كانوا املوكا بالظل الالهى وضياء الحسن بطهارة النفس وتزايد

ابن صبر فى الصبر على جرع الحلم اعذب من جنى ثمر الندم (وسأل على بن ابى طالب) رضى الله عنه كثيرا من كبراء فارس من احد ملوكهم عندهم فقال لاردشير فضل السبق غير ان احدهم سيرة انوشروان قال فاى اخلاقه كان اغلب عليه قال الحلم والاناة فقال على رضى الله عنه هما توأم ينتجهما علو الهمة ❁ ومن محمود السيرة ان يعرف الناس من اخلاقك انك لا تعجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخائف ورجاء الراجى وقال محمود الوراق

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب ❁ وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة ❁ شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقى فاعرف فضله ❁ واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذى دونى فان قال صنت عن ❁ اجابته نفسى وان لام لائم
واما الذى مثلى فان زل اوهفا ❁ تفضلت ان الحلم بالفضل حاكم

(وقال الاصمعى) سمعت اعرابيا يقول أسرع الناس جوابا من لم يغضب لا توقدن بين جنبيك جمرة الغضب واردد اساءته بالحلم فان شجر النار اذا الحت عليها الرياح تحاكت اغصانها فاشتعل نارا وتحترق من أصولها ❁ وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل واذا قدر عف وكف (وسئل جعفر بن محمد) عن حد الحلم فقال وكيف يعرف فضل شئ لم ير كماله فى احد ❁ وقال الاحنف لابنه يا بنى ان اردت ان تؤاخى رجلا فاغضبه فان انصفك والا فاحذره (وكان سلم بن نوفل) سيد بنى كنانة فضربه رجل من قومه بسيفه فأخذ فاتى به اليه فقال له ما الذى فعلت اما خشيت انتقامى قال فلم سودناك الا ان تكظم الغيظ وتعفو عن الجانى وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه فى النفس والمال فخلى سبيله فقال قائلهم شعرا

يسود أقوام وليسوا بسادة ❁ بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال رجل من كتاب للحكم بن عوانة انما أنت عبد فقال والله لاعطينك عطية ما يعطيها العبيد فاعطاه مائة رأس من السبى ومن أمثال العرب احلم تسد ويروى ان هشاما غضب على رجل من أشراف الناس فشتمه فوبخه الرجل فقال له أما تستحى ان تشتمنى وانت خليفة الله فى ارضه فاطرق هشام واستحيا وقال له اقتص فقال اذا سفيه مثلك فقال خذ من ذلك عوضا من المال قال ما كنت لافعل قال فهبها الله قال هى لله ثم لك فنكس هشام رأسه وقال والله لا اعود لمثلها وقال الشاعر

لن يبلغ المجد اقوام وان شرفوا ❁ حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة ❁ لا صفح ذل ولكن صفح اكرام

وقال آخر

وجهل رددناه بفضل حلومنا ❁ ولو اننا شئنا رددناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة ❁ وعدنا على اهل السفاهة بالفضل

وقال هشام لخالد بن صفوان صف لى الاحنف بن قيس فقال يا امير المؤمنين ان شئت اخبرتك عنه بثلاث وان شئت باثنتين وان شئت بواحدة فقال أخبرنى عنه بثلاث قال كان لا يحرص ولا يجهل ولا يدفع الحق اذا نزل به قال فأخبرنى عنه باثنتين قال كان يؤثر الخير ويتوقى الشر قال فأخبرنى عنه بواحدة قال كان اعظم الناس سلطانا على نفسه وقال اكثم بن صيفى الغلبة والعز للحلم وقال الاحنف ابن قيس وجدت الحلم انصر لى من الرجال وصدق الاحنف فان من حلم كان الناس انصاره كما روى ان رجلا اسرف فى شتم بعض الادباء وهو ساكت فقال له بعض المارين فى الطريق وقال له يرحمك الله ألا انتصر لك قال لا قال ولم قال لانى وجدت الحلم انصر لى من الرجال وهل حاميت فى الاحلمى وقال

قولهم فر انرذى وهو الظل الالهى يظهر فى ستة عشر شيأ العقل والعلم وحدة الذكاء وادراك الاشياء والصور التامة والالمعية والفروسية والشجاعة والاقدام والتأنى وحسن الخلق وانصاف الضعيف ومحبة الرعية واظهار الزعامة والاحتمال والمداراة فى مكانها والرأى والتدبير فى الامور والاكثار من قراءة الاخبار وحفظ سير الملوك والفحص عن الاحوال والاعمال التى اعتمدها الملوك وعملوا بها الان هذه الدنيا بقية دول المتقدمين الذين تملكوها ثم مضوا وانقرضوا وصاروا تذكارا للناس يذكر كل انسان منهم بفعله للدنيا كنز وللآخرة كنز فكنز هذه الدنيا الثناء وطيب الذكر وكنز الآخرة العمل الصالح واكتساب الاجر

(حكمة)

سأل الاسكندر ارسطاطاليس أيهما افضل للملوك الشجاعة أم العدل فقال ارسطاطاليس اذا عدل السلطان لم يحتج الى الشجاعة

(حكمة)

كان الاسكندر بعض الايام قد ركب فى جماعة أهل موكبه فقال له رجل من مقدمى عساكره ان الله تعالى قد أعطاك ملكا

رجل

عظيما فاستكثر من النساء ليكثر اولادك فتذكر بهم بعد موتك فقال الاسكندر ليس ذكر الرجال بعدهم بكثرة الاولاد

رجل لعمرو بن العاص والله لا تفرغن لك فقال له الآن وقعت في الشغل وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان رجلا ممن كان قبلكم استضاف قوما فاضافوه ولهم كلبة تنبح فقالت والله لا انبح ضيف اهلي الليلة فعوى جروها في بطنها فبلغ ذلك نبيا لهم او قيلا من اقيالهم فقال مثل هذا مثل امة تكون بعدكم يظهر سفهاؤها على حلمائها وقال الاحنف اياكم ورأي الاوغاد قالوا وما رأي الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا وسئل الاحنف عن الحلم فقال هو الذي تصبر عليه ولست بحليم ولكني صبور ويروى ان المهلب نازعه رجل من كبار بني تميم فاربى على المهلب والمهلب ساكت فقيل له في ذلك فقال كنت اذا اربى استحييت من سخف السباب وغلبة الآثام والسفاهة وكان اذا اربى تهلل وجهه وشمخت نفسه بان ظفر بفضل العفة ونبذ المروءة وخلع ربقة الحياء وقلة الاكتراث بسوء الثناء ومر المسيح عليه السلام على قوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال اكثم بن صيفي من حلم ساد ومن تفهم ازداد وكفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم ولقاء الاخوان غنم والمباشرة يمن ومن الفساد اضاعة الزاد وسب رجل الشعبي بقبائح نسبها اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال ابو بكر معك والله يدخل لا معي وقال رجل للاحنف بن قيس ان قلت كلمة لتسمعن عشرا فقال له الاحنف لكنك لو قلت عشرا لم تسمع مني واحدة ويروى ان رجلا سب الاحنف وهو يماشيه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال يا هذا ان كان بقي معك شيء فقله ههنا فاني اخاف ان سمعك فتيان الحي ان يؤذوك وسب رجل بعض الحكماء فقال له الحكيم لست ادخل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب وقال لقيط بن زرارة شعر

فقل لبني سعد فما لي وما لكم * ترقون مني ما استطعتم واعتق

افركم اني باحسن شيمة * بصير واني بالفواحش اخرق

وانك قد ساببتني فقهرتني * هنيئا مريئا انت بالفحش احذق

وقال رجل لابي ذر رضي الله عنه انت الذي نفاك معاوية من الشام لو كان فيك خير ما نفاك فقال يا ابن اخي ان ورائي عقبة كؤدا ان نجوت منها لم يضرني ما قلت وان لم انج منها فانا شر مما قلت وقال لقمان لابنه يا بني ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند الحاجة اليه وسب رجل بعض الحكماء فاعرض عنه فقال له اياك اعني فقال الحكيم وعنك اعرض وفي هذا المعنى قيل

قل ما بدا لك من زور ومن كذب * حلمي اصم واذني غير صماء

وقيل يوما للاحنف ما احلمك فقال لست بحليم ولكني اتحالم والله اني لاسمع الكلمة فاجم لها ثلاثا ما يمنعني من جوابها الا الخوف من ان اسمع ما هو شر منها وقال الشاعر

وليس يتم الحلم للمرء راضيا * اذا كان عند السخط لا يتحلم

كما لا يتم الجود للمرء موسرا * اذا كان عند العسر لا يتجشم

وروى ان رجلا سب جعفر بن محمد رضي الله عنه فقال اما ما قلت مما هو فينا فانا نستغفر الله منه وما قلت مما ليس فينا فانا نكلك فيه الى الله تعالى وقال بعض الحكماء احذروا الغضب فرب غضب استحق الغضبان به غضب الله تعالى وقال اكثم بن صيفي لا يكون الرجل حليما حتى يقول السفيه انه ضعيف مستذل ولا يكون مخلصا حتى يقول الاحمق انه لفسد ومن اشعر بيت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنى * اصبت حليما او اصابك جاهل

ولكن بحسن السيرة وعدل السنة ورجل غلب رجال الدنيا لا يجب وان تغلبه النساء

(حكاية) عزل الاسكندر غلاما من عماله عن عمل كبير خطير وولاه امر عمل آخر حقير فاتى ذلك الرجل بعض الايام الى الدركات فقال له الاسكندر كيف تجد عملك فقال اطال الله بقاء الملك الرجال لا تشرف بالاعمال بل الاعمال تشرف بالرجال وذلك بحسن السيرة والانصاف وافاضة العدل وتجنب الاسراف فاستحسن الاسكندر مقاله واعاده الى اعماله

(حكمة)

قال سقراط العالم مركب من العدل اذا جاءه الجور لا يثبت ولا يستقر

(حكمة)

وسئل بزرجمهر فقال باي شيء يظهر عز الملك فقال بثلاثة اشياء حفظ الاطراف مع دفع العدو عن الحوزة واكرام العلماء واعزازهم وحب اهل الفضل لانه كلما جار السلطان خاف اهل الاطراف وان كانت نعمهم كثيرة فانها مع الخوف لا تنساغ واذا كانت النعم قليلة ساغت مع الامن كما جاء في الحكاية

 * (حكاية) * يقال انه انقطع رجل من قافلة الحاج وغلط الطريق ووقع في الرمل فجعل

ووصف اعرابي رجلا فقال احلم من فرخ طائر وقال اعرابي ان الغضب عدو العقل ولذلك يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم وقال صعصعة بن صوحان الغضب مقدحة العقل فربما اصلد وربما ازند وقال اعرابي اذا جاء الغضب تسلط العطب وكان ابن عوان اذا غضب على احد من اهله قال سبحان الله بارك الله فيك وقال الاصمعي دفع اردشير الى رجل كان يقوم على رأسه كتابا وقال له اذا رأيتني اشتد غضبي فادفعه الى فكان فيه اسكن فلست باله انما انت بشر يوشك ان يأكل بعضك بعضا وتصير عن قريب للدود والتراب وهذه السيرة اول من سنها الملك تبع امر ان يكتب في كتاب اسكن فلست باله وقال لصاحبه اذا غضبت فاعرضه علي فكان اذا غضب عرضه عليه فاذا قرأه سكن غضبه وقال معاوية افضل ما اعطي الرجل العقل والحلم فاذا ذكر ذكر واذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر واذا غضب كظم واذا قدر عفا واذا اساء استغفر واذا وعد انجز وفي الحكمة مكتوب من اطاع الغضب حرم السلامة ومن عصى الحق عمره الذل وقال بعض الحكماء كظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفي ضرب من الجزع وقال آخر اول الغضب جنون وآخره ندم وقال بعض الحكماء اذا غلب على الرجل اربع خصال فقد عطب الرغبة والرهبة والشهوة والغضب (وقيل) لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لاغيظن من امره يغفر الله لي وله قيل له ومن امره قال الشيطان وقال رجل لاخيه اني مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكرك باشياء رحمتك منها قال فهل سمعتني اذكره بشيء قال لا قال فاياه فارحم وقال الفضيل ثلاثة لا يلامون على الغضب المريض والصائم والمسافر وقال الاحنف بن قيس لقد تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري اني جالس معه في فنائه وهو يحدثنا اذ جاء جماعة يحملون قتيلا ومعهم رجل مأسور فقيل له هذا ابنك قتله اخوك فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ من منطقه ثم انشد

اقول للنفس تأنيبا وتعزية * احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

ثم التفت الى بعض ولده فقال قم فاطلق عمك ووار اخاك وسق الى امه مائة من الابل فانها غريبة ومن انبل بيت قالته العرب قول بعضهم

فصح بالخير خرس بالخنى * رجح الاحلام ذيال الازر

وقال غيره

باحلام عاد لا يخاف جليسهم * اذا نطق العوراء عرب لسان
اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم * وان حدثوا ادوا بحسن بيان

وقال المسيح عليه السلام ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب تعالى وقيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينتقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهم فقال هم بعد العقوبة اعذر في ثلبي وتنقيصي (ويروى) ان جرير بن عبد الله بينما هو راكب قد أردف ابنه اذ لقيه رجل فنال منه وجرير ساكت فلما ولى قال له ابنه يا أبت لم سكت عنه قال يا بني أفأوسع جرحي وقال بعض الحكماء متى أشفي غيظي أحين اقدر فيقال لو عفوت أم حين أعجز فيقال لو صبرت وسئل بعض أصحاب الاحنف أكان الاحنف يغضب فقال نعم لو لم يغضب ما بان حلمه كان يغضبه الشيء يبين في وجهه اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم ومن لم يغضب من الاشياء التي مثلها يغضب فقد فقد من الفضائل الشجاعة والانفة والحمية والدفاع والاخذ بالثار والغيرة لان هذه الخصال نتائج الغضب ومن فقد الغضب فقد فقد أس الفضائل على ما سنذكر في باب الشجاعة ان شاء الله تعالى وعند فقد الشجاعة تكون المهانة ومن المهانة يكون سفساف الاخلاق ورذالة الطباع فلا يبقى لسائر فضائله موقع وكان يقال من لم يغضب فليس بحليم لان الحليم انما يعرف عند الغضب وقال الشعبي الجاهل خصم والحليم حاكم قال الشافعي

يسير الى ان وصل الى خيمة فرأى في الخيمة امرأة عجوزا وعلى باب الخيمة كلبا نائما فسلم الحاجي على العجوز وطلب منها طعاما فقالت العجوز امض الى ذلك الوادي واصطد من الحيات بقدر كفايتك لاشوي لك منها واطعمك فقال الرجل أنا لا اجسر اصطاد الحيات فقالت العجوز أنا اصطاد معك فلا تخف فمضينا وتبعها الكلاب فاخذوا من الحيات بقدر حاجتهم فاتت العجوز وجعلت تشوي الحيات فلم ير الحاجي بدا من الاكل وخاف ان يموت من الجوع والهزال فاكل ثم انه عطش فطلب منها الماء فقالت دونك والعين فاشرب فمضى الى العين فوجد ماءها مرا مالحا ولم يجد من شربه بدا فشرب وعاد الى العجوز وقال أعجب منك أيتها العجوز ومن مقامك في هذا المكان واغتذائك بهذا الطعام فقالت العجوز كيف تكون بلادكم فقال يكون في بلادنا الدور الرحبة الواسعة والفواكه اليانعة والمياه العذبة والاطعمة الطيبة واللحوم السمينة والنعم الكثيرة والعيون الغزيرة فقالت العجوز وقد سمعت هذا كله فقل لي هل تكونون تحت يدي سلطان يجور عليكم واذا كان لكم ذنب أخذ أموالكم واستأصل أحوالكم واخرجكم من بيوتكم وأملاككم فقال قد يكون ذلك فقالت اذا

من

من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو جبار وقد كان النبي عليه السلام يغضب ولكنه انما كان يغضب لا لنفسه بل عند انتهاك حرمة ربه واعلم ان الله تعالى ما مدح من لا يغضب وانما مدح من كظم الغيظ فقال والكاظمين الغيظ وقد انشد النابغة الجعدي بحضرة النبي عليه الصلاة والسلام

ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فلم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله وكان ابن عمر اذا سافر استصحب سفيها ويقول أستدفع به شر السفهاء عني واعلموا أرشدكم الله ان احسن خصال الملوك وأجلها قدرا وهي حلية الانبياء ولبسة الاصفياء وجمال السوقة والرؤساء وأعظمها في النفوس موقعا وأعمها على الرعايا نفعا وأخلدها على مر الايام ذكرا وأجلها في المحافل والمحاسن نشرا وهي الفضيلة التي تعم سائر الفضائل وتكمل بها سائر المحاسن الحلم وها أنا اتلو عليك من ذلك ما يقضي فيه العجب (هذه) دولة آل العباس اولهم ابو العباس السفاح والى يومنا هذا لم يكن فيهم اجل من المأمون بلغ من حلمه انه كان يقول لو علم الناس مالي في لذة العفو ما تقربوا الي الا بالجرائم فاق حلمه سائر خلفاء بني العباس حتى صار يضرب المثل بحلمه وبهذه الخصلة تهيأ ملكه وقهر أخاه الامين (ومنها) دولة بني أمية أولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان الجعدي لم يكن فيهم أحلم من معاوية ولاجرم دانت له الدنيا وملك بها رقاب العرب والعجم وصار حلمه يضرب به المثل ويقتدي به الخلق ويتخلق به العقلاء حتى حكي عنه انه كان يقول لو كان بيني وبين الناس خيط عنكبوت أو شعرة ما انقطعت اذا جذبوا أرسلت واذا أرسلوا جذبت (وهذه) دولة الفرس وكانت أعظم دول الارض وأشدها بأسا وأكثرها علوما وحكما لم يكن في أكاسرها أحلم من كسرى انوشروان وصار يضرب بحلمه المثل وتطرز بسيرته الكتب والمصنفات فيروى ان امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه لقي كبيرا من كبراء فارس فقال له ما أحمد خصال ملوككم فقال السبق لشيرويه وأحمدهم سيرة أنوشروان فقال له علي وما كان اغلب خصاله عليه قال الحلم والاناة قال علي هما توأم ينتجهما علو الهمة وبلغ من حلمه انه كان يضيق صدره بحلمه فقال في خصلتان لولا انهما ظاهرتان عند الرعية لضقت بهما ذرعا الحلم والاناة فأخلق بخصلة تعم منفعتها ويبقى على الدهر جمالها وتخلد في العلماء والعقلاء والملوك والسوقة بهجتها وحسن مصادرها ومواردها أن يتخذها الملوك شعارا ودثارا وانما قصدت الحكماء من الملوك خاصة فاما من سواهم من الرعية كالاحنف ونظرائه فلا يحصون كثرة

(الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغضب)

فاول ذلك انك اذا نظرت الى تغير اشكالك وتبدل صورتك واحمرار وجهك وانتفاخ أوداجك وذهاب جنانك وسقط كلامك وفحش ما يخرج من فيك لامسكت عن الغضب ولطالما كنت تستحي ان تتكلم بين يدي الجلساء باليسير الجائز فعمدت تهدر بالكثير الفاحش ولو ان من غضب استذكر اذا صحا وسكن غربه انقلاب صورته وتغير وجهه واضطراب شفتيه وارتعاد أطرافه وسقط كلامه وخوى خطابه والتفاف لسانه وخفة عقله وطيشه ووثوبه من مجلسه كأنه نمر وسرعة التفاته يمينا وشمالا كأنه قرد وعدم فهمه لما يسمع وقلة التفاته الى من يعظه وينصحه كأنه احمق ومن شؤم الغضب وعظيم بليته انه قد يقتل النفوس ويسلب الروح وكان سبب موت مروان بن عبد الملك انه وقع بينه وبين أخيه سليمان كلام فعجل عليه سليمان فقال يا من يلحق امه ففتح فاه ليجيبه واذا

يعود ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف والحلوى العجيبة مع الجور والظلم سما ناقعا ونعود اطعمتنا مع الامن ذرياقا نافعا اما سمعت ان أجل النعم بعد نعمة الاسلام الصحة والامن فالامن يكون من سياسة السلطان فيجب على السلطان ان يعمل بالسياسة وان يكون مع السياسة لان السلطان خليفة الله وان تكون هيبته بحيث اذا رأته الرعية خافوا ولو كان بعيدا وسلطان هذا الزمان يجب ان تكون له أوفى سياسة وأتم هيبة لان أناس هذا الزمان ليسوا كالمتقدمين فان زماننا هذا زمان ذوي الوقاحة والسفهاء وأهل القساوة والشحناء واذا كان السلطان والعياذ بالله بينهم ضعيفا او كان غير ذي سياسة فلا شك ان ذلك يكون سبب خراب البلاد وان الخلل يعود على الدين والدنيا وفي الامثال جور السلطان مائة سنة ولا جور الرعية بعضهم على بعض سنة واحدة واذا جارت الرعية سلط الله عليهم سلطانا جائرا وملكا قاهرا كما جاء في الحكاية

(حكاية)

أعطى الحجاج بن يوسف يوما قصة فيها مكتوب اتق الله ولا تجر على الناس كل هذا الجور فرقي الحجاج المنبر وكان فصيحا فقال أيها الناس ان الله سلطني عليكم باعمالكم فان انا مت لا تتخلصون انتم من الجور مع هذه الاعمال

بجنبه عمر بن عبد العزيز فاسـلك على فيه ورد كلامه وقال يا ابن عبد الملك أخوك وامامك وله السن عليك فقال يا أبا حفص قتلتني قال وما صنعت بك قال رددت في جوفي أحر من الجمر ومال لجنبيه فمات ولعمري انه يزيد على الحمق (ومنها) أن ينتقل من الحالة التي كان عليها الى غيرها كانت الفرس تقول اذا غضب القائم فليجلس واذا كان جالسا فليقم وبهذا المذهب كان يأخذ المأمون نفسه (و يروى) شكي الى النبي صلى الله عليه وسلم القسوة فقال اطلع في القبور واعتبر بالنشور (وكان) بعض ملوك الطوائف اذا غضب ألقي بين يديه مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبه (وكان) عكرمة يقول في قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت يعني اذا غضبت فانه اذا ذكر الله خاف منه فيزول غضبه (وفي) التوراة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب ولا امحقك فيمن امحق (ومنها) ان يذكر نفرة القلوب عنه وسقوط منزلته عند ابناء جنسه ووصفهم لقبائحه وطيشه وسخفه فيكون ذلك سببا لزوال غيظه (ومنها) ان يتذكر انعطاف القلوب عليه وانطلاق الالسنة بالثناء عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عز وزين وان السفه ذل وشين (روى) ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ازداد رجل بعفو الا عزا فاعفوا يعزكم الله (وقال) بعض الحكماء من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباده (وكتب) بعض ملوك الفرس كتابا ودفعه الى وزيره وقال له اذا غضبت فناولنيه وفيه مكتوب مالك وللغضب انما انت بشر ارحم من في الارض يرحمك من في السماء (وكان) معاوية كثيرا ما ينشد

انا اذا مالت دواعي الهوى ◦ وانصت السامع للقائل
واعتلج الناس بالبائهم ◦ نقضي بحكم عادل فاصل
نخاف ان تسفه احلامنا ◦ ونخمل الدهر مع الخامل

(وقال) بعض الحكماء اياك وعزة الغضب فانها تفضي الى ذلة العذر وقال الشاعر

واذا ما اعترتك في الغضب العزة فاذكر تذلل الاعتذار

وقال غيره

زررنا على غير الفواحش قمصنا ◦ ولم نستجز الا الذي هو اجوز

(وقال) عبد الله بن مسلم بن محارب لهرون الرشيد يا امير المؤمنين اسألك بالذي انت بين يديه أذل مني بين يديك وبالذي هو اقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني فعفا عنه لما ذكره قدرة الله عليه (وقال) رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى بن الاشعث ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله تعالى ما يحب من العفو (وقال) المأمون لعمه ابراهيم بن المهدي وكان مع اخيه عليه اني شاورت في امرك فاشاروا علي بقتلك الا اني وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل للازم حرمتك فقال يا امير المؤمنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة الا انك ابيت ان تطلب النصر الا من حيث ◦ ودته من العفو فان عاقبت فلك نظير وان عفوت فلا نظير لك وانشأ يقول

البر بي منك وطا العذر عندك لي ◦ فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي ◦ مقام شاهد عدل غير متهم

(وقال) بعض الحكماء الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لؤم (ومنها) أن يتذكر ما يؤول اليه الغضب من الندم ومذلة الانتقام وشروع القصاص في بدنه بين يدي من لا يرحمه فان ذلك مما يرده من الغضب

◦ (الباب الثلاثون في الجود والسخاء وهذه الخصلة الجليل
قدرها العظيم موقعها الشريف موردها ومصدرها) ◦

وهي احدى قواعد المملكة وأساسها وتاجها وجمالها تعنو لها الوجوه وتذل لها الرقاب وتخضع لها

ولا اظالم الا سيبلى بظالم

(وسئل بزرجمهر) اي الملوك افضل واطهر فقال من أمنه الطاهرون وخاف منه الخاطئون واما السلطان الذي لا سياسة له فليس له في اعين الناس والرعية خطر ويكون الخلق عليه ساخطين ويذكرونه كل وقت بالقبيح الا ترى ان الانسان اذا كان من عوام الولاية وتولى عليها واراد ان يطالب الحساب من الرعية اول ما يكلمهم بالهيبة ويظهر لهم جاهه بالسياسة لعلمه ان الرعية ينظرونه بالعين الاولى وفي هذا الباب حكاية عجيبة

(حكاية)

كان لابي سفيان بن حرب ولد وكان يدعى زياد بن ابيه لانه كان قد ولد في الجاهلية ونفاه وتبرأ منه أبو سفيان وقال ما هو لي بولد فلما وصل الامر الى معاوية قربه اليه وادناه وولاه ولاية العراق فلما وصل زياد الى عمل العراق وجد أهل العراق يوما غائبين يفسدون ويسرقون فقصد زياد المسجد الجامع ورقي المنبر وخطب خطبة ثم قال بعد خطبته والله لئن خرج

الجبابرة ويسترق بها الاحرار ويستمال بها الاعداء ويستكثر بها الاولياء ويحسن بها الثناء
ويملك بها القرباء والبعداء ويسود بها في غير عشائرهم الغرباء (وهذه) الخصلة بالعزائم الواجبات
أشبه منها بالجمال والمتممات وكم قد رأينا من كافر ترك دينه والتزم دين الاسلام ابتغاء عرض قليل
من الدنيا يناله وكم قد سمعنا من مسلم ارتد في أرض الشرك افتتانا بيسير من عرض الدنيا وأخلق بخصلة
يترك لها الانسان دينه الذي يبذل دونه نفسه أن تكون جليلة القدر عظيمة الخطر وأحوج خلق
الله اليها أفقرهم الى عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك والولاة (واعلموا)
يامعشر من وسع الله عليه دنياه وأسبغ عليه آلاءه ونعماه انه ليس في الجنة لا وحسبك بكلمة لاتدخل
الجنة سقوطا وضعة وانما أسست الجنة على ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين (وهذه) الخصلة اعني
الكرم والجود والسخاء والايثار بمعنى واحد يوصف الباري تعالى بالجود ولا يوصف بالسخاء كما يوصف
بالعلم ولا يوصف بالعقل لعدم التوقيف (وحقيقة) الجود هي ان لا يصعب عليه البذل ويقال السخاء
هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن اعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل
الاكثر فهو صاحب جود ومن آثر غيره بالحاضر وبقي هو في مقاساة الضر فهو صاحب ايثار (قال)
ذو النون بداية السخاء أن تسخو نفسك بما في يديك ونهايته ان تسخو نفسك بما في ايدي الناس وان
لاتبالي من كل الدنيا (وتذاكر) قوم من الزهاد عند رابعة العدوية فجعلوا يذمون الدنيا
ويكثرون من ذلك فقالت رابعة من أحب شيأ أكثر من ذكره واصل السخاء والسماحة وان يؤتي
مايؤتيه من طيبة نفس (وقد يكون) المعطي بخيلا اذا اصعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان
لايستصعب العطاء وان منع ولهذا قال علماؤنا ان الله تعالى لم يزل جوادا وان لم يقع منه عطاء في الازل
لان العطاء فعل والفعل في الازل مستحيل (وقالت) الحكماء أيها الجامع لاتخدعن فالمأكول للبدن
والموهوب للمعاد والمتروك للعدو وقال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (قال) ابو
هريرة رضي الله عنه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني جائع فاطعمني
فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى ازواجه فقلن والذي بعثك بالحق ماعندنا الا الماء فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ماعند رسول الله مايطعمك الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله
فقال رجل من الانصار أنا يارسول الله فحمله الى منزله وقال لاهله هذا ضيف النبي صلى الله
عليه وسلم فاكرميه ولا تدخري عنه شيأ فقالت ماعندنا الا قوت الصبية فقال قومي فعلليهم عن
قوتهم حتى يناموا ثم اسرجي وابرزي فاذا أخذ الضيف ليأكل قومي كأنك تصلحين السراج فاطفئيه
وتعالي نمضغ السنتنا لضيف النبي صلى الله عليه وسلم ففعلت وجعلا يمضغان السنتهما والضيف يظن
انهما يأكلان وباتا طاويين فلما اصبحوا ونظر النبي صلى الله عليه وسلم اليهما تبسم ثم قال لقد عجب
الله من فلان وفلانة هذه الليلة ونزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية (وقال) أنس
اهدى لبعض الصحابة رأس شاة مشوية وكان مجهودا فوجه به الى جاره فوجه به الجار الى اهل بيت آخر
فتداولته سبعة ابيات حتى عاد الى الاول فنزلت ويؤثرون على انفسهم (وقال) حذيفة العدوى
انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شئ من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين
القتلى فقلت اسقيك فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت
أسقيك فسمع آخر يقول آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئته فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام
فوجدته قد مات ثم رجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات (وروت) عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي
صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد

ثلاثة أيام فلما اقبلت الليلة الرابعة خرج زياد وقد مضى من الليل ثلثه فركب وجعل يطوف بحال البلد فرأى رجلا
اعرابيا ومعه غنم له وهو
قائم فسأله زياد ماتصنع
ههنا فقال الاعرابي أتيت
مساء ولم أجد موضعا
استقر فيه فنزلت مكاني
الى أن أصبح وابيع غنمي
فقال له زياد انا اعلم انك
صادق وان أطلقتك
خفت أن يذيع الخبر عني
ان زيادا يقول ولا يفعل
فتفسد سياستي وتنكسر
همتي والجنة خير لك من
ههنا وضرب عنقه ثم جعل
يسير فكل من لقيه ضرب
عنقه وحز رأسه فلما اصبح
من الغد كان قد أخذ الف
وخمسمائة رجل وجعلها
على باب داره مثل البيدر
فتهوله الناس وجزعوا لما
رأوا من فعله فلما كان
الليل خرج وطاف فلقي
ثلثمائة رجل أخذ رؤسهم
فلم يقدر بعد ذلك أحد أن
يخرج من منزله بعد العشاء
الآخرة فلما كان يوم الجمعة
رقي المنبر وقال لا يغلقن
أحد منكم منزله بالليل
ولا باب دكانه ومهما سرق
منكم كانت غرامته علي
فلم يجسر أحد ان يغلق في
تلك الليلة دكانه فلما كان
من الغد أتاه رجل صيرفي
وقال له قد سرق مني
البارحة اربعمائة دينار
فقال له اكتم هذا الامر
ولا تشعرن به أحدا فلما
كانت الجمعة الثانية واجتمع الناس للصلاة صعد زياد المنبر وقال اعلموا انه قد سرق من دكان فلان الصيرفي اربعمائة دينار وانا

وأنتم كلكم حاضرون فان رددتم ذلك فقد عاد الى الرجل ماله وان لم تردوه فقد تقدمت أن لا يخرج أحد منكم من الجامع

من الناس بعيد من الجنة والجاهل السخي أحب الى الله من العابد البخيل (وروى) ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ابن آدم انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت او لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت
(واعلم) ان السخاء على وجوه سخاء في الدين وسخاء في الدنيا فالسخاء في الدنيا البذل والعطاء والايثار
وسماحة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار
وبغض جمع المال وتعاهد الاخوان مسرورا به بذلك والسخاء في الدين ان تسخو نفسك أن يتلفها
الله تعالى وتريق دمك في الله سماحة من غير كراهة لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت
غير مستغن عن الثواب لان الغالب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله تعالى
حتى يفعل الله بك ما لا تحسن ان تختاره لنفسك (وقيل) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد
قال الجواد اذا سئل الحليم اذا استجهل الكريم المجالسة لمن جالسه الحسن الخلق لمن جاوره (وقال)
النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا وأجلهم في النفوس
قدرا فسكت القوم فقال فتى أبيت اللعن افضل الناس من عاش الناس في فضله قال صدقت (وقال)
الحسن باع طلحة بن عثمان ارضا بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده
لا يدري ما يطرقه لغرير بالله ثم جعل رسوله يختلف حتى قسمها وما أصبح عنده منها درهم (وكان)
اسماء بن خارجة يقول ما احب ان أرد احدا عن حاجة لانه ان كان كريما اصون عرضه وان كان لئيما
أصون عنه عرضي (وكان) مروان العجلي يتلطف في ادخال الرفق على اخوانه فيضع عند احدهم الف
درهم ويقول امسكوها حتى أعود اليكم ثم يرسل اليهم انتم منها في حل (وقال) العتبي اعطى الحكم بن عبد
المطلب جميع ما يملكه فلما نفد ما عنده ركب فرسه وأخذ رمحه يريد الغزو ومات بمنبج فاخبرني رجل من
اهل منبج قال قدم علينا الحكم وهو مملق لا شئ معه فأغنانا قيل كيف أغناكم وهو مملق فقال ما أغنانا بمال
ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا وأكرم العرب في الاسلام طلحة بن عبيد الله جاءه
رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطي بمكان كذا وكذا وقد اعطيت به ستمائة الف درهم
يراح بالمال الى العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط (ويروى) ان رجلا بعث الى حنظلة
بجارية فوافقته بين اصحابه فقال قبيح ان آخذها لنفسي وانتم حضور وأكره ان اخص بها واحدا
منكم وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين رجلا فأمر لكل واحد منهم بجارية
او وصيف (وقيل) لقيس بن سعد هل رأيت قط اسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضر
زوجها فقالت له انه نزل بك ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان الغد جاء باخرى ونحرها
وقال شأنكم فقلنا ما أكلنا من التي نحرت البارحة الا اليسير فقال اني لا اطعم اضيافي الغاب فأقمنا عنده
أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة اعتذري لنا
منه ومضينا فلما متع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا ايها الركب اللئام اعطيتموني ثمن القرى ثم انه
لحقنا وقال لتأخذونها والا طعنتكم برمحي فأخذناها وانصرف (وقال) ميمون بن مهران من طلب
مرضاة الاخوان بلا شئ فليصحب اهل القبور (وقال) ابن عباس لا يتم المعروف الا بثلاثة تعجيله
وتصغيره وستره فاذا عجله فقد هنأه واذا صغره فقد عظمه واذا ستره فقد تممه (وقال) الحسن كان
احدهم يشق ازاره لاخيه بنصفين (وقال) المغيرة في كل شئ سرف الا في المعروف (وقيل) للحسن بن
سهل لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ونظمه محمد بن حازم فقال

لا الفقر عار ولا الغنى شرف * ولا سخاء في طاعة سرف
مالك الا شئ تقدمه * وكل شئ أخرته تالف

وآمر بقتلكم في هذه
الساعة ففي الحال الزموا
من كانوا يتهمونه بالسرقة
وقدموه بين يديه فرد
الذهب الذي سرقه فأمر
بصلبه في الحال ثم انه سأل
أي محلة بالبصرة ليس فيها
أمن فقالوا محلة بني الازد
فأمر ان ينزل فيها بالليل
ثوب ديباج له قيمة ثقيلة
بحيث لا يراه أحد فبقي
أياما ملقى بحاله ولم تمكن
لاحد مرارة ان يقربه ولا
ينقله من مكانه فقال له
أقاربه بعد ذلك ان السياسة
خير الاشياء الا انك لم
ترحم المسلمين أولا
وأهلكت خلقا كثيرا
عظيما فقال قد أخذت
الحجة عليهم قبل ذلك
بثلاثة أيام ومن شؤم
أعمالهم لم ينتهوا والذي
أصابهم من شؤم أخلاقهم
* (فصل) * ولا ينبغي
للسلطان ان يشتغل دائما
بلعب الشطرنج والنرد
وشرب الخمر وضرب
الكرة والصيد لان هذه
تمنعه وتشغله عن الاشغال
ولكل عمل وقت فاذا فات
الوقت عاد الربح خسرانا
والسرور أحزانا فان الملوك
القدماء قسموا النهار
أربعة اقسام منها قسم
لعبادة الله وطاعته وقسم
للنظر في أمور السلطنة
وانصاف المظلومين والجلوس مع العلماء والعقلاء لتدبير الامور وسياسة الجمهور وتنفيذ

واما

* وأما طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات وانما سمي بهذا الاسم لانه كان عظيم البذل في كل وجه وكان يبتاع الرقاب فيعتقها وكان كل معتق يولد له ولد ذكر سماه طلحة فبلغ عددهم الف رجل كل يسمى طلحة فسمي طلحة الطلحات ثم ولي سجستان وفيه يقول الشاعر

نضر الله اعظما دفنوها * بسجستان طلحة الطلحات

فقد بلغه ان معلمه كان في الكتاب بالحجاز قد قعد به الدهر فارسل اليه مع غلامه مائة الف فقال سلمها اليه فان يكن مات وله ولد فادفعها الى ولده وان لم يكن له ولد ففرقها على قومه فوافقه الرسول قد مات ولم يعقب ففرقها في قومه (وقال) زيد بن اسلم وكان من الخاشعين يا ابن آدم امرك الله ان تكون كريما وتدخل الجنة ونهاك ان تكون لئيما وتدخل النار (وقال) حكيم بن حزام ما اصبحت قط صباحا لم ار ببابي طالب حاجة الا عددتها مصيبة أرجو ثوابها (ولما) مات وجد عليه مائتا الف دينار ووجد مكتوبا على حجر انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل على نفسك هم مالم يأتك * واعلم ان تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته (وقال) على بن ابي طالب رضي الله عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما انت فيه خازن لغيرك (وروى) مالك في الموطا ان مسكينا سال عائشة وهي صائمة وليس في بيتها الا رغيف فقالت لمولاة لها اعطيه اياه فقالت ليس لك ما تفطرين عليه فقالت اعطيه اياه ففعلت فلما أمست اهدى لها اهل بيت شاة وكفنها يعني ملفوفة بالزعفران فقالت لي عائشة كلي هذا خير من قرصك (وقال) عبد الله بن عمر ما كان احدنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل شيأ (وقال) الحسن كنا نعد البخيل من يقرض اخاه الدرهم (ومن عجائب) ما روى في الايثار ما ذكره ابو محمد الازدي قال لما احترق المسجد بمصر وظن المسلمون ان النصارى أحرقوه فاحرقوا خانا لهم فقبض السلطان جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال ما كنت أبالي لولا أم لي وكان بجانبه بعض الفتيان فقال له في رقعتي الجلد وليست لي أم فادفع الي رقعتك وخذ رقعتي ففعلا فقتل ذاك وتخلص هذا (وحكى) ان أبا العباس الانطاكي اجتمع عنده نيف وثمانون رجلا بقرية بقرب الري ولهم ارغفة لم تسع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام الى ان كفوا فلما رفع اذا الطعام بحاله لم يأكل منه واحد منهم ايثارا لصاحبه على نفسه (وروى) انه اجتمع بالرملة جماعة من أرباب القلوب فحضر طبق فيه تين اخضر وقد غسق الليل فكان الواحد يمد يده فاذا ظفر بحبة حصرم يأكلها وان ظفر بطيب دفعه الى صاحبه ولم يأكله فلما رفع الطبق اذا الطيب كله في الطبق لم يأكلوا منه شيأ (وقال) بعض الرواة دخلت على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب فقلت يا أبا نصر الناس يزيدون الثياب في مثل هذا اليوم وأنت تنقص فقال ذكرت الفقراء وما هم فيه ولم يكن لي ما أواسيهم به فاردت ان أرافقهم بنفسي في مقاساة البرد (وقال) الاستاذ ابو علي لما سعى غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة امر بضرب اعناقهم فاما الجنيد فانه تستر بالفقه وكان يفتي على مذهب ابي ثور واما الشحام والرقام والنوري وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النوري أمامهم فقال له السياف أتدري لماذا تتقدم وتسابق قال نعم قال وماذا يعجلك قال أوثر اصحابي بحياة ساعة فتحير السياف وانتهى الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضي ليتعرف حالهم فالقى القاضي على ابي الحسن النوري مسائل فقهية فاجاب عن الكل ثم اخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد الفاظا حتى أبكى القاضي فارسل الى الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم (ولما) مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه في العيادة

المراسم والاوامر والكتابة وانفاذ الرسل وقسم للاكل والنوم والتزود من الدنيا وأخذ الحظوظ من الفرح والسرور وقسم للصيد ولعب الكرة والصولجان وما أشبه ذلك ويقال ان بهرام كور قسم نهاره قسمين وجعله نصفين ففي الاول كان يقضي أشغال الناس وفي الثاني كان يطلب الراحة ويقال انه في جميع ايامه ما اشتغل يوما تاما بعمل واحد وكان أنوشروان العادل يأمر أصحابه أن يصعدوا الى أعلى مكان في البلد لينظروا الى بيوت الناس فكل بيت لا يخرج منه دخان نزلوا وسألوا عن أحوال أولئك القوم وما خطبهم فان كانوا في غم اعلموا أنوشروان فكان يحل غمومهم ويزيل همومهم ويجب على السلطان أن لا يرضى لغلمانه أن يتناولوا شيأ من الرعية بغير حق كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال انه كان قد ولي أنوشروان العادل غلاما فأنفذ اليه العامل زيادة ثلاثة آلاف درهم فامر انوشروان باعادة الزيادة على أصحابها وأمر بصلب العامل وكل سلطان أخذ من رعيته شيأ بالجور والغصب وخزنه في خزانته كان مثله كمثل رجل عمل أساس حائط ولم يصبر عليه حتى يجف فوضع البنيان عليه وهو رطب فلم يبق الاساس ولا الحائط وينبغي للسلطان أن يهتم بامور

الدنيا كما يهتم باخذها ما يأخذه من الرعية بقدر وان يهب ما يهب بقدر لان لكل واحد من هذين الامرين حدا وقدرا كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال ان المأمون ولى يوما اربعة نفر اربع ولايات فاعطى احدهم منشور البخراسان واعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار واعطى الآخر منشورا بخورستان واعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار وولى الآخر وهو الثالث ولاية مصر وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار وولى الرابع ولاية وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار ثم استدعى موبذان وقال له يا دهقان هل اعطى ملوك العجم في أيام ملكهم لاحد مثل هذه الخلع فانه بلغني ان خلعهم ما كانت تبلغ أكثر من اربعة آلاف درهم فقال الموبذان أطال الله بقاء امير المؤمنين كان لملوك العجم ثلاثة أشياء ليت لكم احدها انهم كانوا يأخذون ما يأخذون من الناس ويعطون ما يعطونه بقدر الثاني انهم كانوا يأخذون من موضع يجوز منه الاخذ ويعطون لمن ينبغي ان يعطى الثالث انهم ما كان يخافهم الا المذنب فقال له المأمون صدقت ولم يرد عليه جوابا ولاجل هذا فتح المأمون باب تربة كسرى وكشف تابوته وفتشه ونظر سحنة وجهه وهي بحالها ما بليت والثياب عليه بحدتها ما تمزقت

فسأل عنهم فقال انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر من ينادي من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد (ويروى) ان عبد الله بن جعفر وكان احد الاجواد خرج الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يقوم عليها فاتى بقوته ثلاثة أقراص ودخل كلب ودنا من الغلام فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكلهما وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا قال عبد الله بن جعفر الام على السخاء وهذا اسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهب ذلك له (وقال) النوري رأيت محمد بن سوقة بالغداة صاحب مائة الف وبالعشي سألناه من أصحابه خبزة (وقال) ابو عبد الرحمن دخل ابو عبد الله الروذباري الى دار بعض اصحابه فوجده غائبا وهناك بيت مقفل فكسر القفل وامر بجميع ما وجد فيه من المتاع فانفذوه الى السوق فباعوه واصلحوا به وقتا من الثمن فجاء صاحب الروذباري فلم يقل شيئا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت بيتا ورمت بالكساء وقالت يا أصحابنا هذا ايضا من جملة المتاع فبيعوه فقال زوجها لم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء نذخره عنه (واما) عبد الملك بن بحر فورث خمسة آلاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال ما كنت لاسأل لاخواني الجنة في صلاتي وابخل عليهم بمالي (ويروى) ان الاشعث بن قيس ارسل الى عدي بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فملأها وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة (وقال) بزرجمهر لاعز أثبت اركانا ولا أبذخ بنيانا من بث الكرم واكتساب الشكر وذلك أن عز التعظيم بالفعل الجميل باق في قلوب الرجال ومن تحصن بالجود وتحرز بالمعروف فقد ظفر بمن ناواه وربح الشكر والثواب (ويروى) ان عبد الله بن ابي بكر وكان أحد الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فاخرجت كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امرأة من العرب مات زوجي منذ ايام فشرب عبد الله وقال يا غلام احمل اليها عشرة آلاف فقالت سبحان الله تسخر بي فقال يا غلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال يا غلام احمل اليها الثلاثين الفا فقالت أف لك فحمل اليها الثلاثين ألف درهم فما أمست حتى كثر خطابها (وقال) بعض الرواة قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال اربعمائة درهم على دين فدخل الدار واخرجها اليه ثم دخل الدار باكيا فقالت له امرأته هلا تعللت حين شقت عليك الاجابة قال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مكاشفتي (وقال) اكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع فان وقع وجد متكأ (وقال) الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا (ويروى) عن امرأة من المتعبدات انها قالت لحبان بن هلال وهو في جماعة من اصحابه ما السخاء عندكم قال البذل والايثار قالت فما السخاء في الدين قال ان تعبدى الله تعالى سخية به نفسك غير مكرهة قالت أفتريدون على ذلك جزاء قالوا نعم لان الله تعالى وعد على الحسنة بعشر أمثالها قالت فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرا فأي شيء سخيتم به وانما السخاء ان تعبدوا الله تعالى متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون بذلك اجرا الا تستحيون ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انها تريد شيئا بشيء (وقالت) بعض المتعبدات لبعض المتعبدين أتظن السخاء في الدينار والدرهم فقط انما السخاء في بذل مهج النفوس لله تعالى (وقال) ابو بكر الدقاق وليس السخاء ان يعطي الواجد المعدم انما السخاء ان يعطي المعدم الواجد (وقال) الشيخ أبو عبد الرحمن كان الاستاذ ابو سهل الصعلوكي

من الاجواد لم يكن يناول احدا شيأ بيده وانما كان يطرحه على الارض فيتناوله الآخذ من الارض وكان يقول الدنيا اقل خطرا من ان يرى من اجلها يدي فوق يد اخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وكان يتوضأ يوما في صحن داره فدخل عليه انسان وسأله شيأ فلم يحضره شئ فقال اصبر حتى افرغ فلما فرغ قال خذ القمقمة واخرج فلما خرج وعلم انه بعد صاح وقال دخل انسان واخذ القمقمة فشوا خلفه فلم يدركوه وانما فعل ذلك لانهم كانوا يلومونه على البذل وفي معناه قال الشاعر

ملأت يدي من الدنيا مرارا * فما طمع العواذل في اقتصادي
ولا وجبت على زكاة مال * وهل تجب الزكاة على جواد

(وكان) ابو مرثد احد الكرام فمدحه بعض الشعراء فقال ما عندي ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي عشرة آلاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني مسجونا ففعل ذلك فلم يمسوا حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم (وقال) زياد بن جرير رأيت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف في مجلس وانه ليخيط ازاره بيده (ولما) دخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها يا ام المؤمنين اصابني فاقة فقالت ما عندي شئ فلو كانت عندي عشرة آلاف لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف من عند خالد بن أسيد فارسلت بها في اثره فاشترى جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد فكانوا عباد المدينة محمد وابو بكر وعمر و بنو المنكدر (وقال) يحيى بن معين كان جرير بن يزيد في دار المطلب فجاء انسان يسأله فقال للغلام اذهب الى الجواري فقل لهن من اراد منهن ان تصبغ ثيابها فلتبعث بها فجاء الغلام بثياب كثيرة فقال للسائل خذها (وقال الاصمعي) كانت حرب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها حتى مشي بين الناس بالصلح فاجتمعوا في المسجد الجامع قال فبعثت وانا غلام الى ضرار بن القعقاع بن حازم فاستأذنت عليه فأذن لي فاذا هو وعليه شملة يخلط نوى لعنز له حلوب فخبرته بمجتمع القوم فأمهل حتى اكلت العنز ثم غسل القصعة وقال يا جارية غدينا فاتته بزيت وتمر قال فدعاني فقذرته ان آكل معه حتى اذا قضى من اكله حاجته وثب الى طين ملقى في الدار فغسل به يده ثم صاح بالجارية فقال اسقيني ماء فأتته بماء فشرب ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نؤدي شكر هذه النعم ثم قال على بردائي فاتته برداء عدني فارتدى به على تلك الشملة قال الاصمعي فتجافيت عنه استقباحا لزيه فدخل المسجد وصلى ركعتين ومشى الى القوم فلم تبق حبوة الا حلت اعظاما له ثم جلس فتحمل ما كان بين الاحياء من الديات في ماله وانصرف (وكان) البهلول بن راشد الفقيه لما سجن يعطي كل يوم السجان دينارا فاستكثره اصحابه وكلموه في ذلك فقال لهم حفص بن عمارة سمعت سفيان الثوري يقول اذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يديه فخر بهلول على يديه وقبلها وجعل يقول سألتك بالله انت سمعته يقول هذا فحلف بالله لقد سمعته يقوله (وقال الشاعر)

ذريني اكن للمال ربا ولا يكن * لي المال ربا تحمدي غبه غدا
اريني جوادا مات هزلا لعلني * أرى ما ترين او بخيلا مخلدا

(وكان) عبد الله بن ابي بكر ينفق على أربعين دارا من جيرانه عن يمينه واربعين عن يساره وأربعين امامه وأربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك واشترى يوما جارية بعشرة آلاف فطلب دابة يحملها عليها فقال رجل هذه دابتي فقال احملوها على دابته الى داره (وقال عبد الله بن زهير)

ولا خلقت والخاتم في اصبعه وفصه من ياقوت احمر كثير الثمن ما رأى المأمون قبله فصا مثله وكان على فصه مكتوب به مه نه مه به معنى ذلك الاجود أكبر لبس الاكبر أجود فامر المأمون ان يغطى بثوب نسيج من الذهب وكان مع المأمون غلام خادم فاخذ الخاتم من اصبع كسرى ولم يشعر به المأمون فلما علم به أمر باهلاكه وأعاد الخاتم الى اصبع انوشروان وقال كاد يفضحني بحيث يقال عني الى يوم القيامة ان المأمون كان نباشا وانه فتح قبر كسرى وأخذ خاتمه من اصبعه

(حكاية)

سأل الاسكندر يوما جماعة من حكمائه وكان قد عزم على سفر فقال أوضحوا الى سبيلا من الحكمة احكم فيه اعمالي واتقن به اشغالي فقال كبير الحكماء أيها الملك لا تدخل قلبك محبة شئ ولا بغضته لان القلب خاصيته كاسمه وانما سمي قلبا لتقلبه واعمل الفكر واتخذه وزيرا واجعل العقل صاحبا ومشيرا واجتهد ان تكون في ليلك متيقظا ولا تسرع في أمر بغير مشورة وتجنب الميل والمحاباة في وقت العدل والانصاف فاذا فعلت ذلك جرت الامور على ايثارك وتصرفت باختيارك و ينبغي ان يكون الملك حليما وقورا وان لا يكون طائشا عجولا قالت الحكماء

وعاذلة تخشى الردى ان يصيبني * تروح وتغدو بالملامة والقسم
تقول هلكنا ان هلكت وانما * على الله أرزاق العباد كما زعم
وانى أحب الخلد لو استطيعه * وكالخلد عندى ان اموت ولم ألم

(وروى) ان اعرابيا قدم على على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لى اليك حاجة الحياء يمنعني ان أذكرها فقال فخطها في الارض فخط في الارض انى فقير فقال لغلامه يا قنبر اكسه حلتى فكساه الحلة فقال

كسوتنى حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان الثناء ليحيى ذكر صاحبه * كالغيث يحيى نداه السهل والجبلا
ان نلت حسن ثناء نلت مكرمة * لا تبغين بما قد نلته بدلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا

قال على زده مائة دينار فاعطاه اياها فلما ولى الاعرابى قال قنبر يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال مه يا قنبر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكر والمن أثنى عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه (وقال) مطرف بن الشخير اذا اراد احدكم منى حاجة فليرفعها في رقعة فانى اكره ان ارى في وجهه ذل الحاجة (قرئ) على القاضى ابى الوليد وانا اسمع

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى * فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس خلان الكرام ولا ارى * بخيلا له في العالمين خليل
وانى رأيت البخل يزرى باهله * فاكرمت نفسى ان يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته * اذا نال خيرا ان يكون ينيل

(ولعروة بن الورد)

وانى امرؤ عافى انائى شركة * وانت امرؤ عافى انائك واحد
أتضحك منى ان سمنت وان ترى * بجسمى شحوب الحق والحق جاهد
اقسم جسمى في جسوم كثيرة * واحسو قراح الماء والماء بارد

(وقال) بعض الحكماء اصل المحاسن كلها الكرم واصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما ملكت على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه (وروى) انه كان عند البهلول بن راشد طعام فغلا السعر فامر به فبيع له ثم امر ان يشترى له ربع القفيز فقيل له تبيع وتشترى فقال نفرح اذا فرح الناس ونحزن كما حزنوا (ولابى حاتم طى فقال)

لعمرى لقدما عضنى الجوع عضة * فآليت ان لا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائم الآن أعفنى * فان انت لم تسطع فعض الاصابعا
فهل ما ترون الآن الا طبيعة * فكيف بتركى يا ابن أم الطبائعا

(وقال آخر) أصون عرضى بمالى لا أدنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال
احتال للمال ان أودى فاجمعه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

(ويروى) ان رجلا سأل الحسن بن على رضى الله عنه شيأ فاعطاه خمسين الف درهم وخمسمائة دينار وقال ائت بحمال يحمله لك فاتاه بحمال فاعطاه طيلسانه وقال يكون كراء الحمال من قبلى (ويروى) ان الليث ابن سعد سألته امرأة سكرجة عسل فامر لها بزق عسل فقيل له في ذلك فقال انها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر نعمتنا (وروى) ان رجلا استضاف لعبد الله بن عامر بن كريز فلما اراد الرجل ان يرتحل لم يعنه غلمانه فسئل عن ذلك فقال عبد الله انهم لا يعينون من ارتحل عنا (وفى معناه يقول المتنبى)

الوزير يونان الى الملك العادل كسرى وصايا ومواعظ فقال منها ينبغى يا ملك الدنيا ان يكون معك اربعة اشياء دائما العدل والعقل والصبر والحياء وينبغى ان تنفى عنك اربعة اشياء الحسد والكبر وضيق القلب بريديه البخل والعداوة وقال اعلم يا ملك الدنيا ان الملوك الذين كانوا قبلك من الملوك مضوا والذين يأتون بعدك لم يصلوا فاجتهد ان تكون جميع ملوك الزمان ورعاياهم محبيك ومشتاقين اليك

(حكاية)

يقال ان انوشروان ركب في بعض الايام في الربيع على سبيل الفرجة فجعل يسير في الرياض المخضرة ويشاهد الشجرة المثمرة وينظر الى الكروم الف مرة فنزل عن فرسه شكرا لربه وخر ساجدا واضعا خده على التراب زمانا طويلا فلما رفع رأسه قال لاصحابه ان خصب السنين من عدل الملوك والسلاطين وحسن نيتهم واحسانهم الى رعيتهم فالمنة لله الذى قد اظهر حسن نيتنا في سائر الاشياء وانما قال ذلك لانه جربه في بعض الاوقات

(حكاية) يقال ان انوشروان العادل مضى يوما الى الصيد فانفرد من عسكره خلف صيد

اذا

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ❊ ان لا تفارقهم فالراحلون هم

❊(الباب الحادى والثلاثون فى بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما)❊

الشح فى كلام العرب البخل ومنع الفضل كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم انى أعوذ بك من شح نفسى واسرافها ووسواسها (وروى) جابر ان النبي عليه السلام قال اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا الدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهما مفرقون فقالوا الشح أشد من البخل فان البخل أكثر ما يقال فى النفقة وامساكها قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وقال تعالى فى الشح أشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فالشح يبنى على الكزازة والامتناع فهو يكون فى المال وفى جميع منافع البدن (وقال) ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله وانما الشح ان يطمع فيما ليس له ولهذا قال ابن المبارك سخاء النفس عما فى ايدى الناس افضل من سخاء النفس بالبذل (وقال) رجل لابن مسعود انى أخاف ان اكون قد هلكت سمعت الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد ان يخرج من يدى شئ فقال له ابن مسعود هذا ليس بالشح الذى ذكره الله تعالى فانه ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل ففرق بينهما كما ترى (وقال) ابن عباس الشح ان يتبع هواه فلم يقبل الايمان وقال طاوس الشح ان يبخل المرء بما فى أيدى الناس والبخل ان يبخل بما فى يديه (وروى) انس ان النبي عليه الصلاة والسلام قال برئ من الشح من ادى الزكاة وقرى الضيف واعطى فى النائبة (وقال) ابن زيد من لم يأخذ شيأ نهاه الله عنه ولم يدعه الشح الى ان يمنع شيأ أمر الله به فقد وقاه شح نفسه (وقال) ابو التياح الاسدى رأيت رجلا فى الطواف يقول اللهم قنى شح نفسى لا يزيد على ذلك شيأ فسألته عن ذلك فقال اذا وقيت شح نفسى لم اسرق ولم أزن ولم افعل شيأ يكرهه الله تعالى واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف (واعلم) ان البخل يكون من سوء الظن بالله ان لا يخلف ولا يثيب وهذا يوهن التصديق بما تكفل الله به ويطرق الخلل والامتناع الى جميع الاوامر بين العبد وبين الخالق وبين العبد وبين الخلق فى ترك معاونتهم والنصح لهم (وقال) كسرى لاصحابه اى شئ اضر بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح أضر من الفقر لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع أبدا ولما قدم الشافعى من صنعاء الى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقالوا له تشترى بها ضيعة فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شئ (ولما) قربت وفاته قال مروا فلانا يغسلنى وكان الرجل غائبا فلما قدم اخبر بذلك فدعا بتذكرته فوجد عليه سبعين الف درهم دينا فقضاها وقال هذا غسلى اياه (وروى) أن رجلا اراد ان يؤذى عبد الله بن عباس فاتى وجوه البلد وقال يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عندى فاتوه فملؤا الدار فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر ان تشترى الفواكه فى الوقت وامر بالخبز والطبيخ فاصلح القرى فلما فرغ قال لو كلنا نجد وجودنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد هؤلاء كلهم كل يوم عندنا

❊ ومن الخصال الجارية مجرى الكمال والجمال ولعلها من الاصول الصبر ❊

❊(الباب الثانى والثلاثون فى الصبر)❊

الصبر زمام سائر الخصال وزعيم الغنم والظفر وملاك كل فضيلة وبه ينال كل خير ومكرمة قال الله تعالى وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فعظم وظائف الدين ذكر الله ورسوله جزاء معلوما لمن اقامها الا الصبر فانه بغير حساب وقال

فرأى ضيعة بالقرب منه وكان قد عطش فقصد الضيعة واتى باب دار قوم وطلب ماء ليشرب فخرجت صبية ابصرته وعادت الى البيت فدقت قصبة واحدة من قصب السكر ومزجت ما عصرته منها بالماء ووضعته فى قدح وسلمت القدح الى انوشروان فنظر فى القدح فرأى فيه ترابا وقذى فشرب منه قليلا قليلا حتى انتهى الى آخره وقال للصبية شاد باش نعم الماء كان لولا ذلك القذى الذى كدره فقالت الصبية يسرمنك انا عمدا ألقيت فيه القذى قال انوشروان ولم فعلت ذلك قالت رأيتك شديد العطش فلو لم يكن فى الماء قذى كنت شربته عجلا نوبة واحدة وكان يضرك شربه نهلة واحدة فتعجب انوشروان من كلامها وعلم انها ما قالت ذلك الا عن ذكاء وفطنة فقال لها من كم قصبة عصرت ذلك الماء فقالت من قصبة واحدة فتعجب وطلب جريدة خراج تلك الناحية فرأى خراجها قليلا فتفكر فى نفسه وقال قرية يكون فى قصبة واحدة منها هذا السكر ويكون هذا الخراج خراجها فعل فى نفسه انه اذا عاد امر بان يزاد خراجها عليهم ثم انه عاد الى تلك الناحية بعد وقت واجتاز على ذلك الباب منفردا وطلب ماء فخرجت الصبية بعينها فرأته فعرفته فعادت لتخرج له الماء فابطأت عليه فاستعجلها انوشروان وقال لاى شئ

تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وقيل عن الدنيا وقال ابن عيينة لما أخذوا برأس الامر جعلهم الله رؤساء وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وقال تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا ثم ندبهم الى الصبر مع وجود الاذى فقال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فالصبر حبس النفس على الاوامر والمكاره وعن النواهي والمعاصي الاترى ان اهل الجنة نودوا فقيل لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فاخبر الله تعالى انه اثابهم جنته بصبرهم يعني صبرتم على طاعة الله وصبرتم عن معصية الله قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي احبس نفسك الآية فمن أمارات حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر في الملمات والرفق عند النوازل (وفيما يروى) ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا (وقال سفيان) بلغنا ان لكل شيء ثمرة وثمرة الصبر الظفر قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فعلق الفلاح على الصبر والتقوى يعني اصبروا على ما فرض الله عليكم وصابروا عدوكم ورابطوا فيه قولان قيل رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على انتظار الصلوات بدليل ما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يحط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط (وقال) الحسن في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ابتلاه بالكوكب فصبر وابتلاه بذبح ابنه فصبر وقال سبحانه وتعالى استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم قال قولا عظيما فجعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقال النبي عليه الصلاة والسلام للانصار ما يكن عندي من خير فلن ادخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما اعطى احد عطاء خيرا اوسع من الصبر (وقال ابن مسعود) قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل من الانصار والله انه القسمة ما اريد بها وجه الله فاخبرت النبي عليه الصلاة والسلام فشق عليه وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لم أكن اخبرته ثم قال قد أوذي موسى باكثر من هذا فصبر (وروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام مر على امرأة تبكي عند قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك لم تصب بمثل مصيبتي فلما قيل لها هذا رسول الله جاءت اليه تعتذر انها لم تعرفه وقالت سأصبر فقال النبي عليه الصلاة والسلام انما الصبر عند الصدمة الاولى ويحتمل هذا الحديث وجهين اما الطابي فقال معناه ان الصبر المحمود عند أول نزول المصيبة وقد فاتك بالجزع وأما القابسي فقال معناه ان الصدمة الاولى وقت أمرها النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليما لكل من فاته الصبر بذهول أو نسيان أو غلبة (ويروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة (وفي منثور الحكم) قالت العفة أنا لاحقة بارض المغرب قال الجوع وأنا معك قال الايمان أنا لاحق بارض الحجاز قال الصبر أنا معك قال الملك أنا لاحق بارض العراق قال القتل أنا معك (واعلم) ان العجلة خرق ومخرجها من قلة العقل واخرق من ذلك التفريط في الامر بعد القدرة ومثل ذلك كالقدر على النار ان كان ماؤه قليلا غلت بيسير من النار وان كانت مملوءة لم تغل حتى تكثر نارها وتطول مدتها * وفي كتاب جاويدان خرد وليس للعجم كتاب مثله قال محرم على السامع تكذيب القائل الا في ثلاث هن غير الحق صبر الجاهل على مضض المصيبة وعاقل أبغض من احسن اليه وحماة أحبت كنة

ابطأت فقالت الصبية لانه لم يخرج من قصبة واحدة قدر حاجتك وقد دققت اليوم ثلاث قصبات وما خرج منها مثل ما كان يخرج من قصبة واحدة فقال أنوشروان ما سبب هذا العجز فقالت سببه تغير نية السلطان فقد سمعنا انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم وقلت خيراتهم فضحك أنوشروان وازال عن نفسه ما كان قد أضمره لهم وتزوج تلك الصبية حلالا لتعجبه من ذكائها

(حكمة)

يقال ان الصادقين من الناس ثلاثة الانبياء والملوك والمجانين وقيل ان السكر جنون لان المجنون سكره باطن والسكران جنونه ظاهر والويل لمن يبقى في سكر الغفلة دائما كما قال الشاعر

من أسكرته الخمر في سرعة
فما عليه ان صحا من خجل
ومن يكن بالملك ذا سكرة
يصح اذا ما الملك عنه انتقل

والمقبل جدا من كان من سكر سلطنته صاحيا وكان المقدم على اعماله ثقة امينا وكان جليسه نصوحا معينا وعلامة سكر السلطان ان يسلم وزارته الى محتاج معوز ثم يستديمه ويتمسك به الى ان تزول حاجته وتنقضي فاقته ثم يعزله وينصب غيره فيكون مثاله مثال من ربى طفلا صغيرا الى ان يصير بالغا كبيرا يصلح للاعمال وقضاء الحوائج والاشغال ثم

(فصل) واعلم ان الصبر على أقسام صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب فالصبر على المكتسب على قسمين صبر على ما أمر الله تعالى به وصبر على ما نهى الله عنه فاما الصبر على ما ليس بكسب للعبد فكصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة وينقسم من وجه آخر على اربعة اقسام فأول اقسامه وأولاها الصبر على امتثال أمر الله سبحانه والانتهاء عما نهى عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه من مسرة أو تقضت أوقاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها أو يخشى حدوثه من رهبة يخافها والرابع الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف وجميع أقسامه محمود بكل لسان وفي كل ملة وعند كل امة مؤمنة أو كافرة (وقال أكثم بن صيفي) من صبر ظفر (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو (وقال اردشير) الصبر الدرك (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ضياء وبالصبر يتوقع الفرج (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب (وقال ابن عباس) افضل العدة الصبر عند الشدة (وقال عبد الحميد الكاتب) لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر مطيتين ما باليت أيهما ركبت (وقال) بعض الحكماء بالصبر على مواقع المكروه تدرك الحظوظ (وقال) ابن المقفع في كتاب اليتيمة الصبر صبران فاللئام أصبر اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون قوي الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات الحمير ولكن أن يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجأشه عند الحفاظ مرتبطا (وفي منثور الحكمة) من أحب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا (وقال) بزرجمهر لم أر ظهيرا على تنقل الدول كالصبر ولا مذلا للحساد كالتجمل ولا مكسبة للاجلال كتوقي المزاح ولا مجلبة للمقت كالاعجاب ولا متلفة للمروءة كاستعمال الهزل في موضع الجد (فاما القسم الاول) وهو الصبر على امتثال أوامر الله تعالى والانتهاء عن محارمه فبه يصح اداء الفرائض واستكمال السنن ويدخل في قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولذلك قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال الجنيد) المسير من الدنيا سهل هين على المؤمن وهجر الخلق في جنب الله شديد والمسير من النفس الى الله شديد والصبر مع الله تعالى شديد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبيس (وكان حبيب ابن ابي حبيب) اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب بكى ثم قال واعجباه أعطى وأثنى (وقال الخواص) الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنة (وقال عبد الواحد بن زيد) من نوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله تعالى عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى اعانه الله تعالى وعصمه منها (وقال عمر بن عبد العزيز) للقاسم بن محمد أوصني فقال القاسم عليك بالصبر في مواضع الصبر (وقال الحسن) الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عما نهى الله عنه وهو الافضل وانما يختلف الصبر بالخوف والرجاء فان من خاف شيأ صبر على الفرار منه وصبر عند الكراهية لما يحذر من ضرره ومن رجا شيأ صبر على طلبه ليظفر به (واما القسم الثاني) وهو الصبر على ما فات ادراكه من مسرة أو تقضت أوقاته من مصيبة فانه يتعجل به الراحة مع اكتساب المثوبة فان صبر طائعا استراح واحرز الثواب وان لم يصبر حمل الهم والوزر (وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه) للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من ابنك ان تصبر جرى عليك القلم وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القلم وانت مأزور ونظمه ابو تمام فقال

وقال علي في التعازي لاشعث ... وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة ... فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

يقتله ويستأصله وقيل ان اربعة أشياء على الملوك من الفرائض وهي ابعاد الادنياء عن عمالهم وعمارة المملكة بتقريب العقلاء وحفظ آراء المشايخ واولي الحكمة والتجربة والزيادة في أمر المملكة بالاقلال من الاعمال المذمومة لما تولى الامر عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن البصري ان أعني باصحابك فكتب اليه الحسن اما طالب الدنيا فلا ينصح لك واما طالب الآخرة فلا يرغب فيك ولا يجوز للسلطان أن يسلم وزارته ولا عملا من أعماله الى من ليس لذلك باهل فان سلم الاعمال الى ذلك الرجل فقد أفسد ماله وأهمل أمره وأخرب مملكته وظهر له الخلل الوافر من كل وجه وكل جانب كما قال الشاعر

البيت لما حان منه خرابه ... ظهر التخلل من أساس الحائط
واذا تولى الملك عن أربابه ... ولوا الامور لكل قدم ساقط

ينبغي لمن خدم الملوك ان يكون كما قال الشاعر

اذا خدمت الملوك فالبس ... من التوقي أعز ملبس
وادخل اذا ما دخلت أعمى ... واخرج اذا ما خرجت أخرس

ومن انبسط على السلطان فقد ظلم نفسه ولو كان ولد السلطان وليس ينبغي [illegible] خدمتهم كقول الشاعر

وان تلك السلطان نجلا فداره ... وخف منه ان أحببت رأسك سالما

ومثل الذي

تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وقيل عن الدنيا وقال ابن عيينة لما أخذوا برأس الامر
جعلهم الله رؤساء وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وقال تعالى قد نعلم انه ليحزنك
الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقال تعالى ولتسمعن من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا ثم ندبهم الى الصبر مع وجود الاذى فقال وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فالصبر حبس النفس على الاوامر والمكاره وعن النواهي
والمعاصي الاترى ان اهل الجنة نودوا فقيل لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فاخبر الله
تعالى انه اثابهم جنته بصبرهم يعني صبرتم على طاعة الله وصبرتم عن معصية الله قال الله تعالى واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي احبس نفسك الآية فمن امارات حسن التوفيق
وعلامات السعادة الصبر في الملمات والرفق عند النوازل (وفيما يروى) ان الله تعالى اوحى الى
داود عليه السلام ياداود من صبر علينا وصل الينا (وقال سفيان) بلغنا ان لكل شئ ثمرة
وثمرة الصبر الظفر قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون فعلق الفلاح على الصبر والتقوى يعني اصبروا على مافرض الله عليكم وصابروا عدوكم
ورابطوا فيه قولان قيل رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على انتظار الصلوات بدليل
ماروى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يحط الله به
الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى
المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط (وقال) الحسن في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه
بكلمات فاتمهن قال ابتلاه بالكوكب فصبر وابتلاه بذبح ابنه فصبر وقال سبحانه وتعالى استعينوا بالصبر
والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم قال قولا عظيما فجعل نفسه مع الصابرين دون
المصلين وقال النبي عليه الصلاة والسلام للانصار ما يكن عندي من خير فلن ادخره عنكم ومن يستعفف
يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما اعطى احد عطاء خيرا اوسع من الصبر (وقال ابن
مسعود) قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل من الانصار والله انها القسمة ما اريد بها وجه الله
فاخبرت النبي عليه الصلاة والسلام فشق عليه وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لم أكن اخبرته ثم قال
قد أوذي موسى باكثر من هذا فصبر (وروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام مر على امرأة تبكي عند قبر
فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك لم تصب بمثل مصيبتي فلما قيل لها هذا رسول الله جاءت
اليه تعتذر وانها لم تعرفه وقالت سأصبر فقال النبي عليه الصلاة والسلام انما الصبر عند الصدمة الاولى
ويحتمل هذا الحديث وجهين اما الطابي فقال معناه ان الصبر المحمود عند أول نزول المصيبة وقد فاتك
بالجزع وأما القابسي فقال معناه ان الصدمة الاولى وقت أمرها النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان
هذا تعليما لكل من فاته الصبر بذهول أو نسيان أو غلبة (ويروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام
سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة (وفي منثور الحكم) قالت الفتنة أنا لاحقة بارض المغرب قال
الجوع وأنا معك قال الايمان أنا لاحق بارض الحجاز قال الصبر أنا معك قال الملك أنا لاحق بارض العراق
قال الفتك أنا معك (واعلم) ان العجلة خرق ومخرجها من قلة العقل واخرق من ذلك التفريط في
الامر بعد القدرة ومثل ذلك كالقدر على النار ان كان ماؤه قليلا غلت بيسير من النار وان كانت مملوءة لم
تغل حتى تكثر نارها وتطول مدتها * وفي كتاب جاويدان خرد وليس للعجم كتاب مثله قال محرم على
السامع تكذيب القائل الا في ثلاث هن غير الحق صبر الجاهل على مضض المصيبة وعاقل أبغض من
احسن اليه وحماة أحبت كنة

يخرج من قصبة واحدة فقال أنوشروان ماسبب هذا العجز فقالت سببه تغير نية السلطان فقد سمعنا انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم وقلت خيراتهم فضحك أنوشروان وازال عن نفسه ما كان قد أضمره لهم وتزوج تلك الصبية حلالا لتعجبه من ذكائها

* (حكمة) *

يقال ان الصادقين من الناس ثلاثة الانبياء والملوك والمجانين وقيل ان السكر جنونان الجنون سكره باطن والسكران جنونه ظاهر والويل لمن يبقى في سكر الغفلة دائما كما قال الشاعر

من أسكرته الخمر في سرعة
فاعليه ان صحا من خجل
ومن يكن بالملك ذا سكرة
يصحو اذا ما الملك عنه انتقل

والمقبل جدا من كان من سكر سلطنته صاحيا وكان المقدم على اعماله ثقة امينا وكان جليسه نصوحا معينا وعلامة سكر السلطان ان يسلم وزارته الى محتاج معوز ثم يستديمه ويتوسل به الى ان تزول حاجته وتنقضي فاقته ثم يعزله وينصب غيره فيكون مثاله مثال من يربي طفلا صغيرا الى أن يصير بالغا كبيرا يصلح للاعمال وقضاء الحوائج والاشغال ثم

(فصــل) واعلم ان الصبر على أقسام صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب فالصبر على الكسب على قسمين صبر على ما أمر الله تعالى به وصبر على ما نهى الله عنه فاما الصبر على ما ليس بكسب للعبد فكصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة وينقسم من وجه آخر على اربعة اقسام فأول اقسامه وأولاها الصبر على امتثال أمر الله سبحانه والانتهاء عما نهى عنه والثانى الصبر على مافات ادراكه من مسرة أو تقضت أوقاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها أو يخشى حدوثه من رهبة يخافها والرابع الصبر على مانزل من مكروه أو حل من أمر مخوف وجميع أقسامه محمود بكل لسان وفى كل ملة وعند كل امة مؤمنة أو كافرة (وقال أكثم بن صيفى) من صبر ظفر (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو (وقال اردشير) الصبر الدرك (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ضياء وبالصبر يتوقع الفرج (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب (وقال ابن عباس) افضل العدة الصبر عند الشدة (وقال عبد الحميد الكاتب) لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو كان الصبر والشكر مطيتين ما باليت أيهما ركبت (وقال) بعض الحكماء بالصبر على مواقع المكروه تدرك الحظوظ (وقال) ابن المقفع فى كتاب اليتيمة الصبر صبران فاللئام أصبر اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون قوى الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات الحمير ولكن أن يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه عند الحفاظ مرتبطا (وفى منثور الحكمة) من أحب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا (وقال) بزرجمهر لم أر ظهيرا على تنقل الدول كالصبر ولا مذلا للحساد كالتجمل ولا مكسبة للاجلال كتوقى المزاح ولا مجلبة للمقت كالاعجاب ولا متلفة للمروءة كاستعمال الهزل فى موضع الجد (فاما القسم الاول) وهو الصبر على امتثال أوامر الله تعالى والانتهاء عن محارمه فبه يصح اداء الفرائض واستكمال السنن ويدخل فى قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولذلك قال على بن ابى طالب رضى الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال الجنيد) المسير من الدنيا سهل هين على المؤمن وهجر الخلق فى جنب الله شديد والمسير من النفس الى الله شديد والصبر مع الله تعالى شديد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبيس (وكان حبيب ابن ابى حبيب) اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب بكى ثم قال واعجباه أعطى وأثنى (وقال الخواص) الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنة (وقال عبد الواحد بن زيد) من نوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله تعالى عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى اعانه الله تعالى وعصمه منها (وقال عمر بن عبد العزيز) للقاسم بن محمد أوصنى فقال القاسم عليك بالصبر فى مواضع الصبر (وقال الحسن) الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عما نهى الله عنه وهو الافضل وانما يختلف الصبر بالخوف والرجاء فان من خاف شيأ صبر على الفرار منه وصبر عند الكراهية لما يحذر من ضرره ومن رجا شيأ صبر على طلبه ليظفر به (واما القسم الثانى) وهو الصبر على مافات ادراكه من مسرة أو تقضت أوقاته من مصيبة فانه يتعجل به الراحة مع اكتساب المثوبة فان صبر طائعا استراح واحرز الثواب وان لم يصبر حمل الهم والوزر (وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه) للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان تصبر ففى ثواب الله تعالى خلف من ابنك ان تصبر جرى عليك القلم وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القلم وانت مأزور ونظمه ابو تمام فقال

وقال على فى التعازى لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

يقتله ويستأصله وقيل ان اربعة أشياء على الملوك من الفرائض وهى ابعاد الادنياء من عمالكهم وعمارة المملكة بتقريب العقلاء وحفظ آراء المشايخ واولى الحكمة والتجربة والزيادة فى أمر المملكة بالاقلال من الاعمال المذمومة لما تولى الامر عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن البصرى ان أعنى باصحابك فكتب اليه الحسن اما طالب الدنيا فلا ينصح لك واما طالب الآخرة فلا يرغب فيك ولا يجوز للسلطان أن يسلم وزارته ولا عملا من أعماله الى من ليس لذلك باهل فان سلم الاعمال الى ذلك الرجل فقد أفسد ملكه وأهمل أمره وأخرب مملكته وظهر له الخلل الوافر من كل وجه وكل جانب كما قال الشاعر

البيت لما حان منه خرابه * ظهر التخلل من أساس الحائط
واذا تولى الملك عن أربابه * ولوا الامور لكل قدم ساقط

ينبغى لمن خدم الملوك ان يكون كما قال الشاعر

اذا خدمت الملوك فالبس * من التوقى أعز ملبس
وادخل اذا ما دخلت اعمى * واخرج اذا ما خرجت أخرس

ومن انبسط على السلطان فقد ظلم نفسه ولو كان ولد السلطان وليس ينبغى الانبساط عليهم فى خدمتهم كقول الشاعر

وان تك للسلطان نجلا فداره * وخف منه ان أحببت رأسك سالما

ومثل الذى

خلقنا رجالا للتجلد والعزا * وتلك الايامى للبكا والمأتم

(وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه لرجل ان صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا وان جزعت مضى امر الله وكنت مأزورا (وقال الحسن) والله لو كلفنا الجزع ما قابه فالحمد لله الذى آجرنا على مالو نهانا عنه اصرنا اليه ومن هذا قالت الحكماء الجزع أتعب من الصبر ففى الجزع التعب والوزر وفى الصبر الراحة والاجر ولو صورا الصبر والجزع لكان الصبر أحسن صورة وأكرم طبيعة وكان الجزع اقبح صورة واخور طبيعة ولكان الصبر أولاهما بالغاية لحسن الخلقة وكرم الطبيعة (وقال بعض العلماء) لو وكل الناس بالجزع لجؤا الى الصبر (وقال) شبيب بن شيبة للمهدى ان المرء احق ما صبر عليه مالم يجد سبيلا الى دفعه وانشد

واذا تصبك مصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

(وقال آخر)

وهوّنت اجرا من فقيد فلا تكن * فقيدك لا يأتى واجرك يذهب

(وقال) بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشد من تابع التلهف على فائت او اكثر الفرح عند مستطرق (وقال) الحكيم ان كنت جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على مالم يصل اليك ومن أيقن ان كل فائت الى نقصان حسن عزاؤه عند نزول القضاء (وقال الشاعر)

اذا طال بالمحزون ايام صبره * كساه ضنا طول المقام على الصبر

ولا شك ان الصبر يحمد غبه * ولكن انفاقى عليه من العمر

(وقال بعض القدماء) الصبر على اربع مراتب على الشوق والاشفاق والزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات ومن راقب الموت اقصر عن الخطيآت (واما القسم الثالث) وهو الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها أو يخشى حدوثه من رهبة يخافها فبالصبر والتلطف تدفع عادية ما يخاف و ينال نفع ما يرجو (قال) النبى عليه السلام انتظار الفرج من الله بالصبر عبادة (وقال محمد بن بشير)

ان الامور اذا اشتدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما رتجا

لا تيأسن وان طالت مطالبه * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع لابد ان يلجا

(وقال بعض الرواة) دخلت مدينة يقال لها ذفار فبينا انا اطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا على قصر خراب

يامن ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير

اما سمعت بما قد قيل فى مثل * عند الاياس فاين الله والقدر

ثم للخطوب اذا احداثها طرقت * واصبر فقد فاز اقوام بما صبروا

فكل ضيق سيأتى بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

(وتحته مكتوب بخط آخر) لو كان كل من صبرا عقب الظفر صبرت ولكنا نجد الصبر فى العاجل يفنى العمر و يدنى من القبر وما كان أصلح لذى العقل موته وهو طفل والسلام (قلت) لو رأيته لكتبت تحته فى الصبر استعجال الراحة وانتظار الفرج وحسن الظن بالله واجر بغير حساب وفى الجزع استعجال الهم ونهك البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله وحمل الاثم مع العقوبة وما احسن بذى العقل اجتناب هذا والسلام (وقال بعض البلغاء) من صبر نال المنى ومن شكر حصن النعماء (وقال الشاعر)

الصبر مفتاح كل خير * وكل شر به يهون

التماسيح التى تبلع الآدميين فلا يزال بروحه مخاطرا

(حكمة)

قال الحكيم ويل لمن ابتلى بصحبة السلاطين فانهم ليس لهم صديق ولا قرابة ولا ولد ولا خادم ولا احترام لاحد ولا يحابون أحدا الا من كانوا محتاجين اليه لعلمه أو لشجاعته فاذا أخذوا حاجتهم منه لم يبق له عندهم مودة ولم يبق له معهم وفاء ولا حياء وأكثر أشغالهم و يستصغرون كبار ذنوبهم ويستعظمون صغار ذنوب غيرهم و يستحقرون فى العقاب ضرب الرقاب ويستعظمون فى العتاب رد الجواب قال سفيان لا تصحب السلطان واياك وخدمته لانك ان كنت له مطيعا اتعبك وان خالفته قتلك وأعطبك ولا ينبغى لاحد ان يدخل على الملوك اذا لم يكن لهم جوار كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

يقال ان يزدجرد بن شهر باد دخل يوما على والده فى وقت لم يكن لاحد اذن فى الدخول فقال شهرباد امض واضرب الحاجب الفلانى ثلاثين خشبة واطرده عن الدركات وأقم موضعه فلانا الحر

فكان عمر يزدجرد ثلاث عشرة سنة حينئذ فعلم ذلك الحاجب المحروم أبعد الاول عن الباب فعاد بعض

اصبر وان طالت الليالي * فربما ساعد الحرون
وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات لا يكون

(وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله) ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه صبرا الا كان ما عوضه أفضل مما انتزعه منه وقرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وروى) ان جارية كانت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه تتصرف في حوائجه فكلما خرجت تصدى لها خياط كان بقرب دار علي ويقول لها والله اني لأحبك فلما أكثر من ذلك شكته الى علي فقال لها علي اذا قال لك مرة أخرى فقولي له والله اني لأحبك ما الذي تريد فعاد فقالت له ذلك فقال لها تصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فرجعت الجارية وأخبرت مولاها فدعا علي رضي الله عنه الخياط فوجد أمره على العصمة فوهبها له مع نفقة يستعين بها (وقال) علي رضي الله عنه الصبر كفيل بالنجاح والتوكل لا يحبطه والعاقل لا يذل باول نكبة ولا يفرح باول رفعة وكان يقال الصبر سلامة والطيش ندامة (وأما القسم الرابع) وهو الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من امر مخوف فالصبر فيه تنفتح وجوه الآراء وتتوقى مكايد الاعداء قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وقال تعالى واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور * وروى ابن عباس ان النبي عليه السلام قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب واليسر مع العسر (وقال علي رضي الله عنه) الصبر مناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان * وقال الحكيم بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الامور (وأنشدوا)

انما أجزع مما أتقي * فاذا حل فمالي والجزع

ولما حبس ابو ايوب في الحبس خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره وكتب الى بعض اخوانه يشكو طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته

صبرا أبا ايوب صبر مبرح * فاذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذي عقد الذي انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * فلعلها ان تنجلي ولعلها

فلما وقف عليها ابو ايوب كتب اليه

صبرتني ووعظتني فانا لها * وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك الا اياما حتى اطلق مكرما (ولتميم بن المعز)

سأسكت صبرا واحتسابا فانني * أرى الصبر سيفا ليس فيه فلول
عذاي أن أشكو الى الناس انني * عليل ومن أشكو اليه عليل
وان الذي يشكو الى غير نافع * ويشكو بما في نفسه لجهول

(وانشدوا)

دع الدهر يجري بأقداره * ويقضي عجائب اوطاره
ونم نومة عن ولاة الامور * وخل الزمان بتدواره
فانك ترحم من قد غبطت * وتعجب من قبح آثاره

(وانشدني بعضهم)

ويمنعني الشكوى الى الناس انني * عليل ومن أشكو اليه عليل

الايام يزدجرد واراد ان يدخل على والده فجعل ذلك الحاجب يده على صدره ورده على عقبه وقال له ان عدت رأيتك بعدها هو ناضر بتلك ستين سوطا ثلاثين لاجل المعزول وثلاثين لئلا تعود تدخل على الملوك في غير وقت الاذن وان كنت ولده لئلا تجاب الى الضرب والهوان وأصلح الاشياء للملك ان لا يباشر الحرب بنفسه ويحفظ ناموسه لان كثيرا من الارواح يتعلق بروحه وسلاح الرعية في حياته وكذلك ينبغي ان لا يجور على نفسه لئلا يجور على جميع الخلق ولا يجوز للملك ان يجازف في الاشغال ولا يتساهل في الاعمال ويجب ان ينيم كل ليلة على فراشه غيره ويتحول بنفسه الى غير ذلك المكان حتى ان قصد عدوه اتلاف نفسه وجد غيره في مكانه فلا يصل عدوه اليه كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال انه انهزم خسرو يز من بهرام جوبين وقال هربت وان كان الهرب عيبا الا خلاص بهربي أرواح جماعة من أصحابي لاني ان هلكت هلك بسببي ألوف من الخلائق والمقصود من هذا المقال ان زماننا غير موافق وان الناس فيه بين قبيح الفعل وغافل والملوك مشغولون بالدنيا ومحبة المال ولا يجوز الاحتمال والتغافل عن أناس السوء في أمثال العرب العبد يقرع بالعصي *

من الناس بعيد من الجنة والجاهل السخى أحب الى الله من العابد البخيل (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن آدم انما لك من مالك ما أكلت فافنيت اولبست فابليت أواعطيت فامضيت (واعلم) ان السخاء على وجوه سخاء فى الدين وسخاء فى الدنيا فالسخاء فى الدنيا البذل والعطاء والايثار وسماحة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار و بغض جمع المال وتعاهد الاخوان مسر وراقابه بذلك والسخاء فى الدين ان تسخو نفسك أن يتلفها الله تعالى وتريق دمك فى الله سماحة من غير كراهة لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لان الغالب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله تعالى حتى يفعل الله بك مالا تحسن ان تختاره لنفسك (وقيل) لعمر بن الخطاب رضى الله عنه من السيد قال الجواد اذا سئل الحليم اذا استجهل الكريم المجالسة لمن جالسه الحسن الخلق لمن جاوره (وقال) النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالا وأكرمهم طباعا واجلهم فى النفوس قدرا فسكت القوم فقال فتى أبيت اللعن افضل الناس من عاش الناس فى فضله قال صدقت (وقال) الحسن باع طلحة بن عثمان ارضا بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقه لغرير بالله ثم جعل رسوله يختلف حتى قسمها وما أصبح عنده منها درهم (وكان) اسماء بن خارجة يقول ما احب ان أرد أحدا عن حاجة لانه ان كان كريما اصون عرضه وان كان لئيما أصون عنه عرضى (وكان) مروان العجلى يتلطف فى ادخال الرفق على اخوانه فيضع عند احدهم الف درهم و يقول امسكوها حتى أعود اليكم ثم يرسل اليهم انتم منها فى حل (وقال) العتبى اعطى الحكم بن عبد المطلب جميع ما يملكه فلما نفد ما عنده ركب فرسه واخذ رمحه يريد الغزو ومات بمنبج فاخبرنى رجل من اهل منبج قال قدم علينا الحكم وهو مملق لا شئ معه فاغنانا قيل كيف أغناكم وهو مملق فقال ما اغنانا بمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا (و) أكرم العرب فى الاسلام طلحة بن عبيد الله جاءه رجل فسأله برحم بينه و بينه فقال هذا حائطى بمكان كذا وكذا وقد اعطيت به ستمائة الف درهم يراح بالمال الى العشية فان شئت فالمال وان شئت فالحائط (و يروى) ان رجلا بعث الى حنظلة بجارية فواقفته بين اصحابه فقال قبيح ان آخذها لنفسى وانتم حضور واكره ان اخص بها واحدا منكم وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين رجلا فامر لكل واحد منهم بجارية او وصيف (وقيل) لقيس بن سعد هل رأيت قط اسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجها فقالت له انه نزل بك ضيفان فجاء بناقة فنحرها وقال شأنكم فلما كان الغد جاء باخرى ونحرها وقال شأنكم فقلنا ما اكلنا من التى نحرت البارحة الا اليسير فقال انى لا أطعم اضيافى الغائث فاقام عنده أياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته وقلنا للمرأة تعتذرى لنا منه ومضينا فلما متع النهار اذا برجل يصيح خلفنا قفوا ايها الركب اللئام اعطيتمونى ثمن القرى ثم انه لحقنا وقال لتأخذونها والا طعنتكم برمحى فأخذناها وانصرف (وقال) ميمون بن مهران من طلب مرضاة الاخوان بلا شئ فليصحب اهل القبور (وقال) ابن عباس لا يتم المعروف الا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجله فقد هناه واذا صغره فقد عظمه واذا ستره فقد تممه (وقال) الحسن كان احدهم يشق ازاره لاخيه بنصفين (وقال) المغيرة فى كل شئ سرف الا فى المعروف (وقيل) للحسن بن سهل لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى ونظمه محمد بن حازم فقال

لا الفقر عار ولا الغنى شرف * ولا سخاء فى طاعة سرف
مالك الا شئ تقدمه * وكل شئ أخرته تلف

وانتم كلكم حاضرون فان رددتم ذلك فقد عاد الى الرجل ماله وان لم تردوه فقد تقدمت أن لا يخرج أحد منكم من الجامع وآمر بقتلكم فى هذه الساعة ففى الحال الزموا من كانوا يتهمونه بالسرقة وقدموه بين يديه فرد الذهب الذى سرقه فامر بصلبه فى الحال ثم انه سأل أى محلة بالبصرة ليس فيها امن فقالوا محلة بنى الازد فامر ان ينزل فيها بالليل ثوب ديباج له قيمة ثقيلة بحيث لا يراه أحد فبقى أياما ملقى بحاله ولم تمكن لاحد مرارة ان يقربه ولا ينقله من مكانه فقال له أقاربه بعد ذلك ان السياسة خير الاشياء الا انك لم ترحم المسلمين أولا وأهلكت خلقا كثيرا عظيما فقال قد أخذت الحجة عليهم قبل ذلك بثلاثة أيام ومن شؤم أعمالهم لم ينتهوا والذى أصابهم من شؤم أخلاقهم * (فصل) * ولا ينبغى للسلطان ان يشتغل دائما بلعب الشطرنج والنرد وشرب الخمر وضرب الكرة والصيد لان هذه تمنعه وتشغله عن الاشغال ولكل عمل وقت فاذا فات الوقت عاد الربح خسرانا والسرور أحزانا فان الملوك القدماء قسموا النهار أربعة اقسام منها قسم لعبادة الله وطاعته وقسم للنظر فى أمور السلطنة وانصاف المظلومين والجلوس مع العلماء والعقلاء لتدبير الامور وسياسة الجمهور وتنفيذ

﴿واما طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات وانما سمى بهذا الاسم لانه كان عظيم البذل في كل وجه وكان يبتاع الرقاب فيعتقها وكان كل معتق يولد له ولد ذكر سماه طلحة فبلغ عددهم الف رجل كل يسمى طلحة فسمى طلحة الطلحات ثم ولى سجستان وفيه يقول الشاعر

نضر الله اعظما دفنوها ۞ بسجستان طلحة الطلحات

فقد بلغه ان معلمه كان في الكتاب بالحجاز قد قعد به الدهر فارسل اليه مع غلامه مائة الف فقال سلمها اليه فان يكن مات وله ولد فادفعها الى ولده وان لم يكن له ولد ففرقها على قومه فوافقه الرسول قد مات ولم يعقب ففرقها في قومه (وقال) زيد بن اسلم وكان من الخاشعين يا ابن آدم امرك الله ان تكون كريما وتدخل الجنة ونهاك ان تكون لئيما وتدخل النار (وقال) حكيم بن حزام ما اصبحت قط صباحا لم ار ببابي طالب حاجة الا عددتها مصيبة ارجو ثوابها (ولما) مات وجد عليه مائتا الف دينار ووجد مكتوبا على حجر انتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل على نفسك هم مالم يأتك ۞ واعلم ان تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لبعل حليلته (وقال) على بن ابى طالب رضى الله عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فانما انت فيه خازن لغيرك (وروى) مالك في الموطا ان مسكينا سأل عائشة وهى صائمة وليس في بيتها الا رغيف فقالت لمولاة لها اعطيه اياه فقالت ليس لك ما تفطرين عليه فقالت اعطيه اياه ففعلت فلما امست اهدى لها اهل بيت شاة وكفنها يعنى ملفوفة بالزعفران فقالت لى عائشة كلى هذا خير من قرصك (وقال) عبد الله بن عمر ما كان احدنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل شيأ (وقال) الحسن كنا نعد البخيل من يقرض اخاه الدرهم (ومن عجائب) ما روى في الايثار ما ذكره ابو محمد الازدى قال لما احترق المسجد بمصر وظن المسلمون ان النصارى احرقوه فاحرقوا خانا لهم فقبض السلطان جماعة من الذين احرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فمن وقعت عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال ما كنت ابالى لولا ام لى وكان بجانبه بعض الفتيان فقال له في رقعتى الجلد وليست لى ام فادفع الى رقعتك وخذ رقعتى ففعلا فقتل ذاك وتخلص هذا (وحكى) ان ابا العباس الانطاكى اجتمع عنده نيف وثمانون رجلا بقرية بقرب الرى ولهم ارغفة لم تسع جميعهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام الى ان كفوا فلما رفع اذا الطعام بحاله لم يأ كل منه واحد منهم ايثارا لصاحبه على نفسه (وروى) انه اجتمع بالرملة جماعة من ارباب القلوب فحضر طبق فيه تين اخضر وقد غسق الليل فكان الواحد يمد يده فاذا ظفر بحبة جمرة يأ كلها وان ظفر بطيب دفعه الى صاحبه ولم يأ كله فلما رفع الطبق اذا الطيب كله في الطبق لم يأ كلوا منه شيأ (وقال) بعض الرواة دخلت على بشر الحافى في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب فقلت يا ابا نصر الناس يزيدون الثياب في مثل هذا اليوم وانت تنقص فقال ذكرت الفقراء وما هم فيه ولم يكن لى ما اواسيهم به فاردت ان اوافقهم بنفسى في مقاساة البرد (وقال) الاستاذ ابو على الدقاق سعى غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة فامر بضرب اعناقهم فاما الجنيد فانه تستر بالفقه وكان يفتى على مذهب ابى ثور واما الشحام والرقام والنورى وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب اعناقهم فتقدم النورى امامهم فقال له السياف اتدرى لماذا تتقدم وتسابق قال نعم قال وماذا يعجلك قال اوثر اصحابى بحياة ساعة فتحير السياف وانهى الخبر الى الخليفة فردهم الى القاضى ليتعرف حالهم فالقى القاضى على ابى الحسن النورى مسائل فقهية فاجاب عن الكل ثم اخذ يقول ان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد الفاظا حتى ابكى القاضى فارسل الى الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم (ولما) مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ اخوانه في العيادة

المراسم والاوامر والكتابة وانفاذ الرسل وقسم للاكل والنوم والبرود من الدنيا واخذ الحظوظ من الفرح والسرور وقسم للصيد ولعب الكرة والصولجان وما اشبه ذلك ويقال ان بهرام كور قسم نهاره قسمين وجعله نصفين ففى الاول كان يقضى اشغال الناس وفى الثانى كان يطلب الراحة ويقال انه في جميع ايامه ما اشتغل يوما تاما بعمل واحد وكان انوشروان العادل يأمر اصحابه ان يصعدوا الى اعلى مكان في البلد لينظروا الى بيوت الناس فكل بيت لا يخرج منه دخان نزلوا وسألوا عن احوال اولئك القوم وما خطبهم فان كانوا في غم اعلموا انوشروان فكان يحل غمومهم ويزيل همومهم ويجب على السلطان ان لا يرضى لغلمانه ان يتناولوا شيأ من الرعية بغير حق كما جاء في الحكاية

۞(حكاية)۞

يقال انه كان قد ولى انوشروان العادل غلاما فانفذ اليه العامل زيادة ثلاثة آلاف درهم فامر انوشروان باعادة الزيادة على اصحابها وامر بصلب العامل وكل سلطان اخذ من رعيته شيأ بالجور والغصب وخزنه في خزانته كان مثله كمثل رجل عمل ... ولم يصبر عليه حتى يجف فوضع البنيان عليه وهو رطب فلم يبق الاساس ولا الحائط وينبغى للسلطان ان يهتم بامور

فسأل عنهم فقال انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم أمر من ينادي من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبة بابه بالعشي لكثرة العواد (ويروى) ان عبد الله بن جعفر وكان احد الاجواد خرج الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يقوم عليها فاتى بقوته ثلاثة أقراص ودخل كلب ودنا من الغلام فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكلهما وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب وانه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا قال عبد الله بن جعفر الام على السخاء وهذا اسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهب ذلك له (وقال) النوري رأيت محمد بن سوقة بالغداة صاحب مائة الف وبالعشي سألناه من أصحابه خبزة (وقال) ابو عبد الرحمن دخل ابو عبد الله الروذباري الى دار بعض اصحابه فوجده غائبا وهنالك بيت مقفل فكسر القفل وامر بجميع ما وجد فيه من المتاع فانفذوه الى السوق فباعوه وأصلحوا به وقتا من الثمن فجاء صاحب الروذباري فلم يقل شيئا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها كساء فدخلت بيتا ورمت بالكساء وقالت يا أصحابنا هذا ايضا من جملة المتاع فبيعوه فقال زوجها لم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء ندخره عنه (واما) عبد الملك بن بحر فورث خمسة آلاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال ما كنت لاسأل لاخواني الجنة في صلاتي وابخل عليهم بمالي (ويروى) ان الاشعث بن قيس أرسل الى عدي بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فملأها وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة (وقال) بزرجمهر لا عز أثبت اركانا ولا أبذخ بنيانا من بث الكرم واكتساب الشكر وذلك أن عز التعظيم بالفعل الجميل باق في قلوب الرجال ومن تحصن بالجود وتحرز بالمعروف فقد ظفر بمن ناواه وربح الشكر والثواب (ويروى) ان عبد الله بن ابي بكر وكان أحد الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فاخرجت كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امرأة من العرب مات زوجي منذ ايام فشرب عبد الله وقال يا غلام احمل اليها عشرة آلاف فقالت سبحان الله تسخر بي فقال يا غلام احمل اليها عشرين ألفا فقالت أسأل الله العافية فقال يا غلام احمل اليها الثلاثين الفا فقالت أف لك فحمل اليها ثلاثين ألف درهم فما أمست حتى كثر خطابها (وقال) بعض الرواة قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال أربعمائة درهم على دين فدخل الدار وأخرجها اليه ثم دخل الدار باكيا فقالت له امرأته هلا تعللت حين شقت عليك الاجابة قال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مكاشفتي (وقال) اكثم بن صيفي صاحب المعروف لا يقع فان وقع وجد متكأ (وقال) الفضيل ما كانوا يعدون القرض معروفا (ويروى) عن امرأة من المتعبدات انها قالت لحبان بن هلال وهو في جماعة من اصحابه ما السخاء عندكم قال البذل والايثار قالت فما السخاء في الدين قال ان تعبد الله تعالى سخية به نفسك غير مكرهة قالت أفتريدون على ذلك جزاء قالوا نعم لان الله تعالى وعد على الحسنة بعشر أمثالها قالت فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرا فاي شيء سخيتم به وانما السخاء ان تعبدوا الله تعالى متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون بذلك اجرا الا تستحيون ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انها تريد شيئا بشيء (وقالت) بعض المتعبدات لبعض المتعبدين أتظن السخاء في الدينار والدرهم فقط انما السخاء في بذل مهج النفوس لله تعالى (وقال) ابو بكر الدقاق وليس السخاء ان يعطي الواجد المعدم انما السخاء ان يعطي المعدم الواجد (وقال) الشيخ أبو عبد الرحمن كان الاستاذ ابو سهل الصعلوكي

الدنيا كما يهتم باخذ ما يأخذه من الرعية بقدر وان يهب ما يهب بقدر لان لكل واحد من هذين الامرين حدا وقدرا كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال ان المأمون ولى يوما اربعة نفر اربع ولايات فأعطى احدهم منشورا بخراسان واعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار واعطى الآخر منشورا بخورستان واعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار وولى الآخر وهو الثالث ولاية مصر وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار وولى الرابع ولاية وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار ثم استدعى موبذان وقال له يا دهقان هل اعطى ملوك العجم في أيام ملكهم لاحد مثل هذه الخلع فانه بلغني ان خلعهم ما كانت تبلغ أكثر من اربعة آلاف درهم فقال الموبذان أطال الله بقاء امير المؤمنين كان لملوك العجم ثلاثة أشياء ليست لكم احدها انهم كانوا يأخذون ما يأخذون من الناس ويعطون ما يعطونه بقدر الثاني انهم كانوا يأخذون من موضع يجوز منه الاخذ ويعطون لمن ينبغي ان يعطى الثالث انهم ما كان يخافهم الا المذنب فقال له المأمون صدقت ولم يرد عليه جوابا ولاجل هذا فتح المأمون باب تربة كسرى وكشف تابوته وفتشه ونظر سحنة وجهه وهي بحالها ما بليت والثياب عليه بجدتها ما تمزقت

من الاجواد لم يكن يناول احدا شيأ بيده وانما كان يطرحه على الارض فيتناوله الآخذ من الارض وكان يقول الدنيا اقل خطرا من ان يرى من اجلها يدى فوق يد اخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وكان يتوضأ يوما في صحن داره فدخل عليه انسان وسأله شيأ فلم يحضره شئ فقال اصبر حتى افرغ فلما فرغ قال خذ القمقمة واخرج فلما خرج وعلم انه بعد صاح وقال دخل انسان واخذ القمقمة فشوا خلفه فلم يدركوه وانما فعل ذلك لانهم كانوا يلومونه على البذل وفي معناه قال الشاعر

ملأت يدى من الدنيا مرارا • فما طمع العواذل في اقتصادى
ولا وجبت على زكاة مال • وهل تجب الزكاة على جواد

(وكان) ابو مرثد احد الكرام فمدحه بعض الشعراء فقال ما عندى ما اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع على عشرة آلاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني مسجونا ففعل ذلك فلم يمسوا حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم (وقال) زياد بن جرير رايت طلحة بن عبيد الله فرق مائة ألف في مجلس وانه ليخيط ازاره بيده (ولما) دخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها يا ام المؤمنين اصابني فاقة فقالت ما عندى شئ فلو كانت عندى عشرة آلاف لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف من عند خالد بن أسيد فارسلت بها في اثره فاشترى جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد فكانوا عباد المدينة محمد وابو بكر وعمر وبنو المنكدر (وقال) يحيى بن معين كان جرير بن يزيد في دار المطلب فجاء انسان يسأله فقال للغلام اذهب الى الجوارى فقل لهن من ارادت منهن ان تصبغ ثيابها فلتبعث بها فجاء الغلام بثياب كثيرة فقال للسائل خذها (وقال الاصمعي) كانت حرب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا في المسجد الجامع قال فبعثت وانا غلام الى ضرار بن القعقاع بن حازم فاستأذنت عليه فأذن لى فاذا هو عليه شملة يخلط نوى لعنز له حلوب فخبرته بمجتمع القوم فأمهل حتى اكلت العنز ثم غسل القصعة وقال يا جارية غدينا فأتته بزيت وتمر قال فدعاني فقذرته ان آكل معه حتى اذا قضى من اكله حاجته وثب الى طين ملقى في الدار فغسل به يده ثم صاح بالجارية فقال اسقيني ماء فأتته بماء فشرب ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نؤدى شكر هذه النعم ثم قال على بردائى فاتته برداء عدنى فارتدى به على تلك الشملة قال الاصمعي فتجافيت عنه استقباحا لزيه فدخل المسجد وصلى ركعتين ومشى الى القوم فلم تبق حبوة الاحلت اعظاما له ثم جلس فتحمل ما كان بين الاحياء من الديات في ماله وانصرف (وكان) البهلول بن راشد الفقيه لما سجن يعطى كل يوم السجان دينارا فاستكثره اصحابه وكلموه في ذلك فقال لهم حفص بن عمارة سمعت سفيان الثوري يقول اذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يديه فخر بهلول على يديه وقبلها وجعل يقول سألتك بالله انت سمعته يقول هذا فحلف بالله لقد سمعته يقوله (وقال الشاعر)

ذرينى اكن للمال ربا ولا يكن • لى المال ربا تحمدى غبه غدا
اريني جوادا مات هزلا لعلني • أرى ما ترين او بخيلا مخلدا

(وكان) عبد الله بن ابى بكر ينفق على اربعين دارا من جيرانه عن يمينه واربعين عن يساره واربعين امامه واربعين خلفه ويبعث اليهم بالاضاحى والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك وبعث يوما جارية بعشرة آلاف فطلب دابة يحملها عليها فقال رجل هذه دابتى فقال احملوها على داره (وقال عبد الله بن زهير)

ولا خلقت والخاتم في اصبعه فصه من ياقوت احمر كثير الثمن ما رأى المأمون قبله فصا مثله وكان على فصه مكتوب به مه نه مه به معنى ذلك الاجود أكبر ليس الاكبر أجود فامر المأمون ان يغطى بثوب نسيج من الذهب وكان مع المأمون غلام خادم فاخذ الخاتم من اصبع كسرى ولم يشعر به المأمون فلما علم به أمر باهلاكه واعاد الخاتم الى اصبع انوشروان وقال كاد يفضحني بحيث يقال عنى الى يوم القيامة ان المأمون كان نباشا وانه فتح قبر كسرى وأخذ خاتمه من اصبعه

(حكاية)

سأل الاسكندر يوما جماعة من حكمائه وكان قد عزم على سفر فقال أوضحوا لى سبيلا من الحكمة احكم فيه اعمالى واتقن به اشغالى فقال كبير الحكماء أيها الملك لا تدخل قلبك محبة شئ ولا بغضته لان القلب خاصيته كاسمه وانما سمى قلبا لتقلبه واعمل الفكر واتخذه وزيرا واجعل العقل صاحبا ومشيرا واجتهد ان تكون في ليلك متيقظا ولا تسرع في أمر بغير مشورة وتجنب الميل والمحاباة في وقت العدل والانصاف فاذا فعلت ذلك جرت الامور على ايثارك وتصرفت باختيارك و ينبغى ان يكون الملك حليما وقورا وان لا يكون طائشا عجولا قالت الحكماء

الوزير يونان الى الملك العادل كسرى وصايا ومواعظ فقال منها ينبغي يا ملك الدنيا ان يكون معك اربعة اشياء دائما العدل والعقل والصبر والحياء وينبغي ان تنفي عنك اربعة اشياء الحسد والكبر وضيق القلب يريد به البخل والعداوة وقال اعلم يا ملك الدنيا ان الملوك الذين كانوا قبلك من الملوك مضوا والذين يأتون بعدك لم يصلوا فاجتهد ان تكون جميع ملوك الزمان ورعاياهم محبين لك ومشتاقين اليك

(حكاية)

يقال ان أنوشروان ركب في بعض الايام في الربيع على سبيل الفرجة فجعل يسير في الرياض المخضرة ويشاهد الشجرة المثمرة وينظر الى الكروم الف مرة فنزل عن فرسه شكرا لربه وخر ساجدا واضعا خده على التراب زمانا طويلا فلما رفع رأسه قال لاصحابه ان خصب السنين من عدل الملوك والسلاطين وحسن نيتهم واحسانهم الى رعيتهم فالمنة لله الذي قد اظهر حسن نيتنا في سائر الاشياء وانما قال ذلك لانه جربه في بعض الاوقات

وعاذلة تخشى الردى ان يصيبني * تروح وتغدو بالملامة والقسم
تقول هلكنا ان هلكت وانما * على الله أرزاق العباد كما زعم
واني أحب الخلد لو استطيعه * وكالخلد عندي ان اموت ولم الم

(وروى) ان اعرابيا قدم على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لي اليك حاجة الحياء يمنعني ان اذكرها قال فخطها في الارض فخط في الارض اني فقير فقال لغلامه يا قنبر اكسه حلتي فكساه الحلة فقال

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه * كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
ان نلت حسن ثناء نلت مكرمة * لا تبغين بما قد نلته بدلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

قال علي زده مائة دينار فاعطاه اياها فاما ولى الاعرابي قال قنبر يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال مه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكر والمن أثني عليكم واذا أتاكم كريم قوم فاكرموه (وقال) مطرف بن الشخير اذا اراد احدكم مني حاجة فليرفعها في رقعة فاني اكره ان ارى في وجهه ذل الحاجة (قرئ) على القاضي ابي الوليد وانا اسمع

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فليس اليه ما حييت سبيل
أرى الناس خلان الكرام ولا ارى * بخيلا له في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري باهله * فأكرمت نفسي ان يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته * اذا نال خيرا ان يكون ينيل

(ولعروة بن الورد)

واني امرؤ عافي انائي شركة * وانت امرؤ عافي انائك واحد
أتضحك مني ان سمنت وان ترى * بجسمي شحوب الحق والحق جاهد
اقسم جسمي في جسوم كثيرة * واحسو قراح الماء والماء بارد

(وقال) بعض الحكماء اصل المحاسن كلها الكرم واصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما ملكت على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فروعه (وروى) انه كان عند البهلول بن راشد طعام فغلا السعر فامر به فبيع له ثم أمر ان يشترى له ربع القفيز فقيل له تبيع وتشتري فقال نفرح اذا فرح الناس ونحزن كما حزنوا (ولابي حاتم طي فقال)

لعمري لقدما عضني الجوع عضة * فآليت ان لا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائم الآن أعفني * فان انت لم تسطع فعض الاصابعا
فهل ما ترون الآن الا طبيعة * فكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا

(وقال آخر)
أصون عرضي بمالي لا أدنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال
احتال للمال ان أودى فاجمعه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

(ويروى) ان رجلا سأل الحسن بن علي رضي الله عنه شيأ فاعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال ائت بحمال يحمله لك فأتاه بحمال فاعطاه طيلسانه وقال يكون كراء الحمال من قبلي (ويروى) ان الليث ابن سعد سألته امرأة سكرجة عسل فامر لها بزق عسل فقيل له في ذلك فقال انها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر نعمتنا (وروى) ان رجلا استضاف لعبد الله بن عامر بن كريز فلما اراد الرجل ان يرتحل لم يعنه غلمانه فسئل عن ذلك فقال عبد الله انهم لا يعينون من ارتحل عنا (وفي معناه يقول المتنبي)

(حكاية) يقال ان أنوشروان العادل مضى يوما الى الصيد فانفرد من عسكره خلف صيد

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ❊ ان لا تفارقهم فالراحلون هم

❊(الباب الحادى والثلاثون فى بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما)❊

الشح فى كلام العرب البخل ومنع الفضل كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم انى أعوذ بك من شح نفسى واسرافها ووسواسها (وروى) جابر ان النبى عليه السلام قال اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا الدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهما مفرقون فقالوا الشح أشد من البخل فان البخل أكثر ما يقال فى النفقة وامسا كها قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وقال تعالى فى الشح أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فالشح يبنى على الكزازة والامتناع فهو يكون فى المال وفى جميع منافع البدن (وقال) ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله وانما الشح ان يطمع فيما ليس له ولهذا قال ابن المبارك سخاء النفس عما فى ايدى الناس افضل من سخاء النفس بالبذل (وقال) رجل لابن مسعود انى أخاف ان اكون قد هلكت سمعت الله تعالى يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد ان يخرج من يدى شئ فقال له ابن مسعود هذا ليس بالشح الذى ذكره الله تعالى فانه ان تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل ففرق بينهما كما ترى (وقال) ابن عباس الشح ان يتبع هواه فلم يقبل الايمان وقال طاوس الشح ان يبخل المرء بما فى أيدى الناس والبخل ان يبخل بما فى يديه (وروى) انس ان النبى عليه الصلاة والسلام قال برئ من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف واعطى فى النائبة (وقال) ابن زيد من لم يأخذ شيأ نهاه الله عنه ولم يدعه الشح الى ان يمنع شيأ أمر الله به فقد وقاه شح نفسه (وقال) ابو التياح الاسدى رأيت رجلا فى الطواف يقول اللهم قنى شح نفسى لا يزيد على ذلك شيأ فسألته عن ذلك فقال اذا وقيت شح نفسى لم اسرق ولم ازن ولم افعل شيأ يكرهه الله تعالى واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف (واعلم) ان البخل يكون من سوء الظن بالله ان لا يخلف ولا يثيب وهذا يوهن التصديق بما تكفل الله به ويطرق الخلل والامتناع الى جميع الاوامر بين العبد وبين الخالق وبين العبد وبين الخلق فى ترك معاونتهم والنصح لهم (وقال) كسرى لاصحابه اى شئ أضر بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح أضر من الفقر لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع أبدا ولما قدم الشافعى من صنعاء الى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقالوا له تشترى بها ضيعة فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شئ (ولما) قربت وفاته قال مروا فلانا يغسلنى وكان الرجل غائبا فلما قدم اخبر بذلك فدعا بتذكرته فوجد عليه سبعين الف درهم دينا فقضاها وقال هذا غسلى اياه (وروى) أن رجلا اراد ان يؤذى عبد الله بن عباس فاتى وجوه البلد وقال يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عندى فاتوه فملؤا الدار فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر ان تشترى الفواكه فى الوقت وامر بالخبز والطبيخ فاصلح القرى فلما فرغ قال لو كلا انه أموجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد هؤلاء كلهم كل يوم عندنا

❊ ومن الخصال الجارية مجرى الكمال والجمال ولعلها من الاصول الصبر ❊

❊(الباب الثانى والثلاثون فى الصبر)❊

[illegible] زمام سائر الخصال وزعيم الغنم والظفر وملاك كل فضيلة وبه ينال كل خير ومكرمة قال الله [illegible] وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم [illegible] فعظم وظائف الدين ذكر الله ورسوله جزاء معلوما لمن اقامها الا الصبر فانه بغير حساب وقال

فرأى ضيعة بالقرب منه وكان قد عطش فقصد الضيعة واتى باب دار قوم وطلب ماء ليشرب فخرجت صبية ابصرته وعادت الى البيت فدقت قصبة واحدة من قصب السكر ومزجت ما عصرته منها بالماء ووضعته فى قدح وسلمت القدح الى انوشروان فنظر فى القدح فرأى فيه ترابا وقذى فشرب منه قليلا قليلا حتى انتهى الى آخره وقال للصبية شاد باش نعم الماء كان لولا ذلك القذى الذى كدره فقالت الصبية يسرمنك انا عمدا ألقيت فيه القذى قال انوشروان ولم فعلت ذلك قالت رأيتك شديد العطش فلو لم يكن فى الماء قذى كنت شربته عجلا نوبة واحدة وكان يضرك شربه نهلة واحدة فتعجب انوشروان من كلامها وعلم انها ما قالت ذلك الا عن ذكاء وفطنة فقال لها من كم قصبة عصرت ذلك الماء فقالت من قصبة واحدة فتعجب وطلب جريدة خراج تلك الناحية فرأى خراجها قليلا فتفكر فى نفسه وقال قرية يكون فى قصبة واحدة منها هذا السكر ويكون هذا الخراج خراجها فجعل فى نفسه انه اذا عاد امر بان يزاد خراجها عليهم ثم انه عاد الى تلك الناحية بعد وقت واجتاز على ذلك الباب [illegible] ماء فخرجت الصبية بعينها فرأته فعرفته فعادت لتخرج له الماء فابطأت عليه فاستعجلها انوشروان وقال لاى شئ

تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وقيل عن الدنيا وقال ابن عيينة لما أخذوا برأس الامر جعلهم الله رؤساء وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وقال تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا ثم ندبهم الى الصبر مع وجود الاذى فقال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فالصبر حبس النفس على الاوامر والمكاره وعن النواهي والمعاصي الا ترى ان اهل الجنة نودوا فقيل لهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فاخبر الله تعالى انه اثابهم جنته بصبرهم يعني صبرتم على طاعة الله وصبرتم عن معصية الله قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اى احبس نفسك الآية فمن أمارات حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر في الملمات والرفق عند النوازل (وفيما يروى) ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا (وقال سفيان) بلغنا ان لكل شئ ثمرة وثمرة الصبر الظفر قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فعلق الفلاح على الصبر والتقوى يعني اصبروا على ما فرض الله عليكم وصابروا عدوكم ورابطوا فيه قولان قيل رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على انتظار الصلوات بدليل ما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يحط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط (وقال) الحسن في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ابتلاه بالكوكب فصبر وابتلاه بذبح ابنه فصبر وقال سبحانه وتعالى استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم قال قولا عظيما فجعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقال النبي عليه الصلاة والسلام للانصار ما يكن عندي من خير فلن ادخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما اعطى احد عطاء خيرا واوسع من الصبر (وقال ابن مسعود) قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل من الانصار والله انها القسمة ما اريد بها وجه الله فاخبرت النبي عليه الصلاة والسلام فشق عليه وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لم أكن اخبرته ثم قال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر (وروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام مر على امرأة تبكي عند قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك لم تصب بمثل مصيبتي فلما قيل لها هذا رسول الله جاءت اليه تعتذر انها لم تعرفه وقالت سأصبر فقال النبي عليه الصلاة والسلام انما الصبر عند الصدمة الاولى ويحتمل هذا الحديث وجهين اما الطابي فقال معناه ان الصبر المحمود عند أول نزول المصيبة وقد فاتك بالجزع وأما القابسي فقال معناه ان الصدمة الاولى وقت أمرها النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليما لكل من فاته الصبر بذهول أو نسيان أو غلبة (ويروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة (وفي منثور الحكم) قالت الصحة أنا لاحقة بارض المغرب قال الجوع وأنا معك قال الايمان أنا لاحق بارض الحجاز قال الصبر أنا معك قال الملك أنا لاحق بارض العراق قال الفتك أنا معك (واعلم) ان العجلة خرق ومخرجها من قلة العقل واخرق من ذلك التفريط في الامر بعد القدرة ومثل ذلك كالقدر على النار ان كان ماؤه قليلا غلا بيسير من النار وان كانت مملوءة لم تغل حتى تكثر نارها وتطول مدتها * وفي كتاب جاويدان خرد وليس للعجم كتاب مثله قال محرم على السامع تكذيب القائل الا في ثلاث هن غير الحق صبر الجاهل على مضض المصيبة وعاقل أبغض من احسن اليه وحماة أحبت كنة

أبطأت فقالت الصبية لانه لم يخرج من قصبة واحدة قدر حاجتك وقد دققت اليوم ثلاث قصبات وما خرج منها مثل ما كان يخرج من قصبة واحدة فقال أنوشروان ما سبب هذا العجز فقالت سببه تغير نية السلطان فقد سمعنا انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركاتهم وقلت خيراتهم فضحك أنوشروان وازال عن نفسه ما كان قد أضمره لهم وتزوج تلك الصبية حلالا لتعجبه من ذكائها

* (حكمة) *

يقال ان الصادقين من الناس ثلاثة الانبياء والملوك والمجانين وقيل ان السكر جنون لان المجنون سكره باطن والسكران جنونه ظاهر والويل لمن يبقى في سكر الغفلة دائما كما قال الشاعر

من أسكرته الخمر في سرعة
فما عليه ان صحا من خجل
ومن يكن بالملك ذا سكرة
يصح اذا ما الملك عنه انتقل

والمقبل جدا من كان من سكر سلطنته صاحيا وكان المقدم على اعماله ثقة امينا وكان جليسه نصوحا معينا وعلامة سكر السلطان ان يسلم وزارته الى محتاج معوز ثم يستديمه ويتمسك به الى ان تزول حاجته وتنقضي فاقته ثم يعزله وينصب غيره فيكون مثاله مثال من ربى طفلا صغيرا الى أن يصير بالغا كبيرا صلح للاعمال وقضاء الحوائج والاشغال ثم

(فصل)

بقتلهم ونسيت أصله وقيل ان اربعة أشياء على الملوك من الفرائض وهي ابعاد الادنياء من عمالهم وعمارة المملكة بتقريب العقلاء وحفظ آراء المشايخ واولي الحكمة والتجربة والزيادة في أمر المملكة بالاقلال من الاعمال المذمومة لما تولى الامر عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن البصري ان أعني باصحابك فكتب اليه الحسن اما طالب الدنيا فلا ينصحك واما طالب الآخرة فلا يرغب فيك ولا يجوز للسلطان أن يسلم وزارته ولا عملا من أعماله الى من ليس لذلك باهل فان سلم الاعمال الى ذلك الرجل فقد أفسد ماله وأهمل أمره وأخرب مملكته وظهر له الخلل الوافر من كل وجه وكل جانب كما قال الشاعر

البيت لما حان منه خرابه * ظهر التخلل من أساس الحائط
واذا تولى الملك عن أربابه * ولوا الامور لكل قدم ساقط

ينبغي لمن خدم الملوك ان يكون كما قال الشاعر

اذا خدمت الملوك فالبس * من التوقي أعز ملبس
وادخل اذا ما دخلت اعمى * واخرج اذا ما خرجت أخرس

ومن انبسط على السلطان فقد ظلم نفسه ولو كان ولد السلطان وليس ينبغي الانبساط عليهم في خدمتهم كقول الشاعر

وان تك للسلطان تجلا فداره * وخف منه ان أحببت رأسك سالما

ومثل الذي

* (فصل) * واعلم ان الصبر على أقسام صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب فالصبر على الكسب على قسمين صبر على ما أمر الله تعالى به وصبر على ما نهى الله عنه فاما الصبر على ما ليس بكسب للعبد فكصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما اله فيه مشقة و ينقسم من وجه آخر على اربعة اقسام فاول اقسامه و أولاها الصبر على امتثال أمر الله سبحانه والانتهاء عما نهى عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه من مسرة أو تقضت أوقاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها أو يخشى حدوثه من رهبة يخافها والرابع الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف وجميع أقسامه محمود بكل لسان وفي كل ملة وعند كل امة مؤمنة أو كافرة (وقال أكثم بن صيفي) من صبر ظفر (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو (وقال اردشير) الصبر الدرك (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ضياء وبالصبر يتوقع الفرج (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب (وقال ابن عباس) افضل العدة الصبر عند الشدة (وقال عبد الحميد الكاتب) لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر مطيتين ما باليت أيهما ركبت (وقال) بعض الحكماء بالصبر على مواقع المكروه تدرك الحظوظ (وقال) ابن المقفع في كتاب اليتيمة الصبر صبران فاللئام أصبر اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون قوي الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات الحمير ولكن أن يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه عند الحفاظ مرتبطا (وفي منثور الحكمة) من أحب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا (وقال) بزرجمهر لم أر ظهيرا على تنقل الدول كالصبر ولا مذلا للحساد كالتجمل ولا مكسبة للاجلال كتوقي المزاح ولا مجلبة للمقت كالاعجاب ولا متلفة للمروءة كاستعمال الهزل في موضع الجد (فاما القسم الاول) وهو الصبر على امتثال أوامر الله تعالى والانتهاء عن محارمه فبه يصح اداء الفرائض واستكمال السنن ويدخل في قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ولذلك قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال الجنيد) المسير من الدنيا سهل هين على المؤمن وهجر الخلق في جنب الله شديد والمسير من النفس الى الله شديد والصبر مع الله تعالى شديد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبيس (وكان حبيب ابن ابي حبيب) اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب بكى ثم قال واعجباه أعطى وأثنى (وقال الخواص) الصبر الثبات على احكام الكتاب والسنة (وقال عبد الواحد بن زيد) من نوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله تعالى عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى اعانه الله تعالى وعصمه منها (وقال عمر بن عبد العزيز) للقاسم بن محمد أوصني فقال القاسم عليك بالصبر في مواضع الصبر (وقال الحسن) الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عما نهى الله عنه وهو الافضل وانما يختلف الصبر بالخوف والرجاء فان من خاف شيأ صبر على الفرار منه وصبر عند الكراهية لما يحذر من ضرره ومن رجا شيأ صبر على طلبه ليظفر به (واما القسم الثاني) وهو الصبر على ما فات ادراكه من مسرة أو تقضت أوقاته من مصيبة فانه يتعجل به الراحة مع اكتساب المثوبة فان صبر طائعا استراح واحرز الثواب وان لم يصبر حمل الهم والوزر (وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه) للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من ابنك ان تصبر جرى عليك القلم وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القلم وانت مأزور ونظمه ابو تمام فقال

وقال علي في التعازي لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم
اتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

خلقنا رجالا للتجلد والعزا ✽ وتلك الايامى للبكا والمآتم

(وقال عمر بن الخطاب) رضي الله عنه لرجل ان صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا وان جزعت مضى امر الله وكنت مأزورا (وقال الحسن) والله لو كلفنا الجزع ما قابه فالحمد لله الذي آجرنا على مالو نهانا عنه اصبرنا اليه وعن هذا قالت الحكماء الجزع أتعب من الصبر ففي الجزع التعب والوزر وفي الصبر الراحة والاجر ولو صورا الصبر والجزع لكان الصبر أحسن صورة وأكرم طبيعة وكان الجزع اقبح صورة واخور طبيعة ولكان الصبر أولاهما بالغاية لحسن الخلقة وكرم الطبيعة (وقال بعض العلماء) لو وكل الناس بالجزع لجؤا الى الصبر (وقال) شبيب بن شيبة للمهدي ان المرء احق ما صبر عليه مالم يجد سبيلا الى دفعه وانشد

واذا تصيبك مصيبة فاصبر لها ✽ عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

✽(وقال آخر)✽

وهوّنت اجرا من فقيد فلا تكن ✽ فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

(وقال) بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشد من تابع التلهف على فائت او اكثر الفرح عند مستطرق (وقال) الحكيم ان كنت جازعا على ما يفلت من يديك فاجزع على مالم يصل اليك ومن أيقن ان كل فائت الى نقصان حسن عزاؤه عند نزول القضاء (وقال الشاعر)

اذا طال بالمحزون ايام صبره ✽ كساه ضنا طول المقام على الضبر

ولا شك ان الصبر يحمد غبه ✽ ولكن انفاقي عليه من العمر

(وقال بعض القدماء) الصبر على اربع مراتب على الشوق والاشفاق والزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات ومن راقب الموت اقصر عن الخطيآت (واما القسم الثالث) وهو الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها أو يخشى حدوثه من رهبة يخافها فبالصبر والتلطف تدفع عادية ما يخاف وينال نفع ما يرجو (قال) النبي عليه السلام انتظار الفرج من الله بالصبر عبادة (وقال محمد بن بشير)

ان الامور اذا اشتدت مسالكها ✽ فالصبر يفتح منها كل ما رتجا

لا تيأسن وان طالت مطالبه ✽ اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ✽ ومدمن القرع لابد ان يلجا

(وقال بعض الرواة) دخلت مدينة يقال لها ذفار فبينما انا اطوف في خرابها اذ رأيت مكتوبا على قصر خراب

يا من ألح عليه الهم والفكر ✽ وغيرت حاله الايام والغير

اما سمعت بما قد قيل في مثل ✽ عند الاياس فاين الله والقدر

ثم للمطوب اذا احداثها طرقت ✽ واصبر فقد فاز اقوام بما صبروا

فكل ضيق سيأتي بعده سعة ✽ وكل فوت وشيك بعده الظفر

(وتحته مكتوب بخط آخر) لو كان كل من صبر اعقب الظفر صبرت ولكنا نجد الصبر في العاجل يفني العمر ويدني من القبر وما كان أصلح لذي العقل موته وهو طفل والسلام (قلت) لو رأيته لكتبت تحته في الصبر استعمال الراحة وانتظار الفرج وحسن الظن بالله وأجر بغير حساب وفي الجزع استعمال الهم ونهك البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله وحمل الاثم مع العقوبة وما احسن بذي العقل اجتناب هذا والسلام (وقال بعض البلغاء) من صبر نال المنى ومن شكر حصن النعماء (وقال الشاعر)

الصبر مفتاح كل خير ✽ وكل شر به يهون

التماسيح التي تبلع الآدميين فلا يزال بروحه مخاطرا

✽(حكمة)✽

قال الحكيم ويل لمن ابتلى بصحبة السلاطين فانهم ليس لهم صديق ولا قرابة ولا ولد ولا خادم ولا احترام لاحد ولا يحابون أحدا الا من كانوا محتاجين اليه لعلمه أو لشجاعته فاذا أخذوا حاجتهم منه لم يبق له عندهم مودة ولم يبق له معهم وفاء ولا حياء واكثر أشغالهم ويستصغرون كبار ذنوبهم ويستعظمون صغار ذنوب غيرهم ويستحقرون في العقاب ضرب الرقاب ويستعظمون في العتاب رد الجواب قال سفيان لاصحب السلطان واياك وخدمته لانك ان كنت له مطيعا اتعبك وان خالفته قتلك واعطبك ولا ينبغي لاحد ان يدخل على الملوك اذا لم يكن لهم جوار كما جاء في الحكاية

✽(حكاية)✽

يقال ان يزدجرد بن شهريار دخل يوما على والده في وقت لم يكن لاحد اذن في الدخول فقال شهريار امض واضرب الحاجب الفلاني ثلاثين خشبة واطرده من الدركات وأقم موضعه فلانا الحر وكان عمر يزدجرد ثلاث عشرة سنة حينئذ فعلم ذلك الحاجب الحرلم أبعد الاول عن الباب فعاد بعض

الايام يزدجرد واراد ان يدخل على والده فجعل ذلك الحاجب يده على صدره وردّه على عقبه وقال له ان عدت رأيتك بعدها

اصبر وان طالت الليالي * فربما ساعد الحرون
وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات لا يكون

(وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله) ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه صبرا الا كان ما عوضه أفضل مما انتزعه منه وقرأ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وروى) ان جارية كانت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه تتصرف في حوائجه فكلما خرجت تصدى لها خياط كان بقرب دار علي ويقول لها والله اني لأحبك لله فلما أكثر من ذلك شكته الى علي فقال لها علي اذا قال لك مرة أخرى فقولي له والله اني لأحبك فما الذي تريد فعاد فقالت له ذلك فقال لها وأنا والله أحبك فيه فقال لها تصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فرجعت الجارية وأخبرت مولاها فدعا علي رضي الله عنه الخياط فوجد أمره على العفة فوهبها له مع نفقة يستعين بها (وقال) علي رضي الله عنه الصبر كفيل بالنجاح والتوكل لا يخيب والعاقل لا يذل باول نكبة ولا يفرح باول رفعة وكان يقال الصبر سلامة والطيش ندامة (وأما القسم الرابع) وهو الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من امر مخوف فالصبر فيه تنفتح وجوه الآراء وتتقى مكايد الاعداء قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وقال تعالى واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور * وروى ابن عباس ان النبي عليه السلام قال ان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب واليسر مع العسر (وقال علي رضي الله عنه) الصبر مناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان * وقال الحكيم بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الامور (وأنشدوا)

انما أجزع مما أتقي * فاذا حل فمالي والجزع

ولما حبس ابو ايوب في الحبس خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره وكتب الى بعض اخوانه يشكو طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته

صبرا أبا ايوب صبر مبرح * فاذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذي عقد الذي انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * فلعلها ان تنجلي ولعلها

فلما وقف عليها ابو ايوب كتب اليه

صبرتني ووعظتني فانا لها * وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك الا اياما حتى اطلق مكرما (ولتميم بن المعز)

سأسكت صبرا واحتسابا فانني * أرى الصبر سيفا ليس فيه فلول
عذابي أن أشكو الى الناس انني * عليل ومن اشكو اليه عليل
وان الذي يشكو الى غير نافع * ويسخو بما في نفسه لجهول

(وانشدوا)

دع الدهر يجري بأقداره * ويقضي عجائب اوطاره
ونم نومة عن ولاة الامور * وخل الزمان بتدواره
فانك ترحم من قد غبطت * وتعجب من قبح آثاره

(وانشدني بعضهم)

ويمنعني الشكوى الى الناس انني * عليل ومن أشكو اليه عليل

ههنا ضربتك ستين سوطا ثلاثين لاجل المعزول وثلاثين لئلا تعود تدخل على الملوك في غير وقت الاذن وان كنت ولده لئلا تجلب لي الضرب والهوان وأصلح الاشياء للملك ان لا يباشر الحرب بنفسه ويحفظ ناموسه لان كثيرا من الارواح يتعلق بروحه وسلاح الرعية في حياته وكذلك ينبغي ان لا يجوز على نفسه لئلا يجوز على جميع الخلق ولا يجوز للملك ان يجازف في الاشغال ولا يتساهل في الاعمال ويجب ان ينيم كل ليلة على فراشه غيره ويتحول بنفسه الى غير ذلك المكان حتى ان قصد عدوه اتلاف نفسه وجد غيره في مكانه فلا يصل عدوه اليه كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال انه انهزم خسرو برويز من بهرام جوبين وقال هربت وان كان الهرب عيبا الاخلاص بهربي أرواح جماعة من أصحابي لاني ان هلكت هلك بسببي ألوف من الخلائق والمقصود من هذا المقال ان زماننا غير موافق وان الناس فيه بين قبيح الفعل وغافل والملوك مشغولون بالدنيا ومحبة المال ولا يجوز الاحتمال والتغافل عن أناس السوء في أمثال العرب العبد يقرع بالعصى *

و يمنعني الشكوى الى الله انه * عليم بما القاه قبل أقول

ولآخر

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله

اليأس يقطع احيانا بصاحبه * لاتيأسن فان الصانع الله

اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * مالامرئ حيلة فيما قضى الله

وصرف من هذه اللفظة صابر وصبور وصبار ومتصبر فالمتصبر من صبر في الله على المكاره فتارة يعجز وتارة يصبر والصابر من لا يشكو ولا يعجز والصبار الذي لو دفع عليه جميع البلايا والمحن لم يتغير وجهه في الحقيقة وان تغير من وجه الرسم والبشرية والخلقة كما قال القائل

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح الصبور يا صبر صبرا

وهذا اقوى بيت قيل في الصبر واحسنه وقريب منه قول القائل

صبرت على الايام صبرا أصارني * الى ان ينادي الحال لا صبر للصبر

والصبور هو الثابت على هذه المقامات وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور ويقال الصبر لله غنى والصبر بالله تقى والصبر في الله بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وانشدوا

اذا لعب الرجال بكل شئ * رأيت الحب يلعب بالرجال

وكيف الصبر عمن حل مني * بمنزلة اليمين مع الشمال

وقال المحاسبي بين الصبر والتصبر حالة هي التنعم وذلك اذا رفع الله له علما من اعلام الآخرة يدله على منازل الصابرين عنده فيتنعم القلب بسرور والنعيم وقال ابو محمد الجريري الصبر هو ان لا نفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان اثقال المحنة وأنشدوا

صبرت ولم اطلع هواك على صبري * واخفيت ما بي منك عن موضع السر

مخافة ان يشكو ضميري صبابتي * الى دمعتي سرا فتجري ولا ادري

وقيل للمحاسبي بماذا يقوى الصابر على صبره فقال اذا علمت ان في صبرك رضا مولاك أما سمعت قول الحكيم

رضيت وقد أرضى اذا كان مسخطي * من الامر ما فيه رضا صاحب الامر

وفي معناه

سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة * وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري

قال شيخنا وشكالك ان تحبه أعظم من شكالك لنفسك هذا ايوب لما أصيب بنفسه قال مسني الضر ويعقوب لما اصيب بحبيبه قال وا أسفا على يوسف قال أحمد قال لي أبو سليمان الداراني أتدري بماذا أزال العقلاء اللائمة عن أنفسهم قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك فصبروا ويروى ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه اذا أنزلت بعبدي بلائي فدعاني فماطلته بالاجابة فشكاني فقلت عبدي ارحمك من شئ به أرحمك وقيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث قال أنس ماصبر من بث وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاتستغزروا الدموع بالتذكر وقال الشاعر * ولا يبعث الاحزان مثل التذكر * ومما يعين على عظم الاسى وشدة الجزع تذكر المسار المنقضية وتصور المضار الذاهبة وكثرة الشكوى والاسف وقال الشاعر

لا تكثر الشكوى الى الصديق * وارجع الى الخالق لا المخلوق * لا يخرج الغريق بالغريق

وفي منثور الحكم المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين واعلم انه قل من صبر على شدة الا ونال ما يرجوه من فرج وينبغي لمن نزلت به مصيبة أو كان في شدة أن يسهلها على نفسه ولا يغفل عن تذكر ما يتيقنه من وجوب الفناء وتقضي المسار فان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها

والحر تكفيه الاشارة وهذا المثل يضرب فيمن له اصل وفيمن لا اصل له وقد كان للناس وقت وزمان يؤمن فيه رجل واحد جميع أهل الدنيا ويسخرهم بدرة كان يحملها على عاتقه وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه والفضل في ذلك الوقت كان للزمان والرعية فاليوم لو عوملت هذه الرعية بتلك المعاملة لم يحتملوا وابدا امنهم الفساد لكن ينبغي أن يكون السلطان هذا الوقت أتم سياسة وهيبة ليشتغل كل انسان بشغله ويأمن الناس بعضهم من بعض ونحن الآن نورد خبرا في هذا الباب ليستفيد به القارئ والسامع خبر أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه فقيل له لاي شئ لا تنفع الموعظة هؤلاء الناس فقال الخبر معروف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوصى عند وفاته شار بثلاث أصابعه وقال بطرف لسانه ولا تسألوني عن أولئك فقال الصحابة ان ذلك اشارة الى ثلاثة أشهر وقال قوم ثلاث سنين وقال قوم ثلاثين سنة وقال قوم ثلثمائة سنة فلا تسألوني عن حال تلك الرجال فاذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوني عن أولئك فكيف تنفع الموعظة فيهم وسئل عن مثل هذا السؤال فقال كان الناس في ذلك الزمان نياما وكان العلماء أيقاظا

بعادى من لاعلم له وعليها يحسد من لافقه له ولها يسعى من لا ثقة له من صح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لاخير ما يدوم ولاشر ما يبقى ولا فيها لمخلوق بقاء فاذا تصور حقيقتها الغي تنشذ يرى الحوادث سهلة والمصائب هينة وقال الشاعر

يمثل ذو اللب فى نفسه * مصائب من قبل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه * لما كان فى نفسه مثلا
رأى الامر يفضى الى آخر * فصير آخره أولا

وقال بعض الحكماء من حاذر لم يخدع ومن راقب لم يهلع ومن كان متوقعا لم يلف متوجعا ومن لم يشعر نفسه ما ذكرنا من أحوال الدنيا وتقضى المسار ثم الثواء فى اللحود بين اطباق الترب والجنادل قد فارقه الاحباء وهجره القرباء والبعداء الفته الحوادث وابقا فسلبته الصبر وضاعفت عليه الاسى وقال ابن الرومى

ان البلاء يطاق غير مضاعف * فاذا تضاعف فهو غير مطاق

وأنشدوا

تعودت مس الضر حتى ألفته * وأسلمنى حسن العزاء الى الصبر
ووسع صدرى للاذى كثرة الاذى * وان كنت أحيانا يضيق به صدرى
وحسن لى يأسى من الناس كلهم * لعلمى بصنع الله من حيث لا أدرى

ولبعض الاعراب

تعز فان الصبر بالحر أجمل * وليس على ريب الزمان معول
فلو كان يغنى ان يرى المرء جازعا * لنائبة أو كان يغنى التبذل
لكان التعزى عند كل مصيبة * ونازلة بالحر أولى وأجمل
فكيف وكل ليس يعدو حمامه * وما لامرئ عما قضى الله مرحل
فان تكن الايام فينا تبدلت * ببؤس ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناة صليبة * ولا ذللتنا للذى ليس يجمل
ولكن وجدنا انفوسا كريمة * تحمل ما لا تستطيع فتحمل
وقينا بفضل الله منا نفوسنا * فصحت لنا الاعراض والناس هزل

(الباب الثالث والثلاثون فى كتمان السر)

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما افشى يوسف رؤياه بمشهد امرأة يعقوب أخبرت اخوته فحل به ما حل وفى الحديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود واعلم ان كتمان السر من الخصال المحمودة فى جميع الخلق ومن اللوازم فى حقوق الملوك ومن الفرائض الواجبة على الوزراء وجلساء الملوك والاتباع قال على رضى الله عنه سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم ان أمناء الاسرار اشد تعذرا وأقل وجودا من أمناء الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتم الاسرار فان أحراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال وأحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وعبء الاسرار أثقل من عبء الاموال وان الرجل يستقل بالحمل الثقيل يحمله ويمشى به ويقله ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره فى قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه بحمل الاثقال فاذا اذاعه استراح قلبه وسكن جأشه وكأنما القى عن نفسه جبلا وقال عمر بن عبد العزيز القلوب أوعية والشفاه أقفالها والالسن

واليوم العلماء نيام والخلق موتى فاى نفع لكلام الناس عند الميت اما زماننا هذا فهو الزمان الذى قد هلك فيه الخلائق جميعهم وقد خبثت اعمال الناس ونياتهم واذا لم تكن بينهم سياسة السلطان ولا هيبته لم يثبتوا على الطاعة والصلاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العدل عز الدين وفيه صلاح السلطان وقوة الخاص والعام وبه يكون خير الرعية وامنهم وعافيتهم وكل الاعمال توزن بميزان العدل قال الله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان يعنى به العدل وقال فى موضع آخر الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان واحق الناس بالجاه والمملكة من كان قلبه مكانا للعدل وبيته مقر الذوى الدين والعقل ورأيه خزانة ارباب العلم والفضل وصحبته مع العقلاء ومشورته مع أولى الآراء كما قال الشاعر

يده خزانة جوده
والقلب خازن فضله
قد رتبت أبوابه
أبدا بطالب عدله

قال الحسن البصرى كل ملك عظم أمر الدين كان عند رعيته عظيم الامر ومن عرف الله تعرف للخلق به واختار وان يكونوا معارفه كما قال الشاعر

طوبى لمن أول ما خازه * من عرف الله تعالى اسمه * آثر كل الخلق عرفانه

مفتاحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره ومن اعجب الامور ان اغلاق الدنيا كلما كثرت خزائنها كان اوثق لها الا السر فانه كلما كثر خزانه كان اضيع له وكم من اظهار سر أراق دم صاحبه ومنع من بلوغ ما ربه ولو كتمه أمن من سطواته قال أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقال بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجره في غير أوداجك فاذا تكلمت به فقد أرقته وكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه كاتب يقال له حمران فاشتكى عثمان فقال اكتب العهد بعدي لعبد الرحمن بن عوف فقال حمران لعبد الرحمن البشرى فقال عبد الرحمن لك البشرى وما ذا فاخبره الخبر فانطلق عبد الرحمن فاخبر عثمان فقال عثمان أعاهد الله ان لا يساكنني حمران ابدا ونفاه الى البصرة فلم يزل بها حتى قتل عثمان رضي الله عنه واعلم ان كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فلا خير في انسان لا يمسك سره ويروى ان رجلا اودع سره عند رجل فقال له افهمت قال بل جهلت قال احفظت قال بل نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمك للسر قال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال الشاعر

ولو قدرت على كتمان ما اشتملت * مني الضلوع على الاسرار والخبر
لكنت اول من ينسى سرائره * اذ كنت من نشرها يوما على خطر

قال شيخنا ومن احسن شئ سمعته في كتمان السر ما انشدنيه بعض فقهاء البصرة بالبصرة فقال

ولما سر أثر في الضمير طويتها * نسي الضمير بانها في طيه

وفي معناه

ومستودعي سرا كتمت مكانه * عن الحس خوفا ان ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهرة * فاودعته في حيث لا تبلغ النفس

قال العتبي أسر معاوية رضي الله عنه الى عثمان بن عنبسة حديثا فقلت لابي ان امير المؤمنين أسر الى حديثا أفاحدثك به قال لا من كتم حديثا كان الخيار له ومن اظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا قلت يا أبت افيدخل هذا بين الرجل وابيه قال لا يا بني ولكن اكره ان تذال لسانك بافشاء السر قال فحدثت به معاوية فقال أعتقك أخي من رق الخطا وقيل لبعض الملوك ما أصعب الاشياء على الانسان قال ان يعرف نفسه ويكتم سره وقال قيس بن الحطيم

أجود بمكنون البلاد وانني * بسرك عمن سالني لضنين
اذا جاوز الاثنين سر فانه * ببث وتكثير الوشاة قمين
وان ضيع الاقوام سرا فانني * كتوم لاسرار العشير أمين
يكون له عندي اذا ما ضمنته * مكان بسويداء الفؤاد مكين

قال شيخنا قلت الناس يقولون أراد بالاثنين المودع والمودع ولا يبعد ان يريد به الشفتين وكان يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه فيوشك ان يصير عدوا وقد روي في الحديث عن النبي عليه السلام انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي امانة قلت واذا كانت امانة حرمت فيها الخيانة كالامانة في الاموال وقال ابو بكر بن حزم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره وقال هشام بن عروة ما من رجل ينتقص من أمانته الا نقص ايمانه وقال جعفر بن عثمان

ياذا الذي اودعني سره * لا ترج أن تسمعه مني
لم أجره قط على فكرتي * كأنه لم يجر في أذني

وكان عمرو بن العاص يقول ما افشيت سري الى رجل فافشاه على فلمته اذا كان صدري اضيق به وقال

معرفة الخالق سبحانه قال بزرجمهر لا ينبغي للملك أن يكون في حفظ مملكته اقل من البستاني في حفظ بستانه فانه اذا زرع الريحان ونبت بينه الحشيش استعجل في قلع الحشيش لئلا يضبط أماكن الريحان

(حكمة)

قال افلاطون علامة السلطان المظفر على أعدائه ان يكون قويا في نفسه لازما لصمته مفكرا في آرائه وتدبيره بقلبه وان يكون عاقلا في ملكه شريفا بنفسه حلوا في قلوب رعيته رفيقا في سائر أعماله مجربا بالعهد من تقدمه خبيرا باعمال من هو اقدم منه صلبا في دينه وكل ملك تجمعت فيه هذه الخصال كان في عين عدوه مهيبا الا يجد فيه العائب معيبا واذا كان الملك يرى من حوله وقوته بالله جاءت قدرته وان كان عدوه قويا فانه يظفر به وينصر عليه مثاله قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين

(حكمة)

قال سقراط علامة الملك الذي يدوم ملكه ان يكون الدين والعقل حبيبين في قلبه ليكون في قلوب رعيته محبوبا وان يكون العقل قريبا منه ليكون عند العقلاء قريبا وان يكون طالبا للعلم ليتعلم من العلماء وان يكون فضله غزيرا وبيته كبيرا ليعظم عند الفضلاء ويربي

الابناء ليتفرغ عنقدهم الادب وان يبعد عن مملكته متطلبي العيوب لتبعد عنه العيوب

الاحنف بن قيس يضيق صدر احدهم بسره حتى يحدث به ثم يقول اكتمه على وفي منثور الحكم انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وانشدوا

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

وفي منثور الحكم من افشى سره كثر عليه المتآمرون وقال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ * وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر

ولا تنطق بسرك كل سر * اذا ما جاوز الاثنين فاشي

وقال آخر

تبوح بسرك ضيقا به * وتبغي لسرك من يكتم
وكتمانك السر فيما تخاف * وفيما تحاذره أحزم
اذا ذاع سرك من مخبر * فأنت اذا لمته ألوم

وقال آخر

اذا ما ضاق صدرك من حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثي * وسري عنده فأنا الملوم

وقال الحكيم ما كتمته من عدوك فلا تطلعن عليه صديقك فان لم يكن لك بد من اذاعته لقرينة تقتضيه من صديق مساهم أو استشارة ناصح مسالم فمن صفات أمين الاسرار ان يكون ذا عقل ودين ونصح ومروءة فان هذه أمور تمنع من الاذاعة وتوجب حفظ الامانة ومن كملت فيه فهو عنقاء مغرب ولا تودع سرك عند من يستدعيه فان طالب الوديعة خائن قال صالح بن عبد القدوس لا تذع سرا الى طالبه منك فالطالب للسر مذيع وفي الجملة اذا زل سرك عن عذبة لسانك فالاذاعة مستولية عليه وان أودعته قلب ناصح محب فاحتمال مرارة الكتمان على قلبك اسهل عليك من التعامل بتمليك سرك غيرك واعلم ان افشاء سر غيرك أقبح من اظهار سر نفسك لانه يبوح باحدى وصمتين اما الخيانة ان كان مؤتمنا او النميمة ان كان مستخبرا وقال بعض الحكماء لابنه يا بني كن جوادا بالمال في مواضع الحق ضنينا بالاسرار عن جميع الخلق فان أحمد جود المرء الانفاق في وجه البر والبخل بمكتوم السر وكان يقال صدور الاحرار قبور الاسرار وقال الشاعر

الم تر ان وشاة الرجا * ل لا يتركون أديما صحيحا
فلا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا

وقال غيره

ما كل مكتوم يباح به * احذر لسانك من جوانبه
ليس الهوى ما كنت تعرفه * ايام تلعب في جوانبه
هذا هوى لو قد فجعت به * فجعك الحسام الى مضاربه

(الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن بسائر الخصال وزعيم بالمزيد من النعماء والآلاء من ذي الجلال)

وهي الشكر قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وقد آتاه الله ملك الدنيا والجن والانس والطير والوحش والرياح تجري بأمره كيف أراد فلما استمكن ملكه قال صلى الله عليه وسلم هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر فما عدها نعمة كما عدها ملوك الارض ولا حسبها كرامة من الله تعالى عليه كما ظنها ملوك الارض بل خاف ان تكون استدراجا من حيث لا يعلم كما قال تعالى في أمة أرادهلا كهم سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين جاء في التفسير اصب عليهم النعم وأنسيهم الاستغفار وانما الفرح بما أوتي من الدنيا والغبطة بزهرتها والاغترار بزخرفها من شعار الكفار الا ترى الى قول قارون الامين انما أوتيته على علم عندي وكان جوابه ما قال الله تعالى

وكل ملك لم يكن له مثل هذه الخصال لا يفرح بملكته ويتلف اقرباؤه وجلساؤه على يده لان القتل يظهر من عدم العقل وكل عيب نتيجة قلة العقل كما قال الشاعر

يقول الحكيم المقال الاسد

دع المزح اذ لست فيه أسد
تحفظ بنفسك مع مقاتيك

فعينك للملك تجني الحرد
وخف ان تنازعه ملكه

وفي حالة السخط عنه فمد فتقتل عن سخطه لا محرم ضياعا وابؤس عليه قود سمعت عن الجمران الملك يسكر عنها قليل الاحد سأل معاوية الاحنف بن قيس فقال يا أبا بحر كيف الزمان قال الزمان أنت يا أمير المؤمنين ان صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد وقال الاحنف بن قيس كما ان الدنيا عمرت بالعدل كذلك تخرب بالجور ولان العدل يضيء نوره وتلوح تباشيره عن مسيرة الف فرسخ والجور يتراكم ظلامه ويسود قتامه عن مسيرة الف فرسخ وقال الفضيل بن عياض لو كان دعائي مستجابا لم أدع لغير السلطان العادل صلاح البلاد وزينة العباد (خبر) جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم انه قال المقسطون لله في الدنيا على منابر اللؤلؤ يوم القيامة

فخسفنا به وبداره الارض ولما خاف سليمان عليه السلام ان يكون استدراجا كان جوابه ماقال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب واعلم ارشدك الله ان الشكر ليس هو حافظا للنعم فقط بل هو مع حفظه لها زعيم بزيادة النعم وأمان من حلول النقم والشكر على ثلاث مراتب شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بالجوارح فاما الشكر الواجب على جميع الخلق فشكر القلب وهو ان يعلم ان النعمة من الله وحده ولا نعمة على الخلق من اهل السموات والارض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى عن نفسك وعن غيرك بمعرفة نعم الله تعالى عليك وعلى غيرك وهذا النوع هو الذى يقال فيه يجب على العبد ان يشكر الله على نعمة اسديت الى غيره والدليل على ان الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله اى ايقنوا انها من الله والى هذه الكلمة انتهى جميع ماقاله الخلق فى الشكر والدليل عليه ايضا قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اى اتقونى فانه شكر نعمتى وخلق الله تعالى الحياة نعمة على العبد قال الله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون والعبارة عنه ان يقال الشكر اعتراف القلب بانعام الله تعالى على وجه الخضوع ويقال فيه الشكر اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة وقال ابو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وروى ان داود عليه السلام قال الهى كيف اشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتنى وقال وهب بن منبه قال داود عليه السلام الهى ابن آدم ليس منه شعرة الا وتحتها نعمة وفوقها منك نعمة فمن اين يكافئها فأوحى الله تعالى اليه ياداود انى اعطى الكثير وأرضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان مابك من نعمة فمنى وفى هذا يقال الشكر على الشكر اتم الشكر وذلك بان ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من اجل النعمة فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى مالا يتناهى وهذا الشكر ايضا واجب ولمحمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

ومن أقر بنعم الله واحسانه فقد أقر بقدر ما كلف لان احدا لايمكنه ان يوازى شكر نعم الله تعالى وفى مناجاة موسى عليه السلام الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال أن يعلم أن ذلك منى فكان معرفته بذلك شكره لى

(فصل) واما شكر اللسان فقال الله تعالى فيه واما بنعمة ربك فحدث قيل يعنى النبوة وقيل يعنى القرآن وحكم الآية عام فى جميع النعم وروى النعمان بن بشير أن النبى عليه الصلاة والسلام قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال تعالى حكاية عن أهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وقال عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما حفر نهر البصرة الذى يقال له نهر عمر انى حفرت لاهل البصرة نهرا عذب لهم مشربه وجادت عينه ولم أر لهم على ذلك شكرا فان اذنت لى قسمت عليهم ما انفقت عليه فكتب اليه عمر بن عبد العزيز انى لا أحسب اهل البصرة خلوا من رجل قال الحمد لله حين حفرك هذا النهر وان الله قد رضيها شكرا من جنته فارض بها شكرا من نهرك والسلام وحقيقة الشكر فى هذا القسم الثناء على المحسن بذكر احسانه وعلى هذا القول يوصف الرب تعالى بانه شكور حقيقة فشكر العبد لله ثناؤه عليه بذكر احسانه وشكر الله للعبد ثناؤه عليه باحسانه

(حكاية) كان الاسكندر يوما على تخت مملكته وقد رفع الحجاب فقدم بين يديه لص فأمر بصلبه فقال أيها الملك انى سرقت ولم يكن لى شهوة فى السرقة ولم يطاوعنى قلبى فقال الاسكندر لاجرم تصلب ولا يطاوعك قلبك الصلب ولا تريده فواجب على السلطان ان يعدل وينظر غاية النظر فيما يأمر به من السياسة لينفذ ذلك أصحابه مثل وزيره وحاجبه وعامله ونائبه لان كثيرا من سياسة السلطان وعدله ونظره وحسن تامله يغطى عليه بالبراطيل ويفوت وقته وذلك من تهاون الملك وغفلته فينبغى ان يجتهد فى تدارك ذلك كما جاء فى الحكاية

(حكاية) كان للملك كشتاسب وزير اسمه راست روشن وبهذا الاسم كان يظن كشتاسب انه تقى صالح وما كان يستمع فيه مقال احد يقدح فيه ولم يكن يخبر حاله فقال راست روشن لخليفة الملك ان الرعية قد بطرت من كثرة عدلنا فيهم وقلة تأديبنا لهم وقد قيل اذا عدل السلطان جارت الرعية والآن قد فاحت فيهم رائحة الفساد ويجب علينا ان نؤدبهم ونزجرهم ونبعد المتعبدين ونخلى الفسقة المفسدين ونؤدب الصالحين ثم انه كان كل من لزمه الخليفة ليؤدبه ارتشى منه راست روشن وأطلقه الى ان ضعفت الرعية وضاقت

واحسان الرب للعبد انعامه عليه وهذه اللفظة مأخوذة من قولهم دابة شكور اذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف ويقال وجه شكور اذا كان ممتلئ المحاسن ظاهرها وفى الحديث يقول الله تعالى انا والجن والانس فى نبأ عظيم أخلق و يعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى وقال بعضهم انما أتى الناس لانهم فى موضع صبرهم يحسبون انهم فى موضع شكر

(فصل) واما الشكر الذى على الجوارح فقال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور فجعل العمل شكرا وقال عطاء دخلت على عائشة رضى الله عنها مع عبيد بن عمير فقال لها عبيد يا أم المؤمنين حدثينا باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واى شانه لم يكن عجبا انه أتانى فى ليلة فدخل معى فى فراشى حتى مس جلدى جلده ثم قال يا ابنة أبى بكر ذرينى أتعبد لربى قالت قلت انى احب قربك وأذنت له فقام الى قربة من ماء فتوضأ واكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل وقد انزل على ان فى خلق السموات والارض فجعل النبى عليه الصلاة والسلام الشكر بالعمل وبين به مراد الكتاب قال الله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر أو اراد شكورا اى كل واحد منهما يخلف الآخر فمن فاته العمل فى أحدهما عمله فى الآخر فجعل الاوراد والاعمال بالجوارح شكرا وروى ان النبى عليه السلام قام حتى انتفخت قدماه فقيل يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وقال ابو هرون دخلت على ابى حازم فقلت له رحمك الله ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا أذعته وان رأيت بهما شرا استرته قلت له فما شكر الاذنين فقال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا استرته قلت فما شكر اليدين قال ان لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حق الله تعالى فيهما قلت فما شكر البطن قال ان يكون أسفله صبرا وأعلاه علما قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فان انت فعلت فانت الشاكر حقا وفى حكمة ادريس عليه السلام لن يستطيع أحد ان يشكر الله تعالى على نعمة بمثل الانعام على خلقه ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع به الخالق تعالى واذا ثبت ان فعل الطاعات شكر فان فيها ما هو أشد ملازمة من غيره فالطاعة فى مواساة الفقراء أشكل بالشكر على الغنى من غيرها لانها من جنس النعمة فاذا أردت ان تحرس دوام نعم الله تعالى عليك فأدم مواساة الفقراء والطاعة فى رفع ذوى الضعفة والخمول والمسكنة بغير معصية اشبه بالشكر على رفع قدرك والتنويه باسمك والطاعة فى تمريض الفقراء وتلطيف اغذيتهم اشبه بالشكر على العافية من سائر الطاعات والطاعة فى الشفاعات عند السلطان وقضاء حوائج الغرباء والاخوان أشبه بذوى الجاه من سائر الطاعات وعلى هذا المثال ينبغى ان يقال سائر نعم الله تعالى على العبد ومن العبارات الجامعة للشكر ان يقال معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالجوارح

(فصل) فى الكلام على الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فقال قوم انما خاطب الله تعالى بهذا وبقوله ادعونى أستجب لكم قوما دون قوم والدليل عليه انا نرى من يشكر على الغنى ثم يبتلى بالفقر ومن يشكر على العافية ثم يبتلى بالمرض والله تعالى لا يخلف وعده وقال قوم معناه لازيدنكم نعمة الآخرة فان قيل انما تكون الزيادة من جنس المزيد عليه فاجابوا ان النعم الدنيوية والاخروية وان تفاضلت واختلفت فكلها متجانسة من حيث انها نعمة وقال قوم معناه لازيدنكم خيرا والخير والصلاح قد يكون فى كثير من الاوقات بالمنع والسقم ونحوهما فان من سأل الله تعالى ان يعطيه مالا

يوما من شغل قلبه وسار فى البرية فرأى من بعد قطيع غنم فطلبه فرأى خيمة مضروبة والاغنام نياما ورأى كلبا مصلوبا فلما قرب من الخيمة خرج اليه شاب فسلم عليه وسأله النزول فنزل فأكرمه وقدم بين يديه ما احضره كما وجب فقال له كشتاسب خبرنى عن حال هذا الكلب حتى آكل طعامك فقال له الشاب اعلم وتيقن ان الكلب كان أمينا لى على أغنامى فصادق ذئبة ويقوم معها وينام عندها والذئبة كل يوم تأتى وتسرق من الغنم رأسا بعد راس فجاء بعض الايام صاحب الموضع وطلب منى حق المرعى فقعدت أتفكر وأحسب حساب الغنم وهى تنقص فى الحساب فرأيت ذئبا قد أخذ شاة والكلب ساكت بجانبه فعلمت انه كان سبب اتلاف الغنم وانه كان يخون امانته فلزمته وصلبته فاعتبر كشتاسب بذلك وجعل يفكر فى نفسه وقال رعيتنا أغنامنا فيجب ان نسئل أيضا نحن عنها لنصل الى حقيقة أمرها فعاد الى داره وجعل ينظر فى البرنامجات واذا هى جميعها شفاعات

[illegible]روشن فضرب مثلا وقال من اغتر بالاسم من ذوى الفساد بقى بغير زاد ومن خان فى الزاد عاد بغير روح وأمر بصلب الوزير

او يصح جسمه وهو يعلم انه ان وهبه المال أنفقه في المعاصي او وهبه الصحة صرف صحته الى المشي في الآثام فالمنع ههنا موهبة من الله تعالى جزيلة وعن هذا قال العلماء منع الله تعالى عطاء وقال قوم يمكن تقدير الاستثناء فيها اى لئن شكرتم لازيدنكم الا ان تعصوا فاعاقبكم بالحرمان فاجعل ذلك كفارة لكم وهو أصلح من ان اعاقبكم في الآخرة والناس لا يسلمون من الذنوب ولو تهيأ ان يسلموا من الذنوب لدرت الزيادات قال الله تعالى ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين وقال قوم الآية خاصة لا محالة اذ لو كانت على عمومها لوجب ان لا يموت من شكر على الحياة قال الشيخ قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق وقد جعل الله العبادة علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رأينا الغني يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه قد أخل بالشكر الذي أخذ عليه اما ان لا يزكيه أو يزكيه لغير اهله أو يؤخره عن وقته او يمنع حقا واجبا عليه فيه من كسوة عريان أو اطعام جائع وشبهه فيدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بترك ادب أو اخلال بحق أو المام بذنب كما قال بعضهم أدنى الشكر ان لا تعصي الله بنعمه فان جوارحك كلها من نعم الله تعالى عليك فلا تعصه بها ويحتمل ان يكون معنى الآية لئن شكرتم لازيدنكم ان شئنا الا ترى انه قال ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وكثير من الخلق يريدون حرث الدنيا ولا يؤتونه فيكون التقدير نؤته منها لمن نشاء بدليل قوله في الآية الاخرى عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهكذا قوله تعالى ادعوني أستجب لكم ثم ان كثيرا من الناس يدعون فلا يستجيب لهم ولكن معنى الآية استجب لكم ان شئت ولمن شئت بدليل قوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وهذا من باب حمل المطلق على المقيد قال الجنيد كنت بين يدى السرى وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله تعالى بنعمه قال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا أزال ابكي على هذه الكلمة فان قيل ما معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما يحصل من الافعال في الوجود يمكن احصاؤه قلنا نعم الله تعالى على وجهين دفع ومنع فالدفع يمكن احصاؤه ودفع البلايا نعم لا يمكن احصاؤها وما يدفع الله عنهم مما في مقدوره من ذلك وما يدفع تعالى عن العبد لا يحصى

(فصل) ثم عدنا الى أقوال العلماء والحكماء في الشكر فقال بعض الحكماء موضع الشكر من النعمة موضع القرى من الضيف ان وجده لم يرم وان عدمه لم يقم وأجمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا مصيبة وجب أجرها خير من نعمة لا يؤدى شكرها وقال بعض الحكماء من اعطى أربعا لم يمنع اربعا من اعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطى المشورة لم يمنع الصواب وكان يقال اذا رعيت النعم بالشكر فهي أطواق واذا رعيت بالكفر فهي اغلال (قال حبيب)

نعم اذا رعيت بشكر لم تزل * نعما فان لم ترع فهي مصائب

(وبعث) الحجاج الى الحسن بعشرين ألف درهم فقال الحمد لله الذي ذكرني (وقال) على بن ابى طالب رضي الله عنه لا تكن ممن يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر الناس بما لا يأتي تحب الصالحين ولا تعمل بأعمالهم وتبغض المسيئين وانت منهم تكره الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها في طول حياتك وقال المغيرة بن شعبة اشكر من أنعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعمة اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وان الشكر زيادة من النعم وامان من النقم (وكان) الحسن

ومن يجعل الاسماء فيما لرزقه

يعد غير ذي روح على الجذع مستلقي

(حكاية) يقال انه كان لعمرو بن ليث نسيب يعرف بابي جعفر بن زيد ويه وكان عمرو به حفيا ومن جملة محبته له انه كان قد وصله من هراة مائة جمل عمرو الوبر على كل جمل من الحوائج فانفذ عمرو من كل حاجة حملا الى دار أبي جعفر وقال ليوسع عليه في مطبخه فقيل يوما لعمرو بن ليث ان أبا جعفر قد بطح غلاما له وضربه عشرين خشبة فأمر عمرو باحضاره وأمر ان يحضر بين يديه كل سيف في خزانته وقال يا أبا جعفر اختر من هذه السيوف أجودها فاعزله ناحية عنها فجعل أبو جعفر يتخير ويبقي الى ان عزل مائة سيف فقال اختر الآن منها سيفين فاختار أبو جعفر سيفين منها فقال ادمهما أن يجعلا في قراب واحد فقال أبو جعفر كيف يمكن ان يكون سيفان في قراب واحد فقال عمرو بن ليث وكيف يمكن ان يكون أميران في بلد واحد فعلم أبو جعفر انه قد أخطأ فقبل الارض والتمس العفو والاقالة فقال عمرو ولولا حق القرابة والنسب لما حابيتك

يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعم وانت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر اعظم منها عليك فانت لا تنفك بالشكر من نعمة الا الى ما هو اعظم منها وقال سفيان لما جاء البشير الى يعقوب عليه السلام قال على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الحمد لله الآن تمت النعمة (وروى) ان عثمان بن عفان رضي الله عنه دعى الى قوم ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل ان يبلغهم فأعتق عثمان رقبة شكرا لله تعالى ان لا يكون جرت على يديه فضيحة رجل مسلم (ويروى) ان الحسن بن على التزم الركن وقال الهى نعمتني فلم تجدني شاكرا وابتليتني فلم تجدني صابرا فلا انت سلبت النعمة بترك الشكر ولا انت أدمت النقمة بترك الصبر الهى ما يكون من الكريم الا الكرم ولا من الجافي الا الجفاء وقال عون بن عبد الله الخير الذي لا شر فيه الشكر مع العافية والصبر عند المصيبة (وروى) ان نملة قالت لسليمان بن داود عليه السلام يا نبي الله أنا على قدري أشكر لله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا شكرا لله ثم قال لولا اني أجلك لسألتك ان تنزع مني ما أعطيتني (وقال) صدقة بن يسار بينا داود عليه السلام في محرابه اذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى فقالت له يا داود تعجبك نفسك لأنا على قدر ما آتاني الله أذكر لله وأشكر له منك فيما آتاك (ولمحمود الوراق)

الهى لك الحمد الذي انت أهله * على نعمة ما كنت منك لها أهلا
متى ازددت تقصيرا تزدني تفضلا * كأني بالتقصير استوجب الفضلا

(وكان) لبعضهم صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له صاحبه اشكر الله تعالى فضرب الرجل فكتب اليه اشكر الله تعالى فجيء بمحبوس مجوسي مبطون فقيد فجعل حلقة في رجله وحلقة في رجل المجوسي يقوم بالليل مرات ويحتاج هذا الى ان يقوم معه ويقف على رأسه حتى يفرغ فكتب الى صاحبه اشكر الله تعالى فقال الى متى تقول وأي بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع ولبعضهم

ومن الرزية ان شكري صامت * عما فعلت وان برك ناطق
أأرى الصنيعة منك ثم أسرها * اني اذا الندى الكريم لسارق

(وقال) رجل لسهل بن عبد الله ان اللص دخل داري وأخذ متاعي فقال اشكر الله تعالى لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان فاخذ التوحيد ماذا كنت تصنع (ولما) بشر ادريس عليه السلام بالمغفرة سأل المغفرة فقيل له فيه فقال لاشكره فاني كنت أعمل قبله للمغفرة فبسط الملك جناحه فرفعه الى السماء * ويروى ان نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة فانا أبكي من خوفه فدعا النبي عليه السلام ربه أن يجيره من النار فأوحى الله تعالى اليه اني أجرته من النار فمر النبي عليه السلام ثم عاد فوجد الحجر يتفجر منه مثل ما كان فتعجب فأنطق الله تعالى الحجر فقال له لم تبكي فقال ذلك بكاء الحزن والخوف وهذا بكاء الشكر والسرور * وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبتلى والمعافى فقال الهى ما بال المعافى فقال لقلة شكرهم على عافيتي اياهم وبلا رجل اعرابيا بلاء حسنا فقال لا ابلاك الله بلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك (وأنشد بعضهم)

سأشكر لا اني اجازيك منعما * بشكري ولكن كي يرى ذلك الشكر
وأذكر أياما لدي اصطنعتها * وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

(وأنشدوا)

أوليتني نعما أبوح بشكرها * وكفيتني كل الامور بأسرها

عن الظلم فكيف يقدر على رد العوام الى الصلاح قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين والعرب تقول ليس شئ أضيع للملك وأفسد لاحوال الرعية من تعذر الاذن في الدخول على الملك وتكاثر الحجاب وصعوبة الحجاب وليس شئ أهيب في قلوب الرعية والعمال من سهولة الحجاب واذا كان الملك سهل الحجاب لم يمكن العمال أن يجوروا على الرعايا وخافت الرعية من جور بعضهم على بعض وبسهولة الحجاب يكون للملك على سائر الاعمال اطلاع ولا يجوز للسلطان أن يكون غافلا لتكون الهيبة من ناموس المملكة باقية ويستريح من الهموم الحادثة عن الغفلة

(حكاية)

يقال ان اردشير كان متيقظا ذا فطنة بالامور بحيث انه اذا جاءه ندماؤه من الغد حدث كلا بما يصنعه وكان يقول لاحدهم انك البارحة فعلت الشئ الفلاني وأكلت الشئ الفلاني ونمت مع زوجتك أو الجارية الفلانية ومهما كان يجرى لندمائه كان يحدثهم به من الغد بحيث يظنون ان ملكا يأتيه من السماء يعرفه بأحوالهم وكذلك كان السلطان الغازي محمود بن سبكتكين رحمه

فلأشكرنك ما حييت وان أمت * فلتشكرنك أعظمي في قبرها

(ولبعض الاعراب)

الهي قد أحسنت عودا وبدأة * الي فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة * فعذري اقراري بان ليس لي عذر

(وكان) مطرف يقول الهي منك تكون النعمة وعليك تمامها وأنت تعين على شكرها وعليك ثوابها وهذا باب عظيم من النعم على العباد وقد أثنى الله على بعض عباده فقال انه كان عبدا شكورا (وقال) تعالى شاكرا لأنعمه اجتباه وكذلك سائر ما أثنى الله تعالى به على عباده ثم قال فمن شكر فانما يشكر لنفسه ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه ان احسنتم أحسنتم لأنفسكم ليس للرب تعالى فيها القليل ولا كثير فانه اجل من ان ينال الحظوظ واجل من ان يلحقه ثناء مثن أو شكر شاكر فأخبر ان العلو والجلال له دونهم وانه يتقدس عن الناس بثناء مثن أو كفر كافر قال الله تعالى يدعوكم ليغفر لكم فواعجبا أعطى ثم أثنى * وقال علي رضي الله عنه كفر النعمة داعية المقت ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك وحقيق بمن أسديت اليه نعمة أو قضيت له حاجة ان يكافئ فان لم يقدر فليشكر فان شكرها فقد أدى حقها (قال الشاعر)

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد * لرفعة حال أو علو مكان
لما أمر الرحمن بالشكر خلقه * فقال اشكروا لي أيها الثقلان

(وقال البستي)

لئن عجزت عن شكر برك قوتي * وأقوى الورى عن شكر برك عاجز
فان ثنائي واعتقادي وطاعتي * لأفلاك ما أوليتنيه مراكز

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي وقفت علينا امرأة فقالت ياقوم تغير علينا الدهر اذ قل منا الشكر وفارقنا الغنى وحالفنا الفقر فرحم الله امرأ فهم بعقل واعطى من فضل وواسى من كفاف وأعان على عفاف (وأنشدوا)

فلو كان للشكر شخص يبين * اذا ما تأمله الناظر * لمثلته لك حتى تراه
فتعلم اني امرؤ شاكر * ولكنه ساكن في الضمير * يحركه الكلام السائر

(وقيل) لكسرى ما الشكر فقال المكافأة على قدر الطاقة قيل فما الكفر قال ترك الجزاء ولو بالثناء قيل وهل يكون احد أبخل ممن يبخل بالثناء قال نعم من عادى على الصنيعة

(الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عليها الامير والمأموز ويستريح اليها الرئيس والمرؤس مستخرجة من القرآن العظيم)

قال الله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فاثبت الله تعالى المماثلة بيننا وبين سائر البهائم ومعلوم انهم لا يماثلونا في خلقنا وأشكالنا وسائر ما تدركه العين منهم ومنا فبقي المماثلة في الاخلاق فلا احد من الخلق الا وفيه خلق من أخلاق البهائم ولهذا تجد اخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت من الانسان خلقا خارجا عن الاعتدال فابصر ما يماثل ذلك الخلق من خلق سائر الحيوان فالحقه به وعامله كما كنت تعامله فحينئذ تستريح من منازعتهم ويستريحون منك وتدوم الصحبة فاذا رأينا الرجل الجاهل في خلائقه الغليظ في طباعه القوي في بدنه لا يؤمن طغيانه وافراطه فالحقه بعالم النمور والعرب تقول اجهل من نمر وانت اذا رأيت النمر بعدت عنه ولم تخاصمه ولا تسابيه فاسلك بالرجل كذلك واذا رأيت الرجل الغالب على اخلاقه السرقة خفية والنقب ليلا على وجه الاستسرار قلنا

كالعقبان لا كالجيف يعني اذا كان السلطان بعيد النظر ذا يقظة وفكرة في العاقبة وكان المقربون منه وخواص دولته بهذه الصفة انتظمت أحوال ممالكته واستقامت امور أهل ولايته

(حكمة)

قال الاسكندر خير الملوك من بدل السنة الحسنة وبدل السنة السيئة بالسنة الحسنة وشر الملوك من بدل السنة الحسنة بالسيئة

(حكمة)

قال ابرويز ثلاثة لا يجوز للملك التجاوز عنهم ولا الصفح عن ذنوبهم من قدح في ملكه وأفسد حرمه وأفشى سره قال سفيان الثوري رحمة الله عليه خير الملوك من جالس أهل العلم ويقال ان جميع الاشياء تجمل بالناس والناس يتجملون بالعلم وتعلو أقدارهم بالعقل والفهم وليس للملوك شيء خير من العلم والعقل فان في العلم بقاء العز ودوامه وفي العقل بقاء السرور ونظامه ومن اجتمع فيه العقل والعلم فقد اجتمع فيه اثنتا عشرة خصلة الفقه والادب والتقى والامانة والعفة والحياء والرحمة وحسن الخلق والوفاء والصبر والحلم والمداراة وهذه من خواص آداب الملوك وينبغي ان

هذا بما ثل عالم الجرذ فدع ملاحاته ومخاصمته كما تدع سباب الجرذ اذا أفسد رحلك ثم احى رحلك بما يصلح له واذا رأيت هجاما على اعراض الناس وثلبهم فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب ان يجفو من لا يجفوه ويبتدئ الاذية من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبحك ألست تذهب فى شأنك ولا تخاصمه ولا تسبه فافعل بمن يهتضم عرضك مثل ذلك واذا رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت لا قال نعم وان قلت نعم قال لا فالحقه بعالم الحمير فان دأب الحمار ان ادنيته بعد وان أبعدته قرب وانت تستمتع بالحمار ولا تسبه ولا تفارقه فاستمتع أيضا بهذا الانسان ولا تسبه ولا تفارقه واذا رأيت رجلا يطلب عثرات الناس وسقطاتهم فمثله فى الآدميين كمثل الذباب فى عالم الطير فان الذباب يقع على الجسد فيتحامى صحيحه ويطلب المواضع النغلة منه وذوات المادة والدم والنجاسة واذا بليت بسلطان يهجم على الاموال والارواح فالحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تأخذ حذرك من الاسد وليس الا الهرب منه كما قال النابغة * ولا قرار على زأر من الاسد * واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان والمفاخرة فالحقه بعالم الثعالب واذا بليت بمن يمشى بالنمائم ويفرق بين الاحبة فالحقه بعالم الظربان وهى دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة فسا بينهم ظربان فتفرقوا وخاصة هذه الدويبة اذا حصلت وسط جماعة ان يتفرقوا وكما ان الجماعة اذا اقبلت نحوهم هذه الدابة طردوها ومنعوها الدخول بينهم كذلك ينبغى اخراج النمام من بين الجماعة فان لم يفعلوا يوشك ان يفرق ما بينهم ويفسد قلوب بعضهم على بعض واذا رأيت انسانا لا يسمع العلم والحكمة وينفر من مجالس العلماء والحكماء ويألف سماع أخبار اهل الدنيا وسائر الخرافات وما يجرى فى مجالس العوام فالحقه بعالم الخنافس فانه يعجبها أكل العذرات ويألف روائح النجاسات ولا تراه الا ملابسا للاخلية والمراحيض وينفر من روائح المسك والورد واذا طرح عليه المسك والوردمات واذا رأيت انسانا انما دأبه حفظ الدنيا لا يستحى فى الوثوب عليها فالحقه بعالم الاحدية بان تنحى رحلك عنه واذا بليت بالرجل تظهر عليه الديانة والسكينة وقد نصب أشراكه لاقتناص الدنيا وأكل اموال الودائع والامانات والارامل واليتامى فالحقه بعالم الذئاب وهو كما قال فيه القائل

ذئب تراه مصليا * فاذا مررت به ركع * يدعو وجل دعائه
ما للفريسة لا تقع * عجل بها يا ذا العلا * ان الفؤاد قد انصدع

احترز منه كما تحترز من الذئب واذا بليت بصحبة انسان كذاب فاعلم ان الانسان الكذاب كالميت فى الحكم لانه لا يقبل له خبر كما لا خبر للميت وكما لا تصحب الموتى لا تصحب الكذاب (وقيل) فى المثل كل شئ شئ وصحبة الكذاب لا شئ ويجوز ان يلحق بعالم النعام فانه يدفن جميع بيضه تحت الرمل ثم يترك واحدة على وجه الرمل واخرى تحت طاقة من الرمل وسائر بيضه فى قعر الحفرة فاذا رآه الغر يأخذ تلك البيضة وينصرف او يكشف عن وجه الرمل فيجد الاخرى فيظن انه ليس ثم شئ آخر والخبير بحالة النعام اذا رأى البيضة لا يزال يحفر حتى يصل الى حاجته ولا يغتر بتلك البيضة كذلك الكذاب اذا سمعت منه خبرا لا تصدقه حتى تبلغ الغاية فى الكشف عنه واذا رأيت الرجل انما دأبه أن يصنع نفسه كما تصنع العروس لبعلها يبيض ثيابه ويعدل عمامته ويتقى ان يمسه شئ غيره وينظر فى عطفيه ويطرح القذى عن ثوبه ليس له همة بين الجلساء الا نظره الى نفسه واصلاح ما انثنى من ثيابه فالحقه بعالم الطواويس التى هذه صفته فانه يتبختر فى مشيته وينظر الى نفسه ويفرش ذنبه فيتخذه الملوك استحسانا له واذا بليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازى بعد المدة على السقطات فالحقه بعالم الجمال والعرب تقول الأحقد من جمل وتجنب قرب الجمل الحقود فاجتنب صحبة الرجل الحقود واذا بليت بانسان منافق

ثم اعلم ان هذه الآداب تحتاج الى نظائرها وقرائنها لتصح فى استعمالها فينبغى ان يكون مع العقل العلم ومع الشجاعة الصبر ومع النعمة الشكر ومع الصحة الجلادة ومع الاجتهاد الدولة واذا جاءت الدولة حصل جميع المراد

(حكاية)

اعلم ان يعقوب بن ليث علا أمره وارتفع قدره وظهر اسمه وذكره وملك كرمان وسيستان وپارس وخورستان وقصر الواق وكان الخليفة فى ذلك الزمان المعتمد فكتب الى يعقوب انك كنت رجلا صفارا فمن أين تعلمت تدبير الممالك فرد يعقوب اليه جوابا وقال ان المولى الذى أعطانى الدولة أعطانى التدبير وفى عهد نامة اردشير مكتوب كل عز لا يضع قدمه على بساط العلم فان عاقبته ذل وكل عدل ليس معه خوف وان كان تاما فان مصيره الى الندم

(حكاية)

قال عبد الله بن طاهر يوما لابيه كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم فى بيتنا قال ما دام بساط العدل والانصاف مبسوطا فى هذا الايوان

(حكمة)

كان المأمون قد جلس فى بعض الايام لفصل الدعاوى والاحكام فرفعت اليه قصة فسلم القصة الى وزيره الفضل بن سهل وقال له اقض حاجة رافعها فى هذه الساعة فان الفلك فى سرعة

قوراثه احذر من ان يثبت على حاله أو يبقى لحب بائماله (يقول) مؤلف الكتاب يجب على الملوك العقلاء والافاضل الالباء ان

بطن خلاف ما يظهر فالحقه بعالم اليربوع فان اليربوع وهو فار يكون في البرية يتخذ جحرا تحت الارض يقال له النافقاء وله فوهتان يدخل من احداهما ويخرج من الاخرى ومنه اشتق اسم المنافق فاذا هم احد بأخذه دخل بجحره وخرج من الباب الآخر فيحفر الصياد خلفه فلا يظفر بشيء كذلك حال المنافق لا يصح منه شيء وعلى هذا النمط كن في صحبة الناس تسترح منهم وتريحهم منك فلعمر الله ما استقامت لي صحبة الناس وسكنت نفسي واسترحت من مكابدة اخلاقهم الا من حيث سرت معهم بهذه السيرة (وقال) الرياحي يا بني رباح لا تحقروا صغيرا تأخذون عنه فاني اخذت من الثعلب روغانه ومن القرد مكايده ومن السنور ضرعه ومن الكلاب نصرته ومن ابن آوى حذره وقد تعلمت من القمر مشي الليل ومن الشمس الظهور في الحين بعد الحين

(الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور وراحة القلوب وطيبة النفوس)

اعلم أيها الملك انه متى كملت فيك الخصال المحمودة والاخلاق المشكورة والسيرة المستقيمة وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء مواضعها ثم ان الرعية اهتضمت حقك وجهلت قدرك ولم توفك حظك فبلغك منهم ما يسوءك ورأيت منهم ما لا يعجبك فاعلم انك لست باله فلا تطمع ان يصفو لك منهم ما لا يصفو منهم للاله وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان الله تعالى خلق الخلائق اجمعين وأنعم عليهم بأنواع النعم فأكمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات ثم أفاض عليهم نعمه وكملت لهم اللذات وبعد هذا فما قدروا الله حق قدره ولا عظموه حق عظمته بل قالوا فيه ما لا يليق به ووصفوه بما يستحيل عليه واضافوا اليه ما يتقدس عنه وسلبوه ما يجب له من الاسماء الحسنى والصفات العلى فمنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له البنات ومنهم من يجسمه ومنهم من يشبهه ومنهم من أنكره رأسا وقال ما للخلق صانع كما حكاه الخالق عنه فقال نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وهو مع ذلك يحييهم ويبقيهم ويصح اجسامهم وحواسهم ويرزقهم وينعشهم ويقضي مآربهم وأوطارهم ويمتعهم متاعا حسنا ويبلغهم آمالهم في معظم ما يحتاجون اليه فمعاصيهم اليه صاعدة وبركاته عليهم نازلة كل يعمل على شاكلته وينفق مما عنده وكل ذي حال أولى بها (وفي مناجاة) موسى عليه السلام انه قال الهي أسألك ان لا يقال في ما ليس في فأوحى الله تعالى اليه ذلك شيء ما فعلته لنفسي فكيف افعله بك وفي هذه السيرة عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن ادكر مع انك ان التمست رضا جميع الناس التمست ما لا يدرك وكيف يدرك رضا المختلفين فيا أيها الملك الذي قد كتب الله عليه الفناء والعمر القصير والزمان اليسير والايام المعدودة والانفاس المحصورة كيف اردت ان يصفو لك من الرعية ما لم يصف منهم لخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم هيهات هيهات بعيد ما املت ومستحيل ما طلبت فلك في الله اسوة حسنة ان ترضى منهم بما رضي منهم خالقهم وتسير فيهم بسيرة ربهم فيهم ألم تر كيف احسن اليك فرضي منك باليسير من العمل واكثر لك من النعم من الاموال والخول فانظر كيف يستر زلاتك ويتغمد سيآتك ولا يفضحك في خلواتك ففي هذا ما يهذب النفوس ويؤدب ذوي العقول ويهدي الى الصواب ويوضح طرق الرشاد ولله در عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد كان واعيا لما يتلونه عليك فانه روي عنه انه كتب الى عمرو بن العاص كن لرعيتك ما تحب ان يكون لك أميرك

(الباب السابع والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها ملجأ الملوك عند الشدائد ومعقل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال)

ايها الملك اذا اعتلجت الامور في صدرك واضطربت عليك القواعد وموجت في قلبك وجوه الرأي

وتنكرت

ينظروا في هذه الاخبار ليأخذوا نصيبا من أيام دولتهم وينصفوا المظلومين ويقضوا حوائج المسلمين السائلين ويتيقنوا ان هذا الملك لا يثبت على دور واحد وانه لا اعتماد على الدولة وان القضاء السماوي لا يرد بالعساكر وكثرة الاموال والذخائر واذا انحلت الدولة تلاشت الاموال وتفانت الرجال ولا ينفع الندم اذا زل القدم كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال ان مروان آخر خلفاء بني أمية عرض عسكره فكان ثلثمائة ألف رجل بالعدد الكامل فقال وزيره ان هذا الجيش لمن أعظم الجيوش فقال له مروان اسكت فانه اذا انقضت المدة لم تنفع العدة واذا نزل القضاء وان كان العسكر عظيما كثيرا بان قليلا حقيرا ولو ملكنا الدنيا باسرها فلا بد ان تنزع منا ولو بقيت الدنيا حتى تبقى لنا

(حكمة)

قال ابو الحسن الاهوازي في كتاب الفرائد والقلائد الدنيا لا تصفو لشارب ولا تبقى لصاحب فخذ زادا من يومك لغدك ولا يبقى يوم عليك ولا غد

يقال كان على قبر يعقوب ابن ليث مكتوب هذه الابيات عملها قبل موته وامر ان تكتب على قبره وهي هذه (شعر)

وتنكرت عليك المعارف واكفهر لك وجه الزمان فلا يغلبنك خصلتان اترك للناس دينهم ودنياهم ولك الامان من طوارق الحدثان وما ياتى به الملوان وقد روى ان المأمون قال فى آخر موافقة مع اخيه الامين وقد نفدت بيوت الاموال والحت الاجناد فى طلب ارزاق المأمون بقيت لاخى خصلة لو فعلها ما ملك موضع قدمى ها تين قيل له وماهى فقال والله انى لاضن بها على نفسى فكيف على غيرى فلما خلص له الامر سئل عن تلك الخصلة فقال لو ان الامين نادى فى جميع بلاده انه قد حط الخراجات والوظائف السلطانية وسائر الجبايات عشر سنين الملك الامر على ولكن الله غالب على امره ولما خشى المأمون انتقاض بيعته مع اهل خراسان فى امر فتنته مع اخيه الامين استشار الفضل بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قد قرأت القرآن وحديث الرسول عليه السلام والذى عندى ان تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السيرة وبسط العدل والقعود على اللبود وتواصل النظر فى المظالم وتكرم القواد والملوك وابناء الملوك وتعهد بالمواعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات المشا كلة ففعل ذلك وحط عن اهل خراسان ربع الخراج فمالت وجوه الخلائق اليه وكانوا يقولون ابن اختنا وابن عم نبينا عليه السلام وانقاد اليه رافع بن الليث وكان من عظماء الملوك بخراسان ويدخل تحت هذه الترجمة أمر اتفق عليه حكماء العرب والروم والفرس والهند وهو ان تصطنع وجوه كل قبيلة والمتقدمين من كل عشيرة وتحسن الى حملة القرآن والعلم وحفاظ الشريعة وتدنى مجالسهم وتقرب الصالحين والمتزهدين وكل متمسك بعروة الدين وكذلك فليفعل بالاشراف من كل قبيلة والرؤساء المتبوعين من كل نمط فهؤلاء هم أزمة الخلق وبهم يملك من سواهم فمن كمال السياسة والرياسة ان تبقى على كل ذى رياسة رياسته وعلى كل ذى عزة عزته وعلى كل ذى منزل منزلته فحينئذ يكون الرؤساء لك اعوانا ومن دانت له الفضلاء من كل قبيلة فاخلق به أن يدوم سلطانه والعامة والاتباع دون مقدميهم وساداتهم واتباعهم أجساد بلا رؤس وأشباح بلا أرواح ولما قامت العامة على السلطان بقرطبة ولبسوا السلاح كان شيخ جالس على كيره يعالج صنعته فقال ما بال الناس قالوا قامت العامة على السلطان قال ولهم رأس قالوا لا قال شق الكير يا صبى فذهبت مثلا

۞(الباب الثامن والثلاثون فى بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان)۞

قال حكيم الفرس ذم الرعية للملك على ثلاثة أوجه اما كريم قصر به عن قدره فاورثه ذلك ضغنا واما لئيم بلغ به فوق قدره فاورثه ذلك بطرا واما رجل منع حظه من الانصاف وفى الامثال احسانك الى الحر يبعثه على المكافاة واحسانك الى اللئيم الخسيس يبعثه على معاودة المسئلة (وقيل) للاسكندر ان فلانا ينتقصك ويسىء الثناء عليك فقال أنا أعلم انه ليس بشرير فينبغى ان نعلم هل ناله من ناحيتنا امر دعاه الى ذلك فبحث عن حاله فوجدها رثة فامر له بصلة سنية فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بالثناء عليه فقال أما ترون ان الامر الينا ان يقال فينا خير أو شر وينبغى للسلطان ان لا يتخذ الرعية مالا وقنية فيكونوا عليه بلاء وفتنة ولكن يتخذهم أهلا واخوانا فيكونون له جندا وأعوانا وقد سبق المثل اصلاح الرعية خير من كثرة الجنود

۞(الباب التاسع والثلاثون فى مثل السلطان العادل والجائر)۞

مثل السلطان العادل مثل الياقوتة النفيسة الرفيعة فى وسط العقد ومثل الرعية مثل سائر الشذر فلا تلحظ العيون الا الواسطة وأول ما يبصر المقلبون وينقد الناقدون الواسطة وانما يثنى المثنون على الواسطة وكلما حسنت الواسطة عمرت سائر الشذر فلا يكاد يذكر كما قال ابن صعدة لقيت بالحجاز بين مكة والمدينة سكينة بنت الحسين رضى الله عنهما فسفرت لى عن وجه ابنتها واذا وجه كانه قطعة قمر وقد

ويابس
فقد جاء فى الموت المهول بسكرة
فلم تغن عنى ألف آلاف فارس
فيا زائر القبر اتعظ واعتبر بنا
ولا تك فى الدنيا هديت بآنس
خراسان نحويها وأكناف فارس
وما كنت من ملك العراق بآيس
سلام على الدنيا وطيب نعيمها
كان لم يكن يعقوب فيها بجالس

سئل ملك كان قد زال الملك عنه فقيل له لاى سبب انفقت الدولة عنك وسلبت المملكة منك فقال لاغتراري بالدولة والقوة ورضاى برأيى وعلمى وغفلتى عن المشورة وتوليتى لاصاغر العمال كابر الاعمال وتضييعى الحيلة فى وقتها وقلة تفكرى فى الحيلة واعمالها وقت الحاجة والتباطئ والوقفة فى مكان العجلة والفرصة والاشتغال عن قضاء حوائج الناس وقيل له اى الاشرار أكثر شرا فقال الرسل الخونة الذين يخونون فى الرسالة لاجل

عليهم فبكل خراب المملكة منهم كما قال أزدشير فى حقهم كم سفكوا من الدماء وكم هزموا من الجيوش وكم هتكوا من أستار ذى

المحرمات الاحرار وكم اجتاحوا من الاموال وكم من يمين كذبوها بحنثهم وكم من عهود نقضوها بقلة أماناتهم وكان ملوك العجم في هذا الامر يتحرزون ويتحفظون وما كانوا ينفذون رسولا الا بعد أن يجربوه ويمتحنوه

(حكاية) أرسل الملك الاسكندر رسولا الى الملك دارا فلما عاد الرسول وأعاد الجواب شك الاسكندر في كلامه في كلمة فلم يتهمه عليه فقال الرسول يا مولاي أنا سمعت منه هذه الكلمة باذني هاتين فامر الاسكندر ان يكتب ذلك اللفظ بعينه وانفذه على يد رسول آخر الى دارا بن دارا فلما وصل اليه وعرض المكتوب عليه وقرأه طلب سكينا وقلع تلك الكلمة من الكتاب وأعاده الى الاسكندر وكتب اليه ان أس الملك على حسن سنة الملك وصحة طبعه وأساس صحة السلطان على صحة لفظ السفراء وصدق مقالة الرسل الامناء لان الرسول يقول ما يقوله عن لسان الملك ويسمع ما يسمعه من الجواب بسمع الملك والآن فقد قلعت تلك الكلمة من الكتاب لانها لم تكن من كلامي ولم أجد سبيلا الى قلع لسان رسولك فلما عاد الرسول وقرأ الاسكندر الكتاب استدعى الرسول الاول وصاح عليه وقال له ويلك من وضعك على اتلاف ملك من الملوك

أثقلتها بالجواهر واليواقيت وأنواع الدرر فالتفتت الى وقالت والله ما علقته عليها الا لتفضحه وكمال جمال السلك ان يلي الواسطة الافضل فالافضل من الشذر وان كان على خلاف ذلك كان سيئ النظم كذلك السلطان ينبغي ان يكون الاقرب فالاقرب اليه اهل العلم والعقل والادب والرأي والاصالة والشرف والحصافة وذوي الكمال من كل قبيلة وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في التدبير وكمال جمال العقد بواسطته كذلك جمال الرعية بكمال سلطانهم وفضله وبراعته وعدله ومثل السلطان الجائر مثل الشوكة في الرجل فصاحبها تحت الوثاق ويتداعى لها سائر الجسد ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين على ميسوره من الآلات والمناقيش والابر على اخراجها الا انها في غير موضعها الطبيعي ويوشك ان تقلع بالاجرة فاين غرز الياقوت من شوك القتاد

(الباب الموفي اربعين فيما يجب على الرعية اذا جار السلطان)

اعلم ارشدك الله ان الزمان وعاء لاهله ورأس الوعاء اطيب من اسفله كما ان رأس الجرة أرق وأصفى من أسفلها فان قلت ان الملوك اليوم ليسوا كمن مضى من الملوك فالرعية ايضا ليسوا كمن مضى من الرعية ولست بان تذم أميرك اذا نظرت آثار من مضى منهم باولى من يذمك أميرك اذا نظر آثار من مضى من الرعية فاذا جار عليك السلطان فعليك الصبر وعليه الوزر (روى) البخاري عن عبادة بن الصامت قال بايعنا النبي عليه السلام فكان فيما اخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان ومنه قال ابن عباس من كره من أميره شيأ فليصبر عليه فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال لنا النبي عليه السلام انكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال أدوا اليهم حقوقهم واسألوا الله حقكم (وروى) ابو داود في سننه ان النبي عليه السلام قال سيأتيكم ركب مبغضون يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فاذا سألوا ذلك فاعطوهم ولا تسبوهم ولتدعوا لهم وهذا حديث عظيم الموقع في هذا الباب فندفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا ننازعهم فيه ونكف ألسنتنا عن سبهم يا عبد الله لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعاء عليه ولكن الثقة بالله فلا محنة فوق محنة ابراهيم عليه السلام لما جعلوه في كفة المنجنيق ليقذف به في النار قال اللهم انك تعلم ايماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم واكفني كيدهم (وقال) مالك بن دينار وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى اني أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله اعطفهم عليكم وفي بعض الكتب ابن آدم تدعو على من ظلمك ويدعو عليك من ظلمته فان شئت أجبناك وأجبنا عليك وان شئت أخرت الامر الى يوم القيامة فيسعكم العفو (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام لا تجعل ملجأك في الاعداء المكافأة ولكن الثقة بالله وروى ابو داود في السنن قال سرقت ملحفة لعائشة رضي الله عنها فجعلت تدعو على من أخذها فسمعها النبي عليه السلام فقال لا تسبخي عنه يعني لا تخففي عنه فنهاها عن الدعاء على الظالم كما ترى فاذا قال المظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه وعلى سائر الرعية لانه من قلة توفيقه ظلمك ولو كان موفقا ما ظلمك فان استجيب دعاؤك فيه زاد ظلمه لك ومن الالفاظ المروية عن سلف هذه الامة قولهم لو كانت عندنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان (وقال) الفضيل لو ظفرت ببيت المال لاخذت من حلاله وصنعت منه أطيب الطعام ثم دعوت الصالحين واهل الفضل من الاخيار والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا ندعو ربنا أن يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل اليه أمرنا ولما قدم معاوية المدينة دخل دار عثمان فقالت

عائشة ابنة عثمان وابناه فقال معاوية يابنت اخي ان الناس اعطونا طاعة واعطيناهم امانا واظهرنا لهم حلما تحت غضب واظهروا لنا طاعة تحتها حقد ومع كل انسان سيفه وهو يرى مكان انصاره فان نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندري أعلينا تكون ام لنا ولان تكوني ابنة عم امير المؤمنين خير من ان تكوني امرأة من عرض المسلمين (وروى) ان رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فاستعدى عليه الى المنصور فقال له اصلحك الله اذكر حاجتي ام اضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب لي قبلها مثلا قال اصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانه يفر الى أمه اذ لا يعرف غيرها وظنا منه انه لا ناصر فوقها فاذا ترعرع واشتد فاوذي كان فراره وشكواه الى ابيه لعلمه بان اباه اقوى من أمه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلا وحزبه امر شكا الى الوالي لعلمه بانه اقوى من ابيه فاذا ازداد عقله واشتدت شكيمته شكا الى السلطان لعلمه بانه اقوى من سواه فان لم ينصفه السلطان شكا الى الله عز وجل وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك احد اقوى منك فان انصفتني والا رفعت امرها الى الله في الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمه اذ ليس فوقك احد الا الله تعالى قال بل ننصفك وامر بان يكتب الى واليه برد ضيعته اليه

(الباب الحادي والاربعون في كما تكونوا يولى عليكم)

لم ازل اسمع الناس يقولون اعمالكم عمالكم كما تكونوا يولى عليكم الى ان ظفرت بهذا المعنى في القرآن قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وكان يقال ما انكرت من زمانك فانما افسده عليك عملك وقال عبد الملك بن مروان انصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة ابي بكر وعمر ولا تسيروا فينا ولا في انفسكم بسيرتهما نسأل الله ان يعين كلا على كل (وقال) قتادة قالت بنو اسرائيل الهنا انت في السماء ونحن في الارض فكيف نعرف رضاك من سخطك فاوحى الله تعالى الى بعض انبيائهم اذا استعملت عليكم خياركم فقد رضيت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت عليكم وقال عبيدة السلماني لعلي رضي الله عنه يا امير المؤمنين ما بال ابي بكر وعمر انطاع الناس لهما والدنيا عليهما اضيق من شبر فاتسعت عليهما ووليت انت وعثمان الخلافة ولم ينطاعوا لكما وقد اتسعت فصارت عليكما اضيق من شبر فقال لان رعية ابي بكر وعمر كانوا امثالي ومثل عثمان ورعيتي انا اليوم مثلك وشبهك (وكتب) اخ لمحمد بن يوسف يشكو اليه جور العمال فكتب اليه محمد بن يوسف بلغني كتابك تذكر ما انتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة وما ارى ما انتم فيه الا من شؤم الذنوب والسلام

(الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي تصلح بها الرعية)

اعلم ان ادعى خصال السلطان الى اصلاح الرعية واقواها اثرا في تمسكهم باديانهم وحفظهم لمروآتهم اصلاح السلطان نفسه وتنزهه عن سفساف الاخلاق وبعده عن مواضع الريب وترفيعه نفسه عن استصحاب البطالة والمجون واللعب واللهو والاعلان بالفسوق وقد كانت صحبة محمد الامين لذلك الرجل الخليع والماجن الرقيع ابي نواس الشاعر وصمة عظيمة عليه واوهن بها سلطانه ووضع عند الخاص والعام قدره واطلق السنة الخلق بالشتم والنداء القبيح على نفسه فخلعه بذلك اخوه المأمون عن الولاية ووجه طاهر بن الحسين لحاربته ببغداد وحاربه حتى قتله وانفذ برأسه الى المأمون وكان يعمل كتبا تقرأ على المنابر من خراسان ويقف الرجل فيذم اهل العراق فيقول اهل فسوق وخمور وماخور ويعيب الامين بذلك فيقول استصحب ابا نواس شاعرا ماجنا كافرا استخلصه معه لشرب الخمور وارتكاب المآثم ونيل المحارم وهو القائل

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر

سبحان الله أتظن اننا ارسلناك لتصلح امورك وتضيع امورنا وتسعى في حقوق الناس الينا ثم امر به فسل لسانه من قفاه

(فصل)

ويجب على السلطان انه متى ما وقعت رعيته في ضائقة وحصلوا في شدة وفاقة ان يغيثهم لا سيما في اوقات القحط وغلاء الاسعار حيث يعجزون عن التعيش ولا يقدرون على الاكتساب فينبغي حينئذ للسلطان ان يغنيهم بالطعام ويسعدهم من خزائنه بالمال ولا يمكن احدا من حشمه وخدامه واتباعه ان يجور على رعيته لئلا يضعف الناس وينتقلوا عن ولايته ويتحولوا الى سوى ايالته فينكسر ارتفاع السلطان ويقل حاصل الديوان وتعود المنفعة على ذوي الاحتكار الذين يسرون بغلاء الاسعار ويقبح ذكر الملك ويدعى عليه ولاجل هذا كان الملوك المتقدمون يحذرون من هذا غاية الحذر ويراعون الرعايا من خزائنهم ويساعدونهم من ذخائرهم ودفائنهم

(حكاية)

يقال انه كان رسم ملوك العجم ان يأذنوا للرعايا هم في الدخول اليهم في ايام النيروز والمهرجان وكان المنادي ينادي قبل ذلك بايام ان استعدوا لليوم الفلاني ليأخذ كل من الناس اهبته ويصلح امره ويكتب

وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى * فلا خير في اللذات من دونها ستر

حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتنكرت له وجوه الورى فلما بلغ الامين حبسه ثم اطلقه بعد ان أخذ عليه ان لا يشرب خمرا ولا يقول فيه شعرا فمن اراد السلطان اصلاح رعيته وهو متماد على سيئ أخلاقه كان كمن أراد بقاء الجسد مع فقد رأسه أو اراد استقامة الجسم مع عدم حياته وكمن أراد تقويم الضلع مع اعوجاج الشخص وكيف يحيا النون مع فساد الماء ولقد أصاب الخليل في قوله اصلح نفسك لنفسك تكون الناس تبعا لك وقديما قيل من أصلح نفسه ارغم انف أعدائه ومن اعمل جده بلغ كنه امانيه (وسئل) بعض الحكماء بم ينتقم الانسان من عدوه فقال باصلاح نفسه ولابي الفتح البستي

اذا غدا ملك باللهو مشتغلا * فاحكم على ملكه بالويل والحرب

اما ترى الشمس في الميزان هابطة * لما غدا وهو برج اللهو والطرب

وصحبة الاشرار تورث الشر كالريح اذا مرت على النتن حملت نتنا واذا مرت على الطيب حملت طيبا فمثال استصلاح رعيتك وانت فاسد وارشادهم وانت غاو وهدايتهم وانت ضال وقد سبق المثل ومن العجائب أعمش كحال وتقول العرب يا طبيب طب نفسك وكيف يقدر الاعمى على ان يهدي والفقير على ان يغني والذليل على ان يعز فبعدك عن تطهير غيرك من العيوب قبل تطهير نفسك كبعد الطبيب عن ابراء غيره من داء به مثله (وقال) بعض حكماء الهند لن يبلغ الف رجل في اصلاح رجل واحد بحسن القول دون حسن الفعل كما يبلغ رجل واحد في اصلاح الف رجل بحسن الفعل دون القول وفيه قال القائل

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء من السقام لذي الضنى * كيما يصح به وانت سقيم

مازلت تلقح بالرشاد عقولنا * عظة وانت من الرشاد عديم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك يقبل ما تقول ويقتدى * بالرأي منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

ولكن اقوى الاسباب في صلاحهم عند فوت صلاحه استعماله عليهم الخاصة منهم وذوي الاحلام والمروآت القائمة والاذيال الطاهرة فهي رأس العامة سراتهم فهو الطريق الى حفظ اديانهم ومروآتهم وتماسكهم عن الانهماك في المحظورات وملابسة المحرمات وقال الشاعر

لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا

(وقال) مردك الفارسي خلتان في السلطان أقرب الى صلاح الرعية مما سواهما ثقة الرأي وشدة الرحمة وما أحق السلطان ان يسلك بالرعية كل سبيل يصلحون عليه ويسودون معه فحينئذ يكون رئيس الرؤساء وأميرا على السادة والفضلاء وان اهملهم وركوب شهواتهم وتوسط لذاتهم ذهب اديانهم وسقط مروآتهم وبقوا كما جاء المثل في الجماعة المذمومة تقول العرب في القوم لا رؤساء فيهم ولا سروات بينهم هم سواسية كاسنان الحمار وتقول سواسية كاسنان المشط وفيهم يقول الشاعر

سواس كاسنان الحمار فلا ترى * لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا

ولان يكون أميرا على الفضلاء والرؤساء خير من ان يكون أميرا على الاخساء والرمادية والغوغاء والادنياء (وقد قال) عبد الملك بن مروان يوما وقد استقام له الامر من يعذرني من عبد الله بن عمر فانه ابى ان يدخل في سلطاني فقال بعض جلسائه تستحضره وتضرب عنقه وتستريح منه فقال عبد الملك ويلك اذا قتلت ابن عمر على من أكون اميرا ولما صار داود الى الحجاز في الدولة العباسية ليقتل من هناك من بني أمية .

قصته ويتيقن حجته ومن كان له خصم يعلم انه يتألم منه عند الملوك طلب رضاه فاذا كان ذلك اليوم وقف المنادي على باب الملك ونادى ان منع اليوم أحد من الدخول كان الملك بريئا من دمه ثم كانت تؤخذ القصص من الناس وتوضع بين يدي الملك وكان ينظر في كل واحدة منها على الانفراد وموبذ موبذان قاعد على يمينه وهو موبذ موبذان بلسانهم قاضي القضاة فان كان في القصص قصة يتألم فيها من الملك قام الملك من مكانه وبرك بين يدي موبذ موبذان على ركبتيه مقابل خصمه ثم قال انصف أولا هذا الرجل مني ولا تخلد الى الميل والمحاباة ولا تحترني على نفسك لان الله جل ذكره اذا أهدى الحظوظ لعباده اختارهم وولى عليهم خير خليفة واذا أراد ان يري عباده أي قدر لذلك الخليفة عنده اطلق على لسانه ما يطلق على لسانك ثم كان ينظر الموبذان فان كان بين الملك وبين خصمه دعوى صحيحة وقامت البينة على الملك أخذ الحق منه بتمامه وكماله وان لم يكن بين الخصم وبين الملك دعوى صحيحة وكانت دعواه باطلة لا يثبت على صحتها حجة أمر بعقوبته ونادى عليه هذا جزاء من يريد عيب الملك والمملكة وكان الملك اذا فرغ من الدعاوي استوى على سرير مملكته ووضع التاج على

امية قال له عبد الله بن الحسن يا ابن عم اذا أسرعت في قتلنا كفانا من تباهي بسلطانك اعف يعف الله عنك فعفا (وقال) ارسطاطاليس للاسكندر استصلح الرعية واذهب شرهم تكون رئيس الاخيار محمودين ولا تكون رئيس الاشرار مذمومين فتكون كراعي البقر

(الباب الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية)

كتب ارسطاطاليس الى الاسكندر املك الرعية بالاحسان تظفر منهم بالمحبة فان طلب ذلك منهم بالاحسان هو ادوم بقاء منهم بالاعتساف واعلم انك انما تملك الابدان فتخطاها الى القلوب بالمعروف (واعلم) انه اذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية واذا جار لم يملك منهم الا الرياء والتصنع وفي سير المتقدمين قلوب الرعية خزائن ملوكها فما اودعوها من شئ فليعلموا انه فيها (واعلم) ان الرعية اذا قدرت على ان تقول قدرت على ان تفعل فاجتهد ان لا تقول تسلم من ان تفعل وليس هذا خلاف ما روي عن معاوية ان رجلا اغلظ له فحلم عليه فقيل له أتحلم على مثل هذا فقال اني لا أحول بين الناس والسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا وذلك ان تفسير قوله فاجتهد ان لا تقول يعني اذا عدلت لم يتكلموا بشئ وهذه السيرة احسن من سيرة اردشير لما رفع اليه ان جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم فوقع نحن معاشر الملوك انما نملك الاجساد لا النيات ونحكم بالعدل لا بالرضا ونفحص عن الاعمال لا عن السرائر (قلت) وانما تحسن هذه السيرة لمن عجز عن الاولى لان ملك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب لا يكون الا بالعدل واين هذا من قوله وقد رفع اليه انك كتبت أمس في عدة قليلة وتلك حالة لا يؤمن اغتيال الاعداء فيها فوقع من هم احسانه أمن أعداءه وما احسن ما قال عبد الملك بن مروان يا أهل الشام انما انا لكم كالظليم الرائح على فراخه ينفي عنهم القذر ويباعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر ويحميهم من الضباب ويحرسهم من الذئاب يا اهل الشام انتم الجبة والرداء وانتم العدة والحذاء وقالت العجم أسوس الملوك من قاد رعيته الى طاعته بقلوبها ولا ينبغي للوالي ان يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرها ولكن في التي يستحقها بحسن الاثر وصواب التدبير وقال عمر بن عبد العزيز اني لاجمع ان أخرج للمسلمين أمرا من العدل فاخاف ان لا تحمله قلوبهم فاخرج معه طمعا من طمع الدنيا فان نفرت القلوب من هذا سكنت الى هذا وقال معاوية لزياد من اسوس الناس انا أو انت فقال يا امير المؤمنين ما جعل الله رجلا حفظ الناس بسيفه كمن اسمع الناس واطاعوا له باللين ويروى ان سلما مولى زياد فخر بزياد عند معاوية فقال معاوية اسكت فما ادرك صاحبك بسيفه ادركت اكثر منه بلساني

(الباب الرابع والاربعون في التحذير من صحبة السلطان)

اتفقت حكماء العرب والعجم وصاياهم على النهي عن صحبة السلطان قال في كتاب كليلة ودمنة ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا صحبة السلطان وقال مزدك أحق الامور بالتثبت فيها امر السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور وفي حكم الهند صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر وانما تشبه بالجبل الوعر فيها الثمار الطيبة والسباع العادية والثعابين المهلكة فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد وليس يتكافأ خير السلطان وشره لان خير السلطان لا يعدو مزيد الحال وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفس التي لها طلب المزيد ولا خير في الشئ الذي في سلامته مال وجاه وفي نكبته الجائحة والتلف ولهذا ما قيل للعتابي لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال اني رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شئ ويردي من الصور في غير شئ ولا أدري أي الرجلين أكون (واخبرني) ابو العباس الحجازي وكان ممن دوخ أرض الهند

مفرقه وأقبل على جماعته وخاصته وقال انما أنصفت من نفسي لئلا يطمع أحد في الظلم والجور على أحد وكل من كان منكر له خصم فليرضه وكان يبعد عنه في ذلك اليوم كل من كان قريبا منه ومن كان قويا اضعف عنده وكانت الملوك على هذا السبيل وعلى هذا المذهب الى أيام يزدجرد بن الاثيم كاد فانه غير قواعد ملوك ساسان وظلم الخلق وأفسد حتى جاء بعض الايام فرس في غاية الجودة والكمال بحيث انه لم ير أحد في ذلك الزمان مثله في حسن خلقته وجمال هيئته فدخل من باب داره فاجتمع جميع من في عسكره ان يلزموه فامتنع عليهم ولم يقدروا على امساكه حتى وصل قريبا من يزدجرد فوقف الى جانب الايوان ساكنا فقال يزدجرد تنحوا عن هذا الفرس ولا يقربه احد منكم فانه هدية من الله تعالى خاصة لي فنهض من مكانه وجعل يمسح وجهه قليلا قليلا ثم أمر يده على ظهره والفرس ساكن لا يتحرك فاستدعى يزدجرد السرج وأسرجه بيده وأوثق جذب حزامه ودار نحو كفله ليضع الثفر فرفسه الفرس على فؤاده رفسة محكمة فخر ميتا في الحال فخرج الفرس ولم يعلم احد من أين جاء ولا الى أين عاد فقال الناس هذا الفرس كان ملكا أرسله الله تعالى اليه ليهلكه ويخلصنا من ظلمه وجوره قال القاضي أبو

والصين وانتهى الى صين الصين الى جبل الياقوت بالهندوان فيه ثعابين ليس في معمور الارض أعظم منها فان الواحد منها ليبلغ الثور صحيحا فلا يصل أحد الى ذلك الجبل ولا يقربه فاذا كثرت الامطار أحدرت السيول منه الحصى وسائر ما فيه من المنافع الى مستقر المياه على مسير أيام من الجبل فيبحث الناس ذلك الحصى فيوجد فيه الواحدة بعد الواحدة من أحجار الياقوت وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي و يرضى رضا الصبي و يبطش بطش الاسد وقال المأمون لو كنت رجلا من العامة ما صحبت السلطان وقال الاحنف بن قيس ثلاثة لا أقولهن الا ليعتبر بهن لا أخلف جليسي الا بما أحضره به ولا أدخل في أمر لا أدخل فيه ولا آتي السلطان الا ان يرسل الي وقال ابن المقفع لابنه ان وجدت من السلطان وصحبته غنى فاغن عن نفسك واعتزله جهدك فانه من يأخذه السلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا ومن لا يأخذه بحقه يكسبه الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني أربعا لا تصحب سلطانا وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وان قرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا (وفي منثور الحكم) كثرة الاشغال مذهلة عن وجود اللذات بكنهها وكم قد رأينا و بلغنا من صحب السلطان من اهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه فنسد هو به فكان كما قال الاول

عدوى البليد الى الجليد سريعة * والجمر يوضع في الرماد فيخمد

ومثل من يصحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فأهلكه وفي كتاب كليلة ودمنة لا يسعد من ابتلي بصحبة الملوك فانه لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يكرم عليهم احد الا ان يطمعوا فيما عنده فيقربوه عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم تركوه ولا ود ولا اخاء الا البلاء يجزى والذنب لا يغفر له وقال بزرجمهر لا تصلح صحبة السلطان الا بالطاعة والبذل ولا مؤاخاة الاخوان الا باللين والمواساة (وقال) بعض حكماء الفرس المال والسلطان مفسدان لكل احد الا رجل له عقل كامل وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركبه اخوف وقالوا من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته كالكرم لا يتعلق باكرم الشجر لكن بادناها وكانت العرب تقول ان لم تكن من قرباء الملك فكن من بعدائه (وفي) حكم الهند انما مثل السلطان في قلة وفائه مع أصحابه وسخاء نفسه عمن فقده منهم كمثل الصبي والمكتب كلما ذهب واحد جاء آخر والعرب تقول السلطان ذو عدوات وذو بدوات وذو تدرا وتريد انه سريع الانصراف كثير البدوات هجام على الامور واصله من الدرء وهو الدفع

(الباب الخامس والاربعون في صحبة السلطان)

قال ابن عباس قال لي أبي يا بني اني ارى أمير المؤمنين يستخليك و يستشيرك و يقدمك على الاكابر من أصحاب محمد عليه السلام واني أوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا يجربن عليك كذبا ولا تغتابن عنده أحدا (قال) الشعبي قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من الف قال أي والله ومن عشرة آلاف وقالوا صحبة السلطان بالحذر والصديق بالتواضع والعدو بالجهر والعامة بالبشر ولا تحكم لاحد بحسن رأي الملك الا بحسن أثره (قال) بعض الحكماء لا تستطلع السلطان ما كتمك ولا تفش ما أطلعك عليه فمن أدل على السلطان استثقله ومن امتن عليه عاداه ومن اظهر انه يستشيره باعده (وقال) بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلالا واذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبا وان زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده وان ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء عليه فعليك

يوسف حضر يوما عندي في مجلس حكي يحيى بن خالد البرمكي مع خصم له مجوسي فادعى عليه المجوسي فطلب منه الشاهد فقال ليس لي شاهد فحلفه فحلفت يحيى وأرضيت خصمه باحلافه وساويت في التحكم بين يحيى وبين المجوسي لعزة الاسلام وما ملت مع أحد قط ولا حابيت أحدا خوفا من ان يسألني الله تعالى عن ذلك بل يجب ان تعرف قدر الزعماء والاكابر و ينبغي للاكابر أن لا يظلموا أصاغرهم وان يعظموا أمر الحق و يطيعوا السلطان ولا يعصوه في حال ليكونوا قد عملوا بقول الله تعالى كما تقدم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ومن يجعل الله تعالى له هذه المرتبة الشريفة والدرجة المنيفة و يقرن طاعته بطاعته جل اسمه وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالواجب على الخلق أن يطيعوه و يخافوه ويجب على السلطان شكر هذه المنة والطاعة لربه وامتثال ما أمره به من العدل والاحسان والرأفة بالمظلومين فقد قيل احذروا من دعاء المظلوم وخافوا من ظلم من لا ينتصر عمن ظلمه الا بدمع عينه فما دون دعاء المظلوم حجاب ودعاؤه مستجاب ولا سيما الدعاء في الاسحار والتضرع في هدو الليل الى الجبار كما قال الشاعر

بالدعاء

ثنام وما المظلوم عنك بنائم * ودعوته لا تنثني بحجاب

بالدعاء له وان نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤس الناس فلا تأل ما عظمته وذكرته وقال ابن المقفع لتكن حاجتك في سلطانك ثلاث خلال رضا ربك ورضا سلطانك ورضا من تلي عليه ولا عليك ان تلهو عن المال والذخر فسيأتيك منهما ما يكفي ويطيب (وقال) مسلم بن عمرو ان خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تتغير اذا اقصاك وروى ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له أصحبك على ثلاث خلال قال وما هن قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشيرني قال هذا لك فما لي عندك قال لا افشي لك سرا ولا ادخر عنك نصيحة ولا اوثر عليك احدا قال نعم الصاحب المستصحب انت وقيل لعبد الله بن جعفر ما الخرق قال الدالة على السلطان والوثبة قبل الامكان وقال ابن المقفع أولى الناس بالهلكة الفاحشة المقدم على السلطان بالدالة وقال يحيى بن خالد الدالة تفسد الحرمة القديمة وتضر بالمحبة المتأكدة وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية خالقك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وايقاعه بك اغلظ من ايقاعه اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال انسك بهم فهو حسبهم منك لا تعط السلطان مجهودك في اول صحبتك له فلا تجد بعد للمزيد موضعا ولكن دع للمزيد موضعا علم السلطان وكانك تتعلم منه واشر عليه وكانك تستشيره اذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك و يثق بك فاياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى يتغير لك فيكون عونا عليك اياك ان تعادي من اذا شاء يطارح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الامثال القديمة احذر رماة المخدة وفيه قيل

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وفي الامثال لا تدل فتمل ولا تجف فتعف وقال الرشيد لاسمعيل بن صبيح اياك والدالة فانها تفسد الحرمة وقال سليمان بن داود عليهما السلام لا تغش السلطان ولا تقعد عنه وقال الحكماء شدة الانقباض عن السلطان تورث التهمة وشدة الانبساط تفتح باب الملالة واعلم ان من طلب العز بالذل كانت ثمرة سعيه الذل احرز منزلتك عند السلطان بمثل ما اكتسبتها من الجد والمناصحة واحذر ان يحطك التهاون عما رقاك اليه التحفظ ان أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان أقرب الاشياء الى النار اسرعها احتراقا من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته (وقال الاحنف بن قيس) لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهالكوا عليه فانه من أشرف على السلطان أرداه ومن تضرع له تخطاه * وقال ابن عباس رضي الله عنه ثلاثة من عاداهم عادت عزته ذلة السلطان والولد والغريم واعلم انه انما يستطيع صحبة السلطان احد رجلين اما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته واما مغفل مهين لا يحسده احد فاما من اراد ان يصحب السلطان بالصدق والنصيحة والعفاف فقلما تستقيم له صحبته لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد اما الصديق فينافسه في منزلته فيطعن عليه لنصيحته له فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان كان قد تعرض للهلاك * وقال بعض الحكماء من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة لا يوحشك من السلطان اكرام الاشرار فان ذلك للضرورة اليهم كما يضطر الملك الى الحجام فيشرط قفاه ويخرج دمه (وفي الامثال) لا حلم لمن لا سفيه له * وكان ابن عمر اذا سافر الى مكة استصحب معه رجلا فيه ما فيه يستدفع به شر السفهاء وأهل الوغادة والدغارة وقال المعتصم ان للسلطان سكرات فمنها الرضا عمن استوجب السخط والسخط على من استوجب الرضا ومنه قول الحكماء خاطر من لجج في البحر واعظم منه خطرا من صحب السلطان وقال ابن المقفع لابنه لا تعد شتم السلطان شتما ولا اغلاظه اغلاظا فان ريح العزة تبسطه في غير بأس ولا سخط

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تأسفت على موت أربعة من الكفار على موت انوشروان لعدله وحاتم الطائي لسخاوته وعلى امرئ القيس لشعره وعلى عنتر بن شداد لفروسيته *

(الباب الثاني في سياسة الوزارة وسير الوزراء) *

اعلم ان السلطان يعلو قدره ويحسن ذكره بالوزير اذا كان صالحا عادلا كافيا لانه لا يمكن احد من الملوك ان يصرف زمانه ويدبر سلطانه بغير وزير ومن انفرد برأيه ضل بغير شك الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته أمره الله تعالى بمشاورة أصحابه العقلاء فقال عز من قائل وشاورهم في الامر وأخبر في كتابه عز وجل عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلي هرون اخي شدد به ازري فاذا لم يستغن الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين عن الوزراء واحتاجوا اليهم كان غيرهم من الناس أحوج سئل اردشير بن بابكان أي الاصحاب أصلح للملك فقال الوزير العاقل المشفق الأمين الناصح ليدبره برأيه ويشير اليه في نفسه وعلى السلطان ان يعامل الوزير بثلاثة أشياء أحدها انه اذا ظهرت منه زلة أو وجدت منه هفوة لا يعاجله

(وقال ساميد) أحد حكماء الفرس أربعة اشياء ينبغى ان تفسر للفهيم كما تفسر للبليد ولا يتكل فيها على ذكاء احد تأويل الدين واخلاط الادوية وصفة الطريق المخوف والرأى فى السلطان واعلم ان السلطان اذا انقطع منك فى الآخر نسى الاول فارحامهم مقطوعة وحبالهم مصرومة الامن رضوا عنه فى وقتهم وساعتهم واذا رأيت من الوالى خلالا لا تنبغى فلا تكابده على ردها فانها رياضة صعبة لكن احسن مساعدته على احسن رأيه فاذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذى يبصره الخطأ باللطيفة اكثر من تبصيرك واجعل العدل من حكمتك فان العدل يدعو بعضه الى بعض فاذا تمكن اقتلع الخطأ ولا تطلب ما قبل الوالى بالمسئلة ولا تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاستيناء فانك اذا استحققته أتاك من غير طلب واذا لم تستبطه كان أعجل له وقال يحيى ابن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة القبيحة للزوج الاحمق المبغض وقال يحيى بن خالد لبعض اخوانه تنكر لى هرون الرشيد فقال له ارض بقليله من كثيره واياك أن تسخط فيكون أسخط منك

(الباب السادس والاربعون فى سيرة السلطان مع الجند)

اعلم ان الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم جنن الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين والحد الذى يلقى العدو والسهم الذى يرمى به والسلاح المدفوع فى نحره فبهم يذب عن الحريم وتؤمن السبل وتسد الثغور وهم عز الارض وحماة الثغور والذادة عن الحريم والشوكة على العدو وعلى الجند الجد عند اللقاء والصبر عند البلاء فان كانت لهم الغلبة فليمعنوا فى الطلب وان تكن عليهم فليكسروا الاعنة وليجمعوا الاسنة وليذكروا اخبار غد وينبغى للملك ان يتفقد جنده كتفقد صاحب البستان بستانه فيقلع العشب الذى لا ينفعه من العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح الجند الا بادرار ارزاقهم وسد حاجاتهم والمكافأة لهم على قدر عنائهم وبلائهم وجنود الملوك وعددها وقف على سعود الائمة ونحوسها وقال ابرويز لابنه شيرويه لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع عليهم فى الرخاء ولا توسع عليهم فى العطاء ولما أفضى الامر الى ابى جعفر المنصور أنفذ جيشا وقال القواد سيروا بمثل هذه السيرة ثم قال صدق الاعرابى اجع كلبك يتبعك فقام أبو العباس الطوسى فقال يا أمير المؤمنين اخشى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك (ويروى) ان كسرى صنع طعاما فى سماط فلما فرغوا ورفعت الآلات وقعت عينه على رجل من أصحابه قد أخذ جاما له قيمة كثيرة فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون الآلات فلم يجدوا الجام فسمعهم كسرى يتكلمون فقال ما لكم فقالوا فقدنا جاما من الجامات فقال لا عليكم اخذه من لا يرده ورآه من لا يفضحه فلما كان بعد ايام دخل الرجل على كسرى وعليه حلية جميلة وحال مستجدة فقال له كسرى هذا من ذاك قال نعم ولم يقل له شيأ (وسئل عمرو بن معاذ) وكان على الصوائف بم قدرت على جيوش الصائفة وكان يغزو فى كل سنة ويجر الجيوش الى بلاد الروم فقال بصيانة الظهر والقديد وكثرة الكعك (وروى) ان بعض امراء العرب كان ظالما لرعيته شديد الاذى لهم فى اموالهم فعوتب فى ذلك فقال اجع كلبك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه فمر به بعض الحكماء فقال ربما أكل الكلب صاحبه اذا لم يشبعه

(الباب السابع والاربعون فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج)

ايها الملك من طال عدوانه زال سلطانه واعلم ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه الامن

بالعقوبة الثانى اذا استغنى فى دولته واتسعت حاله فى خدمته لا يطمع فى ماله وثروته الثالث انه اذا سأله حاجة لا يتوقف فى قضائها وينبغى أن لا يمنعه من ثلاثة أشياء وهى انه متى اختار ان يراه لا يمتنع عن رؤيته وان لا يسمع فى حقه كلام مفسد وان لا يكتم عنه شيأ من سره لان الوزير الصالح حافظ سر السلطان ومدبر امر الدخل ونبه عمارة الولايات والخزائن وزينة المملكة وشدة الهيبة والقدرة وله الكلام على الاعمال واستماع الاجوبة وبه يكون سرور الملك وقمع أعدائه وهو أحق الناس بالاستمالة وتفخيم القدر وتعظيم الامر قال انوشروان لولده اكرم وزيرك لانه اذا رآك على أمر لا يجوز لك لا يوافقك عليه وينبغى للوزير ان يكون مائلا الى الخير متوقيا من الشر واذا كان سلطانه حسن الاعتقاد مشفقا على العباد كان له عونا على ذلك وأمره منه بالازدياد واذا كان سلطانه ذا حنق غير مشفق على الوزير ان يرشده قليلا قليلا بالطف وجه ويهديه الى الطريقة المحمودة وينبغى أن تعلم ان دوام الملك بالوزير وان دوام الدنيا بالملك وينبغى ان تعلم انه لا يجوز له ان يهتم بغير الخير وتعلم انه أول انسان يحتاج اليه السلطان وسئل بهرام كور الى كم يحتاج السلطان حتى يتم سلطنته وتنصرم

ونتاجه العدل وهو حصن السلطان ومادة الملك والمال أقوى العدد على العدو وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يؤخذ من حقه ويوضع فى حقه ويمنع من سرف ولا يؤخذ من الرعية الا فاضل عن معاشها ومصالحها ثم ينفق ذلك فى الوجوه التى يعود عليها نفعها فيا أيها الملك احرص كل الحرص على عمارة الارضين والسلام أيها الملك مرجباة الاموال بالرفق ومجانبة الخرق فان العلقة تنال من الدم بغير أذى ولا اسماع صوت مالا تناله البعوضة بلسعتها وهول صوتها (ولما عزل عثمان) عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن أبى السرح فحمل من المال اكثر مما كان يحمله عمرو فقال عثمان يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال عمرو وذلك لانكم أعجفتم اولادها ● وقال زياد احسنوا الى المزارعين فانكم لم تزالوا سمانا ما سمنوا ● وفى منثور الحكمة من جاوز فى الحلب حلب الدم (وفى الامثال) اذا استقصى العجل فى مص امه رفسته ● وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم وأسرع الامور فى خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج بالجور والتحامل ومثل السلطان اذا حمل على اهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو وان قوى من ناحية فقد ضعف من ناحية وما ادخل على نفسه من الوجع والضعف اعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية من الخراج فوق طاقتها كالذى يطين سطحه بتراب اساس بيته ومن يدمن حز العمود يوشك ان يضعف فتقع الخيمة واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب الزراع فتضعف العمارة فيضعف الخراج وينتج ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء فى السلطان أيها الملك كن بما يبقى فى يد رعيتك افرح منك بما تأخذ منها لا يقل مع الصلاح شئ ولا يبقى مع الفساد شئ وصيانة القليل اولى من تربية الجليل فلا مال لأخرق ولا عيلة لمصلح (وروى) ان المأمون ارق ليلة فاستدعى سميرا فحدثه بحديث فقال يا امير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا انكحك ابنتى الا ان تجعلى فى صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا اقدر عليها الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظ المأمون وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمر الولاة (وسمعت) بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون ما زال اهل الاسلام ظاهرين على عدوهم وامر العدو فى ضعف وانتقاص لما كانت الارض مقطعة فى ايدى الاجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربى التاجر تجارته وكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين والكراع والسلاح فوق ما يحتاج اليه الى ان كان الامر فى آخر ايام ابن ابى عامر فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الاموال على النطع وقدم على الارض جباة يجبونها فأكلوا الرعايا واجتاحوا أموالهم واستضعفوهم فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة الى السلطان وضعفت الاجناد وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها ولم يزل أمر المسلمين فى نقص وأمر العدو فى ظهور الى ان دخلها المتلثمون فردوا الاقطاعات كما كانت فى الزمان القديم ولا ادرى ما يكون وراء ذلك

●(الباب الثامن والاربعون فى سيرة السلطان فى بيت المال)●

وهذا باب سلكت فيه سلوك الطوائف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف سيرة الانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين فكانت الملوك تدخر الاموال وتحجبها دون الرعية وتعدها ليوم كريهة على ما بيناه فى الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء بعدهم تبذل الاموال ولا تدخرها

بالسر ورمدته فقال الى ستة من الاصحاب الوزير الصالح ليظهر اليه سره ويدبر معه رأيه ويسوس أمره والفرس الجواد لينجيه يوم الحاجة الى النجاة والسيف القاطع والسلاح الحصين والمال الكثير الذى يخف محمله ويثقل ثمنه كالجوهر واللؤلؤ والياقوت والزوجة الحسناء لتكون مؤنسة لقلبه مزيلة لفكره والطباخ الخبير الذى اذا أمسك طبعه دبر له شيأ يطلقه

●(حكمة)●

قال اردشير حقيق على الملك ان يكون طالبا لاربعة فاذا وجدهم احتفظ بهم الوزير الامين والكاتب العالم والحاجب المشفق والنديم الناصح لانه اذا كان الوزير أمينا دل على بقاء الملك وسلامته واذا كان الكاتب عالما دل على عقل الملك ورزانته واذا كان الحاجب مشفقا لم يغضب على الملك أهل مملكته واذا كان النديم ناصحا دل على انتظام الامر ومصلحته

●(حكمة)●

قال موبذ موبذان فى عهد انوشروان انه لا يمكن حفظ السلطنة الا بالاصحاب الاخيار الناصحين المساعدين ولا ينفع خير الاصحاب الا اذا كان الملك نقيا لانه لا ينبغى ان يكون الاصل الاجيد ثم الفرع

ومعنى تقوى السلطان صدقه وصحته وهو ان يكون صحيحا فى سائر الامور وآمرا بالصحة بأقواله وافعاله ليصح بصحته سائر حشمه ورعيته

(وقال ساميد) أحد حكماء الفرس أربعة أشياء ينبغي ان تفسر للفهيم كما تفسر للبليد ولا يتكل فيها على ذكاء احد تأويل الدين واخلاط الادوية وصفة الطريق المخوف والرأى فى السلطان واعلم ان السلطان اذا انقطع منك فى الآخر نسى الاول فارحامهم مقطوعة وحبالهم مصرومة الامن رضوا عنه فى وقتهم وساعتهم واذا رأيت من الوالى خلالا لا تنبغى فلا تكابده على ردها فانها رياضة صعبة لكن احسن مساعدته على احسن رأيه فاذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذى يبصره الخطايا باللطيفة اكثر من تبصيرك واجعل العدل من حكمتك فان العدل يدعو بعضه الى بعض فاذا تمكن اقتلع الخطأ ولا تطلب ما قبل الوالى بالمسئلة ولا تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاستيناء فانك اذا استحققته أتاك من غير طلب واذا لم تستبطه كان أعجل له وقال يحيى ابن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة القبيحة للزوج الاحمق المبغض وقال يحيى بن خالد لبعض اخوانه تنكر لى هرون الرشيد فقال له ارض بقليله من كثيره واياك أن تسخط فيكون أسخط منك

(الباب السادس والاربعون فى سيرة السلطان مع الجند)

اعلم ان الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم جنن الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين والحد الذى يلقى العدو والسهم الذى يرمى به والسلاح المدفوع فى نحره فبهم يذب عن الحريم وتؤمن السبل وتسد الثغور وهم عز الارض وحماة الثغور والذادة عن الحريم والشوكة على العدو وعلى الجند الجد عند اللقاء والصبر عند البلاء فان كانت لهم الغلبة فليمعنوا فى الطلب وان تكن عليهم فليكسروا الاعنة وليجمعوا الاسنة وليذكروا اخبار غدو ينبغى للملك ان يتفقد جنده كتفقد صاحب البستان بستانه فيقلع العشب الذى لا ينفعه فمن العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح الجند الا بادرار ارزاقهم وسد حاجاتهم والمكافأة لهم على قدر غنائهم وبلائهم وجنود الملوك وعددها وقف على سعود الائمة ونحوسها وقال ابرويز لابنه شيرويه لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع عليهم فى الرجاء ولا توسع عليهم فى العطاء * ولما أفضى الامر الى ابى جعفر المنصور أنفذ جيشا وقال لقواده سيروا بمثل هذه السيرة ثم قال صدق الاعرابى اجع كلبك يتبعك فقام أبو العباس الطوسى فقال يا أمير المؤمنين اخشى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك (ويروى) ان كسرى صنع طعاما فى سماط فلما فرغوا ورفعت الآلات وقعت عينه على رجل من أصحابه قد أخذ جاما له قيمة كثيرة فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون الآلات فلم يجدوا الجام فسمعهم كسرى يتكلمون فقال مالكم فقالوا فقدنا جاما من الجامات فقال لا عليكم اخذه من لا يرده ورآه من لا يفضحه فلما كان بعد أيام دخل الرجل على كسرى وعليه حلية جميلة وحال مستجدة فقال له كسرى هذا من ذاك قال نعم ولم يقل له شيأ (وسئل عمرو بن معاذ) وكان على الصوائف بم قدرت على جيوش الصائفة وكان يغزو فى كل سنة ويجر الجيوش الى بلاد الروم فقال بسمانة الظهر والقديد وكثرة الكعك (وروى) ان بعض امراء العرب كان ظالما لرعيته شديد الاذى لهم فى اموالهم فعوتب فى ذلك فقال اجع كلبك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه فمر به بعض الحكماء فقال ربما أكل الكلب صاحبه اذا لم يشبعه

(الباب السابع والاربعون فى سيرة السلطان فى استجباء الخراج)

ايها الملك من طال عدوانه زال سلطانه واعلم ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه الامن

بالعقوبة الثانى اذا استغنى فى دولته واتسعت حاله فى خدمته لا يطمع فى ماله ومروته الثالث انه اذا سأله حاجة لا يتوقف فى قضائها وينبغى أن لا يمنعه من ثلاثة أشياء وهى انه متى اختار ان يراه لا يمتنع عن رؤيته وان لا يسمع فى حقه كلام مفسد وان لا يكتم عنه شيأ من سره لان الوزير الصالح حافظ سر السلطان ومدبر أمر الدخل وبه عمارة الولايات والخزائن وزينة المملكة وشدة الهيبة والقدرة وله الكلام على الاعمال واستماع الاجوبة وبه يكون سرور الملك وقمع أعدائه وهو أحق الناس بالاستمالة وتفخيم القدر وتعظيم الامر قال انوشروان لولده اكرم وزيرك لانه اذا رآك على أمر لا يجوز لك لا يوافقك عليه وينبغى للوزير ان يكون مائلا الى الخير متوقيا من الشر واذا كان سلطانه حسن الاعتقاد مشفقا على العباد كان له عونا على ذلك وأمره منه بالازدياد واذا كان سلطانه ذا حنق غير مشفق على الوزير أن يرشده قليلا قليلا بالطف وجه ويهديه الى الطريقة المحمودة وينبغى أن تعلم ان دوام الملك بالوزير وان دوام الدنيا بالملك وينبغى ان تعلم انه لا يجوز له ان يهتم بغير الخير وتعلم انه أول انسان يحتاج اليه السلطان وسئل بهرام كور الى كم يحتاج السلطان حتى يتم سلطنته وتنصرم

ونتاجه العدل وهو حصن السلطان ومادة الملك والمال أقوى العدد على العدو وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يؤخذ من حقه ويوضع في حقه ويمنع من سرف ولا يؤخذ من الرعية الا ما فضل عن معاشها ومصالحها ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود عليها نفعها فيا أيها الملك احرص كل الحرص على عمارة الارضين والسلام أيها الملك من جباة الاموال بالرفق ومجانبة الخرق فان العلقة تنال من الدم بغير أذى ولا اسماع صوت ما لا تناله البعوضة بلسعتها وهول صوتها (ولما عزل عثمان) عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن أبي السرح فحمل من المال اكثر مما كان يحمله عمرو فقال عثمان يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال عمرو وذلك لانكم أعجفتم اولادها • وقال زياد احسنوا الى المزارعين فانكم لم تزالوا سمانا ما سمنوا • وفي منثور الحكمة من جاوز في الحلب حلب الدم (وفي الامثال) اذا استقصى العجل في مص امه رفسته • وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج بالجور والتحامل ومثل السلطان اذا حمل على اهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لحمه ويأكله من الجوع فهو وان قوي من ناحية فقد ضعف من ناحية وما ادخل على نفسه من الوجع والضعف اعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف الرعية من الخراج فوق طاقتها كالذي يطين سطحه بتراب اساس بيته ومن يدمن حز العمود يوشك ان يضعف فتقع الخيمة واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب الارض ويهرب الزراع فتضعف العمارة فيضعف الخراج وينتج ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف الجند طمع الاعداء في السلطان أيها الملك كن بما يبقى في يد رعيتك افرح منك بما تأخذ منها لا يقل مع الصلاح شيء ولا يبقى مع الفساد شيء وصيانة القليل اولى من تربية الجليل فلا مال لأخرق ولا عيلة لمصلح (وروى) ان المأمون ارق ليلة فاستدعى سميرا له يحدثه بحديث فقال يا امير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا أنكحك ابنتي الا ان تجعل لي في صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا اقدر عليها الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظ المأمون وجلس للمظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمر الولاة (وسمعت) بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون ما زال اهل الاسلام ظاهرين على عدوهم وامر العدو في ضعف وانتقاص لما كانت الارض مقطعة في ايدي الاجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته وكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين والكراع والسلاح فوق ما يحتاج اليه الى ان كان الامر في آخر ايام ابن ابي عامر فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الاموال على النطع وقدم على الارض جباة يجبونها فاكلوا الرعايا واجتاحوا أموالهم واستضعفوهم فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة الى السلطان وضعفت الاجناد وقوي العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور الى ان دخلها المتلثمون فردوا الاقطاعات كما كانت في الزمان القديم ولا ادري ما يكون وراء ذلك

• (الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال) •

وهذا باب سلكت فيه سلوك الطوائف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف سيرة الانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين فكانت الملوك تدخر الاموال وتحميها دون الرعية وتعدها ليوم كريهة على ما بينا في الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء بعدهم تبذل الاموال ولا تدخرها

بالسر ومدته فقال الى ستة من الاصحاب الوزير الصالح ليظهر اليه سره ويدبر معه رأيه ويسوس أمره والفرس الجواد ليجيبه يوم الحاجة الى النجاة والسيف القاطع والسلاح الحصين والمال الكثير الذي يخف محمله ويثقل ثمنه كالجوهر واللؤلؤ والياقوت والزوجة الحسناء لتكون مؤنسة لقلبه مزيلة لكربه والطباخ الخبير الذي اذا أمسك طبعه دبر له شيأ يطلقه

•(حكمة)• قال اردشير حقيق على الملك ان يكون طالبا لاربعة فاذا وجدهم احتفظ بهم الوزير الامين والكاتب العالم والحاجب المشفق والنديم الناصح لانه اذا كان الوزير أمينا دل على بقاء الملك وسلامته واذا كان الكاتب عالما دل على عقل الملك ورزانته واذا كان الحاجب مشفقا لم يغضب على الملك أهل مملكته واذا كان النديم ناصحا دل على انتظام الامر ومصلحته

•(حكمة)• قال موبذ موبذان في عهد انوشروان انه لا يمكن حفظ السلطنة الا بالاصحاب الاخيار الناصحين المساعدين ولا ينفع خير الاصحاب الا اذا كان الملك نقيا الا انه لا ينبغي ان يكون الاصل الا جيدا ثم الفرع ومعنى تقوى السلطان صدقه وصحته وهو ان يكون صحيحا في سائر الامور وآمرا بالصحة بأقواله وافعاله ليصح بصحته سائر حشمه ورعيته

لايعجب بنفسه فان أعجب خشي عليه الهلاك كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال انه كان سليمان عليه السلام جالسا على سرير مملكته وقد حملته الريح في الهواء فنظر سليمان بالعجب الى مملكته وطاعة الانس والجن وانقيادهم لعظيم هيبته وسياسته فاضطرب السرير به وهم بالانقلاب فقال سليمان للسرير استقم فنطق السرير وقال استقم أنت حتى نستقيم نحن كما قال عز من قائل ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال ابو عبيدة في أمثاله من سلك الجد أمن العثار ويجب ان يكون الوزير عاملا عاقلا شيخا لان الشاب وان كان عاقلا لايكون في التجربة كالشيخ والذي يتعلمه الناس من تجارب الايام لايتعلم من شخص والوزير زين السلطان وزين السلطنة والزين يجب أن يكون صالحا طاهرا من الشين ويحتاج الوزير الى خمسة أشياء يحمد خبره وتحسن سيرته التيقظ والنظر في كل أمر يدخل فيه ووجه المخرج منه والعلم حتى تتضح له الاشياء الخفية والشجاعة حتى لايخاف من شيء في غير موضع الخوف والصدق لئلا يعمل مع أحد غير

وتصطنع الرعية وتوسع عليها فكانت الرعية هم الاجناد والحماة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد علمتم ان جوعه كان أكثر من شبعه وانه مات ودرعه مرهونة في صاع شعير عند يهودي وكذلك الخلفاء الراشدون بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز وأن النبي عليه السلام لما فتح الله عليه اليمن كان تجبى له الاموال فيفرقها اليوم بها وقد توضع في المسجد وتفرش الانطاع ويفرقها من الغد ولم يكن له بيت مال (وروى) أبو داود في السنن أن النبي عليه السلام صلى العشاء الآخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعا وفي يديه خريقة فيها ذهب فقسمه ثم قال ماظن آل محمد لو أدركه الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي عليه السلام بيت مال ولا للخلفاء الراشدين بعده وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال التي جبيت من حلها بين المسلمين وربما يفضل منها فضلات فيجعل في بيت فمن حضر من غائب أو احتاج من حاضر قسم له حظه ثم يفرق حتى لايبقى في البيت منه درهم كما روى ان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه اشرف على بيت المال وفيه مال فقال يا بيضاء ويا حمراء ابيضي واحمري وغري غيري ثم امر فقسم جميع مافيه على المسلمين وامر قنبرا أن يكنسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه ثم كثير من الملوك ساروا في الاموال على نحو هذه السيرة من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم ما أهلك بلاد الاندلس وسلط عليها الروم ان الروم التي كانت تجاورنا لم تكن لهم بيوت أموال وكانوا يأخذون الجزية من سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها سلطانهم على رجاله بالقياس ويأخذ مثل مايأخذون وقد لايأخذ شيأ منها وانما كانوا يصطنعون بها الرجال وكانت سلاطيننا تحجب الاموال وتضيع الرجال فكان للروم بيوت رجال وللمسلمين بيوت أموال فبهذه الخلة قهرونا وظهروا علينا وكان من يذهب هذا المذهب ولايدخر الاموال تضرب فيه الامثال ويقال عدو الملك بيت المال وصديقه جنده فاذا ضعف أحدهما قوي الآخر واذا ضعف بيت المال ببذله للحماة قوي الناصر واشتد بأس الجند وقوي الملك واذا قوي بيت المال وامتلأ بالاموال قل الناصر وضعفت الحماة فضعف الملك فوثبت عليه الاعداء وقد شاهدنا ذلك في بلاد الاندلس مشاهدة واذا كان الدفاع في الرجال لا في الاموال وانما يدفع بالاموال بواسطة الرجال فلاشك ان بيت رجال خير من بيت مال وقد قال بعض الملوك لابنه يابني لاتجمع الاموال لتتقوى بها على الاعداء فان في جمعها تقوية الاعداء يعني اذا جمعت الاموال أضعفت الرجال فيطمع فيك الصديق ويثب عليك العدو وانما مثل الملك في مملكته مثل رجل له بستان فيها عين معينة فان هو قام على البستان فأحسن تدبيرها فهندس ارضها وغرس أشجارها وحظر على جوانبها ثم أرسل عليها الماء اخضر عودها فقويت اشجارها واينعت ثمارها وزكت بركاتها فكانوا جميعا في أمان من الضيعة ولا يخافون فقرا ولاشتاتا وان هو رغب في غلتها وجناها ولم ينفق فيها مايكفيها ولاساق اليها من الماء ما يرويها رغبة في الغلة وضنة بالمال ضعفت عمارتها ودقت اشجارها وقلت ثمارها وذهبت غلتها ومحق الدهر ماجنى من غاتها فافتقر القوم وهلكوا وتشتتوا ومثال الملك في جمع المال ليتقوى به على عدوه مثل طائر يتقطع ريشه ويمص أصوله ويأكل مانبت منها فلذله طيبها وأعجبه خصب جسمه على ذلك وقوته على عدوه فلم يزل كذلك حتى خف ريشه فسقط الى الارض فأكلته الهوام والحشرات (ورأيت) في اخبار بعض الملوك ان وزيره أشار عليه بجمع الاموال واقتناء الكنوز وقال ان الرجال وان تفرقوا عنك اليوم فمن احتجتهم عرضت عليهم الاموال فتهافتوا عليك فقال له الملك هل لهذا من شاهد قال نعم هل بحضرتنا الساعة ذباب قال لا قال فامر باحضار جفنة فيها عسل فحضرت فتساقط عليها الذباب لوقتها فاستشار السلطان

بعض اصحابه فى ذلك فنهاه عن ذلك وقال لا تغير قلوب الرجال فليس فى كل وقت أردتهم حضر وافسأل هل لذلك من دليل قال نعم اذا أمسينا سأخبرك فلما أظلم الليل قال للملك هات الجفنة فحضرت ولم تحضر نبابة واحدة (وقد روينا) عن سيرة بعض السلاطين فى أرض مصر وكان قد ملكها وكان اسمه بلدقور انه كان يجمع الاموال ولا يحفل بالرجال فقال له اصحابه ان أمير الجيوش بالشام وهو يتواعدك وكأنه قد قدم عليك فاستعد الرجال وأنفق فيهم الاموال فاومأ الى صناديق موضوعة عنده وقال الرجال فى الصناديق فغزا أمير الجيوش ذلك الملك فى مصر وقتله وتسلم الصناديق والملك فكان رأيه رأيا فاسدا الان رجالا يقيه بهم لوقته ويصطنعهم لحاجته انما يكونون أجنادا مجتمعين وشرذمة ملفقين ليس فيهم غناء ولا عندهم دفاع ولا ممارسة للحروب (ومن السير) المروية فى هذا الباب انه لما فتحت العراق جىء بالمال الى عمر فقال صاحب بيت المال ادخله بيت المال فقال لا ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى نقسمه فغطى فى المسجد بالانطاع وحرسه رجال من المهاجرين والانصار فلما اصبح نظر الى الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والدر يتلألأ فبكى فقال له العباس أو عبد الرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين والله ما هذا بيوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور فقال انى والله ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا فى قوم الا وقع بأسهم بينهم ثم أقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم انى أعوذ بك ان أكون مستدرجا فانى اسمعك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال أين سراقة بن جعشم فأتى به اشعر الذراعين دقيقهما فأعطاه سوارى كسرى وقال البسهما ففعل فقال قل الله أكبر قال الله أكبر قال قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى والبسهما سراقة بن جعشم اعرابيا من بنى مدلج ثم قبلهما وقال ان الذى أدى هذا الامين فقال له رجل أنا أخبرك انت امين الله تعالى وهم يؤدون اليك ما أديت لله تعالى فاذا رتعت رتعوا قال صدقت وانما ألبسهما سراقة لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسراقة ونظر الى ذراعيه كأنى بك قد لبست سوارى كسرى ولم يجعل له الا السوارين (ولما ولى ابو بكر الصديق) رضى الله عنه جاءه مال من العمال فصب فى المسجد وأمر فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين او عدة فليحضر قال ابو ايوب الانصارى فجئته فقلت يا خليفة رسول الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى لو قد جاءنى مال أعطيتك هكذا وهكذا واشار بكفيه فسكت ابو بكر فانصرفت ثم عاودته فسكت عنى ثم انصرفت وعاودته فقلت اما أن تعطينى واما أن تبخل عنى فقال ما ابخل عنك اذهب فخذ حفنة قال عدها فعددتها فوجدت فيها خمسمائة دينار وابو ايوب من أغنياء الانصار وهو نزيل النبى صلى الله عليه وسلم دل الحديث على ان بيت المال للغنى والفقير ودل ايضا انه لا يجب أن يساوى فيه جميع المسلمين بل ذلك موكول الى اجتهاد الامام

• (فصل) • قال الحسن بن على الاسدى اخبرنى ابى قال وجدت فى كتاب قبطى باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف من أموال مصر بحق الخراج مما يؤخذ من وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اضطهاد ولا مناقشة وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظر العاملين وتقوية لحالهم من العين اربعة وعشرون ألف ألف واربعمائة الف دينار من ذلك ما ينصرف فى عمارة البلاد لحفر الخلج والانفاق على الجسور وسد الترع واصلاح المنشآت ثم تقوية من يحتاج الى تقويته من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة فى البذار وغير ذلك من الآلات وأجرة من يستعان به لحمل البذار وسائر نفقات تطبيق الارضين ثمانمائة ألف دينار ولما ينصرف فى أرزاق الاولياء الموسومين بالسلاح ومن فى جملتهم من الشادية والغلمان واشياعهم وصنائعهم مع ألف كاتب موسومين بالدواوين سوى أتباعهم من الخزان ومن يجرى مجراهم

الصحيح وكتمان سر سلطانه الى ان يدركه الموت قال ازدشير بن بابكان يجب أن يكون الوزير سا كاتمه للاشفاعا واسع الصدر حسن المقال مليح الوجه مستحيا صامتا حيث يحسن الصمت ومتكلما اذا حسن الكلام ومع ذلك يجب أن يكون تقيا حسن المذهب ليطهر نفسه وينفى عنها كلما لا يحسن من الاعتقاد وينبغى أن يكون ذا تجارب ليسهل الامور على الملك وان يكون متيقظا لينظر عواقب الامور ويخاف من تغير الدهور وان يحفظ أن تصيبه عين الزمان وكل ملك كان وزيره له محبا وعليه مشفقا كان ذلك الوزير كثير الاعداء وكان اعداؤه اكثر من اصدقائه ولا يجوز للسلطان ان يسمع فى حق وزيره كلام المحرضين عليه الساعين به اليه ليحسده اصدقاؤه وتنكبت اعداؤه ويجب ان يكون الوزير محمود الطريقة حتى اذا رأى فى الملك خلة مذمومة غير رشيدة رده الى العادة الحميدة من غير غلظة لان الملك اذا كان على مالا يريده الوزير اذا سمع منه ما يسمعه منه مما يكرهه من التقريع حمل شرا من ذلك والدليل على ذلك ان البارى جلت قدرته لما ارسل موسى الى فرعون أمره بقوله فقولا له قولا لينا فاذا كان الله سبحانه وتعالى أمر انبياءه بذلك فالناس اجدر واولى

مائة ألف واحدى عشر ألف دينار وثمانية ألف ألف درهم ولما ينصرف للارامل والايتام يرضون به من بيت المال وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلوا امثالهم من بر فرعون اربعمائة ألف دينار ولما ينصرف فى كهنة برابيهم وسائر بيوت صلواتهم مائتا ألف دينار ولما ينصرف فى الصدقات مما يصب صبا وينادى برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك من يحضر ولا يرد احد والامناء جلوس فاذا رأوا انسانا لم يجر رسمه بان ياخذ افردوه بعد قبضه ما قبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدد دخل أمناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة المال ودعوا له بطول البقاء ودوام العز والسلام وأنهى اليه حال تلك الطائفة فيأمر بتغيير شعثها بالحمام واللباس ثم يمد السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان له وان كان سوء رأى وتدبير غير مستقيم ضمه الى من يشرف عليه ويأخذه بالادب والمعرفة التى لا يصلح الا بها مائتا ألف دينار ولما ينصرف من نفقات فرعون الراتبة لسنته مائتا ألف دينار تكون النفقات على ما تقدم تفصيلها تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام ويحصله لفرعون فى بيت المال لنوائب الزمان اربعة عشر ألف ألف وستمائة ألف دينار (وقال أبو رهم) كانت ارض مصر أرضا مدبرة حتى ان الماء ليجرى تحت منازلها وافنيتها فيحبسوه كيف شاؤا ويرسلوه كيف شاؤا وذلك قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون وكان ملك مصر عظيما لم يكن فى الارض اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتى النيل متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ والزرع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا فى جسورها وحافاتها والزروع ما بين الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين والمقام الكريم المنابر وكان بها ألف منبر (وقال عبد الله بن عمرو) استعمل فرعون هامان على حفر خليج سردوس فاخذ فى حفره وتدبيره فجعل اهل القرى يسألونه ان يجرى الخليج تحت قريتهم ويعطوه مالا وكان يذهب به من قرية الى قرية من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف أراد فليس فى مصر خليج اكثر عطوفا منه فاجتمع له من ذلك أموال عظيمة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغى للسيد ان يعطف على عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب بايديهم رد على اهل القرى ما أخذت منهم فرد عليهم أموالهم فهذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف يجب ان تكون سيرة من يقول لا اله الا الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما فى قوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم قال هى خزائن مصر وكان أربعين فرسخا فى مثلها ولم يطع يوسف فرعون ويخلفه وينوب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فاسلم فحينئذ قال اجعلنى على خزائن الارض (ولما استوثق) أمر يوسف الصديق عليه السلام وكمل وصارت الاشياء اليه وأراد ربك ان يعوضه على صبره لما لم يركب محارمه وحلت سنو الغلاء والجوع مات العزيز وذهبت الذخائر وافتقرت زليخا وعمى بصرها وجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرحمك ويغنيك فطالما حفظتيه وأكرمتيه ثم قيل لها لا تفعلى لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسئ اليك ويكافئك فيما سبق منك اليه فقالت انا أعلم بحلمه وكرمه وجلست له على رابية فى طريقه يوم خروجه وكان يركب فى زهاء مائة ألف من عظماء قومه واهل مملكته فلما أحست به قامت وقالت سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف ومن انت قالت انا التى كنت أخدمك على صدور قدمى وأرجل

ان يلينوا مقالهم وان كان السلطان يخش كلامه فلا يجوز للوزير ان يحقد عليه ويصبر على كلامه فى قلبه فان قدرة الملك تنطق لسانه فينطق بما يريد واذا كان الوزير محبا للملك صحيح المقال حسن الفعال فلا يجوز له ان يعدد حسناته على الملك ولا يمن عليه (قال) أهل الفطنة اذا أحسنت الى أحد وعددت احسانك اليه كان شرا من الامتنان عليه بتقريعك له وينبغى أن يعلم الوزير وخاصة الملك انهم مهما فعلوه من حسن فان ذلك باقبال الملك وبركة ظله انفعل فالمنة حينئذ تصلح ان تكون له على الخلق وأعظم فساد ينشأ فى دولة الملك يكون من أمرين أحدهما من الوزير الخائن والثانى من نية الملك الرديئة الفاسدة (قال انوشروان) شر الوزراء من جرأ السلطان على الحرب وحداه على القتال فى موضع ينصلح الحال بغير حرب لان الحرب فى سائر الاحوال يفنى ذخائر الاموال وفيها تبذل كرائم النفوس ومصونات الارواح وقال أيضا كل ملك كان له وزير جاهل فمثله كمثل الغيم الذى يبدو ويظهر ولا يندى ولا يمطر وفى كتاب وصايا ارسطاطاليس كل أمر ينقضى على يد غيرك بلا حرب ولا خشونة فهو خير مما تقضيه بيدك بالحرب والغضب والعلماء يضربون هذا

بمثل

جنك بيدي واكرم مسولك بجهدي وكان مني ما كان وذقت و بال أمري وذهبت قوتي وتلف مالي وعمي بصري وصرت أسال الناس فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني بعدما كنت مغبوطة أهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم هذا جزاء المفسدين فبكي يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال لها هل بقي في قلبك من حبك اياي شيء فقالت والذي اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة اليك أحب الي من ملء الارض ذهبا وفضة فمضي يوسف وأرسل اليها ان كنت ايما تزوجناك وان كنت ذات بعل أغنيناك فقالت للرسول الملك أعرف بالله من ان يستهزئ بي هو لم يردني في ايام شبابي و جمالي فكيف يقبلني وانا عجوز عمياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام فجهزت فتزوجها وأدخلت عليه فصف قدميه وجعل يصلي ودعا الله باسمه الاعظم فرد الله تعالى عليها شبابها وجمالها و بصرها كهيئتها يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشا بن يوسف وطاب في الاسلام عيشهما حتى فرق الدهر بينهما فيجب للقوي ان لا ينسى الضعيف وللغني ان لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب اليه يصير راغبا ومسؤل يصير سائلا وراحم يصير مرحوما (فهذا يوسف) الصديق عليه السلام انظر الى ضعفه في يد اخوته يوم الجب ثم ضعفهم بين يديه يوم الصاع (وهذه زليخا) ملكة مصر وسيدة أهلها عادت تتكفف الناس في الطرقات قال الله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها فكان يوسف عليه السلام بعد هذا يجوع و يأكل خبز الشعير ولا يشبع فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض قال أخاف ان اشبع فانسى الجائعين (وقد رأيت) ان الحقه منقبة في مثلها يتنافس العقلاء ويرغب فيها الملوك والوزراء وذلك اني لما كنت بالعراق وكان الوزير نظام الملك والغالب على القابه خواجا بزرك رحمه الله تعالى قدوزرلابي الفتح ملك الترك ابن الب ارسلان وكان قد وزرلابيه من قبله فقام بدولتهما أحسن قيام فشد اركانها وشيد بنيانها واستمال الاعداء والى الاولياء واستعمل الكفاة وعم احسانه العدو والصديق والبغيض والحبيب والبعيد والقريب حتى ألقى الملك بجرانه وذل الخلق لسلطانه وكان الذي مهد له ذلك باذن الله تعالى وتوفيقه انه اقبل بكليته على مراعاة جمال الدين فنيدور العلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلماء واسس الرباطات للعباد والزهاد واهل الصلاح والفقراء ثم اجرى لهم الجرايات والكساوى والنفقات واجرى الخبز والرزق لمن كان من اهل الطلب للعلم مضافا الى ارزاقهم وعم بذلك سائر اقطار مملكته فلم يكن من اوائل الشام وهي بيت المقدس الى سائر الشام الاعلى وديار بكر والعراقين وخراسان باقطارها الى سمرقند من وراء نهر جيحون مسيرة زهاء مائة يوم حامل علم او طالبه او متعبد او زاهد في زاويته الا وكرامته شاملة له وسابغة عليه وكان الذي يخرج من بيوت امواله في هذه الابواب ستمائة الف دينار في كل سنة فوشى به الوشاة الى ابي الفتح الملك واوغر واصدره عليه وقالوا ان هذا المال المخرج من بيوت الاموال يقيم به جيشا يركز رايته في سور قسطنطينية فخامر ذلك قلب ابي الفتح الملك فلما دخل عليه قال يا ابت بلغني انك تخرج من بيوت الاموال كل سنة ستمائة الف دينار الى من لا ينفعنا ولا يغني عنا فبكى نظام الملك وقال يا بني انا شيخ اعجمي لو نودي علي فيمن يزيد لم احفظ خمسة دنانير وانت غلام تركي لو نودي عليك عساك تحفظ ثلاثين دينارا وانت مشتغل بلذاتك منهمك في شهواتك واكثر ما يصعد الى الله تعالى معاصيك دون طاعاتك وجيوشك الذين تعدهم للنوائب اذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان وقوس لا ينتهي مدى مرماه ثلثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزمار والطنبور وانا اقمت لك جيشا يسمى جيش الليل اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على اقدامهم صفوفا بين يدي ربهم فارسلوا دموعهم

المثل و يقولون ينبغي أن تمسك الحية بيد غيرك لا بيدك وترتيب الوزراء انهم مهما أمكنهم ان يحاربوا بالكتب فليحاربوا فان لم تات الامور بالاحتيال والتدبير فيجتهدون في تاتيها باعطاء الاموال وبذل الصلات والنوال ومتى انهزم لهم عسكر اعفوا من ذنوب الجند ولم يستعجلوا بقتلهم لانه قد يمكن قتل الاحياء ولا يمكن احياء القتلى وان الرجل يصير رجلا في اربعين سنة ومن مائة رجل يكون رجل واحد يصلح لخدمة الملوك وان أسر احد من الجند من أصحاب الملك كان على الوزير ان لا يفتكه ويفتديه ويخلصه ويشتريه ليسمع الجند بصنيعه فتقوى قلوبهم اذا باشروا حروبهم وعلى الوزير ان يحفظ أرزاق الجند كل انسان منهم على قدره وان يدرب الرجال الشجعان بآلات الحرب وان يخاطبهم باحسن كلام ويلين لهم في الكلام ويلطف لهم في الجواب فان الجند قد قتلوا كثيرا من الوزراء في قديم الايام وسالف الاعوام ومن سعادة السلطان ويمن طلعته وقوة جده ان يسهل الله له وزيرا صالحا ومشيرا ناصحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بامير خيرا قيض الله له وزيرا نصيحا صادقا صبيحا ان نسي ذكره وان استعان به اعانه قال مؤلف الكتاب ان الله جل اسمه يظهر قدرته في كل

واطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا الى الله اكفهم بالدعاء لك ولجيوشك فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون وبدعائهم تبيتون وببركاتهم تمطرون وترزقون تخرق سهامهم الى السماء السابعة بالدعاء والتضرع فبكى ابو الفتح الملك بكاء شديدا ثم قال شاباش شاباش يا ابت شاباش اكثر لي من هذا الجيش (ومن مناقب) هذا الرجل وفضائله ان رجلا قصده يقال له ابو سعيد الصوفي فقال له يا خواجا انا ابني لك مدرسة ببغداد مدينة السلام لا يكون في معمور الارض مثلها يخلد بها ذكرك الى ان تقوم الساعة قال افعل وكتب الى وكلائه ببغداد ان يمكنوه من الاموال فابتاع بقعة على شاطئ دجلة وخط المدرسة النظامية وبناها احسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبنى حولها اسواقا تكون محبسة عليها وابتاع ضياعا وخانات وحمامات واوقفت عليها فكملت لنظام الملك بذلك رياسة وسودد وذكر جميل طبق الارض خبره وعم المشارق والمغارب اثره وكان ذلك في سني عشر الخمسين واربعمائة من الهجرة ثم رفع حساب النفقات الى نظام الملك فبلغ ما يقارب ستين الف دينار ثم نمى الخبر الى نظام الملك من الكتاب واهل الحساب ان جميع ما انفق فيها نحو من تسعة عشر ألف دينار وان سائر الاموال احتجنها لنفسه وخانك فيها فدعاه نظام الملك الى اصبهان للحساب فلما احس ابو سعيد بذلك ارسل الى الخليفة ابي العباس يقول هل لك في ان اطبق الارض بذكرك وانشر لك فخرا لا تمحوه الايام قال وما هو قال تمحو اسم نظام الملك عن هذه المدرسة ونكتب عليها اسمك وتزن له ستين الف دينار فارسل اليه الخليفة يقول له انفذ من يقبض المال فلما استوثق منه مضى الى اصبهان فقال له نظام الملك انك قد رفعت الينا نحوا من ستين الف دينار نفقة واحب اخراج الحساب فقال له ابو سعيد لا تطل الخطاب ان رضيت والا محوت اسمك المكتوب عليها وكتبت عليها اسم غيرك وارسل معي من يقبض المال فلما احس نظام الملك بذلك قال يا شيخ قد سوغناك جميع ذلك كله ولا تمح اسمنا ثم ان ابا سعيد بنى بتلك الاموال الرباطات للصوفية واشترى الضياع والخانات والبساتين والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية فالصوفية الى يومنا هذا في رباط ابي سعيد الصوفي واوقافه يتقلبون ببغداد ففي هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثل هذا فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانا لم نجد شيئا يبقى على الدهر الا الذكر حسنا كان او قبيحا وقال الشاعر

ولا شئ يدوم فكن حديثا * جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا وتذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك في الآخرة كما ادخروا واعلم ان المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر اي الثلاث شئت والسلام (وكان) ابن ابي داود الوزير واسع النفس مبسوط اليدين يعطي الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سؤالا ويبتدئ بالنوال فقال له الواثق امير المؤمنين يوما قد بلغني بسط يدك بالاعطاء وهذا يتلف بيوت الاموال فاطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال يا امير المؤمنين ذخائر اجرها واصل اليك ومفاتيح شكرها موصولة بك وانما لي من ذلك تعشق في ايصال الثناء اليك فقال الواثق لله انت جد بالعطاء واكثر بالشكر والثناء

(الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال وسيرة العمال)

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما ملك خزائن الارض كان يجوع ويأكل الشعير فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائعين (وروى) البيهقي باسناده قال لما استخلف ابو بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه اين تريد قال السوق قال قد جاءك ما يشغلك عن السوق قال سبحان الله يشغلني عن عيالي قال نفرض لك بالمعروف قال فانفق

وقت وزمان وحين وأوان ويصفاق جماعة يختارهم من عباده مثل السلاطين والوزراء وأكابر العلماء يغمرهم الدنيا ومن عجائب الزمان حديث البرامكة الذين لم يوجد لهم في الدنيا نظير في الكرم والسخاء وبذل المعروف والعطاء وكان تحت حكمهم أكثر الولايات الوافرة الارتفاعات وبعد انقراضهم فسدت أحوال الوزراء ولم يبق لخدمة الملوك رونق ونضارة الى أن أوجد الله ببركاته سلجوق وظل دولتهم الى النظام وأوصلهم الى درجات الوزراء المتقدمين وارتفع بحيث انه لم يبق في الدنيا أحد من أهل الفضل والادباء وأبناء السبيل الغرباء من وضيع وشريف الا وهو مشمول باحسانهم مغمور بامتنانهم ولم يكن أحد منهم من خيرهم محروما وانما ذكرنا هذا ليعلم من يقرأ كتابنا الفرق بين الصالح وغير الصالح وقال بزرجمهر لا تقاس الاشياء بعضها ببعض لان جوهر الناس أجل من كل جوهر وانما زينة الدنيا جميعها بالناس والباري جلت قدرته لا ينسب الى الخطأ وهو واهب الصلاح لمن يشاء فانه يؤتي كل أحد ما يصلح له ويليق به فينبغي أن تكون وزراء الملوك ومدبرو دولتهم على هذه الصفة وان يحفظوا رسوم المتقدمين وطرائقهم وان يلتمسوا الاموال التي

في ستين وبعض أخرى ثمانية آلاف درهم ووصى ان ترد من ماله في بيت المال (وروى) هذه القصة الحسن البصري قال لما حضرت أبا بكر الوفاة قال انظروا كم انفقت من مال الله فوجدوا قد انفق في سنتين ونصف ثمانية آلاف درهم قال اقضوها عني فقضوها عنه ثم قال يا معشر المسلمين انه قد حضر من قضاء الله ما ترون ولا بد لكم من رجل يلي امركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم فان شئتم اجتمعتم وائتمرتم لكم وان شئتم اجتهدت لكم فوالذي لا اله الا هو ما آلوكم بنفسي خيرا فبكوا وقالوا انت خيرنا واعلمنا فاختر لنا فقال قد اخترت لكم عمر (وروى) مالك هذه القصة على غير هذا الوجه قال بلغني ان أبا بكر لما ولي لم ينفق من مال الله شيأ وغدا يوما من بني عمرو بن عوف وكانت له هناك امرأة من الانصار في جمال له يريد ان يبيعها فلقيه بعض المسلمين فقالوا له ما تصنع هذا يشغلك عن الناس وعن النظر في امرهم قال فكيف اصنع قالوا تتفرغ للنظر في امورهم وتستنفق من هذا المال فباع تلك الابل وغيرها من ماله الا الارض ثم طرحه في بيت المال فكان ينفق من المال على نفسه وعلى عياله ثم كان عمر على مثل ذلك ثم وليه عمر بن عبد العزيز فلم ينفق منه فقيل له قد صنع ابو بكر وعمر ما قد علمت قال اجل ولكني اخذت من هذا المال فان يكن لي فيه حق فقد استوفيت وزدت ولولا ذلك لفعلت (قال) ابن القاسم قلت لمالك فأين قولهم عن عمر انه رد ثمانين الفا قال كذبوا انما يقول هذا اعداء الله ولم يجز لولده الف ابي موسى اياه حين اخذ منه نصفه فكيف يأخذ من مال الله ثمانين الفا فلما توفي ابو بكر استرجع علي رضي الله عنه وجاء مسرعا باكيا وقال رحمك الله أبا بكر لقد كنت والله اول القوم اسلاما واكملهم ايمانا واشدهم يقينا وأخوفهم لله تعالى وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفضلا واكرمهم عليه وارفعهم عنده فجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله في كتابه صديقا فقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وآسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته في الشدة حين تفرقوا اكرم الصحبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار ورفيقه في الهجرة والمنزل عليه السكينة وخلفته في أمته احسن الخلافة فقويت حين ضعف اصحابك وبرزت حين استكانوا وقمت بالامر حين فشلوا ومضيت بقوة اذ وقفوا كنت اطولهم صمتا وابلغهم قولا واشجعهم قلبا واشدهم يقينا واحسنهم عملا كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في امر دينك متواضعا في نفسك عظيما محبوبا الى اهل السموات والارض فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا (وقال) عمر رحم الله ابا بكر لقد اتعب من بعده تعبا شديدا (وروى) البيهقي عن عمر رضي الله عنه انه قال اني انزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة ولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف (وفي رواية أخرى) ان احتجت اخذت منه فاذا ايسرت رددته (وفي رواية أخرى) اخبركم بما استحل من مال الله تعالى وما قال يحل لي استحل منه حلتين حلة للشتاء وحلة للقيظ وما احج عليه واعتمر وقوتي وقوت عيالي كقوت رجل من قريش لا من اغنيائهم ولا من فقرائهم ثم انا بعد ذلك رجل من المسلمين يصيبني ما اصابهم (وقال) انس بن مالك غلا الطعام على عهد عمر رضي الله عنه فأكل خبز الشعير وكان قبل ذلك لا يأكله فاستنكر بطنه فصوت فضرب بيده وقال هو والله ما ترى حتى يوسع الله على المسلمين (وقال) ابو عثمان النهدي رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة احداها بادم احمر (وقال) عطاء بن السائب استعمل عمر بن الخطاب السائب بن الاقرع على المدائن فدخل ايوانا من ايوان كسرى فاذا صنم يشير باصبعه الى الارض قد عقد اربعين فقال والله ما يشير هذا الى الارض الا وثم شئ فاحتفروا فاستخرجوا منه سفطا فيه جوهر فكتب الى عمر بن الخطاب اما بعد فاني دخلت ايوانا من ايوان كسرى

قدرتهم وان يكونوا في تصيدهم صايدي الكركي لا قاتلي العصفور ولا يجوز لهم أن يحرصوا على تناول أموال المواريث ما دام الوارث موجودا فالطامع في ذلك مشؤم غير جائز ويجب عليهم استمالة قلوب الرعية والحشم بهبات الفوائد والنعم وليعلموا ان كفايتهم وعموم مرتبتهم وصلاحهم منوط بصلاح الرعية ليحسن ذكرهم في الدنيا وينالوا الجزيل الثواب في العقبى

(الباب الثالث في ذكر الكتاب وآدابهم)

قال العلماء ليس شئ أفضل من القلم لانه يمكن اعادة السالف والماضي ومن فضل القلم وسروره عند الله عز اسمه أقسم به فقال جل من قائل ن والقلم وما يسطرون وقال تعالى ذكره اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة الحديث قال عبد الله بن عباس في تفسيره هذه الآية الكريمة حكاية عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم معناه وكلني على كنوز الارض اني حافظ و يقال انه صائغ الكلام قال ابن المعتز

فرأيت كذا وكذا فاحتفرت فأخرجت سفطا فيه جوهر فلم اجد احق به منك يا امير المؤمنين لم يكن
من في المسلمين فاقسمه بينهم انما اصبناه شيأ تحت الارض فلما قدم السفط على عمر وعليه خاتم السائب
فرأى عمر فيما يرى النائم كأن نارا أججت وهو يراد يلقى فيها فكتب الى السائب ان اقدم علي قال
فقدمت عليه وهو يطوف في ابل الصدقة فطفت معه الى نصف النهار ثم دعا بماء فاغتسل ودعا بماء
فاغتسلت ثم ذهب الى منزله فأتى بلحم غليظ وخبز متحمش فقال انظر من على الباب فاذا سودان من
الصوفية فأذن لهم فجعل يأكل معهم فاذا لحم غليظ لا استطيع ان اسيغه وقد كنت تعودت درمك
اصبهان اذا وضعته في فمي دخل بطني ثم دعا بالسفط وقال اتعرف خاتمك قلت نعم فقال كنت ترفق لي
تزعم اني أحق به من اين اصبته فأخبرته قال اذهب فاجعله في بيت مال المسلمين حتى أقسمه بينهم
(وقال) قتادة قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام فصنع له طعام لم ير قبله مثله فقال هذا لنا فما للفقراء
المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير قال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال
لئن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا (وقال) عبد الله بن عمر العمري ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه حين قدم الشام قال لابي عبيدة اذهب بنا الى منزلك قال ماتريد الى أن تعصر عينيك
علي قال فدخل منزله فلم ير شيأ فقال عمر أين متاعك لا أرى الا لبدا وشنا وصحفة وانت امير أعندك طعام
فقام ابو عبيدة الى جونة فأخرج منها كسرات فبكى عمر فقال ابو عبيدة قد قلت لك انك تعصر عينيك علي
يا امير المؤمنين يكفيك من الدنيا ما بلغك المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا بعدك يا أبا عبيدة (وقال) النخعي
بعث عمر بن الخطاب مصدقين فأبطأوا عليه وبالناس حاجة شديدة فجاؤا بالصدقات فقام فيها متزرا بعباءة
يختلف في اولها وآخرها يقول هذه لآل فلان وهذه لآل فلان حتى انتصف النهار وجاع ودخل بيته
حتى اذا أمكن اكلها ثم قال من ادخله بطنه أبعده الله (وقال) طاوس اجدب الناس على عهد
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما اكل سمنا ولا سمينا حتى أكل الناس (وقال) سعيد بن جبير ان عليا
رضي الله عنه قدم الكوفة وهو خليفة وعليه ازاران قطريان قد رقع ازاره بخرقة ليست بقطرية من
ورائه فجاءه اعرابي فنظر الى تلك الخرقة فقال يا امير المؤمنين كل من هذا الطعام والبس واركب فانك
ميت او مقتول قال ان هذا خير لي في صلاتي واصلح لقلبي واشبه بشبه الصالحين قبلي وأجدر ان يقتدي بي
من اتى من بعدي (وقال) الحسن ان عمر بن الخطاب بينا هو يعس في المدينة بالليل اتى على امرأة من
الانصار تحمل قربة فسألها فذكرت ان لها عيالا وأن ليس لها خادم وانها تخرج في الليل فتسقيهم
الماء وتكره ان تخرج بالنهار فحمل عمر عنها القربة حتى بلغ منزلها وقال اغدي على عمر غدوة يخدمك
خادما قالت لا اصل اليه قال انك ستجديه ان شاء الله تعالى فغدت عليه فاذا هي به فعرفت انه الذي
حمل قربتها فذهبت تولي فأرسل في اثرها وامر لها بخادم ونفقة ولما جاع عمر رضي الله عنه قال كم بلغت
نفقتنا يا يرفا قال ثمانية عشر دينارا يا امير المؤمنين قال ويحك اجحفنا ببيت مال المسلمين (وقال)
شهر بن حوشب لما قدم عمر الشام طاف بكورها حتى نزل حمص فقال اكتبوا الى فقرائهم فرفعوا
اليه الرقعة واذا فيها سعيد بن عامر فقال من سعيد بن عامر قالوا اميرنا فعجب عمر وقال كيف يكون
اميركم فقيرا فقالوا انه لا يمسك شيأ فبكى عمر وبعث اليه بألف دينار يستعين بها في حاجته فجعل يسترجع
فقالت له امرأته مالك اصابك امير المؤمنين بشيء قال اعظم من ذلك أتتني الدنيا دخلت علي الدنيا
واني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم باربعين
عاما فوالله ما يسرني اني حبست عن الرعيل الاول وان لي بما طلعت عليه الشمس قالت فاصنع فيه
ماشئت قال هل عندك معونة قالت نعم فأتته بخمارها فصر الدنانير فيه صررا ثم جعلها في مخلاة وبات

طلسم كبير (قال) الاسكندر الدنيا تحت شيئين السيف والقلم والسيف تحت القلم والقلم أدب المتعلمين وبضاعتهم وبه يعرف رأي كل انسان من قريب وبعيد ومهما كان الرجل مجربا للزمان فانه مالم ينظر في الكتب لا يكون كامل العقل لان مدة عمر الانسان معلومة ومعلوم أيضا انه لم يمكنه ان يدرك بتجربته ومعلوم أيضا انه لم يمكنه ان يحفظ بقلبه السيف والقلم حاكمان في جميع الاشياء ولولا السيف والقلم لما قامت الدنيا واما الكتاب فانهم لا يجوز ان يعرفوا أكثر من حدود الكتابة ليصلحوا لخدمة الاكابر وقالت الحكماء والملوك القدماء ينبغي ان يكون الكاتب عالما بعشرة الاول بعد الماء وقربه تحت الارض ومعرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما في الصيف والشتاء ومسير الشمس والقمر والنجوم ومعرفة الاجتماع والاستقبال والحساب بالاصابع وحساب الهندسة والتقويم واختيارات الايام وما يصلح للمزارعين ومعرفة الطب والادوية ومعرفة ريح الشمال والجنوب وعلم الشعر والقوافي ومع هذا كله ينبغي ان يكون الكاتب

يصلح

يصلي و يبكي حتى اصبح فاعرض جيشا من جيوش المسلمين وأمضاها كلها فقالت امرأته رحمك الله لو حبست منها شيأ نستعين به فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الارض لملأت الارض من ريح المسك واني والله ما أختارك عليهن فسكتت (وروى) ان عمر رضي الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم عليه فلم يشعر به عمر الا وان قدم ماشيا حافيا معه عكازته واداوته ومزودته وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال يا عمير أخبثتنا ام البلاد بلاد سوء فقال يا أمير المؤمنين أما نهاك الله ان تجهر بالسوء وعن سوء الظن وما ترى من سوء الحال وقد جئتك بالدنيا أجرها بقرابها فقال وما معك من الدنيا قال عكازة أتوكأ عليها وادفع بها عدوا ان لقيته ومزودي احمل فيه طعامي واداوتي هذه احمل فيها ماء اشرب وصلاتي وقصعتي هذه أتوضأ فيها واغسل فيها رأسي وآكل فيها طعامي فوالله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبعا لما معي قال فقام عمر من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فبكى ثم قال اللهم الحقني بصاحبي غير مفتضح ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه ثم قال ما صنعت في عملك يا عمير قال أخذت الرقة من اهل الرقة والابل من اهل الابل وأخذت الجزية من اهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي منها شيء عندي أتيتك به فقال عمر عد الى عملك فقال عمير أنشدك الله ان لا تردني الى عملي فاني لم أسلم منه حتى قلت لذمي اخزاك الله ولقد خشيت ان يخصمني له محمد صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول انا حجيج المظلوم فاحاجته بحجته ولكن ائذن لي الى أهلي فاذن له فاتى اهله فبعث عمر رجلا يقال له خبيب بمائة دينار فقال ائت عميرا فانزل عليه ثلاثا فان يك خاشا لم يخف عليك في عيشه وحال أهل بيته وان لم يك خاشا لم يخف عليك فادفع اليه المائة فاتاه خبيب فنزل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاث قال يا خبيب ان رأيت ان تحول الى جيراننا فافعل ان يكونوا أوسع عيشا منا اما نحن فوالله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به (قال) فدفع اليه المائة وقال بعث بها اليك أمير المؤمنين فدعا بفرو خلق لامرأته فصرها الخمسة والستة والسبعة فقسمها فقدم خبيب على عمر فقال يا أمير المؤمنين جئتك من عند أزهد الناس وما عنده من الدنيا لا قليل ولا كثير فبعث اليه عمر وقال ما صنعت في المائة يا عمير قال لا تسلني عنها قال لتخبرني (قال) قسمتها بيني وبين اخواني المهاجرين والانصار قال فامر له بوسقي طعام وثوبين قال يا أمير المؤمنين اما الثوبان فاقبل واما الوسقان فلا حاجة لي بهما عندنا ملء صاع من بر وهو كافيهم حتى ارجع اليهم (وروى) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صر اربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ثم تلكأ ساعة في البيت حتى ترى ما يصنع فذهب بها الغلام اليه وقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك قال وصله الله و رحمه (ثم قال) تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان و بهذه الخمسة الى فلان حتى أنفدها و رجع الغلام الى عمر فاخبره (و وجده) قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال له اذهب بهذه الى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فيها فذهب بها اليه وقال ان أمير المؤمنين يقول لك اجعل هذه في بعض حاجتك فقال رحمه الله وأوصله (ثم قال) يا جارية اذهبي الى فلان بكذا والى فلان بكذا فقالت امرأة معاذ ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرقة الا ديناران فرمى بهما اليها فرجع الغلام فاخبر بذلك عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض

(الباب الموفي خمسين في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال)

(اعلم) أرشدك الله تعالى ان أول من اتخذ الدواوين وأجرى الاعطية على ما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يفضل أهل السابقة ثم الذين يلونهم حتى أجرى على العامة شيأ واحدا ثلثمائة وأربعمائة

تخفيف الروح طيب اللقاء عالما ببري القلم وقطه و رفعه وحطه ومهما يكن في قلبه أظهره بشباة قلمه وان يحترس نفسه من طغيان قلمه وينبغي للكاتب ان يعرف أي حرف يحذف وأي حرف يمد وأي حرف يكون مجتمعا ومتصلا وليكتب الخط مبينا ويعطي كل حرف حقه كما يحكى انه كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عامل فكتب كتابا الى عمرو بن العاص ولم يظهر سين بسم الله ثم توجه بعد ذلك الى عملك وأول ما ينبغي أن يعرف الكاتب بري القلم فان الانسان اذا كان يحسن الخط ويقدر ان يبري القلم فان الخط على كل حال يجيء صالحا كما جاء في الحكاية

(حكاية)

كان لشاهنشاه الري عشرة من الوزراء وكان في جملتهم الصاحب بن عباد فاجتمع الوزراء كلهم على نكتته واتفقوا على التضريب عليه وقالوا ان الصاحب لا يقدر يبري قلمه فلما علم بذلك جمعهم جملتهم فقال لهم الصاحب الكافي أي أدب فيكم الى مثله حتى تتجاسروا وتتحدثوا في حضرة السلطان شاهنشاه فان أبي علمني الوزارة ولم يعلمني التجارة وأول آدابي ابة القلم وهل فيكم من يقدر ان يكتب كتابا تاما بقلم مكسور الرأس فعجز الجماعة عن ذلك فقال له شاهنشاه اكتب انت فأخذ الصاحب قلما وكسر

قوله ثم لعل قبله فقال له عمر اظهر السين

وفرض للعيال مائة درهم فى كل سنة (وكان) أبو بكر رضى الله عنه يساوى بين الناس فى العطاء ولا يفضل أهل السابقة ويقول انما عملوا لله فاجورهم على الله وانما هذا المال عرض حاضر يأكله البر والفاجر وليس ثمنا لاعمالهم (وكان) عمر يقول لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه ولم يقدر عمر الارزاق الا فى ولاية عمار فاجرى على عمار ستمائة درهم مع عطائه لولاته وكتابه ومؤذنيه ومن كان يلى معه فى كل شهر لما بعثه وبعث معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق وأجرى عليه فى كل يوم نصف شاة ورأسها وجلدها وأكارعها ونصف جريب كل يوم واجرى على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان) عطاؤه خمسة آلاف درهم وأجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم فى كل شهر وربع شاة فى كل يوم واجرى على شريح القاضى مائة درهم فى كل شهر وعشرة أجربة (وانما) فضل عمارا عليهم لانه كان على الصلاة (قال) مالك وكان عمر لا يفرض لصغير رضيع فاذا فطم فرض له فمر من الليل وصبى يبكى يبغى الرضاع وأمه لا ترضعه فقال لها عمر ارضعيه قالت اذا لا يفرض له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض عمر بعد ذلك للولود مائة درهم فى كل سنة (قال ابن) جبلة وفرض عمر للعيالات لكل عيل من ذكر وأنثى جريبين من بر فى كل شهر وقسطين من زيت وقسطا من خل ومائة درهم فى كل سنة (قال) والجريب قفيز بالقرطبى والقسط قدر ثمن ربع الزيت بالقرطبى (قال) الحسن وكان عطاء سلمان خمسة آلاف وكان على زهاء ثمانين ألف من الناس (وكان) يخطب الناس فى عباءة يلبس نصفها ويفترش نصفها فاذا خرج عطاؤه أمضاه وكان يسف الخوص ويأكل من سفيف يده (وقال) الحسن قدم على عمر بن الخطاب وفد من البصرة مع ابى موسى الاشعرى قال فكنا ندخل عليه وله كل يوم خبز ثلاث (فربما) وافقناها مأدومة بسمن واحيانا بزيت واحيانا باللبن وربما وافقنا القديد اليابس قد دق ثم أغلى عليه بماء وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل فقال لهم يوما انى أرى والله تقذيركم وكراهيتكم لطعامى فانى لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأرقكم عيشا اما والله ما أجهل كراكر واسنمة واعرف صلاء وصنابا وصلائق (قال) والصلاء الشواء والصناب الخردل والصلائق الخبز الرقاق ولكنى سمعت الله تعالى عير أقواما بامر فعلوه فقال اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فكلمنا ابو موسى فقال لو كلمتم أمير المؤمنين لفرض لكم من بيت المال طعاما فأكلتموه فكلمناه فقال يا معشر الامراء هل ترضون لانفسكم ما أرضاه لنفسى فقلنا يا أمير المؤمنين ان المدينة أرض العيش بها شديد ولا نرى طعامك يغنينا ولا يؤكل طعامك وانا بارض ذات ريف وان أميرنا يغنينا وان طعامه يؤكل قال فنظر ساعة ثم رفع رأسه قد فرضت لكم من بيت المال شاتين وجريبين فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احدى الجريبين وكل انت وأصحابك ثم ادع بشراب ثم اسق الذى عن يمينك ثم اسق الذى عن شمالك ثم قم لحاجتك واذا كان العشاء فضع الشاة الغابرة على الجريب الآخر فكل انت وأصحابك الا واوسعوا الناس فى بيوتهم واطعموا عيالهم والله ما أظن رستاقا يؤخذ منه كل يوم شاتان وجريبان الا يسرعان فى خرابه (وكان عمر) قد أطعم جريبين بالخل والزيت لثلاثين رجلا فكفاهم فأجراه على كل رجل فى كل شهر ممن كان فى الديوان مكان ما كانت فارس تجريه على خيولهم وأساورهم (وقال) سعيد بن المسيب وأبو سلمة كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبا العيال يسلم على أبوابهن ويقول ألكن حاجة وأيتكن تريد ان تشترى شيأ فيرسلن معه بحوائجهن ومن ليس عندها شئ اشترى لها من عنده واذا قدم الرسول من بعض الثغور يتبعهن بنفسه فى منازلهن بكتب أزواجهن ويقول أزواجكن فى سبيل الله وانتن فى بلاد رسول الله ان كان عندكن من يقرأ والا فاقربن من الابواب حتى أقرأ لكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتبن حتى نبعث بكتبكن

رأسه وكتب به ذرجانا ماقا قر الجماعة بفضله واعترفوا بادبه ونبله وأجود الاقلام ما كان مستقيما اصفر اللون رقيق الوسط والقلم المحرف من الجانب الايمن يصلح للخط العربى والفارسى والعبرى واللسان الدرى يجب أن يكون قلمه محرفا من الجانب الايسر وخير الاقلام ما وصفه جعفر ابن خالد البرمكى فى كتاب كتبه الى محمد بن ليث قلم لا غليظا ولا رقيق ويجب ان تكون براية القلم على شكل منقار الكركى محرفا من الجانب الايمن وينبغى أن يكون المقط الذى تقط عليه الاقلام فى غاية الصلابة ويجب أن تكون الانقاس فارسية خفيفة الوزن والكاغد صقيلا متساويا فى غاية الصقالة وان يجاد حل الانقاس وكل حرف أزيد من ثلاثة أحرف يجب ان يمد وما كان أقل لا يجوز مده وانه يتوحش بذلك الخط ان تكون صورة الحروف يشبه بعضها بعضا ولا يقدر على ذلك الا حكيم عاقل ومن تعودت بذلك أنامله كان عبد الله بن رافع كاتبا لامير المؤمنين رضى الله عنه فقال كنت أكتب كتابا فقال لى أمير المؤمنين يا عبد الله الق دواتك وأطل جلفة قلمك ووسع بين السطور واجمع ما بين الحروف وكان عبد الله بن جبلة كاتبا محسنا فقال لغلمانه لتكون أقلامكم بحرية فان لم تكن بحرية تكن صفرا

ثم

واطعوا ه قد الاقلام لئلا تتعقد الامور ولا يجوز انفاذ كتاب بغير ختم فان كرم الكتاب ختمه وقال عبد الله بن عباس

ثم بدو رعليه بالقراطيس والدواة يقول هذه دواة وقرطاس فادنين من الابواب حتى أكتب لكن ويجر الى المغيبات فيأخذ كتبهن فيبعث بها الى أزواجهن (وقال) الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحر بن فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة أتيت يرفا فقلت يا يرفا مسترشد وابن سبيل أي الهيآت أحب الى أمير المؤمنين ان يرى فيها عماله فأومأ الى الخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولبست عمامتي على رأسي فدخلنا على عمر فصففنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه غيري فدعاني فقال من انت قلت الربيع بن زياد الحارثي (قال) وما تتولى من اعمالنا قلت البحرين قال وكم ترزق قلت الفا قال كثير فما تصنع بها قلت اتقوت منها شيأ واعود على أقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا علي فدعاني فقال كم سنك قلت خمس وأربعون سنة قال الآن حين استحكمت (ثم دعا) بالطعام وأصحابي حديثو عهد بلين العيش وقد تجوعنا له فأتى بخبز واعضاء بعير فجعل اصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل وجعلت انظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض ولم اقلها فقلت يا امير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام الين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت فقلت قلت يا امير المؤمنين لو تنظر الى قوتك من الطحين ان يخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن غيظه ثم قال ههنا رعت قلت نعم (قال) يا ربيع انا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسنابك يعني خبز الحوارى ولكني رأيت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ثم امر اباموسى باقراري على عملي وان يستبدل باصحابي (وقال) قبيصة بن ذؤيب دعا عمر بن الخطاب عبيد الله بن سعد وكان على اهل حمص فقال علام يحبك اهل الشام قال اني احبهم فاحبوني قال مالك قلت عبدي وفرسي وبغلي وخادمي (قال) فماذا تلبس في الشتاء قلت عصابة أشد بها رأسي وجبة وكساء قال فما تلبس في الصيف قلت قيصار وريطة فاعطاني عمر الف دينار (وقال) خذها واستنفق منها واعط منها قلت لا ارب لي فيها وستجد من هو احوج اليها مني قال خذها فان النبي عليه السلام دفع الي مالا وهو دون الذي اعطيتك فقلت له كما قلت لي فقال يا عمر ما آتاك الله من هذا المال عطاء من غير ان تعرض له او تشرف له نفسك فاقبله فأخذه فانطلق به الى امرأته فقال اترين رجلا له هذا من فقراء المهاجرين هو أم من الاغنياء فقالت بل من الاغنياء فقسمها حتى بقيت منها صرة اظن فيها ثلاثين او نحو ذلك فقالت له امرأته اليس لي انا حق فاعطاها اياه (وقال) زياد بن حيوة بينا نحن بخناصرة اذا بامرأة تسأل عن دار عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فارشدناها الى الدار فرأت دارا متهشمة فقالت لخياط هناك استأذن لي على فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قال فادخلي وصوتي بها فانها تأذن لك فدخلت فلما ابصرت ماهنالك قالت جئت أرم فقري من بيت الفقراء واذا رجل يعمل في الطين فسألتها عن امير المؤمنين فقالت هو ذلك يعمل في الطين فقالت له يا امير المؤمنين مات زوجي وترك ثمان بنات فبكى عمر بكاء شديدا ثم قال لها ما تريدين قالت تفرض لهن قال نفرض للكبرى ما اسمها قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله قال ما اسم الثانية قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت جزاك الله خيرا يا امير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها اما انك لو وليت الحمد اهله لاتممنا من لك حرى السبع فليواسين هذه الثامنة

(الباب الحادي والخمسون في احكام اهل الذمة)

رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى اني ألقي الى كتاب كريم اي مختوم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب كتابا الى العجم وقال انهم لا يريدون كتابا بغير ختم فختمه بخاتمه المبارك وكان على فصه مكتوب محمد رسول الله خبر روى صخر بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب كتابه الى النجاشي رماه على التراب ثم أنفذه فلا جرم أنه أسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم تربوا كتبكم فانه انجح لحوائجكم وقالوا تربوا الكتاب فان التراب مبارك واذا كتب الكتاب فليقرأ قبل طيه فان كان فيه خطأ تداركه وأصلحه وينبغي أن يجتهد الكاتب أن يكون الكلام قصيرا والمعنى طويلا وأن لا يكرر كلمة يكتبها وان يحترز من الالفاظ الثقيلة الغثة ليكون كتابه محمودا وفي باب الكتابة كلام كثير ونقتنع منه بهذا القدر لئلا يطول الكلام فقد قيل خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل

(الباب الرابع في سمو همم الملوك)

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

احتقر قلبي لا تكون دني الهمة فاني ما رأيت شيأ أسقط لقدم الانسان من تداني همته وقال عمرو بن العاص المرء حيث وضع نفسه

(روى) عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى اهل الشام
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر امير المؤمنين من نصارى مدينة كذا انكم لما قدمتم علينا
سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لانحدث فى
مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان
مختطا منها فى خطط المسلمين فى ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من
المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتم غش المسلمين
ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع احدا من ذوى قرابتنا الدخول
فى الاسلام ان ارادوه وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبه بهم
فى شئ من لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا
نركب بالسروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا
بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وان نشد الزنانير على اوساطنا ولا
نظهر صلباننا وكتبنا فى شئ من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب نواقيسنا فى كنائسنا الا ضربا خفيفا
ولا نرفع اصواتنا بالقراءة فى كنائسنا فى شئ من حضرة المسلمين ولا نخرج شعانيننا ولا باعوثنا ولا نرفع
اصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ
من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم (فلما اتيت) عمر رضى الله عنه بالكتاب
زاد فيه ولا نضرب احدا من المسلمين شرطنا ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن
خالفنا فى شئ مما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا ما يحل من اهل المعاندة والشقاق
فكتب اليه عمر رضى الله عنه ان امض ما سألوه والحق فيه حرفين اشترطهما عليهم مع ما شرطوا
على انفسهم ان لا يشتروا شيأ من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده
(وروى) نافع عن سالم مولى عمر بن الخطاب ان عمر كتب الى اهل الشام فى النصارى ان
يقطع ركبهم وان يركبوا على الاكف وان يركبوا فى شق وان يلبسوا خلاف زى المسلمين ليعرفوا
(وروى) ان بنى تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا امير المؤمنين انا قوم من العرب افرض
لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجاما ففعلوا فجز نواصيهم وشق من ارديتهم حزما يحتزمون بها
وأمرهم ان لا يركبوا السروج ويركبوا الاكف من شق واحد (وروى) ان امير المؤمنين المتوكل
اقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم واذلهم واقصاهم وخالف بين زيهم وزى المسلمين وجعل على
ابوابهم مثالا للشياطين لانهم أهل ذلك وقرب منه اهل الحق وباعد عنه اهل الباطل والاهواء
فاحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا (وكان) عمر بن
الخطاب رضى الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا فى دينهم ولا تحل فى دين الله
الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب ابا موسى الاشعرى من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على
عمر وهو فى المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت
ذميا على المسلمين اما سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء
بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الا اتخذت حنيفا فقال يا امير المؤمنين لى كتابته وله دينه
فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ اقصاهم الله وكتب بعض العمال الى
عمر بن الخطاب ان العدد قد كثر وان الجزية قد كثرت فنستعين بالاعاجم فكتب اليه عمر انهم اعداء الله
وانهم لنا غششة فانزلوهم حيث انزلهم الله ولا تردوا اليهم شيأ وقال عمران بن أسد أتانا كتاب عمر بن

يريد ان يعز نفسه علا أمره وان ذلها ذل وهان قدره وتفسير الهمة ان يرفع نفسه فان انفة القلب من همم الاكابر لانهم
يعرفون قدر أنفسهم فيعزونها ولا يعرف أحد قدر احد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه واعزاز المرء نفسه ان لا يختلط بالاراذل ولا يشرع فى عمل مما لا يجوز لمثله ان يعمله ولا يقول ما يعاب به والهمة والانفة للملوك لان الله تعالى ركب فيهم هذه الخصلة وكل ملك لم يكن له هذه الخصلة يتعلمها من الوزراء والندماء كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

أمر أبو الدوانيق لرجل بخمسمائة درهم فقال ابن الخصيب لا يجوز للملك ان يعرف ما دون الالف من العدد وكان هارون الرشيد يوما راكبا فى موكبه فسقط فرس رجل من عسكره فقال الرشيد ليعطى خمسمائة درهم فاشار يحيى اليه بعينه وقال هذا خطأ فلما نزلا قال هارون أى خطأ بدا منى حتى أشرت الى بعينك فقال لا يجوز ان يجرى على أحد من الملوك أقل من الالف فقال الرشيد فان اتفق أمر لا يجوز ان يعطى فيه أكثر من خمسمائة مثل هذا كيف يقال فقال له قل يعطى فرسا فيصل اليه فرس على جارى الرسم وتكون قد نزهت نفسك وهمتك عن ذكر الحقير ولهذا السبب خلع المأمون

عبد العزيز الى محمد بن المنتشر اما بعد فانه بلغني ان في عمالك رجلا يقال له حسان بن بزري على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا أتاك كتابي هذا فادع حسان الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه وان ابى فلا تستعن به ولا تأخذن من غير اهل الاسلام على شيء من اعمال المسلمين فقرأ الكتاب عليه فأسلم (ولما) خرج النبي عليه السلام الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني اريد ان اتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به أصحاب النبي عليه السلام وكانت له قوة وجلد فقال جئتك لاتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له مثل ذلك قال تؤمن بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا أصل عظيم في أن لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي عليه السلام ويراق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تولوا على أعمالنا الا اهل القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير

(فصل) ومتى نقض الذمي العهد بمخالفته لشيء من الشروط المأخوذة عليه لم يرد الى مأمنه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال أصحاب الشافعي ويلزمهم ان يتميزوا عن المسلمين في اللباس وان لبسوا قلانس ميزوها عن قلانس المسلمين بالخرق ويشدون الزنانير في اوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من رصاص او نحاس او جرس يدخل معهم الحمام وليس لهم ان يلبسوا العمائم والطيلسان واما المرأة فتشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام ويكون احد خفيها اسود والآخر ابيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحمير بالاكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدؤن بالسلام ويلجؤن الى أضيق الطريق ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يمنعون وان تملكوا دارا عالية اقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام في الحجاز وهي مكة والمدينة واليمامة ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب أسماءهم وحلاهم ويستوفي جميع ما يؤخذون به من جميع الشروط وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام احكام الملة انتقض عهدهم وان زنى احدهم بمسلمة او أصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار او دل على عورة للمسلمين او فتن مسلما عن دينه او قتله او قطع عليه الطريق او ذكر الله ورسوله بما لا يجوز قيل ينتقض وان فعل ما يمنع منه مما لا ضرر فيه كترك الغيار واظهار الخمر وما اشبههما عزر عليه ومتى فعل ما يوجب نقض العهد رد الى مأمنه في احد القولين وقتل في الحين في القول الآخر

(فصل) في تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فقيل انها مقدرة الاقل والاكثر على ما كتب به عمر الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوضع على الغني ثمانية واربعين درهما وعلى من دونه اربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وهذا مذهب ابي حنيفة وابن حنبل واحد قولي الشافعي وجعلوه كأنه حكم امام فلا ينقض وقيل انها مردودة الى الامام في الزيادة والنقصان وهو الاقيس وقيل انها مقدرة الاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز ان ينقص عنه وقال بعضهم يجوز ان يساوى بينهم من كل واحد دينار وقال مالك يؤخذ من الموسر اربعون درهما ومن الفقير دينار وعشرة دراهم ويتخرج على مذهب مالك في وجوب تقدير طرفيها قولان بناء على العشر المأخوذ منه هل هو تقدير شرعي لا تجوز فيه الزيادة والنقصان وعن مالك فيه روايتان ولا جزية

ولده العباس من ولاية عهده وذلك ان المأمون اجتاز بباب حجرة العباس فسمعه يقول لمعلمه ياغلام قد رأيت في الرصافة نقلا حسنا وقد اشتهيت منه فخذ نصف درهم وصر الى الرصافة فاتني بشيء منه فناداه المأمون وقال من الآن قد علمت ان للدرهم نصفا اذهب فانت لا تصلح للولاية وترتيب الملك ولا يأتي منك صلاح ولا فلاح

(حكمة)

يقال ان في وصية نامه أزدشير انه قال اذا أردت ان تهب لاحد من أولادك شيئا فاجتهد ان لا يكون عطاؤك أقل من دخل ولاية أو قرية أو قيمة بلد أو رستاق ليستغني الشخص الذي تهبه وتزول حاجته وتستغني أعقابه بك وأولادهم ما عاشوا فيحصل بذلك في حساب الاحياء لا في حساب الاموات واجتهد انك لا ترغب في التجارة بوجه من الوجوه فان ذلك يدل على تداني همة الملك

(حكمة)

يقال انه كان للملك هرمز بن سابور وزير فكتب اليه كتابا يذكر فيه انه وصل من جانب البحر تجار معهم لؤلؤ وياقوت وجواهر نفيسة القيمة واني ابتعت منهم برسم الخزانة ما يبلغ مائة ألف دينار والآن قد حضر فلان التاجر وهو يطلب الجواهر بربح كثير فان رغب الملك فليرسم بما يراه فكتب هرمز جوابه مائة

على النساء والمماليك والصبيان والمجانين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك أما بعد فان أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور من العمال وسنن سيئة سنها عليهم عمال السوء فاحرز عليهم أرضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ولا تأخذ من الخراب الا ما يطيقون ولا من العامر الا وظيفة الخراج الاوزن سبعة ليس لها اس ولا اجور الضرابين ولا اداة الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن المصحف ولا اجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الارض والواجب ان يؤخذ ما ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من كل جريب كرم عشرة دراهم ومن كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة اربعة دراهم ومن كل جريب شعير درهمان

(فصل) وأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع أن تحدث كنيسة وأمر أن لا تظهر علية خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة أن تهدم الكنائس التي في الامصار القديمة والحديثة ويمنع أهل الذمة من بناء ما خرب قال الاصطخري ان طينوا ظاهر الحائط منعوا وان طينوا داخله الذي يليهم لم يمنعوا ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز

(الباب الثاني والخمسون في بيان الصفات المعتبرة في الولاة)

اعلم ارشدك الله تعالى ان منزلة العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل فاجتهد جهدك في ابتغاء صالح العمال واذا افتقد الوالي عمال الصدق كان كفقد المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج الى طبقات الرجال كما يحتاج الحرب الى اصناف العدة فمنها الدرق للاستجنان والسيف للمناجزة والرمح للطاعنة والسهم للمباعدة والدرع للتحصن ولكل منهما موضع ليس للآخر والرجال للملك كالاداة للصانع لا يسد بعضها مسد بعض كذلك طبقات الرجال للملك منهم للرأي والمشورة ومنهم لادارة الحرب ومنهم لمباشرة الحرب ومنهم لجمع الاموال ومنهم لحفظها ومنهم للحماية ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للمباهاة والذكر ومنهم للدعاء والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ أساس الملة فلا يكمل للملك ملك ما لم يجمع هذه الطبقات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما مات كسرى بلغ موته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته بوران قال لن يفلح قوم اسندوا أمرهم الى امرأة وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرة قيل من استعمل القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار قال أميران هلك والله القوم وليس يشترط الا في الامامة العظمى دون سائر الولايات (ولما) استحضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وكان من الخطباء قال له هشام بلغني انك تخطب الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة قال زيد فقد كان اسمعيل بن ابراهيم ابن أمة واسحق ابن حرة ومحمد عليه السلام من ولد اسمعيل ثم اتهمه في أمر فقال له زيد أنا احلف لك قال هشام ومن يصدقك قال زيد انه ليس أحد فوق ان يأمر بتقوى الله ولا احد دون ان يؤمر بتقوى الله وقال بعض الخلفاء دلوني على رجل استعمله على امر قد اهمني قالوا وكيف تريده قال اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم واذا كان في القوم وهو أميرهم كان كأنه رجل منهم قالوا ما نعلمه الا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هو لها ويروى ان عمر بن عبد العزيز استشار في قوم يستعملهم فقال له بعض اصحابه عليك بأهل العدل قال ومن هم قال الذين ان عدلوا فهو ما رجوت وان

قصروا

ألف ومائة ألف مثلها وأمثالها ليس لها في أعيننا خطر لنرغب فيها واذا علمنا أنها الآن تحت التجارة فمن يعمل السلطنة فانظر أيها الجاهل لنفسك لا تعد الى مثل هذا الكلام ولا تخلط في أموالنا درهما واحدا ولا دانقا فردا من أرباح التجارات فان ذلك يسقط قيمة الملك ويزري بحسن اسمه ويقود بقبح قاعدته ورسمه ويضر بصيته في حال حياته وبعد وفاته

(حكاية) حكي ان الامير عمارة بن حمزة كان في بعض الايام جالسا في مجلس الخليفة المنصور أبي الدوانيق وكان يوم نظره في المظالم فنهض رجل على قدميه وقال يا أمير المؤمنين أنا مظلوم فقال من ظلمك فقال عمارة بن حمزة اغتصب ضياعي وأبنيتي ملكي وعقاري فأمر المنصور ان يقوم من موضعه ويساوي خصمه للمحاكمة فقال عمارة بن حمزة يا أمير المؤمنين ان كانت الضياع له فما أعارضه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له وما لي حاجة في محاكمته ومماثلته ولا أبيع مكاني الذي أكرمني به أمير المؤمنين بضياع فتعجبت الأكابر الحاضرون من علو همته وشرف نفسه ومروءته الهمة والتهمة على شكل واحد وكل إنسان له منها نصيب فواحد بالسخا واطعام الطعام وآخر بالعلم وآخر بالعبادة والقناعة والزهادة

قصر وقال الناس اجتهد عمر (ولما) قدم البريد من بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان سأله عن بشر قال يا امير المؤمنين هو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف فقال عبد الملك ذلك الاعسر الاجود الذي كان يأمن عنده البريء ويخاف لديه السقيم ويعاقب على قدر الذنب ويعرف موضع العفو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الحكيم اعتبر الرجال بأفعالهم لا بعظم اجسامهم فان النسر مع عظمه لا يأكل الا الميتا وطير الماء مع ضعفه يتحامى ميت السمك ويأكل الحي منها (وفي) حكم الهند السلطان الحازم ربما احب الرجل فاقصاه واطرحه مخافة ضره كالملسوع يقطع اصبعه لئلا ينتشر السم في جسمه وربما ابغض الرجل فاكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده عنده كتكاره المرء على الدواء البشع لنفعه الا ان للاسلام شروطا فلا تستقيم هذه السيرة عليها ألا ترى ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما افضت الخلافة اليه كان معاوية واليا على الشام من قبل عمر ثم عثمان فاستشار في امره فقال له بعضهم اقره على امرته وارسل اليه بعهده فاذا دخل في بيعتك فاعزله فقال له رحمك الله أتأمرني ان اطلب العدل بالجور ثم عزله فكانه سبب عصيانه وهكذا أشاروا عليه فقالوا يا امير المؤمنين لو فضلت هؤلاء الاشراف ومن تتخوف منهم وانما الناس اصحاب دنيا حتى اذا استوثق الامر عدت الى التسوية فقال أتأمروني ان اطلب العدل بالجور فيمن وليت عليه والله لو كان مالي لسويت بينهم ولم افضل بعضهم على بعض فكيف والمال لهم واعطاء المال في غير حقه تبذير وسرف وهو يرفع ذكر صاحبه في الدنيا ويضعه عند الله في الآخرة ولن يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير اهله الا حرمه الله تعالى شكرهم ويصير لغيره ودهم فان بقي معه منهم من يظهر له الود والشكر فذلك ملق وخديعة لينال منه فان زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونته ومكافأته ما سلف من مبرته فشر خليل والأم خدين واياك ايها الوالي وحب المدح فان من احب المدح عد كمن مدح نفسه واذا علم ذلك منك جعله الناس سلما لقضاء حوائجهم منك فحينئذ يكون قضاء الحوائج لنفسك لا لهم وقال النبي عليه السلام احثوا في وجوه المداحين التراب وسمع المقداد رجلا يمدح عثمان بن عفان فاخذ كفا من تراب فالقاه في وجهه وسمع النبي عليه السلام رجلا يمدح رجلا فقال قطعت ظهر اخيك لو سمعها ما افلح بعدها ووصف اعرابي اميرا فقال كان اذا ولي لم يطابق بين جفونه وارسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد معهم فالمحسن راج والمسيء خائف وقال عبد الله بن الزبير يوما لا يبعدن ابن هند ان كانت فيه لمخارج ما نجدها في احد بعده ابدا والله ان كنا لنعرفه وما الليث الحرب على براثنه بأجرأ منه فيتفارق لنا وان كنا لنخدعه وما ابن ليلة من الارض بأدهى منه والله لوددت انا متعنا به ما دام في هذا حجر واشار الى ابي قبيس لا يتخون له عقل ولا ينتقص له قوة وقال الصنابحي كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة كتابا في مثل اذن الفارة اما بعد فانه لا يقيم امر الله في الناس الا حصيف العقدة بعيد الغرة لا يطلع الناس منه على عورة ولا يحنق في الحق على الجرة ولا يخاف في الله لومة لائم (وقال) مالك جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسأله ان يكتب له كتابا في امر فقال اذهب الى منزلنا فائتني بدواة وقرطاس فذهب فلم يجد فقال اطلب عندهم شيأ فذهب فلم يجد عندهم الا اذن مزدود فكتب له في تلك الاذن (ولما) ولى المأمون يحيى بن اكثم قضاء البصرة بعد ان استحسن عقله وعلمه وامتحنه بمسائل فوجده فوق ما يريد فتلقاه وجوه البصرة فرأوا شابا صبيا ما بقلت لحيته فتعجبوا ونظر بعضهم الى بعض يقلبون الاكف ويغمزون الحواجب فقال له بعضهم كم سن القاضي اصلحه الله قال مثل سن عتاب بن اسيد لما ولاه النبي عليه السلام مكة فهابوه لحدة جوابه وعرفوا فضله وكان لعتاب بن اسيد احدى وعشرون سنة لما ولي مكة وكان عمر يقول لا يصلح ان يلي امور الناس

وترك الدنيا وآخر بطلب العقبى وآخر بطلب الزيادة واما الهمة بالسخاء وبذل المال وابتداء النوال فينبغي ان يكون كما جاء في الحكاية

❊(حكاية)❊

❊ يقال ان يحيى بن خالد البرمكي خرج من الخلافة راكبا الى داره فرأى على باب الدار رجلا فلما اقترب منه يحيى نهض قائما وسلم عليه وقال له يا ابا علي الى ما في يديك وقد جعلت الله وسيلتي اليك فأمر يحيى ان يفرد له موضع في داره وان يحمل اليه في كل يوم ألف درهم وان يكون طعامه من خاص طعامه فبقي على ذلك شهرا كاملا فلما انقضى الشهر كان قد وصل اليه ثلاثون ألف درهم فاخذ الرجل الدراهم وانصرف فقيل ليحيى فقال والله لو اقام عندي مدة عمري وطول دهره لما منعته صلتي ولا قطعت عنه ضيافتي

❊(حكاية)❊

كان لجعفر بن موسى الهادي جارية عوادة تعرف بالبيدر الكبير لم يكن في زمانها احسن منها وجها ولا احذق بصناعة الغناء وضرب الاوتار وكانت في غاية الكمال ونهاية الجمال فسمع بخبرها محمد بن زبيدة الامين والتمس من جعفر ان يبيعه اياها فقال له جعفر أنت تعلم انه لا يجيء من مثلي بيع الجواري والمساومة على السراري ولولا انها مربية داري لانفذتها اليك ولم انفس بها

الا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة شديدا في غير عنف لينا في غير ضعف جوادا في غير سرف لا يخاف في الله لومة لائم وقال ايضا ينبغي ان يكون في الوالي من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل عصفور ويكون فيه من الرقة والحنو والرأفة والرحمة ما يجزع من قتل عصفور بغير حق (ويروى) ان الرشيد احضر رجلا ليوليه القضاء فقال له اني لا احسن القضاء ولا انا فقيه فقال له الرشيد فيك ثلاث خلال لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه وانت رجل تشاور في امرك ومن شاور كثر صوابه واما الفقه فينضم اليك من تتفقه به فولى فما وجدوا فيه مطعنا وقال اياس بن معاوية استحضرني عمر بن هبيرة فحضرت فسالني فسكت فلما اطلت قال ايه قلت سل عما بدا لك قال اتقرأ القرآن قلت نعم قال فهل تفرض الفرائض قلت نعم قال فهل تعرف من ايام العرب شيأ قلت انا بها اعلم قال فهل تعرف من ايام العجم شيأ قلت انا بها اعلم قال اني اريد ان استعين بك قلت ان في ثلاثا لا أصلح معهن للعمل قال ما هن قلت أنا دميم كما ترى وأنا حديد وأنا عيي قال أما الدمامة فاني لا اريد أن أحاسن بك وأما العي فاني أراك تعرب عن نفسك واما سوء الخلق فيقومك السوط فولاني وأعطاني ألف درهم فهو أول مال تمولته وقال سليمان ابن داود عليهما السلام ما ملاقاة ابوة سلبت أشبالها باصعب من لقاء جاهل راض عن نفسه

(الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال)

اعلم أرشدك الله انه يجب أن يولى على الاعمال أهل الجزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التولية للغناء لا للهوى وملاك الولايات وأساسها ان لا يولى الاعمال طالب لها ولا راغب فيها • روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الاشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجل فلما سلمنا عليه قال صاحبي يا رسول الله استعملني فقال عليه السلام انا لا نستعمل على عملنا من أراده فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت الذي في نفسه (وقد روى) عن بزرجمهر وقد قيل له ما بال ملك آل ساسان صار أمره الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال ولله در عمرو ابن العاصي حيث قال موت الف من العلية اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة • وقال العلاء بن ايوب غضب المأمون على بعض أصحابه غضبا شديدا ثم قال له لا أماتك الله أو يبلغك دولة السفل وقال رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل قد آذاه ادركتك امرة الصبيان وقال المستوغر الاكبر وكان قد عمر في الجاهلية ثلثمائة سنة

وما سقطت يوما من الدهر أمة • الى الذل الا أن يسود ذميمها
اذا ساد فينا بعد ذل لئيمنا • تصدى لنا ذل وقد أديمها
وما قادها للخير الا مجرب • عليم باقبال الامور كريمها
وما كل ذي لب يعاش بفضله • ولكن لتدبير الامور حكيمها

واعلموا ان معظم ما يدخل على الدول من الفساد من تقليد الاعمال اهل الحرص عليها لانه لا يخطبها الا لص في ثوب ناسك وذئب في مسلاخ عابد حريص على جمع الدنيا نابذ لدينه ومروءته دليل على الخيانة يتخذون عباد الله خولا وأموالهم دولا واذا اهتضمت حقوق المسلمين وأكلت أموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعاتهم فانتقضت الامور ودب الفساد الى الممالك وقد ذكرنا في أول الكتاب الآثار في كراهية الولايات (وقال المأمون) ما فتق علي قط فتق في مملكتي الا وجدت سببه جور العمال (فان قيل) فما معنى قول يوسف عليه السلام للملك اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (قلنا) يوسف كان نبيا من أنبياء الله تعالى واثقا من نفسه بالكفاية والامانة بين يدي من لا يتحقق بواطن امره ولا يعلم

هالك ثم ان بعد ذلك بايام جاء محمد بن زبيدة الى داره فرتب له مجالس الشراب وأمر بيدزان تغني له وتطرب به فأخذ محمد في الشراب والطرب ومال على جعفر بكثرة الشرب حتى سكر واخذ الجارية معه الى داره ولم يردها اليه يدا ثم رسم من الغد باستدعاء جعفر فلما حضر قدم بين يديه الشراب وأمر الجارية ان تغني من داخل الستارة فسمع جعفر غناءها فلم ينطق من شرف نفسه وهمته ولم يظهر تغيرا في محاضرته ثم أمر محمد الامين ذلك الزورق الذي ركب جعفر اليه بالدراهم فيقال انه وضع فيه الفي بدرة وجملتها مائة ألف ألف درهم حتى استغاث الملاحون وقالوا ما يقدر الزورق يحمل أكثر من هذا وأمر بحمله الى دار جعفر هكذا كانت همم الاكابر وسئل بعض الحكماء من أسوأ الناس حالا فقال من كان أكثرهم همة وأكثرهم علما واقلهم فهما وأضيقهم حالا فقيل له فيمن ينبغي يتوصل ليخلص من نحوسة حظه وضائقة يده فقال بالملوك الاكابر وذوي الهمم العالية والنفوس الشريفة السامية كما قيل جاور بحرا او ملكا

(حكاية)

قال سعيد بن سالم الباهلي اشتدت بي الحال في زمن هارون الرشيد واجتمع علي ديون اعجز في قضائها وعسر علي اداؤها

يعلم خصائصه وفضائله ويرى الامور والاعمال والولايات في ايدي من ليسوا اهلا لها ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين يدي جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والفضائل أن يذكر بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك من شره ومن هذا قال بعض أصحاب الشافعي اذا كان القضاء في يد من لا يصلح له وجب ان يخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقهاء الامصار على خلاف هذا الرأي ويحتمل ان يكون يوسف عليه السلام قد أوحي اليه بما يصير أمره اليه من الملك والعدل ونشر كلمة الاسلام فلهذا نبه على نفسه * ومن عجيب ما روي في هذا الباب ان لقمان الحكيم كان عبدا أسود حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين لامرأة من بني الحسحاس وكان جليسا لداود عليه السلام فأتاه جبريل عليه السلام بالنبوة من عند الله الذي يصطفي لنبوته من يشاء فقال لقمان يا جبريل ان أمرني ربي فسمع وطاعة وان خيرني اخترت الحكمة فرضي الله تعالى قوله فأعطاه الحكمة وصرف عنه الرسالة الى داود عليه السلام فكان داود يقول طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة وأوتي داود البلية * وروى انه جالس داود عليه السلام وداود يعمل الدروع فاقام حولا يبصر صنعة الدرع ولا يعلم ما يصلح له ولا يسأل عن ذلك فلما تم حول لبس داود الدرع وقال درع حصينة ليوم حرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله * وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا بعث عاملا اشترط عليه ان لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل النقي ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له اني لم أستعملك على أبشارهم ولا اعراضهم ولا اموالهم وانما أستعملك لتصلي بهم وتقضي بينهم بالعدل (وروى) عباية بن رفاعة قال بلغ عمر بن الخطاب ان سعد بن أبي وقاص اتخذ قصرا وجعل عليه بابا وقال انقطع الصويت فأرسل عمر محمد بن مسلمة وكان عمر اذا احب أن يؤتى بالامر كما هو عليه بعثه فقال له ائت سعدا فاحرق عليه بابه فقدم الكوفة فلما أتى الباب اخرج زنده واستورى نارا ثم احرق الباب فأتى سعدا الخبر ووصف له بصفته فعرفه فخرج اليه سعد فقال له محمد انه قد بلغ امير المؤمنين انك قلت انقطع الصويت فحلف سعد بالله ما قال ذلك فقال له محمد نفعل الذي امرنا به ونؤدي عنك ما تقول ثم ركب راحلته فلما كان ببطن البرية اصابه من الخمص والجوع ما الله به أعلم فأبصر غنما فأرسل غلامه بعمامته فقال اذهب فابتع منهم شاة فجاء الغلام بالشاة وهو يصلي فأراد ذبحها فأشار اليه ان كف فلما قضى صلاته قال انظر فان كانت مملوكة مسيتهم افاردد الشاة وخذ العمامة وان كانت حرة فاذبح الشاة فذهب فاذا هي مملوكة فرد الشاة وأخذ العمامة فأخذ بخطام ناقته فجعل لا يمر ببقلة الا خطفها حتى آواه الليل الى قوم فأتوه بخبز ولبن وقالوا لو كان عندنا شيء غير هذا أتيناك به فقال بسم الله كل حلال أذهب السغب خير من مأكل السوء حتى قدم المدينة فنزل بأهله فابترد من الماء ثم راح فلما أبصره عمر رضي الله عنه قال له لولا حسن الظن بك ما رأينا انك اديت وذكروا انه اسرع السير فقال قد فعلت وهو يعتذر ويحلف بالله ما قال فقال عمر هل آمر لك بشيء قال ما رأيت مكانا ان تأمر لي فقال عمر ان أرض العراق ارض رفيقة وان اهل المدينة يموتون حولي من الجوع فخشيت أن آمر لك بشيء يكون لك بارده ولي الحار * وروى زيد ابن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى فقال يا هني اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة والغنيمة واياك ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى زرع ونخل وان رب الصريمة والغنيمة ان تهلك ماشيتهما يأتيني ببنيه فيقول يا امير المؤمنين افتاركهم انا لا ابالك فالماء والكلا أيسر على من الذهب والورق وايم الله انهم ليرون اني قد ظلمتهم انها لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الاسلام والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا

فاحتشد بباب داري ارباب الديون وتزاحم المطالبون ولازمني الغرماء فضاقت حيلتي وزادت فكرتي فقصدت عبد الله ابن مالك الخزاعي والتمست منه ان يمدني برأيه ويرشدني الى باب الفرج فقال عبد الله لا يقدر احد على خلاصك من محنتك وهمك وضائقتك وغمك سوى البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال تكبرهم والصبر على تيههم وتجبرهم فقال تحتمل ذلك لمصلحة أحوالك فنهضت ومضيت الى الفضل وجعفر بن يحيى بن خالد وقصصت عليهما قصتي وأبديت لهما محنتي فقالوا أعانك الله واقام لك الكفاية فعدت الى عبد الله بن المبارك ضيق الصدر منقسم الفكر منكسر القلب واعدت عليه ما قالاه فقال يجب ان تكون اليوم عندنا لننظر ما يقدره الله تعالى فجلست عنده ساعة واذا بغلام قد أقبل وقال ببابنا بغال باحمالها ومعها رجل يقول أنا وكيل الفضل وجعفر فقال عبد الله ارجو ان يكون قد جاء الفرج ما الشأن فنهضت وأسرعت عدوا فرأيت ببابي رجلا ومعه رقعة فيها مكتوب انك لما عدت من عندنا مضيت الى الخليفة وعرفته ما قد اقتضيت بك الحال اليه فأمرني ان احمل اليك من بيت المال ألف ألف درهم فقلت له هذه الدراهم اصرفها الى غرمائي فمن اين يقيم

وثمانمائة ألف درهم لتصلح بها أحوالك

(حكاية) يقال انه كان لانوشروان نديم وكان في مجلس الشراب جام من ذهب مرصع بالجوهر فسرقه النديم ونظر اليه انوشروان ورآه وهو يخفيه فجاء الشرابي وطلب الجام فلم يجده فنادى يا أهل المجلس قد ضاع لنا جام من ذهب مرصع بالجوهر فلا يخرجن أحد حتى يرد الجام فقال أنوشروان للشرابي مكنهم من الخروج فان الذي سرق ما يعيده والذي رآه ما يغمز عليه وأين كان السخاء وعلو الهمة كانت الراحة والخيرة لكن من يكفر الاحسان ويجحد الامتنان لا أصل له ومن لا أصل له لا يقدر ان يستر نكره

(حكاية) يقال ان الرشيد استدعى صالحا في التاريخ الذي تغير على البرامكة فقال يا صالح سر الى منصور وقل له لنا عليك عشرة آلاف ألف درهم ونريد ان تحصلها في هذه الساعة وان لم يحصلها الى المغرب فجز رأسه عن بدنه وأتني به قال صالح فصرت الى منصور وعرفته ماذكره أي ماذكره الرشيد من سياسته فقال آه هلكت والله وحلف ان جميع أسبابه وأملاكه

(ومر) يوما ببناء يبني بحجارة وجص فقال لمن هذا فذكروا له انه لعامل من عماله على البحرين فقال أبت الدراهم أن لا تخرج اعناقها وقاسمه ماله (وكان) يقول لي على كل خائن أمينان الماء والطين ● وكان أنوشروان يكتب على عهد العمال سس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سفلة الناس بالاخافة (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام كما يصلح لهم مز للفرس والرسن للحمار كذلك يصلح القضيب لظهر الجهال ● وفي الامثال من لم يصلح باللين أصلح بالتليين ● وقال هلال بن سياف استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف رأيت الامارة أبا معبد قال خرجت يارسول الله وما أدرى أن لي فضلا على أحد من القوم فما رجعت الا وكأنهم عبيد لي قال وكذلك الامارة أبا معبد الا من وقاه الله شرها قال والذي بعثك بالحق لا أعمل على عمل ابدا (وقيل) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يمنعك أن تغشي العمل في الافاضل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال هم أجل من ان ادنسهم بالعمل ● وقال ابراهيم النخعي كان عمر اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يعرف من اهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه أن اقبل ● ومثل السلطان اذا ولي العمال الظالمين مثل من يسترعي غنمه الذئاب ومثل من يربط الكلب العقور ببابه وان العامة لتشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبد الملك بن مروان لانه استرعاه الرعية وقد قيل

ومن يربط الكلب العقور ببابه ● فعقر جميع الناس من رابط الكلب

وكان العلاء بن أيوب لما ولي فارس من قبل المأمون يكتب عهد العمال فيقرؤه على من يحضره من اهل ذلك العمل ويقول أنتم عيوني عليه فاستوفوه منه ومن تظلم الى منه فعلي انصافه ونفقته جائيا وراجعا ويأمر العمال أن يقرؤا عهده على اهل عمله في كل جمعة ويقول لهم هل استوفيتم

●(الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعات)●

روى أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شفع لاخيه شفاعة فاهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا والسر فيه أنك اذا قدرت على قضاء حاجة من عند السلطان الظالم أو اليد القاهرة صار ذلك واجبا عليك ● وروى البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له ابن اللتبية فلما جاء قال يارسول الله هذا لكم وهذا لي قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من اعمالنا فيقول هذا لكم وهذا لي افلا قعد في بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدى له ● قال مالك وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشاطر العمال فيأخذ نصف أموالهم وشاطر أبو هريرة وقال له من أين لك هذا المال فقال أبو هريرة دواب تناتجت وتجارات تداولت فقال انما الشطر وانما شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم ● وروى مالك عن ابن عمر انه اشترى هو وعبيد الله اخوه ابلا فبعثابها الى الحمى فرعت فقال عمر رعيتما في الحمى فشاطرهما وشاطر سعد بن ابي وقاص حين قدم من الكوفة كأنه رأى ان ما أصاب العامل من غير رشوة وان كان حلالا فلا يستحق ذلك لان له بالامرة قوة على أن ينال من الحلال ما لا يناله غيره فجعله كالمضارب للمسلمين ولما دفع أبو موسى الاشعري مالا من بيت المال لعبد الله وعبيد الله ابني عمر بن الخطاب بالبصرة اشتريا منه بضاعة فربحت بالمدينة فاراد عمر ان يأخذ جميع الربح فراجعه عبيد الله فحكم بينهم بنصف الربح فاخذا جميعا نصف الربح وأخذ عمر النصف لبيت المال (وكتب) عمر بن عبد العزيز الى عماله اما بعد فانما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشترى وبسطهم الباطل حتى يفتدى الملك

بالدين يقوى والدين بالملك يبقى (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر اذا قدم عليه العمال ان يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلا كى لا يحجبوا شيأ من الاموال * وقال عتاب بن أسيد والله ما أصبت فى عملى الذى ولانى النبى صلى الله عليه وسلم الا ثوبين معقدين كسوتهما مولاى كيسان * وروى ان عليا رضى الله عنه استعمل أبا مسعود الانصارى على السواد فرجع الى داره وقد امتلأت فقال ما هؤلاء فقالوا كذلك يصنعون بالرجل اذا استعمل قال كل هؤلاء يريدون أن يأكلوا فى أمانتى ويروى فى امارتى فرجع الى على وقال لا حاجة لى فى العمل وقد ذكرنا ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال يا رسول الله اختر لى قال اقعد فى بيتك * وفى الامثال ان الهدية تعمى وتصم وقال بعض الحكماء الرشوة رشاء الحاجة وانشد بعضهم

اذا أتت الهدية دار قوم * تطايرت الامانة من كواها

(ولبعضهم)

ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوبا
تدنى البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا
وتردمضطغن العدا * وة بعد جفوته حبيبا

(ومما قلته فى الرشوة)

واكرم من يدق الباب شخص * ثقيل الحمل مشغول اليدين
ينوء اذا مشى نفسا ونفشا * وينطح بابه بالركبتين
واكرم شافع يمشى عليها * أبو المنقوش فوق الصفحتين

(وقلت أيضا)

اذا كنت فى حاجة مرسلا * وأنت بانجازها مغرم
فأرسل باكمه خلابة * به صمم اغطش أبكم
ودع عنك كل رسول سوى * رسول يقال له الدرهم

(وكتب) عبد الملك بن مروان الى قاضيه الحرث بن عامر وقد ارتشى بكرمه

اذا رشوة من باب بيت تقحمت * لتسكن فيه والامانة فيه
سعت هربا منه وولت كأنها * حليم تولى عن جواب سفيه

(الباب الخامس والخمسون فى معرفة حسن الخلق)

اعلموا ارشدكم الله تعالى ان هذا الباب مما غلط الخلق فيه وقلبوا القوس ركوة فعمدوا الى أخلاق العامة وخلائق الغوغاء والادنياء وما يجرى بينهم اذا تلاقوا وتعاشروا من الافراط فى مدح بعضهم بعضا وتعاطيهم الكذب والتصنع والملق والمرآة والمعاريض عن الامور المكنونة التى يسوءه اظهارها والانخراط فى سلك المزاح والمهاترة فهذا وما أشبهه عندهم من حسن الخلق وهو عندنا نقيض ما نص الله عليه ورسوله من حسن الخلق فأول ذلك ان تعلم انه لم تحتو الارض على بشر أحسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم فكل من تخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قاربها أو بعضها كان أحسن الناس خلقا وكل خلق ليس بعد من أخلاقه صلى الله عليه وسلم فليس من حسن الخلق وهذا فصل الخطاب فى هذا الباب لمن عقل وانما أوتى الناس فى هذا الباب لانهم استحسنوا الاخلاق العامية واستخشنوا الاخلاق النبوية لجهلهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم وها أنا أتلو عليك من أخلاق الانبياء والمرسلين والاولياء والاصفياء والعلماء والصالحين ما نرجو أن ينفعنا الله واياك به قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله نبيه من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من

لا تزيد فيه منها على مائة الف درهم فمن أين اقدر على تحصيل عشرة آلاف الف درهم قال صالح فقلت له دبر حيلة فى أمرك فانى لا اقدر ان امهل ولا احابى فيما أمرنى به فقال العفو يا صالح امض بى الى بيتى لاودع أهلى واولادى وصبيتى واوصى اقاربى فمضيت معه فجعل منصور يودع أهله وارتفع فى منزله البكاء والصراخ والاستغاثة قال صالح فقلت له ربما كان لك فرج على أيدى البرامكة فامض بنا الى يحيى بن خالد قال فاتينا يحيى بن خالد ومنصور يبكى ويصرخ فعلم يحيى حاله وفهم ما ناله فاغتم له وأطرق الى الارض ساكتا زمانا ثم رفع رأسه الى خازنه وقال كم فى خزانتنا من الدراهم فقال خمسمائة الف ألف درهم فأمر باحضارها وأنفذ قاصدا الى الفضل ولده وقال له قل له انه قد عرض على البيع ضياعا جليلة لا تخرج أبدا فانفذ لنا شيأ من الدراهم فانفذ الفى الف درهم وانفذ انسانا آخر الى جعفر وقال له قل له قد اتفق لنا شغل ونحتاج الى شئ من الدراهم فانفذ جعفر الفى الف درهم فقال له يحيى قد صح تسعة آلاف درهم فقال له منصور يا مولاى قد تمسكت بذيلك وما أعرف هذا المال الا من نعامك فتمم لى بقية دينى فاطرق يحيى وبكى وقال يا غلام ان امير المؤمنين كان قد وهب جاريتنا دنانير جوهرة عظيمة القيمة فامض

فضى الغلام اليها فاعطته الجوهرة وحملتها اليه فقال يحيى يا صالح انا بعثت هذه الجوهرة اليها وقل تنفذ لى ثلث الجوهرة

الحياء والكرم والصفح وحسن العهد عالم يؤته غيره ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشئ من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال وانك لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ ان الله سبحانه دعا الخلق الى حسن الخلق ودعا نبيه عليه السلام من حسن الخلق (قال عبيد الله بن عمير) قلت لعائشة أم المؤمنين صفى لى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لى أما تقرأ القرآن كان خلقه القرآن وحسبك بهذا القول منقبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتعريفا لك بحسن الخلق فاذا كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فالقرآن يجمع كل فضيلة ويحث عليها وينهى عن كل نقيصة ورذيلة ويوضحها ويبينها ولذلك لما انزل الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال ان الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك فهذا من حسن الخلق كما ترى فانظر اين اخلاق العامة من هذا النمط وان احدهم يقطع من وصله ويحرم من اعطاه ويظلم من سالمه ويغضب على من اتهمه وانما اقتصر على هذه الكلمات لانها أصول الفضائل وينبوع المناقب لان فى اخذ العفو صلة القاطع والصفح عن الظالم واعطاء المانع وفى الامر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفى تقوى الله يدخل جميع آداب الشرع فرضها ونفلها وفى الاعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وفتوة النفس عن مماراة السفيه ومجاراة اللحوح فهذه الاصول الثلاث تتضمن محاسن الشرع نصا وتنبيها وضمنا واعتبارا (وروى) أنس قيل يا رسول الله اى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا (وروى) ابو داود فى السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق اقتضى الحديث ان كل نبي مبعوث الى أمة انما بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق فاذن حسن الخلق امتثال الشرائع باسرها (وروى) البخارى عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال وان من أحبكم الى احسنكم أخلاقا * وكان النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره وعليه رداء نجرانى غليظ الحاشية فجبذه اعرابى جبذة شديدة حتى اثرت حاشية الرداء فى عنقه وقال يا محمد مر لى من مال الله الذى آتاك فلست تأمر لى بمالك ولا بمال أبيك فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال مروا له ولم يكلمه بشئ (وروى) معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل * واعلموا أن الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه يظهر جواهر الرجال والانسان مستور بخلقه مشهور بخلقه ألا ترى ان الله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بما خصه به من الفضائل ثم لم يثن عليه بشئ من خصاله بمثل ما أثنى عليه بخلقه * وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال لا تخاصم ولا تخاصم من شدة معرفتك بالله تعالى وقيل لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد معرفتك بالحق وقال المحاسبى كظم الغيظ واظهار الطلاقة والبشر الا المبتدع أو فاجر الا أن يكون فاجرا اذا انبسطت استحيا والعفو عن الزالين الا بادب أو اقامة حد وكف الاذى عن كل مسلم ومعاهد الا لتغيير منكر أو أخذ مظلمة لمظلوم فهذا حسن الخلق وقيل حسن الخلق أن لا تتغير ممن يقف فى الصف بجنبك (وقيل) للاحنف ممن تعلمت حسن الخلق قال من قيس بن عاصم المنقرى قال بينما هو ذات يوم جالس فى داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى * وكان ابن عمر اذا رأى واحدا من عبيده يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرآة له فكان يعتقهم فقيل له فى ذلك فقال من خدعنا فى الله انخدعنا له * وقال الفضيل لو ان امرأ أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة وأساء اليها لم يكن من المحسنين (وكان المحاسبى

لامير المؤمنين من التجار بمائتى ألف دينار ووهبها أمير المؤمنين لدنانير العوادة واذا رآها عرفها وقد تم الآن مال مصادرة منصور فقل لامير المؤمنين ليهب لى منصورا وقال صالح فحملت المال والجوهرة الى الرشيد فبينا نحن فى الطريق أنا ومنصور وسمعته يتمثل ببيت من الشعر فتعجبت من رداءته وفساده وخبث أصله وميلاده والبيت

وما ابتعثني طوعا ولكن
رأيتك خفت من ضرب النبال

وقال صالح فرددت عليه وقلت له ليس على وجه الارض خير من البرامكة ولا أشأم منك فانهم اشتروك وانقذوك من الهلاك ومنوا عليك بالفكاك ولم تشكرهم وتحمدهم وتفعل فعل الاحرار وقابلت بالغيب ما قلت ثم مضيت الى الرشيد وقصصت عليه ما جرى فتعجب الرشيد من سخاوة يحيى ومروءته وقال شئ قد وهبناه لا نعود فيه وعاد صالح الى يحيى بن خالد وذكر له قصة منصور وسوء فعله فقال يحيى اذا كان الانسان مقلا ضيق الصدر مشغول الفكر رضا [illegible] بما قاله بقوله فليس ذلك من قلبه وجعل يتطلب العذر

يقول

يقول فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الامانة وحسن الاخاء مع الوفاء وقال الحسن بن على رضوان الله عليه عنوان الشرف حسن الخلق * وكان عبد الله بن محمد الرازى يقول حسن الخلق استصغار ما منك واستعظام ما اليك (وقال سهل) حسن الخلق أن لا تطمع فيما ليس لك وليس بهذه الصفة احد الا الله تعالى * وقيل حسن الخلق تحمل أثقال الخلق * وقال شاه الكرمانى علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المؤن وقيل حسن الخلق أن تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة (وقالت امرأة) لمالك بن دينار يا مرائى فقال يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (وروى) ان أبا عثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة فالقى عليه من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم فى الملقى فقال أبو عثمان لا تقولوا شيأ من استحق أن يصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز ان يغضب * وقيل لابراهيم بن أدهم هل فرحت فى الدنيا قط قال نعم مرتين احداهما كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال على والثانية كنت جالسا فجاء انسان فصفعنى (وكان أويس القرنى) اذا رآه الصبيان رموه بالحجارة وكان يقول ان كان لا بد فارمونى بالحجارة الصغار كى لا تدموا لى ساقى فتمنعونى الصلاة (وروى) أن عليا رضى الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت قال امض فانت حر لوجه الله وهذا كما ترى قوة الهيبة يفرغها الله على المصطفين من عباده وأهل الصفوة من أوليائه ألا ترى الى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فجرده عن حقائق البشرية وألبسه من نعوت الربوبية حتى قواه على صحبتهم وصبره على تبليغ الرسالة اليهم مع الذى كان يقاسيه من أخلاقهم مع كونه مستغرقا باستيلاء الحق تعالى عليه يختص برحمته من يشاء * وقال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وانما سمى بالآدمى لانه تألف من الجواهر والالوان (وقال عليه السلام) لرجلين متباغضين آدم الله بينكما اى ألف بينكما ومنه سمى الادم المأكول لانه يؤلف الطعام ويحسنه ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لرجل أراد ان يتزوج امرأة انظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينكما اى يؤلف بينكما وروى ان معروفا الكرخى نزل الدجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها معروف وقال يا أختى انا معروف لا بأس عليك ألك ابن يقرأ قالت لا قال فزوج قالت لا قال فهاتى المصحف وخذى الثوب (وروى) ان أبا ذر كان على حوض يسقى ابله فاسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع فقيل له فى ذلك فقال ان النبى صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا غضب الرجل ان يجلس فان ذهب عنه والا فليضطجع (وقال على بن ابى طالب) رضى الله عنه انا لنصافح أكفا نرى قطعها * وقال أبو ذر انا لنكشر فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم وقال الحرث بن قيس يعجبنى من القراء كل طليق مضحاك فأما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا أكثر الله فى المسلمين مثله * وقال عروة بن الزبير مكتوب فى الحكمة بنى لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك طلقا ولتكن أحب الى الناس ممن يعطيهم العطاء ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم (وروى) ان ابراهيم بن أدهم خرج الى بعض البرارى فاستقبله جندى فقال له أين العمران فأشار الى المقبرة فضرب رأسه وأوضحه فلما جاوزه قيل له هذا ابراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاءه يعتذر اليه فقال انك لما ضربتنى

المنصور فبكى صالح وقال لا يعود الفلك الدائر يخرج الى الوجود رجل امثالك لا أخرج قبلك فوا أسفا كيف يتوارى رجل له خلق مثل خلقك تحت التراب

* (حكاية) *

يقال انه كان بين خالد بن يحيى البرمكى وبين عبد الله ابن مالك الخزاعى عداوة فى السر ما كانا يظهرانها وكان سبب العداوة بينهما ان هارون الرشيد كان يحب عبد الله الى أبعد غاية بحيث كان يحيى بن خالد واولاده يقولون ان عبد الله يسحر أمير المؤمنين حتى مضى على ذلك زمان والحقد فى قلوبهما فولى الرشيد امارة أرمينية لعبد الله ابن الخزاعى وسيره اليها ثم ان رجلا من اهل العراق كان له ادب وذكاء وفطنة فضاق ما بيده وفنى ماله فزور كتابا عن يحيى بن خالد الى عبد الله بن مالك الى أرمنية وسافر به الى عبد الله فحين وصل الى باب داره سلم الكتاب الى بعض حجابه فأخذ الحاجب الكتاب وسلمه الى عبد الله ففضه وقرأه وتدبره فعلم انه مزور فحين دخل الرجل وسلم ودعا له قال عبد الله احتملت بعد الشقة وثقل المشقة وجئتنا بكتاب مزور ولكن طب نفسا فاننا لا نخيب سعيك فقال الرجل أطال الله بقاء الامير ان كان قد ثقل عليك وصولى فلا تحتج فى منعى

(وروى) عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى اهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر امير المؤمنين من نصارى مدينة كذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث في مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان مختطا منها في خطط المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمارة وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوي في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع احدا من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان اراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب بالسروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وان نشد الزنانير على اوساطنا ولا نظهر صلباننا وكتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع اصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج شعانيننا ولا باعوثنا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم (فلما اتيت) عمر رضي الله عنه بالكتاب زاد فيه ولا نضرب احدا من المسلمين شرطنا ذلك على انفسنا واهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا ما يحل من اهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان أمض ما سألوه والحق فيه حرفين اشترطهما عليهم مع ما شرطوا على انفسهم ان لا يشتروا شيأ من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده (وروى) نافع عن سالم مولى عمر بن الخطاب ان عمر كتب الى اهل الشام في النصارى ان يقطع ركبهم وان يركبوا على الاكف وان يركبوا في شق وان يلبسوا خلاف زي المسلمين ليعرفوا (وروى) ان بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا امير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الي حجاما ففعلوا فجز نواصيهم وشق من ارديتهم حزما يحتزمون بها وأمرهم ان لا يركبوا السروج ويركبوا الاكف من شق واحد (وروى) ان امير المؤمنين المتوكل اقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم واذلهم واقصاهم وخالف بين زيهم وزي المسلمين وجعل على ابوابهم مثالا للشياطين لانهم أهل ذلك وقرب منه اهل الحق وباعد عنه اهل الباطل والاهواء فاحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه مادامت الدنيا (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا في دينهم ولا تحل في دين الله الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب ابا موسى الاشعري من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو في المسجد فاستأذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت ذميا على المسلمين اما سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الا اتخذت حنيفا فقال يا امير المؤمنين لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم اذا اهانهم الله ولا اعزهم اذا اذلهم الله ولا ادنيهم اذا اقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان العدد قد كثر وان الجزية قد كثرت فنستعين بالاعاجم فكتب اليه عمر انهم اعداء الله وانهم لنا غششة فانزلوهم حيث انزلهم الله ولا تردوا اليهم شيأ وقال عمران بن أسد أتانا كتاب عمر بن

يعرفون قدر أنفسهم فيعزونها ولا يعرف أحد قدر أحد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه واعزاز المرء نفسه ان لا يختلط بالاراذل ولا يشرع في عمل ما لا يجوز له ان يعمله ولا يقول ما يعاب به والهمة والانفة للملوك لان الله تعالى ركب فيهم هذه الخصلة وكل ملك لم يكن له هذه الخصلة يتعلمها من الوزراء والندماء كما جاء في الحكاية

(حكاية)

أمر أبو الدوانيق لرجل بخمسمائة درهم فقال ابن الخصيب لا يجوز للملك ان يعرف ما دون الالف من العدد وكان هارون الرشيد يوما راكبا في موكبه فسقط فرس رجل من عسكره فقال الرشيد ليعطى خمسمائة درهم فاشار يحيى اليه بعينه وقال هذا خطأ فلما نزل قال هارون أي خطأ بدا مني حتى أشرت الي بعينك فقال لا يجوز ان يجري على أحد من الملوك أقل من الالف فقال الرشيد فان اتفق أمر لا يجوز ان يعطى فيه أكثر من خمسمائة مثل هذا كيف يقال فقال له قل يعطى فرسا فيوصل اليه فرس على جاري الرسم وتكون قد نزهت نفسك وهمتك عن ذكر الحقير ولهذا السبب خلع المأمون

عبد

عبد العزيز الى محمد بن المنتشر أما بعد فانه بلغني ان في عمالك رجلا يقال له حسان بن يزدى على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا أتاك كتابي هذا فادع حسان الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه وان ابى فلا تستعن به ولا تأخذ من غير اهل الاسلام على شيء من اعمال المسلمين فقرأ الكتاب عليه فأسلم (ولما) خرج النبي عليه السلام الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال انى اردت ان اتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب النبي عليه السلام وكانت له قوة وجلد فقال جئتك لاتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له مثل ذلك قال تؤمن بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا أصل عظيم في أن لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي عليه السلام ويراق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تولوا على اعمالنا الا اهل القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير

(فصل) ومتى نقض الذمي العهد بعد التقنه لشيء من الشروط المأخوذة عليه لم يرد الى مأمنه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال اصحاب الشافعي ويلزمهم ان يتميزوا عن المسلمين في اللباس وان لبسوا قلانس ميزوها عن قلانس المسلمين بالخرق ويشدون الزنانير في اوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من رصاص او نحاس او جرس يدخل معهم الحمام وليس لهم ان يلبسوا العمائم والطيلسان واما المرأة فتشد الزنار تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام ويكون احد خفيها اسود والآخر ابيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحمير بالاكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدؤن بالسلام ويلجؤن الى اضيق الطريق ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يمنعون وان تملكوا دارا عالية اقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والانجيل ويمنعون من المقام في الحجاز وهي مكة والمدينة واليمامة ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب اسماءهم وحلاهم ويستوفي جميع ما يؤخذون به من جميع الشروط وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام احكام الملة انتقض عهدهم وان زنى احدهم بمسلمة او اصابها بنكاح أو آوى عينا للكفار او دل على عورة للمسلمين او فتن مسلما عن دينه او قتله او قطع عليه الطريق او ذكر الله ورسوله بما لا يجوز قيل ينتقض وان فعل ما يمنع منه مما لا ضرر فيه كترك الغيار واظهار الخمر وما اشبههما عزر عليه ومتى فعل ما يوجب نقض العهد رد الى مأمنه في احد القولين وقتل في الحين في القول الآخر

(فصل) في تقدير الجزية اختلاف بين العلماء فقيل انها مقدرة لا اقل ولا اكثر على ما كتب به عمر الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوقع على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى من دونه اربعة وعشرون درهما وعلى من دونه اثنا عشر درهما وهذا مذهب ابي حنيفة وابن حنبل واحد قولي الشافعي وجعلوه كأنه حكم امام فلا ينقض وقيل انها مردودة الى الامام في الزيادة والنقصان وهو الاقيس وقيل انها مقدرة الاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد على ما قدره عمر ولا يجوز ان ينقص عنه وقال بعضهم يجوز ان يساوي بينهم من كل واحد دينار وقال مالك يؤخذ من الموسر اربعون درهما ومن الفقير دينار وعشرة دراهم ويتخرج على مذهب مالك في وجوب تقدير طرفيها قولان بناء على العشر المأخوذ منه هل هو تقدير شرعي لا تجوز فيه الزيادة والنقصان وعن مالك فيه روايتان ولا جزية

ولده العباس من ولاية عهده وذلك ان المأمون اجتاز بباب حجرة العباس فسمعه يقول لغلامه يا غلام قد رأيت في الرصافة نقلا حسنا وقد اشتهيت منه فخذ نصف درهم وصر الى الرصافة فائتني بشيء منه فناداه المأمون وقال من الآن قد علمت ان للدرهم نصفا اذهب فانت لا تصلح للولاية وترتيب الملك ولا يأتي منك صلاح ولا فلاح

(حكمة)

يقال ان في وصية نامى أردشير انه قال اذا اردت ان تهب لاحد من اولادك شيأ فاجتهد ان لا يكون عطاؤك اقل من دخل ولاية او قرية او قيمة بلد او رستاق ليستغني الشخص الذي تهبه وتزول حاجته وتستغني اعقابه بك واولادهم ما عاشوا فيحصل بذلك في حساب الاحياء لا في حساب الاموات واجتهد انك لا ترغب في التجارة بوجه من الوجوه فان ذلك يدل على تداني همة الملك

(حكمة)

يقال انه كان للملك هرمز بن سابور وزير فكتب اليه كتابا يذكر فيه انه وصل من جانب البحر تجار معهم لؤلؤ وياقوت وجواهر نفيسة القيمة واني ابتعت منهم برسم الخزانة بمبلغ مائة ألف دينار والآن قد حضر فلان التاجر وهو يطلب الجواهر بربح كثير فان رغب الملك فليرسم بما يراه فكتب هرمز جوابه مائة

على النساء والمماليك والصبيان والمجانين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك اما بعد فان اهل الكوفة قد اصابهم بلاء وشدة وجور من العمال وسنن سيئة سنها عليهم عمال السوء فاحرز عليهم ارضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ولا تأخذ من الخراب الا ما يطيقون ولا من العامر الا وظيفة الخراج الاوزن سبعة ليس لها اس ولا اجور الضرابين ولا اداة الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن المصحف ولا اجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على من اسلم من اهل الارض والواجب ان يؤخذ ما ضرب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو من كل جريب كرم عشرة دراهم ومن كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة اربعة دراهم ومن كل جريب شعير درهمان

(فصل) وأما الكنائس فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع أن تحدث كنيسة وأمر أن لا تظهر علية خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة أن تهدم الكنائس التي في الامصار القديمة والحديثة ويمنع أهل الذمة من بناء ما خرب قال الاصطخري ان طينوا ظاهر الحائط منعوا وان طينوا داخله الذي يليهم لم يمنعوا ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز

(الباب الثاني والخمسون في بيان الصفات المعتبرة في الولاة)

اعلم ارشدك الله تعالى ان منزلة العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل فاجتهد جهدك في ابتغاء صالح العمال واذا افتقد الوالي عمال الصدق كان كفقد المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج الى طبقات الرجال كما يحتاج الحرب الى اصناف العدة فمنها الدرق للاستجنان والسيف للمناجزة والرمح للطاعنة والسهم للمباعدة والدرع للتحصن ولكل منها موضع ليس للآخر والرجال للملك كالاداة للصانع لا يسد بعضها مسد بعض كذلك طبقات الرجال للملك منهم للرأي والمشورة ومنهم لادارة الحرب ومنهم لمباشرة الحرب ومنهم لجمع الاموال ومنهم لحفظها ومنهم للحماية ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للمباهاة والذكر ومنهم للدعاء والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ أساس الملة فلا يكمل للملك ملك مالم يجمع هذه الطبقات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما مات كسرى بلغ موته رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته بوران قال لن يفلح قوم اسندوا أمرهم الى امرأة وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرة قيل من استعمل القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قريش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار قال أميران هلك والله القوم وليس يشترط الا في الامامة العظمى دون سائر الولايات (ولما) استحضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وكان من الخطباء قال له هشام بلغني انك تخطب الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة قال زيد فقد كان اسمعيل بن ابراهيم ابن امة واسحق ابن حرة ومحمد عليه السلام من ولد اسمعيل ثم اتهمه في أمر فقال له زيد أنا أحلف لك قال هشام ومن يصدقك قال زيد انه ليس أحد فوق ان يأمر بتقوى الله ولا احد دون ان يؤمر بتقوى الله وقال بعض الخلفاء دلوني على رجل استعمله على امر قد اهمني قالوا وكيف تريده قال اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كانه أميرهم واذا كان في القوم وهو أميرهم كان كانه رجل منهم قالوا ما نعلمه الا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هو لها ويروى ان عمر بن عبد العزيز استشار في قوم يستعملهم فقال له بعض اصحابه عليك بأهل العدل قال ومن هم قال الذين ان عدلوا فهو ما رجوت وان

الف ومائة الف مثلها وامثالها ليس لها في اعيننا خطر لنرغب فيها واذا علمنا انها تلحق التجارة فمن يعمل السلطنة فانظر أيها الجاهل لنفسك لا تعد الى مثل هذا الكلام ولا تخلط في أموالنا درهما واحدا ولا دانقا فردا من أرباح التجارات فان ذلك يسقط قيمة الملك ويزري بحسن اسمه ويقود بقبح قاعدته ورسمه ويضر بصيته في حال حياته وبعد وفاته

(حكاية) حكي ان الامير عمارة بن حمزة كان في بعض الايام جالسا في مجلس الخليفة المنصور أبي الدوانيق وكان يوم نظره في المظالم فنهض رجل على قدميه وقال يا أمير المؤمنين أنا مظلوم فقال من ظلمك فقال عمارة بن حمزة اغتصب ضياعي وابتز املاكي وعقاري فامر المنصور ان يقوم من موضعه ويساوي خصمه للمحاكمة فقال عمارة بن حمزة يا امير المؤمنين ان كانت الضياع له فما أعارضه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له ومالي حاجة في محاكمته ومماثلته ولا أبيع مكاني الذي أكرمني به أمير المؤمنين بضياع فتعجبت الاكابر الحاضرون من علو همته وشرف نفسه ومروءته الهمة والتهمة على شكل واحد وكل إنسان له منها نصيب فواحد بالسخاء واطعام الطعام وآخر بالعلم وآخر بالعبادة والقناعة والزهادة

قصر واقال الناس اجتهد عمر (ولما) قدم البريد من بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان سأله عن بشر قال يا امير المؤمنين هو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف فقال عبد الملك ذاك الاعسر الاجود الذي كان يأمن عنده البريء ويخاف لديه السقيم ويعاقب على قدر الذنب ويعرف موضع العفو الشديد في غير ضعف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال الحكيم اعتبر الرجال بأفعالهم لا بعظم اجسامهم فان النسر مع عظمه لا يأكل الا ميتا وطير الماء مع ضعفه يتحامى ميت السمك ويأكل الحي منها (وفي) حكم الهند السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه واطرحه مخافة ضره كالملسوع يقطع اصبعه لئلا ينتشر السم في جسمه وربما ابغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقريبه لغناء يجده عنده كتكاره المرء على الدواء البشع لنفعه الا ان للاسلام شروطا فلا تستقيم هذه السيرة عليها ألا ترى ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما افضت الخلافة اليه كان معاوية واليا على الشام من قبل عمر ثم عثمان فاستشار في أمره فقال له بعضهم اقره على امرته وارسل اليه بعهده فاذا دخل في بيعتك فاعزله فقال له ويحك الله أتأمرني ان اطلب العدل بالجور ثم عزله فكانه سبب عصيانه وهكذا أشاروا عليه فقالوا يا امير المؤمنين لو فضلت هؤلاء الاشراف ومن تخوف منهم وانما الناس اصحاب دنيا حتى اذا استوثق الامر عدت الى التسوية فقال أتأمروني ان اطلب العدل بالجور فيمن وليت عليه والله لو كان مالي لسويت بينهم ولم افضل بعضهم على بعض فكيف والمال لهم واعطاء المال في غير حقه تبذير وسرف وهو يرفع ذكر صاحبه في الدنيا ويضعه عند الله في الآخرة وان يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير اهله الا حرمه الله تعالى شكرهم ويصير لغيره ودهم فان بقي معه منهم من يظهر له الود والشكر فذلك ملق وخديعة لينال منه فان زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونته ومكافأته ما سلف من مبرته فشر خليل وألأم خدين واياك ايها الوالي وحب المدح فان من احب المدح عدكمن مدح نفسه واذا علم ذلك منك جعله الناس سلما لقضاء حوائجهم منك فحينئذ يكون قضاء الحوائج لمسألتهم لا لهم وقال النبي عليه السلام احثوا في وجوه المداحين التراب وسمع المقداد رجلا يمدح عثمان بن عفان فأخذ كفا من تراب فألقاه في وجهه وسمع النبي عليه السلام رجلا يمدح رجلا فقال قطعت ظهر اخيك لو سمعها ما افلح بعدها ووصف اعرابي اميرا فقال كان اذا ولي لم يطابق بين جفونه وارسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد معهم فالمحسن راج والمسيء خائف وقال عبد الله بن الزبير يوما لا يبعدن ابن هند ان كانت فيه لمخارج ما نجدها في احد بعده ابدا والله ان كنا لنعرفه وما الليث الحرب على براثنه بأجرأ منه فيتفارق لنا وان كنا لنخدعه وما ابن ليلة من الارض بأدهى منه والله لوددت انا متعنا به ما دام في هذا الحجر واشار الى ان ابي قبيس لا يتخون له عقل ولا ينتقص له قوة وقال الصنابحي كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة كتابا في مثل اذن الفارة اما بعد فانه لا يقيم امر الله في الناس الا حصيف العقدة بعيد الغرة لا يطلع الناس منه على عورة ولا يحنق في الحق على الجرة ولا يخاف في الله لومة لائم (وقال) مالك جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسأله ان يكتب له كتابا في امر فقال اذهب الى منزلنا فائتني بدواة وقرطاس فذهب فلم يجد فقال اطلب عندهم شيأ فذهب فلم يجد عندهم الا اذن مزود فكتب له في تلك الاذن (ولما) ولى المأمون يحيى بن أكثم قضاء البصرة بعد ان استحسن عقله وعلمه وامتحنه بمسائل فوجده فوق ما يريد فتلقاه وجوه البصرة فرأوا شابا صبيا ما بقلت لحيته فتعجبوا ونظر بعضهم الى بعض يقلبون الاكف ويغمزون الحواجب فقال له بعضهم كم سن القاضي اصلحه الله قال مثل سن عتاب بن اسيد لما ولاه النبي عليه السلام مكة فهابوه لحدة جوابه وعرفوا فضله وكان لعتاب بن اسيد احدى وعشرون سنة لما ولي مكة وكان عمر يقول لا يصلح ان يلي امور الناس

وترك الدنيا وآخر بطلب العقبى وأما الهمة بالسخاء وبذل المال وابتداء النوال فينبغي ان يكون كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال ان يحيى بن خالد البرمكي خرج من الخلافة راكبا الى داره فرأى على باب الدار رجلا فلما اقترب منه يحيى نهض قائما وسلم عليه وقال له يا أبا علي الي ما في يديك وقد جعلت الله وسيلتي اليك فأمر يحيى ان يفرد له موضع في داره وان يحمل اليه في كل يوم ألف درهم وان يكون طعامه من خاص طعامه فبقي على ذلك شهرا كاملا فلما انقضى الشهر كان قد وصل اليه ثلاثون ألف درهم فأخذ الرجل الدراهم وانصرف فقيل ليحيى فقال والله لو أقام عندي مدة عمري وطول دهره لما منعته صلتي ولا قطعت عنه ضيافتي

(حكاية)

كان لجعفر بن موسى الهادي جارية عوادة تعرف بالبيدر الكبير لم يكن في زمانها أحسن منها وجها ولا احذق بصناعة الغناء وضرب الاوتار وكانت في غاية الكمال ونهاية الجمال فسمع بخبرها محمد بن زبيدة الامين والتمس من جعفر ان يبيعه اياها فقال له جعفر أنت تعلم انه لا يجيء من مثلي بيع الجواري والمساومة على السراري ولولا انها مربية داري لانفذتها اليك ولم أنفس بها

ملك ثم ان بعد ذلك بايام جاء محمد بن زبيدة الى داره فرتب له مجلس الشراب وأمر بيدذار ان تغنيه وتطرب فأخذ محمد في

الا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة شديد في غير عنف لين في غير ضعف جواد في غير سرف لا يخاف في الله لومة لائم وقال ايضا ينبغي ان يكون في الوالي من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل عصفور ويكون فيه من الرقة والحنو والرأفة والرحمة ما يجزع من قتل عصفور بغير حق (ويروى) ان الرشيد احضر رجلا ليوليه القضاء فقال له اني لا احسن القضاء ولا انا فقيه فقال له الرشيد فيك ثلاث خلال لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه وانت رجل تشاور في امرك ومن شاور كثر صوابه واما الفقه فنضم اليك من تتفقه به فولي فما وجدوا فيه مطعنا وقال اياس بن معاوية استحضرني عمر بن هبيرة فحضرت فساكتني فسكت فلما اطلت قال ايه قلت سل عما بدا لك قال اتقرأ القرآن قلت نعم قال فهل تفرض الفرائض قلت نعم قال فهل تعرف من ايام العرب شيأ قلت انا بها اعلم قال فهل تعرف من ايام العجم شيأ قلت انا بها اعلم قال اني اريد ان استعين بك قلت ان في ثلاثا لا اصلح معهن للعمل قال ماهن قلت أنا دميم كما ترى وأنا حديد وأنا عيي قال أما الدمامة فاني لا اريد أن أحاسن بك وأما العي فاني أراك تعرب عن نفسك وأما سوء الخلق فيقومك السوط فولاني وأعطاني ألف درهم فهو أول مال تمولته وقال سليمان ابن داود عليهما السلام ما ملاقاة ابوة سلبت أشبالها باصعب من لقاء جاهل راض عن نفسه

(الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال)

اعلم أرشدك الله انه يجب أن يولى على الاعمال أهل الجزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التولية للغناء لا للهوى وملاك الولايات وأساسها ان لا يولى الاعمال طالب لها ولا راغب فيها * روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الاشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجل فلما سلمنا عليه قال صاحبي يا رسول الله استعملني فقال عليه السلام انا لا نستعمل على عملنا من أراده فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت الذي في نفسه (وقد روي) عن بزرجمهر وقد قيل له ما بال ملك آل ساسان صار أمره الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال ولله در عمرو ابن العاصي حيث قال موت الف من العلية اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة * وقال العلاء بن ايوب غضب المأمون على بعض أصحابه غضبا شديدا ثم قال له لا أماتك الله أو يملك دولة السفل وقال رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل قد آذاه ادركتك امرة الصبيان وقال المستوغر الاكبر وكان قد عمر في الجاهلية ثلثمائة سنة

وماسقطت يوما من الدهر أمة * الى الذل الا أن يسود ذميمها
اذا ساد فينا بعد ذل لئيمنا * تصدى لنا ذل وقد أديمها
وما قادها للخير الا مجرب * عليم باقبال الامور كريمها
وما كل ذي لب يعاش بفضله * ولكن لتدبير الامور حكيمها

واعلموا ان معظم ما يدخل على الدول من الفساد من تقليد الاعمال اهل الحرص عليها لانه لا يخطبها الا لص في ثوب ناسك وذئب في مسلاخ عابد حريص على جمع الدنيا بذل دينه ومروءته دليل على الخيانة يتخذون عباد الله خولا وأموالهم دولا واذا اهتضمت حقوق المسلمين وأكلت أموالهم فسدت نياتهم وقلت طاعاتهم فانتقضت الامور ودب الفساد الى الممالك وقد ذكرنا في أول الكتاب الآثار في كراهية الولايات (وقال المأمون) ما فتق علي قط فتق في مملكتي الا وجدت سببه جور العمال (فان قيل) فما معنى قول يوسف عليه السلام للملك اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (قلنا) يوسف كان نبيا من أنبياء الله تعالى واثقا من نفسه بالكفاية والامانة بين يدي من لا يتحقق بواطن اسراره ولا

يعلم

الشراب والطرب ومال على جعفر بكثرة الشرب حتى سكر واخذ الجارية معه الى داره ولم يردها اليه بدا لهم من الغدر باستدعاء جعفر فلما حضر قدم بين يديه الشراب وأمر الجارية ان تغني من داخل الستارة فسمع جعفر غناءها فلم ينطق من شرف نفسه وهمته ولم يظهر تغيرا في محاضرته ثم أمر محمد الامين ذلك الزورق الذي ركب جعفر اليه بالدراهم فيقال انه وضع فيه الف بدرة وجاءتها مائة ألف ألف درهم حتى استغاث الملاحون وقالوا ما يقدر الزورق يحمل أكثر من هذا وأمر بحمله الى دار جعفر هكذا كانت همم الاكابر وسئل بعض الحكماء من أسوأ الناس حالا فقال من كان أكثرهم همة وأكثرهم علما وأغزرهم فهما وأضيقهم حالا فقيل له فيمن ينبغي يتوصل ليخلص من نحوسة حظه وضائقة يده فقال بالملوك الاكابر وذوي الهمم العالية والنفوس الشريفة السامية كما قيل جاور بحرا أو ملكا

(حكاية)

قال سعيد بن سالم الباهلي اشتدت بي الحال في زمن هارون الرشيد واجتمع علي ديون اعجزني قضاؤها وعسر علي أداؤها

يعلم خصائصه وفضائله ويرى الامور والاعمال والولايات فى ايدى من ليسوا أهلا لها ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين يدى جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والفضائل أن يذكر بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك من شره ومن هذا قال بعض أصحاب الشافعى اذا كان القضاء فى يد من لا يصلح له وجب ان يخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقهاء الامصار على خلاف هذا الرأى ويحتمل ان يكون يوسف عليه السلام قد أوحى اليه بما يصير أمره اليه من الملك والعدل ونشر كلمة الاسلام فلهذا انبه على نفسه * ومن عجيب ما يروى فى هذا الباب ان لقمان الحكيم كان عبدا أسود حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين لامرأة من بنى الحسحاس وكان جليسا لداود عليه السلام فأتاه جبريل عليه السلام بالنبوة من عند الله الذى يصطفى لنبوته من يشاء فقال لقمان يا جبريل ان أمرنى ربى فسمع وطاعة وان خيرنى اخترت الحكمة فرضى الله تعالى قوله فأعطاه الحكمة وصرف عنه الرسالة الى داود عليه السلام فكان داود يقول طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة وأوتى داود البلية * وروى انه جالس داود عليه السلام وداود يعمل الدروع فاقام حولا يبصر صنعة الدروع ولا يعلم ما يصلح له ولا يسأل عن ذلك فلما تم حول لبس داود الدرع وقال درع حصينة ليوم حرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله * وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا بعث عاملا اشترط عليه ان لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل النقى ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له انى لا أستعملك على أبشارهم ولا اعراضهم ولا اموالهم وانما أستعملك لتصلى بهم وتقضى بينهم بالعدل (وروى) عباية بن رفاعة قال بلغ عمر بن الخطاب ان سعد بن أبى وقاص اتخذ قصرا وجعل عليه بابا وقال انقطع الصويت فأرسل عمر محمد بن مسلمة وكان عمر اذا احب أن يؤتى بالامر كما هو عليه بعثه فقال له ائت سعدا فاحرق عليه بابه فقدم الكوفة فلما أتى الباب اخرج زنده واستورى نارا ثم احرق الباب فاتى سعدا الخبر ووصف له بصفته فعرفه فخرج اليه سعد فقال له محمد انه قد بلغ امير المؤمنين انك قلت انقطع الصويت فحلف سعد بالله ما قال ذلك فقال له محمد نفعل الذى امرنا به ونؤدى عنك ما تقول ثم ركب راحلته فلما كان ببطن البرية اصابه من الخمص والجوع ما الله به أعلم فأبصر غنما فأرسل غلامه بعمامته فقال اذهب فابتع منهم شاة فجاء الغلام بالشاة وهو يصلى فاراد ذبحها فاشار اليه ان كف فلما قضى صلاته قال انظر فان كانت مملوكة مسيمها فاردد الشاة وخذ العمامة وان كانت حرة فاذبح الشاة فذهب فاذا هى مملوكة فرد الشاة وأخذ العمامة فأخذ بخطام ناقته فجعل لا يمر ببقلة الا خطفها حتى آواه الليل الى قوم فأتوه بخبز ولبن وقالوا لو كان عندنا شئ غير هذا أتيناك به فقال بسم الله كل حلال أذهب السغب خير من ما كل السوء حتى قدم المدينة فنزل بأهله فابترد من الماء ثم راح فلما أبصره عمر رضى الله عنه قال له لولا حسن الظن بك ما رأينا انك اديت وذكروا انه اسرع السير فقال قد فعلت وهو يعتذر ويحلف بالله ما قال فقال عمر هل آمر لك بشئ قال ما رأيت مكانا أن تأمر لى فقال عمر ان أرض العراق ارض رفيقة وان اهل المدينة يموتون حولى من الجوع فخشيت أن آمر لك بشئ يكون لك بارده ولى الحار * وروى زيد ابن أسلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى فقال يا هنى اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة والغنيمة واياك ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى زرع ونخل وان رب الصريمة والغنيمة ان تهلك ماشيتهما يأتينى ببنيه فيقول يا امير المؤمنين افتاركهم انا لا ابالك فالماء والكلأ أيسر على من الذهب والورق وايم الله انهم ليرون انى قد ظلمتهم انها لبلادهم قاتلوا عليها فى الجاهلية وأسلموا عليها فى الاسلام والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا

ابن مالك الخزاعى والتمست منه ان يمدنى برأيه ويرشدنى الى باب الفرج فقال عبد الله لا يقدر احد على خلاصك من محنتك وهمك وضائقتك وغمك سوى البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال تكبرهم والصبر على تيههم وتجبرهم فقال تحتمل ذلك لمصلحة احوالك فنهضت ومضيت الى الفضل وجعفر بن يحيى بن خالد وقصصت عليهما قصتى وأبديت لهما محنتى فقالوا أعانك الله وأقام لك الكفاية فعدت الى عبد الله بن مالك ضيق الصدر منقسم الفكر منكسر القلب واعدت عليه ما قالاه فقال يجب ان تكون اليوم عندنا لننظر ما يقدره الله تعالى فجلست عنده ساعة واذا بغلام قد أقبل وقال ببابنا بغال بأحمالها ومعها رجل يقول أنا وكيل الفضل وجعفر فقال عبد الله ارجو ان يكون قد جاء الفرج ما الشأن فنهضت واسرعت عدوا فرأيت ببابى رجلا ومعه رقعة فيها مكتوب انك لما عدت من عندنا مضيت الى الخليفة وعرفته ما قد أفضيت بك الحال اليه فأمرنى ان أحمل اليك من بيت المال ألف ألف درهم فقلت له هذه الدراهم اصرفها الى غرمائى فمن أين يقـ

(ومر) يوما بفناء يبنى بحجارة وجص فقال لمن هذا فذكر واله انه لعامل من عماله على البحرين فقال أبت الدراهم أن لا تخرج أعناقها وقاسمه ماله (وكان) يقول لي على كل خائن أمينان الماء والطين
● وكان أنوشروان يكتب على عهد العمال سس خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرغبة بالرهبة وسس سفلة الناس بالاخافة (وقال) سليمان بن داود عليهما السلام كما يصلح المهمز للفرس والرسن للحمار كذلك يصلح القضيب لظهر الجهال ● وفي الامثال من لم يصلح باللين أصلح بالتليين ● وقال هلال بن سياف استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية فلما رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف رأيت الامارة أبا معبد قال خرجت يا رسول الله وما أدرى أن لي فضلا على أحد من القوم فما رجعت الا وكأنهم عبيد لي قال وكذلك الامارة أبا معبد الا من وقاه الله شرها قال والذي بعثك بالحق لا أعمل على عمل أبدا (وقيل) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يمنعك أن تولي العمل في الافاضل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال هم أجل من ان أدنسهم بالعمل ● وقال ابراهيم النخعي كان عمر اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعمن يعرف من اهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه أن اقبل
● ومثل السلطان اذا ولى العمال الظالمين مثل من يسترعي غنمه الذئاب ومثل من يربط الكلب العقور ببابه وان العامة لتشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبد الملك بن مروان لانه استرعاه الرعية وقد قيل

ومن يربط الكلب العقور ببابه ● فعقر جميع الناس من رابط الكلب

وكان العلاء بن أيوب لما ولي فارس من قبل المأمون يكتب عهد العمال فيقرؤه على من يحضره من اهل ذلك العمل ويقول أنتم عيوني عليه فاستوفوه منه ومن تظلم الى منه فعلي انصافه ونفقته جائيا وراجعا ويأمر العمال أن يقرؤا عهده على اهل عمله في كل جمعة ويقول لهم هل استوفيتم

● (الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعات) ●

روى أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شفع لاخيه شفاعة فاهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا والسر فيه أنك اذا قدرت على قضاء حاجة من عند السلطان الظالم أو اليد القاهرة صار ذلك واجبا عليك ● وروى البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له ابن اللتبية فلما جاء قال يا رسول الله هذا لكم وهذا لي قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من اعمالنا فيقول هذا لكم وهذا لي افلا قعد في بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدى له ● قال مالك وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشاطر العمال فيأخذ نصف أموالهم وشاطر أبو هريرة وقال له من أين لك هذا المال فقال أبو هريرة دواب تناتجت وتجارات تداولت فقال اد الشطر وانما شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم ● وروى مالك عن ابن عمر انه اشترى هو وعبيد الله اخوه ابلا فبعثاها الى الحمى فرعت فقال عمر رعيتما في الحمى فشاطرهما وشاطر سعد بن ابي وقاص حين قدم من الكوفة كأنه رأى ان ما أصاب العامل من غير رشوة وان كان حلالا فلا يستحق ذلك لان له بالامرة قوة على أن ينال من الحلال ما لا يناله غيره فجعله كالمضارب للمسلمين ولما دفع أبو موسى الاشعري مالا من بيت المال لعبد الله وعبيد الله ابني عمر بن الخطاب بالبصرة اشتريا منه بضاعة فربحت بالمدينة فاراد عمر ان يأخذ جميع الربح فراجعه عبيد الله فحكم بينهم بنصف الربح فاخذا جميعا نصف الربح وأخذ عمر النصف لبيت المال (وكتب) عمر بن عبد العزيز الى عماله اما بعد فانما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشترى وبسطهم الباطل حتى يفتدى الملك

وجوه نفقاته فأمر بثمانمائة ألف درهم أخرى وقد حملت الثمن مالي ألف ألف درهم أخرى فصارت الجملة ألفي ألف وثمانمائة ألف درهم لتصلح بها أحوالك

(حكاية)

يقال انه كان لانوشروان نديم وكان في مجلس الشراب جام من ذهب مرصع بالجوهر فسرقه النديم ونظر اليه أنوشروان ورآه وهو يخفيه فيداء الشرابي وطلب الجام فلم يجده فنادى يا أهل المجلس قد ضاع لنا جام من ذهب مرصع بالجوهر فلا يخرجن أحد حتى يرد الجام فقال أنوشروان للشرابي مكنهم من الخروج فان الذي سرق ما يعيده والذي رآه ما يغمز عليه وأين كان السخاء وعلو الهمة كانت الراحة والخيرة لكن من يكفر الاحسان ويجحد الامتنان لا أصل له ومن لا أصل له لا يقدر ان يستر نكره

(حكاية)

يقال ان الرشيد استدعى صالحا في التاريخ الذي تغير على البرامكة فقال يا صالح سر الى منصور وقل له لنا عليك عشرة آلاف ألف درهم ونريد ان تحصلها في هذه الساعة وان لم يحصلها الى المغرب فجز رأسه عن بدنه وأتني به قال صالح فصرت الى منصور وعرفته ما ذكره أي ما ذكره الرشيد من سياسته فقال آه هلكت والله وحلف ان جميع أسبابه وأملاكه

بالدين يقوى والدين بالملك يبقى (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه يامر اذا قدم عليه العمال ان يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلا كى لا يحجبوا شيأ من الاموال * وقال عتاب بن أسيد والله ما أصبت فى عملى الذى ولانى النبى صلى الله عليه وسلم الا ثوبين معقدين كسوتهما مولاى كيسان * وروى ان عليا رضى الله عنه استعمل أبا مسعود الانصارى على السواد فرجع الى داره وقد امتلات فقال ما هؤلاء قالوا كذلك يصنعون بالرجل اذا استعمل قال كل هؤلاء يريدون أن يأكلوا فى أمانتى ويروى فى امارتى فرجع الى على وقال لا حاجة لى فى العمل وقد ذكرنا ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال يا رسول الله اختر لى قال اقعد فى بيتك * وفى الامثال ان الهدية تعمى وتصم وقال بعض الحكماء الرشوة رشاء الحاجة وانشد بعضهم

اذا أتت الهدية دار قوم * تطايرت الامانة من كواها

(ولبعضهم)

ان الهدية حلوة * كالسحر تجتلب القلوبا
تدنى البعيد من الهوى * حتى تصيره قريبا
وترد مضطغن العدا * وة بعد جفوته حبيبا

(ومما قلته فى الرشوة)

وأكرم من يدق الباب شخص * ثقيل الحمل مشغول اليدين
ينوء اذا مشى نفسا ونفشا * ويقطع بابه بالركبتين
وأكرم شافع يمشى عليها * أبو المنقوش فوق الصفحتين

(وقلت أيضا)

اذا كنت فى حاجة مرسلا * وأنت بانجازها مغرم
فأرسل بأكمه خلابة * به صمم أغطش أبكم
ودع عنك كل رسول سوى * رسول يقال له الدرهم

(وكتب) عبد الملك بن مروان الى قاضيه الحرث بن عامر وقد ارتشى بكرمه

اذا رشوة من باب بيت تقحمت * لتسكن فيه والامانة فيه
سعت هربا منه وولت كانها * حليم تولى عن جواب سفيه

(الباب الخامس والخمسون فى معرفة حسن الخلق)

اعلموا ارشدكم الله تعالى ان هذا الباب مما غلط الخلق فيه وقلبوا القوس ركوة فعمدوا الى أخلاق العامة وخلائق الغوغاء والادنياء وما يجرى بينهم اذا تلاقوا وتعاشروا من الافراط فى مدح بعضهم بعضا وتعاطيهم الكذب والتصنع والملق والمراآة والمعاريض عن الامور المكنونة التى يسوء اظهارها والانخراط فى سلك المزاح والمهاترة فهذا وما أشبهه عندهم من حسن الخلق وهو عندنا نقيض ما نص الله عليه ورسوله من حسن الخلق فأول ذلك ان تعلم انه لم تحتو الارض على بشر أحسن خلقا من محمد صلى الله عليه وسلم فكل من تخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قارنها أو بعضها كان أحسن الناس خلقا وكل خلق ليس يعد من أخلاقه صلى الله عليه وسلم فليس من حسن الخلق وهذا فصل الخطاب فى هذا الباب لمن عقل وانما أوتى الناس فى هذا الباب لانهم استحسنوا الاخلاق العامية واستخشنوا الاخلاق النبوية لجهلهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم وها أنا أتلو عليك من أخلاق الانبياء والمرسلين والاولياء والاصفياء والعلماء والصالحين ما نرجو أن ينفعنا الله واياك به قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله نبيه من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من

لا تزيد قيمتها على مائة ألف درهم فمن أين اقدر على تحصيل عشرة آلاف ألف درهم قال صالح فقلت له دبر حيلة فى أمرك فانى لا اقدر ان أمهل ولا احابى فيما أمرنى به فقال العفو يا صالح امض بى الى بيتى لاودع أهلى واولادى وصبيتى واوصى اقاربى فمضيت معه فجعل منصور يودع أهله وارتفع فى منزله البكاء والصراخ والاستغاثة قال صالح فقلت له ربما كان لك فرج على أيدى البرامكة فامض بنا الى يحيى بن خالد قال فاتينا يحيى بن خالد ومنصور يبكى ويصرخ فعلم يحيى حاله وفهم ما ناله فاغتم له وأطرق الى الارض ساكتا زمانا ثم رفع رأسه الى خازنه وقال كم فى خزانتنا من الدراهم فقال خمسمائة ألف ألف درهم فامر باحضارها وأنفذ قاصدا الى الفضل ولده وقال له قل له انه قد عرض على البيع ضياعا جليلة لا تخرج ابدا فانفذ لنا شيأ من الدراهم فانفذ ألفى ألف درهم وانفذ انسانا آخر الى جعفر وقال له قل له قد اتفق لنا شغل ونحتاج الى شئ من الدراهم فانفذ جعفر ألفى ألف درهم فقال له يحيى قد صح تسعة آلاف درهم فقال له منصور يا مولاى قد تمسكت بذيلك وما أعرف هذا المال الا من تعلمك فتمم لى بقيته بدينى فاطرق يحيى وبكى وقال يا غلام ان امير المؤمنين كان قد وهب جارية لنا دنانير جوهرة عظيمة القيمة فامض

لامير المؤمنين من التجار بماتي ألف دينار ووهبها أمير المؤمنين لدنانير العوادة واذا رآها عرفها وقد تم الآن مال مصادرة منصور فقل لامير المؤمنين ليهب لي منصور وقال صالح فحملت المال والجوهرة الى الرشيد فبينا نحن في الطريق أنا ومنصور وسمعته يتمثل ببيت من الشعر فتعجبت من رداءته وفساده وخبث أصله وميلاده والبيت

وما ابتعتني طوعا ولكن رأيتك خفت من ضرب النبال

وقال صالح فرددت عليه وقلت له ليس على وجه الارض خير من البرامكة ولا أشر منك فانهم اشتروك وانقذوك من الهلاك ومنوا عليك بالفكاك ولم تشكرهم وتحمدهم وتفعل فعل الاحرار وقلت بالغيب ما قلت ثم مضيت الى الرشيد وقصصت عليه ماجرى فتعجب الرشيد من سخاوة يحيى ومروته وقال شيء قد وهبناه لا نعود فيه وعاد صالح الى يحيى بن خالد وذكر له قصة منصور وسوء فعله فقال يحيى اذا كان الانسان مقلا مضيق الصدر مشغول الفكر ضايقة اليد فهم ما قاله بقوله فليس ذلك من قلبه وجعل يتطلب العذر

الحياء والكرم والصفح وحسن العهد سالم يؤته غيره ثم ما أثنى الله تعالى عليه بشيء من فضائله بمثل ما أثنى عليه بحسن الخلق فقال وانك لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ ان الله سبحانه دعا الخلق الى حسن الخلق ودعا نبيه عليه السلام من حسن الخلق (قال عبيد الله بن عمير) قلت لعائشة أم المؤمنين صفي لي خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لي أما تقرأ القرآن كان خلقه القرآن وحسبك بهذا القول منقبة للرسول صلى الله عليه وسلم وتعريفا لك بحسن الخلق فاذا كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فالقرآن يجمع كل فضيلة ويحث عليها وينهى عن كل نقيصة ورذيلة ويوضحها ويبينها ولذلك لما انزل الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم ماهذا يا جبريل قال ان الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك فهذا من حسن الخلق كما ترى فانظر أين اخلاق العامة من هذا النمط وان احدهم يقطع من وصله ويحرم من اعطاه ويظلم من سالمه ويغضب على من اتهمه وانما اقتصر على هذه الكلمات لانها أصول الفضائل وينبوع المناقب لان في اخذ العفو صلة القاطع والصفح عن الظالم واعطاء المانع وفي الامر بالمعروف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفي تقوى الله يدخل جميع آداب الشرع فرضها ونفلها وفي الاعراض عن الجاهلين الصفح والحلم وقوة النفس عن مماراة السفيه ومجاراة العلوج فهذه الاصول الثلاث تتضمن محاسن الشرع نصا وتنبيها وضمنا واعتبارا (وروى) أنس قيل يا رسول الله اي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا (وروى) ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق اقتضى الحديث ان كل نبي مبعوث الى أمة انما بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق فاذن حسن الخلق امتثال الشرائع باسرها (وروى) البخاري عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال وان من أحبكم الي احسنكم أخلاقا * وكان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فجبذه اعرابي جبذة شديدة حتى اثرت حاشية الرداء في عنقه وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي آتاك فلست تأمر لي بمالك ولا بمال أبيك فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال مروا له ولم يكلمه بشيء (وروى) معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل * واعلموا أن الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه يظهر جواهر الرجال والانسان مستور بخلقه مشهور بخلقه ألا ترى ان الله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بما خصه به من الفضائل ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثنى عليه بخلقه * وقال بعض المفسرين في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال لا تخاصم ولا تخاصم من شدة معرفتك بالله تعالى وقيل لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد معرفتك بالحق وقال المحاسبي كظم الغيظ واظهار الطلاقة والبشر الا للمبتدع أو فاجر الا أن يكون فاجرا اذا انبسطت استحيا والعفو عن الزالين الا بادب أو اقامة حد وكف الاذى عن كل مسلم ومعاهد الا لتغيير منكر أو أخذ مظلمة لمظلوم فهذا حسن الخلق وقيل حسن الخلق أن لا تتغير ممن يقف في الصف بجنبك (وقيل) للاحنف ممن تعلمت حسن الخلق قال من قيس بن عاصم المنقري قال بينما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى * وكان ابن عمر اذا رأى واحدا من عبيده يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراآة له فكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له * وقال الفضيل لو ان امرأ أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة وأساء اليها لم يكن من المحسنين (وكان المحاسبي)

يقول فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الامانة وحسن الاخاء مع الوفاء وقال الحسن بن علي رضوان الله عليه عنوان الشرف حسن الخلق * وكان عبد الله بن محمد الرازي يقول حسن الخلق استصغار ما منك واستعظام ما اليك (وقال سهل) حسن الخلق أن لا تطمع فيما ليس لك وليس بهذه الصفة احد الا الله تعالى * وقيل حسن الخلق تحمل أثقال الخلق * وقال شاه الكرماني علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المؤن وقيل حسن الخلق أن تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن المداراة (وقالت امرأة) لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تسعوا الناس باموالكم ولكن سعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (وروى) ان أبا عثمان اجتاز بسكة وقت الهاجرة فالقي عليه من فوق سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقي فقال أبو عثمان لا تقولوا شيأ من استحق أن يصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز ان يغضب * وقيل لابراهيم بن أدهم هل فرحت في الدنيا قط قال نعم مرتين احداهما كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال علي والثانية كنت جالسا فجاء انسان فصفعني (وكان أويس القرني) اذا رآه الصبيان رموه بالحجارة وكان يقول ان كان لا بد فارموني بالحجارة الصغار كي لا تدموا على ساقي فتمنعوني الصلاة (وروى) أن عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت قال امض فانت حر لوجه الله وهذا كما ترى قوة الهيبة يفرغها الله على المصطفين من عباده وأهل الصفوة من أوليائه ألا ترى الى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فجرده عن حقائق البشرية وألبسه من نعوت الربوبية حتى قواه على صحبتهم وصبره على تبليغ الرسالة اليهم مع الذي كان يقاسيه من أخلاقهم مع كونه مستغرقا باستيلاء الحق تعالى عليه يختص برحمته من يشاء * وقال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وانما سمي بالآدمي لانه تألف من الجواهر والالوان (وقال عليه السلام) لرجلين متباغضين آدم الله بينكما اي ألف بينكما ومنه سمي الادم المأكول لانه يؤلف الطعام ويحسنه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لرجل أراد ان يتزوج امرأة انظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينكما اي يؤلف بينكما وروى ان معروفا الكرخي نزل الدجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفته فجاءت امرأة فأخذتهما فتبعها معروف وقال يا أختي انا معروف لا بأس عليك ألك ابن يقرأ قالت لا قال فزوج قالت لا قال فهاتي المصحف وخذي الثوب (وروى) ان أبا ذر كان على حوض يسقي ابله فاسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطجع فقيل له في ذلك فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا غضب الرجل ان يجلس فان ذهب عنه والا فليضطجع (وقال علي بن ابي طالب) رضي الله عنه انا لنصافح اكفا نرى قطعها * وقال أبو ذر انا لنكشر في وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم * وقال الحرث بن قيس يعجبني من القراء كل طليق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا أكثر الله في المسلمين مثله * وقال عروة بن الزبير مكتوب في الحكمة بني لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك طلقا ولتكن أحب الى الناس ممن يعطيهم العطاء ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يصحب صاحبا صالحا يغنم (وروى) ان ابراهيم بن أدهم خرج الى بعض البراري فاستقبله جندي فقال له أين العمران فأشار الى المقبرة فضرب رأسه فأوضحه فلما جاوزه قيل له هذا ابراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاءه يعتذر اليه فقال انك لما ضربتني

يتوارى رجل له خلق مثل خلقك تحت التراب

(حكاية)

يقال انه كان بين خالد بن يحيى البرمكي وبين عبد الله ابن مالك الخزاعي عداوة في السر ما كانا يظهرانها وكان سبب العداوة بينهما ان هارون الرشيد كان يحب عبد الله الى أبعد غاية بحيث كان يحيى بن خالد واولاده يقولون ان عبد الله يسحر أمير المؤمنين حتى مضى على ذلك زمان والحقد في قلوبهم فولى الرشيد امارة ارمينية لعبد الله ابن الخزاعي وسيره اليها ثم ان رجلا من اهل العراق كان له ادب وذكاء وفطنة فضاق ما بيده وفني ماله فزور كتابا عن يحيى بن خالد الى عبد الله بن مالك الى ارمينية وسافر به الى عبد الله فحين وصل الى باب داره سلم الكتاب الى بعض حجابه فأخذ الحاجب الكتاب وسلمه الى عبد الله ففضه وقرأه وتدبره فعلم انه مزور فأذن بدخول الرجل وسلم ودعا له قال عبد الله احتملت بعد الشقة وثقل المشقة وجئتنا بكتاب مزور ولكن طب نفسا فاننا لا نخيب سعيك فقال الرجل أطال الله بقاء الامير ان كان قد ثقل عليك وصولي فلا تحتج في منعي

سألت الله لك الجنة فقال لم فقال قد علمت اني أوجر على ذلك فلم ارد ان يكون نصيبي منك الخير ونصيبك
مني الشر (وحكى) ان أبا عثمان الحيري دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب الدار قال يا استاذ ليس لي
وجه في دخولك وقد ندمت فانصرف رحمك الله فرجع ابو عثمان فلما وافى منزله عاد اليه الرجل وقال
يا استاذ ندمت واخذ يعتذر وقال احضر الساعة فقام أبو عثمان ومضى معه فلما وافى داره قال مثل ما قال
في الاولى وأخذ يعتذر ثم كذلك في الثالثة والرابعة وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال يا استاذ انما
اردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه فقال ابو عثمان لا تمدحني على خلق
تجده مثله مع الكلاب فالكلب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر (وروى) ان بعض الفقراء نزل على
جعفر بن حنظلة وكان جعفر يخدمه والفقير يقول نعم الرجل انت لولم تكن يهوديا فقال له جعفر عقيدتي
لا تقدح فيما تحتاج اليه من الخدمة فسل لنفسك الشفاء ولي الهداية (وروى) ان أبا جعفر القمودي
المتعبد لقيه بعض الاجناد ومعه كلب للصيد فقال له خذ هذا الكلب وقده خلفي فأبى فضرب رأسه
بالسوط حتى اوجعه فقال له بعض المارين ويحك هذا ابو جعفر القمودي العابد فنزل عن فرسه
وجعل يقبل يديه ويعتذر اليه فقال انت في حل قال ابراهيم بن الحسن سمعت ابراهيم القمودي ليالي
عديدة اذا فرغ من حزبه في جوف الليل يدعو ويقول اللهم اغفر لصاحب الكلب وارحمه (وقيل)
مكتوب في الانجيل عبدي اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب * وقال بعض المفسرين في قوله
تعالى وقولوا للناس حسنا أي كل من لقيته فقل له حسنا من القول * وقال لقمان لابنه ثلاثة لا يعرفون
الا في ثلاثة الحليم عند الغضب والشجاع في الحرب والاخ عند الحاجة اليه وروى ان عبد الله
الخياط كان له مجوسي يخيط عنده الثياب ويدفع له دراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذها فجاء المجوسي
يوما بالدراهم فلم يجده فاعطاها تلميذه فلم يقبلها ودفع له صحاحا فلما رجع عبد الله قال تلميذه وهذه دراهم
المجوسي وذكر قصته فقال عبد الله بئسما فعلت انه يعاملني بهذه المعاملة منذ أعوام وأنا اصبر عليها
والقيها في البئر لئلا يغر بها غيري (وروى) أن معاوية نظر الى ابنه يزيد يضرب أمة له فقال أتضرب
من لا تمتنع منك لقد حالت القدرة بيني وبين أولي الترات * وقال بعضهم اصل سوء الخلق ضيق القلب
وضيقه على قسمين أدناه وأهونه ان لا يتسع لمراد الخلق واقصاه وشره ان لا يتسع لمراد الحق * وقال
المحاسبي اصل سوء الخلق الاعجاب وهل يسوء خلق الرجل الا من عجبه وتكبره وانه لا يرى فوقه احدا
ولا يعرف قدر نفسه فتداخله العزة * وقال الحسن في قوله تعالى وثيابك فطهر اي وخلقك فحسن
* وكان لبعض النساك شاة فرآها على ثلاث قوائم فقال من فعل هذا بها فقال غلامه انا فعلته قال ولم فعلت
لاغمك بها فقال لاغمن من أمرك بهذا اذهب فانت حر (وروى) البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له أتسرق فقال كلا والذي لا اله الا هو فقال
عيسى عليه السلام آمنت بالله وكذبت عيني * وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه فساد الاخلاق
معاشرة السفهاء (وقيل) الخلق السيئ يضيق قلب صاحبه لانه لا يسع فيه غير مراده كالمكان
الضيق لا يسع فيه غير صاحبه * ويقال من سوء خلقك ان يقع بصرك على سوء خلق غيرك (وسئل
النبي) صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال سوء الخلق وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قيل له ادع الله على المشركين فقال انما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا * ولما وصى يعقوب عليه السلام
اولاده قال احفظوا عني خصلتين ما انتصفت من ظالم قط قولا وفعلا ومارأيت حسنة الا وافشيتها
ومارأيت سيئة الا وسترتها كذلك فافعلوا * وقال ابن عمر اذا سمعتموني أقول لمملوك اخزاه الله فاشهدوا
انه حر * ويقال السيئ الخلق هو الذي لا يملك نفسه عند الغضب * وقيل أصل سوء الخلق مطالبة

غيرك

بحجة وأرض الله واسعة والرازق حي مبين والكتاب الذي اوصلته صحيح غير مزور فقال عبد الله انا اعمد معك أمرين
وهما اني اكتب كتابا الى
وكيلي ببغداد وآمره أن
يسأل عن هذا الكتاب
الذي اتيت به فان كان
حقا أعطيتك امارة
بعض بلادي وان آثرت
العطاء اعطيتك مائة
ألف درهم مع الفرس
والخلعة والتشريف وان
كان كلامك كذبا عجلت
عليك الهلاك حتى
لا يتطاول احد الى مثل
هذا الامر ثم انه كتب الى
وكيله ببغداد يقول انه
قد وصل الي رجل ومعه
كتاب يذكر انه من يحيي
ابن خالد وانا سيئ الظن
في هذا الكتاب فيجب ان
تحقق هذا الحال لنعلم
صدقه من كذبه فعرفني
الجواب فلما وصل كتاب
عبد الله الى وكيله ومضى
الى دار يحيي بن خالد
فوجده مع ندمائه وخواصه
جالسا فسلم الكتاب اليه
فقرأه خالد ثم قال للوكيل
عد الي من الغد لاكتب
الجواب والتفت الى
ندمائه وقال ما جزاء من
تحمل عني كتابا وزور مني
خطابا الى عدوي فقال
كل واحد من الندماء شيئا
وجعل كل انسان منهم
يعدد نوعا من العقاب
وجنسا من العذاب فقال
لهم يحيي لقد اخطأتم وهذا
الذي ذكرتموه من خسة الهمم وتدانيها وكلكم تعرفون قرب عبد الله ودنوه عند امير المؤمنين

غيرك ان يوافقك دون أن تطالب نفسك بموافقة غيرك وعلامة حسن الخلق ان تحتمل معاملة سيئ الخلق لتستر به سوء الخلق وقيل العارف يعاتب نفسه ولا يعاتب خالقه وعلامة من بينه وبين نفسه عتاب أن لا يكون بينه وبين خالقه عتاب (وروى) ان عبد الله بن عمر كان فى حجره يتيم سيئ الخلق فمات فحزن عليه فقيل له انك تجد غيره قال فمن لى بسوء خلقه وكان ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء فقيل له لم تمسك هذا الغلام قال لأتعلم عليه الحلم وقيل فى قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الظاهرة تسوية الخلق والباطنة حسن الخلق وقال الفضيل لان يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب الى من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق (فان قيل) أليس قد روى ان عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام التقيا فقال يحيى لعيسى تلقانى ضاحكا كأنك آمن فقال عيسى وانت تلقانى عابسا كأنك آيس فأوحى الله اليهما ان أحبكما الى ابشكما بصاحبه قلنا كذلك يستحب ان يكون المؤمن وليس اطلاق الوجه والتبسم فى وجه أخيك منهيا عنه وانما المكروه ماذكرناه فى أول الباب من التملق والتصنع وفصل الخطاب فى هذا الباب ما روى هند بن ابى هالة فى صفة مجالس النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان اصحابه كأنما على رؤسهم الطير ومعلوم ان من كان على رأسه طائر لا يبرح فانه لا يتحرك ولا يتكلم ولا يطرف بعينه حذرا ان ينفر الطائر وقال ابن المقفع كان لى صديق من اعظم الناس فى عينى وكان رأس ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه كان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤنة ولا يستخف له رأيا ولا بدنا وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم ابدا الا على ثقة بمنفعة كان اكثر دهره صامتا فاذا قال بذ القائلين وكان متضاعفا مستضعفا فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا كان لا يدخل فى دعوى ولا يشرك فى مراء ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم احدا على ما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما اعتذاره كان لا يشكو وجعا الا الى من يرجو عنده البرء ولا صاحبا الا لمن يرجو عنده النصيحة لهما جميعا وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يشتكى ولا ينتقم من الولى على العدو ولا يغفل عن الولى ولا يخص نفسه دون اخوانه بشئ من اهتمامه وحيلته وقوته فاقتف هذه الاخلاق فان لم تطق فهذا القليل خير من ترك الجميع وروى ان حكيما سمع رجلا يذم الزمان واهله وأنه قد فسد الناس ولم يبق احد يصحب فقال له يا هذا انت طلبت صاحبا تؤذيه فلا ينتصر وتنال منه فلا ينتصف وتأكل رحله ولا يرزؤك بشئ وتجفو عليه فيحلم فلم تنصف فى الطلب فلم تجد حاجتك ولكن ان أردت صاحبا يؤذيك فلا تنتصر ويجفوك فلا تنتقم ويأكل رحلك فلا تنال منه شيأ وجدت أصحابا واخوانا وخلانا وأنا أول من يصحبك

(فصل فى الفرق بين المداهنة والمداراة) من دارى سلم ومن داهن أثم وهذا باب اختلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون انهم يدارون فالمداهنة منهى عنها والمداراة مأمور بها قال الله تعالى فى المداهنة ودوا لو تدهن فيدهنون وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى المداراة رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وأمرت بمداراة الناس كما أمرت باداء الفرائض (واعلم) أنه اذا سقمت المداراة صارت مداهنة فالمداهنة ان تدارى الناس على وجه يذهب فيه دينك والمداراة مخالقتهم على وجه يسلم لك دينك وذلك ان هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم وقد قالت له قريش يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونؤمن بك فأبى قالوا فشهرا فأبى قالوا فيوما فأبى قالوا فساعة فأبى قالوا فاستلمها بيدك ونؤمن بك فوقف النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وطمع ان فعل ان يؤمنوا فانزل الله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون وقيل له ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ومثاله ان تقول للظالم أبقاك الله ومن دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله سبحانه وهذا باب ينبغى لذوى الدين حفظه وقد رأى بعض الفقهاء التحرج من هذه العهدة بالتعريض وكان الفقيه ابن الحصار بقرطبة له جار

ونعلمون ما بينى وبينه من البغض والآن قد سبب الله هذا الرجل وجعله متوسطا فى الصلح بيننا ووفقه لذلك وقيضه ليمحو حقد عشرين سنة من قلوبنا ولتصلح بواسطته صدورنا وقد وجب على ان افى لهذا الرجل بتأمله واصدق ظنونه واكتب له كتابا الى عبد الله ليتوفر على اكرامه واعزازه واحترامه فلما سمع الندماء منه ذلك دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه وسمو همته ثم طلب الكاغد والدواة وكتب الى عبد الله بخط يده كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم وصل كتابك اطال الله بقاءك وفضضته وقرأته وسررت بسلامتك وابتهجت باستقامتك وكان ظنك ان ذلك الرجل الحر زور عنى كتابا ولفق خطابا وليس الامر كذلك فان الكتاب انا كتبته وعلى يده انا انفذته وليس بمزور عنى وتوقعى من كرمك وحسن شيمك ان تفى لذلك الرجل الحر الكريم بأمله وتوفى له عزمة قصده وتوصله وان تخصه منك بغامر الاحسان ووافر الامتنان ومهما فعلته فى حقه انا المعتد به والشاكر عليه ثم عنون الكتاب وختمه وسلمه الى الوكيل وانفذه الوكيل الى عبد الله فحين قرأه ابتهج بما حواه واحضر الرجل وقال اى الامرين اللذين ذكرتهما تختار فقال له الرجل العطاء احب الى فأمر له عبد الله بمائتى ألف درهم

نصرانى يقضى حوائجه وينفعه وكان الفقيه يكثر ان يقول ابقاك الله وتولاك أقر الله عينك يسرنى والله ما يسرك جعل الله يومى قبل يومك لا يزيده على هذه الكلمات فيبتهج النصرانى بها وتسره فعوتب الفقيه فى ذلك فقال انما ادعو بمعاريض قد علم الله ذلك من نيتى أما قولى ابقاك الله وتولاك فاريد أن يبقيه الله لغرم الجزية ويتولاه بالعذاب وأما قولى أقر الله عينك فاريد أن تقر حركتها بسترية عرض لها فلا تتحرك جفونها وأما قولى يسرنى والله ما يسرك فان العافية تسرنى كما تسره واما قولى جعل الله يومى قبل يومك فاريد ان يجعل الله تعالى اليوم الذى ادخل فيه الجنة برحمته قبل اليوم الذى يدخل فيه النار بكفره

❊(الباب السادس والخمسون فى الظلم وشؤمه وسوء عاقبته)❊

قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك الفاسقون فكل من لم يحكم بما جاء من عند الله ورسوله كملت فيه هذه الاوصاف الثلاثة الكفر والظلم والفسق وقال سبحانه وتعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون (وقال) أحمد بن خضرويه لو أذن لى فى الشفاعة ما بدأت الا بالظالمين لانى تثبت لتعزية الله تعالى فى قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال ولا أغتنم سفرا الا يكون فيه من لا يؤذينى ويظلمنى شوقا منى لتعزية الله تعالى للظلومين وقال ميمون بن مهران كفى بهذه الآية وعيدا للظالم وتعزية للظلوم وقال كعب لابى هريرة فى التوراة من يظلم يخرب بيته فقال ابو هريرة وذلك فى كتاب الله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وافا الظلم ادعى شئ الى سلب النعم وحلول النقم (وروى) مسلم فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه قال يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى اهدكم يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم يا عبادى انكم تخطؤن بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى اغفر لكم يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيأ يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيأ يا عبادى لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل انسان مسئلته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا دخل فى البحر يا عبادى انما هى أعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه يرويه ابو ادريس الخولانى عن ابى ذر مسندا الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان ابو ادريس اذا حدثه جثى على ركبته وروى عبد الله بن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة وروى ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرض اوشئ فليتحلله منه قبل ان لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه وروى سعيد بن زيد قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الارض شبرا طوقه من سبع ارضين قال ابو جعفر الطحاوى معناه انه يقلب شجاعا اقرع فيطوقه كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى مانع الزكاة يجئ ماله يوم القيامة شجاعا اقرع يتبعه ويقول انا مالك انا كنزك فكان هذا داخلا فى قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وروى أبو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مطل الغنى ظلم وروى أبو موسى الاشعرى قال قال

وعشرة افراس عربية خمسة منها بالمراكب المحلاة وخمسة بالجلال وعشرين تختا من الثياب وعشرة من المماليك وركاب الخيول وما يليق بذلك من الجواهر المثمنة وسيره فى صحبة مأمونه الى بغداد فلما وصل الى أهله قصد باب يحيى بن خالد وطلب الاذن فدخل الحاجب على يحيى وقال له يا مولاى ببابنا رجل ظاهر الحشمة البزة حسن الحالة كثير الغلمان فأذن له فى الدخول فدخل وقبل الارض بين يديه فقال له يحيى ما اعرفك فقال له انا الرجل الذى كنت ميتا من جور الزمان وغدر الحدثان فانشرتنى واحييتنى أنا الذى كنت حملت الكتاب المزور عنك الى عبد الله ابن مالك فقال له يحيى ما الذى فعل وأى شئ اعطاك فقال من بركتك وظلك وهمتك وفضلك اعطانى واغنانى وقد حملت جميع عطيته وها هى ببابك والامر اليك والحكم فى يدك فقال له يحيى صنعك معى اكثر من صنعى معك ولك المنة العظيمة على واليد الجسيمة اذ ابدلت العداوة التى كانت بينى وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة وانت كنت فى ذلك السبب وانا اهب لك من المال مثل ما وهب لك ثم امر له من المال بمثل ما اعطاه عبد الله وانما اوردنا هذه الحكاية ليعلم من يقرؤها ان الانسان اذا كانت همته

النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وقرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انصر اخاك ظالما او مظلوما قالوا يا رسول الله كيف هذا انصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تأخذ فوق يده وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من اهل النار لم ارهما ناس معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤسهن مثل اسنمة البخت لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها وقال الله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وفي الآية تأويلان احدهما امرناهم بالطاعة ففسقوا اي خرجوا عن الطاعة والثاني على قراءة المدني اي كثرنا عددهم واسبغنا النعم عليهم فعصوا وتباغوا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مابورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج (واعلموا) ان حشرات الارض وهوامها تلعن العصاة وقال مجاهد اذا اشعثت الارض تقول البهائم هذا من اجل عصاة بني آدم فذلك قوله تعالى اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحسل لتموت بذنب ابن آدم يعني ان بذنوب الخلق يمتنع القطر فلا تنبت الارض فتهلك الدواب والحشرات وسمع ابو هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله ان الحبارى لتموت هزلا في وكرها بظلم الظالم وقال ابن مسعود خطيئة بني آدم قتلت الحسل (وروى) مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال الرجل وان كان شيأ يسيرا يا رسول الله قال وان كان قضيبا من اراك وقال ابن عباس ما ظهر الغلول في قوم قط الا فشا فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا انقطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا خفر قوم بالعهد الا سلط عليهم العدو وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يعجبنك رحب الذراعين بسفك الدماء فان له قاتلا لا يموت (وروى) ان بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ❊ فالظلم مصدره يفضي الى الندم
تنام عينك والمظلوم منتصب ❊ يدعو عليك وعين الله لم تنم

انشدنا قاضي القضاة ابو عبد الله الدامغاني رحمه الله ببغداد

اذا ما هممت بظلم العباد ❊ فكن ذاكرا هول يوم المعاد
فان الظالم يوم القصاص ❊ لمن قد تزودها شر زاد

وقال ميمون بن سعيد كان يزيد بن حاتم الحكيم يقول ما هبت شيأ قط هيبتي رجلا ظلمته وانا اعلم ان لا ناصر له الا الله فيقول لي حسبك الله بيني وبينك وقال بلال بن سعيد اتقوا الله فيمن لا ناصر له الا الله وقال ابو سليمان الداراني لما دخل اخوة يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع فجعل يكلمهم وكان ابن خالته فقال لهم بم اوصاك ابوك قال بأربع قال وما هن قال يا بني لا تتبع هواك فتفارق ايمانك فان الايمان يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار ولا تكثر منطقك بما لا يعنيك فتسقط من عينه ولا تسيء بربك الظن فلا يستجيب لك ولا تكن ظالما فان الجنة لم تخلق للظالمين (وبكى) علي بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم يكن له حجة ولجه ودالو راق

اني وهبت لظالمي ظلمي ❊ وتركت ذاك له على علمي
ورأيته اسدى الي يدا ❊ لما ابان بجهله حلمي
رجعت اساءته عليه واحساني فآب مضاعف الجرم

عالية لا يضيع أبدا كما لم يضع ذلك الرجل ولو كان خسيس الطبع لالتجأ الى عمل دني وتملق بلئام الناس لكنه لما كان همته سامية تهور وأقدم وخاطر مع رجل محتشم كريم الاخلاق طاهر الاعراق فوصل بذلك التهور الى مراده وانظر الى الرجلين الكريمين المحتشمين الزعيمين والى سموهما كيف عاملاه وبما ذا قابلاه ولم يريا في مروءتهما عقوبته وعذابه ونال ببركتهما طلابه وتخلص من شدة زمانه وضائقته وأفلت من شرك محنته وعاد ذا نعمة سنية ورتبة عالية وحصل بجميل الذكر وجزيل الاجر

(حكاية)

يقال انه تفاخر عبدان عبد لبني هاشم وعبد لبني امية فكل واحد منهما قال مولاي أو موالي أكرم من مواليك فقالا نمضي الآن ونجرب فمضى مولى عبد بني أمية الى بعض مواليه وشكا من ضائقته وتألم من فاقته فأعطاه عشرة آلاف درهم ومضى الى آخر من مواليه فأعطاه عشرة آلاف درهم حتى طاف على عشرة منهم فاجتمع له مائة ألف درهم وقال للآخر امض أنت الى بني هاشم وجربهم فانظر الى كرمهم فأتى عبد مولى بني هاشم الى الحسين بن علي رضي الله عنهما وشكا حاله اليه فقره وما أفضى اليه فأعطاه مائة ألف درهم ثم مضى الى عبد الله بن جعفر وشكا اليه

وغدوت ذا اجر ومحمدة * وغدا بكسب الذم والاثم
مازال يظلمني وارحمه * حتى رثيت له من الظلم
وكأنما الاحسان كان له * وانا المسيء اليه في الحكم

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري (وقال) ابن مسعود لما كشف الله العذاب عن قوم يونس ترادوا المظالم حتى ان كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده الى صاحبه وقال ثور بن زيد الحجر في البنيان من غير حله عربون على خرابه وقال غيره لو ان الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لاوشك ان تخرب وقال الحكيم العدل حومة والظلم ظلمة فالعدل يجر اليك الحوائج والجور يهجم عليك الجوائح فاحذر من لا جنة له الا الثقة بنزول الغير ولا سلاح له الا الابتهال الى مقلب الدول قال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب يا معشر الظلمة لا تجالسوا أهل الذكر فانهم اذا ذكروني ذكرتهم برحمتي واذا ذكرتموني ذكرتكم بلعنتي وقال أبو امامة يجيء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بايديهم من الحسنات فان لم يجدوا حسنات حمل عليهم من سيآتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الاسفل من النار ومن صحيح مسلم ان هشام بن حكيم مر بالشام على أناس وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤسهم الزيت قال ما هذا قال يعذبون في الخراج قال أما اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا وأخبرني رجل ممن كان يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان ههنا شيخ يكون عند المكاسين يدور حولهم فرأيته في النوم بعد وفاته فقلت له من أين تجيء فقال لي لا تسأل فاعدت عليه فقال لا تسأل فسألته فقال من الجحيم فقلت له فالى أين تذهب قال الى مثل الدار التي خرجت منها قلت فكيف لقيت قال وماذا لقيت كان يحيى قد جعل في هاون ودق حتى صار مثل المخ (وأخبرني) رجل من أهل العلم والدين قال رأيت فلانا البياع في النوم بعد وفاته فقلت ما فعل الله بك قال أنا محبوس عن الجنة قلت فبماذا قال كنت أبيع في الدكان فيزدحم الناس على فآخذ دراهمهم فاضعها في فمي وكلما فرغت وزنتها وأعطيت كل انسان حقه فاختلطت في فمي الفضلات فجاء اثنان فدفعت لاحدهما بفضة الآخر وكانت أنقص من فضته بحبة ثم حوسبت فبقي على حبة فقلت فادفع له الحبة وتخلص فجعل يقلب كفيه ويقول من أين ادفع له من أين ادفع له فكررها مرات (ويروى) ان يونس عليه السلام لما نبذ بالعراء وأنبت الله عليه شجرة من يقطين كان يأوي الى ظلها فيبست فبكى عليها فأوحى الله تعالى اليه تبكي على شجرة فقدتها ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت ان اهلكهم وقيل لابن السماك الاسدي أيام معاوية كيف تركت الناس قال بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي وقال بعض الحكماء أفقر الناس أكثرهم كسبا من حرام لانه استدان بالظلم ما لا بد له من رده وقال رجل كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فسببته ووقعت فيه فقال عمر ان الرجل ليظلم بالمظلمة فلا يزال المظلوم يشتم الظالم ويسبه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم حق عليه وقال عمرو بن دينار نادى رجل في بني اسرائيل من رآني فلا يظلمن أحدا واذا رجل قد ذهب ذراعه من عضده وهو يبكي ويقول من رآني فلا يظلمن أحدا فسئل عن حاله فقال بينما أنا أسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطي قد اصطاد تسعة أنوان فأخذت منه نونا وهو كاره بعد ان ضربت رأسه فعض النون ابهامي عضة يسيرة ثم أكلناه فوقعت الاكلة في ابهامي فاتفقت الاطباء على قطعها فقطعته فوقعت في كفي ثم ساعدي ثم عضدي فمن رآني فلا يظلمن أحدا فخرجت أسيح في البلاد وأريد قطع عضدي اذ رفعت لي شجرة فأويت الى ظلها فنعست فقيل لي في المنام لاي شيء تقطع أعضاءك ردالحق الى أهله

بالمال الى مولى بني أمية فقال له ان مواليك تعلموا الكرم من موالي ولكن عدبنا النجر بهم ثانية ونعيد المال اليهم فمضى مولى بني أمية اليهم وقال قد استغنيت عن هذه الدراهم وقد سهل الله لي من مكان فتوحا أسد به فقري ولم يبق لي في هذا المال حاجة وقد أعدته فاخذ كل واحد منهم دراهمه وحمل مولى بني هاشم الدراهم الى سادته وقال لهم قد تيسر لي من مكان ما أزالت به حاجتي وانقضت فاقتي وقد أعدت المال الذي أخذته منكم فاستعيدوه فقالوا نحن لا نأخذ شيأ أفدوهبناه ولا نعود هباتنا تخالط باموالنا فان كنت قد استغنيت عن المال فتصدق به

(حكمة)

قال بعض العلماء اجلال الاكابر من الجلال واحتقار الناس من لؤم الاصل وقبح الاكابر من الجلال والهمة بغير آلة خفة وانما الهمة مع الجد تحمل وتلطف وتحسن ونظر فلان الرجل اذا كان ذا همة وجده غير مساعد لم يكن له من همته سوى الانحطاط لانه يجب أن تكون الهمة علوية والجد عاليا وقد قيل أيضا الكلام بالدرجة والعمل بالقدر وينبغي أن تكون الهمة الى بغداد والزاد

فعبث

الى فرسخين (ولد الحلال) كان عبد العزيز بن مروان أميرا بمصر فركب يوما وسمع واذا رجل ينادي ولده يا عبد العزيز

فبعثت الصياد فقلت يا عبد الله أنا ملو كك فاعتقني فقال ما اعرفك فأخبرته فبكى وتضرع وقال انت فى حل فلما قالها تناثر الدود من عضدي وسكن الوجع فقلت له بماذا دعوت علي قال لما ضربت رأسي واخذت السمكة نظرت الى السماء وبكيت فقلت يا رب اشهد انك عدل تحب العدل وهذا منك عدل وانك الحق تحب الحق وخلقتني وخلقته وجعلته قويا وجعلتني ضعيفا فاسألك يا من خلقتني وخلقته ان تجعله عبرة لخلقك (وقال معاوية) ان أولى الناس بالعفو أقدرهم على الانتقام وان أنقص الناس عقلا من ظلم من دونه وقال بعض الحكماء الظلم على ثلاثة أوجه ظلم لا يغفره الله وظلم لا يتركه الله وظلم لا يعبأ الله به شيأ فأما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك بالله واما الظلم الذى لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا واما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى وقال ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة ففاته ان يخرج منها فاستغفر الله دبر كل صلاة رجوت ان يخرج من مظلمته (وقال يوسف بن اسباط) توفى رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجدا شديدا وشكوا ذلك الى المسيح صلى الله عليه وسلم فوقف على قبره ودعا فاحياه الله تعالى وفى رجليه نعلان من نار فسأل عيسى عن ذلك فقال والله ما عصيت قط الا انى مررت بمظلوم فلم أنصره فتنعلت هاتين النعلين واما انا فاوصيك اذا فعلت باحد مكروها فادع الله تعالى له واستغفر له كما فعل موسى عليه السلام لما آذى هرون وأخذ بلحيته ورأسه ثم تبين له براءته وان بنى اسرائيل غلبوه عليه وعلى عبادة العجل فقال رب اغفر لى ولاخى وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين (وروى) ان قوم لوط كانت فيهم عشرة خصال فأهلكهم الله بها كانوا يتغوطون فى الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفى المياه الجارية وفى شطوط الانهار وكانوا يحذفون الناس بالحصى فيدمونهم واذا اجتمعوا فى المجالس اظهروا المنكر باخراج الريح منهم واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل ان يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهى اللواطة قال الله تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر والنادى المجالس ويلعبون بالحمام ويرمون بالجلاهق وضرب الدف وشرب الخمور وقص اللحية وتطويل الشارب والتصفيق ولبس الحمرة وتزيد عليهم هذه الامة باتيان النساء بعضهن بعضا وانما حملهم على اتيان الرجال انهم كانت لهم ثمار كثيرة فى منازلهم وحوائطهم فاصابهم قحط وقلة من الثمار فقالوا بأى شئ نمنع ثمارنا حتى لا يطرقها احد من الناس فاصطلحوا على ان من وجدوه فيها نكحوه وغرموه اربعة دراهم ففعلوا وما سبقهم بها احد من العالمين قال ابن عباس فكان بدء الفاحشة فيهم انهم هموا بذلك فجاءهم ابليس فى هيئة صبي اجمل شئ رآه الناس فنكحوه وتجرؤا على ذلك وقال ابو العتاهية

أما والله ان الظلم لؤم * ولكن المسيء هو الظلوم

الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

سل الايام عن أمم تقضت * فتخبرك المعالم والرسوم

(وروى) ان انوشروان كان له معلم حسن التأديب فعلمه حتى فاق فى العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد انوشروان عليه فلما ولى الملك قال له ما حملك على ما صنعت من ضربي يوم كذا وكذا ظلما قال لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد ابيك فاحببت ان اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال انوشروان زه

* (الباب السابع والخمسون فى تحريم السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤول اليه امرهما من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة) *

قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فذكر

فسمع الامير نداءه فأمر له بعشرة آلاف درهم لينفقها على ذلك الولد الذى هو سميه ففشا الخبر بمدينة مصر فكل من ولد له فى تلك السنة ولد سماه هو عبد العزيز وبعد ذلك كان الحاجب تاش الامير الحاجب الكبير بخراسان فاجتاز يوما بصيارف بخارى ورجل ينادي غلامه وكان اسم الغلام تاش فأمر بازالة الصيارف ومصادرتهم وقال انما أردتم الاستخفاف باسمي فانظر الآن الفرق بين الحر القرشي وبين المملوك المسترق بالدرهم وفى هذا الباب كلام طويل اذا ذكرناه طال الكتاب وينبغي ان تعلم أن الهمة وان تأخرت فانها توصل الانسان الى مراده كما قال الشاعر

وكنت فى خدمة السلطان ذا طلب للزاد ما كنت من حامية أخطبه

سعيي لمجدي ولولا صدق معرفتي انى سأدركه ما كنت أطلبه

اما المجد وفى الرجال أن لا يتجاوز الرجل بهمته فوق قدره وقدرته لئلا يعيش مغتما طول حياته ومدته كما قال

ان كنت تقنع بالكفاية لم يكن *

الله تعالى في القرآن اصناف اهل الكفر والالحاد والتثليث واهل الدهر والظلم والفسوق واشباههم ولم يسب الله سبحانه احدا منهم الا النمام في هذه الآية وحسبك بها خسة ورذيلة وسقوطا وضعة وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة في اصح الاقوال والهماز المغتاب الذي يأكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو الذي يغمز باخيه في المجلس وهو الهمزة اللمزة والعتل في اللغة الغليظ واصله من العتل وهو الدفع بالقوة والعنف وقال علي رضي الله عنه والحسن البصري العتل الفاحش السيئ الخلق وقال ابن عباس العتل الفاتك الشديد المنافق وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة وقال يمان هو الجافي القاسي اللئيم العسر وقال مقاتل العتل الضخم وقال الكلبي الشديد في كفره عند العرب عتل وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزنيم هو الذي لا يعرف من ابوه قال حسان بن ثابت

وانت زنيم نيط في آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

(وقال غيره)

زنيم ليس يعرف من ابوه * بغي الام ذو حسب لئيم

وقال أكثر النقلة هذا رجل انما ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة وعن هذا قال القدماء لا يكون نماما الاوفي نسبه شيء وسعى رجل الى بلال بن أبي بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى أكشف عنك فكشف عنه فاذا هو لغير رشدة يعني ولد زنا وقال أبو موسى الاشعري لا يبغي على الناس الا ولد بغي وقيل الزنيم الذي له زنمة في عنقه يعرف بها كما تعرف الشاة قال ابن عباس لما وصفه الله تعالى بتلك الحال المذمومة لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف لانه كانت له زنمة يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها (ومن ذلك) قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فخرجوا يتلقونه تعظيما لامر النبي صلى الله عليه وسلم ففزع ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال منعوني صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم كشف أمرهم فوجد ماقاله كذبا فنزلت هذه الآية وسماه الله تعالى فاسقا (ومن ذلك) قول الله سبحانه سماعون للكذب أكالون للسحت فشرك الله تعالى بين السامع والقائل في القبح وساوى بينهم في الذم فكان فيه تنبيه على ان السامع نمام في الحكم (وأما ما روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم) فروى مسلم في الصحيح قال همام كنا مع حذيفة فقيل له ان رجلا يرفع الحديث الى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال حذيفة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وفي لفظ آخر نمام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب وروى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل سفار ملعون كل قتات ملعون كل منان فالسفار المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كثير اما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة فاخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين فغرز في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم فعلت هذا قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وذلك لبركة يده صلى الله عليه وسلم (وأما السعاية) الى السلطان والى كل ذي قدرة ومكنة فهي المهلكة والحالقة تجمع الى الخصال المذمومة الغيبة ولؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال والقدح في المنازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين

لا تستجيب لنيل ما تبغيه

(الباب الخامس في ذكر حكم الحكماء)

أما الحكمة فانها عطاء من الله جلت قدرته يؤتيها من يشاء وقال سقراط مثل من آتاه الله الحكمة وهو يغتم بالمال كمثل من يكون في صحة وسلامة فيغتم بالتعب والوصب وان ثمرته الراحة والعلى وثمرة المال التعب في البلى قال ابن المقفع كان ملوك الهند كتبت كتب كثيرة بحيث كانت تحمل على الفيلة فأمروا حكماءهم أن يختصروها فاتفق العلماء في اختصارها فاختصروها على أربع كلمات أحدها للملوك وهي العدل والثانية للرعية وهي الطاعة والثالثة للنفس وهي الامساك عن الاكل وقت الجوع والرابعة للشان وهو ان لا ينظر الى نفسه

(حكمة)

قال بعض الحكماء الناس أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك ناس فذكروه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فارشدوه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فاحذروه وفاي شيء أبعد قال الامل وقال الاحنف بن قيس شيآن لا تتم معهما حيلة اذا أقبل

عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم من دم أراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة باغ وكم من صفيين تقاطعا ومن متواصلين تباعدا ومن محبين تباغضا ومن الفين تهاجرا ومن زوجين افترقا فليتق الله ربه رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار ان يصيخ لساع أو يسمع لنمام وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة لا يدخلها ديوث ولا قلاع فالديوث الذي يجمع بين النساء والرجال سمي بذلك لانه يدث بينهم والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء لانه يقصد الرجل المتمكن عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه (وقال) كعب أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يستسقي ببني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج ثانية فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فاوحى الله تعالى اليه اني لا أستجيب لك ولا لمن معك قال فيكم نمام فقال يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله تعالى اليه ياموسى أنهاكم عن النميمة وآتيها فتابوا فارسل الله سبحانه عليهم الغيث ❊ ولما لقي اسقف نجران عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له يا أمير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة قال ومن قاتل الثلاثة قال الرجل يأتي الامام بالحديث الكذب فيقبله الامام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر ما أراك أبعدت ووجدنا في حكم القدماء أبغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي هو الرجل يسعى بالنميمة باخيه الى الامام فيهلك نفسه وأخاه وامامه (وذكرت السعاية) عند المأمون فقال لو لم يكن من عيبهم الا انهم أصدق ما يكونون أبغض ما يكون عند الله تعالى ❊ وقال حكيم الفرس الصدق زين كل أحد الا السعاية فان الساعي أذم وآثم ما يكون اذا صدق (وروى) أن رجلا سعى بجار له عند الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد أما أنت فتخبرنا انك جار سوء ان شئت أرسلنا معك فان كنت صادقا أبغضناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت تاركناك قال تاركني يا أمير المؤمنين قال قد تاركناك ❊ ولله در الاسكندر حين وشى اليه واش برجل فقال له الاسكندر ان شئت قبلناك على صاحبك بشرط ان نقبله عليك وان شئت أقلناك قال أقلني قال قد أقلناك كف عن الشر يكف عنك الشر (ومن العجب) الذي لا عجب بعده ان الرجل يشهد عندك في باقة بقل فلا تقبله حتى تسأل الناس عنه هل هو من أهل الثقة والعدالة والامانة والصيانة ثم ينم عندك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال فتقبله ❊ وقال يحيي بن زيد قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما من ساقي السم أخبرني من سقاك فدمعت عيناه وقال أنا في آخر قدم من الدنيا وأول قدم من الآخرة تأمرني ان أغمز ❊ قال رجل للمهدي عندي نصيحة يا أمير المؤمنين قال لمن نصيحتك هذه النا أم لعامة المسلمين أم لنفسك قال لك يا أمير المؤمنين قال المهدي ليس الساعي باعظم عورة ولا أقبح حالا ممن قبل سعايته ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا نشفي لك غيظا أو عدوا فلا نعاقب لك عدوك ثم أقبل على الناس وقال أيها الناس لا ينصح لنا ناصح الا بما لله فيه رضا وللمسلمين فيه صلاح (وروى) ان ساعيا سعى برجل الى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كتابه نحن نرى قبول السعاية اشر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبل واجاز لان من فعل اشر ممن قال (ويروى) ان رجلا رفع الى المنصور نصيحة فوقع على ظهرها هذه نصيحة لم يرد بها وجه الله تعالى ولا جواب عندنا لمن آثرنا على الله تعالى (وروى) ان رجلا قال للمأمون يا أمير المؤمنين الله الله في أصحاب الاخبار فانهم قوم ان اعطوا كذبوا وان حرموا كذبوا فان اعطوا امدحوا وهم كاذبون وان حرموا ذموا وهم كاذبون فقال المأمون لله درها من كلمة ما أقصدها وابين فضلها وامر ان تثبت في امور أصحاب الاخبار (وقال مروان بن زنباع) العبسي يا بني عبس احفظوا عني ثلاثا من نقل اليكم نقل عنكم واياكم والتزويج في البيوتات السوء واستكثروا من الصديق ما استطعتم واستقلوا من العدو ما استطعتم فان استكثاره ممكن ❊ وقال بعض الحكماء احذروا الاعداء العقول واصوص

الامر فليس للادبار فيه حيلة واذا أدبر فليس للاقبال فيه حيلة ❊ وقال لقمان الحكيم لابنه شيآن اذا حفظتهما لا تبالي بما ضيعت بعدهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك

❊ (حكمة) ❊

سأل أنوشروان بزرجمهر لاي سبب يمكن ان يجعل الصديق عدوا ولا يمكن ان يجعل العدو صديقا فقال لان تخريب العامر أسهل من عمارة الخراب وكسر الزجاج اذا كان صحيحا اسهل من تصحيحه اذا كان مكسورا وقال صحة الجسم خير من شرف الادوية وترك الذنب خير من الاستغفار وكظم الشهوة خير من كظم الحزن ومخالفة الهوى النفساني والانكسار خير من دخول النار

❊ (حكمة) ❊

كان رجل من الحكماء المتقدمين يطوف الدنيا عدة سنين وكان يعلم الناس هذه الكلمات الست وهي من ليس له علم فليس له عز في الدنيا والآخرة ومن ليس له صبر فليس له سلامة في دينه ومن كان جاهلا لم ينتفع بعلمه ومن لا تقوى له فما له عند الله كرامة ومن لا سخاء له فما له من ماله نصيب ومن لا نصيحة له فما له عند الله حجة

❊ (حكمة) ❊

سئل بزرجمهر أي عز تكون متصلا بالذل فقال العز في خدمة السلطان والعز مع الحرص والعز مع الشفقة وسئل بزرجمهر عماذا يؤدب البله فقال بان يؤمروا

المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا المودات * وقال حكيم العرب اياك والسعاة فانهم اعداء عقلك واصوص عدلك فيفرقون بين قولك وفعلك (وفى المثل السائر) من اطاع الواشى ضيع الصديق وقد يقطع الشجر فينبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه واحق الناس برعاية ما رسمته من هذه الخلال ونقلته من هذه الحكم واستودعته من هذه السير من آتاه الله سلطانا ومكن له فى الارض قدما فذو القدرة اذا اطاع الواشى هلك العالم (وكان) بعض الحكماء يقول من اراد ان يسلم من الاثم ويبقى له الاخوان فيجعل نفسه بينه وبينهم قاضيا عدلا ويحكم بالعدل ولا يقبل احدا فى احد ولا فى نفسه الا بشهود وتعديل فانا قد أحببنا بقول اقوام وابغضنا بقول آخرين فاصبحنا نادمين * ومن لطيف حكمة الله تعالى فى النميمة لما علم من شؤمها واستطارة شرورها وعموم مضرتها فى الورى حكم بفسق النمام حتى لا يقبل له قول فيستريح الخلق من شره (وقال) ابن عمر وفد الله الحاج ووفد الشيطان قوم يرسلهم السلطان الى الناس ويسألهم عن حالهم فيخبرونه ان الناس راضون وليسوا براضين واعلموا ان الله تعالى خلق الانسان على الحاشتى لسنانذ كرها الآن لكثرتها وطول تتبعها فخلق الله الحواس الشريفة والاعضاء النافعة النفيسة فمن افضل ما ركب فيه اللسان الذى هو آلة النطق والبيان وبه فصل بينه وبين البهائم ثم فضله على سائر الحيوان وامتن عليه فى اول سورة الرحمن فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وخلق فيه اعضاء تذال وتستهان وجعلها مجرى افضول الطعام والشراب فمن يتبع سقطات الكلام ويروى عثرات الانام التى هى كالعورات الواجب سترها ودفنها كان قد استعمل أشرف الآلات فى أخص المستعملات فصار كمن لحس بلسانه سوأة اخيه وجعل أكرم جوارحه لاخس أجناس المستعرضين ورضى ان يقع من الناس موقع الذباب من الطير يتتبع ثفل الجسد ويتحامى صحيحه وقد كان له فى نشر المحاسن شغل ولكن اهل كل ذى حال اولى بها وفى هذا سبق المثل ان لم تكن ملحا تصلح فلا تكن ذبابا تفسد ومن لم يقدر على جميع الفضائل فلتكن همته ترك الرذائل واذا تتبع الامام عورات الناس أفسدهم (وروى) ان النبى صلى الله عليه وسلم هم بالخروج يوما فسمع قوما من اصحابه يضحكون فامتنع من الخروج اليهم حذر أن لا يفسد قلبه عليهم ولو علم الذى يسمع أخبار الناس ما جنى على نفسه لعلم ان الصمم كان أهنأ لعيشه وانعم لباله من سماع الاخبار يا واحدا ماذا عمل نقلة الاخبار حملوا اليك الصدق أو الكذب فتكون فى سماع الكذب ممن قال الله تعالى فيه سماعون للكذب أكالون للسحت وتكون فى سماع الصدق حمالا لهم حرج الصدر على الخلق معاديا لهم متتبعا لعثرات الخلق وخزانا اسقطاتهم قد وعيت منهم ما يجب ستره وحفظت ما يجب نسيانه ثم لا تستطيع النصفة من قائل لانك ان كنت ذا قدرة أهلكت الرعية ثم لا تستطيع ان تهلك جميع الرعية وان كنت سوقة لم يشف غيظك ثم أفسدت اخوانك وابغضت من يجب أن تحبه واحببت من يجب ان تبغضه ثم لا تزال تحمل الخسائف وتزيد الاحقاد والضغائن وترصد لكل قائل يوما يشفى صدرك فيه فما اغنى العاقل عن هذه البلية ولله در عمرو بن العاص روى انه لاحاه رجل يوما فقال له الرجل اما والله ان عشت لاتفرغن لك فقال له عمرو بن العاص الآن وقعت فى الشغل يا ابن اخى

* (الباب الثامن والخمسون فى القصاص وحكمته) *

قال الله تعالى ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب يعنى اذا علم القاتل والقاطع انه يقتص منه احجم ولم يقدم على الفعل فيكون فى ذلك حياته وحياة الذى هم به (روى) ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أول ما يقضى بين الناس فى الدماء وروى ابو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من كانت

بكثرة الاعمال وان يستخدم وافى مشقات الاموال بحيث لا يجعل لهم الى الفضول فراغا فقيل بماذا يؤدب الاخساء فقال باهانتهم واحتقارهم ليعرفوا اوضاعة أقدارهم فقيل وبماذا يؤدب الاحرار فقال بالتوقف فى قضاء حوائجهم وسئل أيضا من الكريم فقال من يهب ولا يذكر انه وهب وقيل له لاى سبب يتلف الناس نفوسهم لاجل المال فقال لانهم يظنون ان المال خير الاشياء ولا يعلمون ان الذى يراد المال لاجله خير وقيل له يكون شئ أعز من الروح بحيث يعطى الناس فيه أرواحهم ولا يبالون فقال ثلاثة هى أعز من الروح الدين والحقد والخلاص من الشدائد وسئل أيضا فى أى شئ تكون زينة العلم والكرم والشجاعة فقال زينة العلم الصدق وزينة الكرم البشر وزينة الشجاعة العفو عند القدرة قال يونان الوزير أربعة اشياء من عظيم البلاء كثرة العيال مع قلة المال والجار السيئ الجوار والمرأة التى لا بقية ولا وقار واتفق أهل الدنيا على ان اعمال الدنيا خمسة وعشرون وجها خمسة منها بالقضاء والقدر وهى طلب الزوجة والولد والمال والملك والحياة وخمسة منها بالكسب والاجتهاد وهى العلم والكتابة والفروسية ودخول الجنة والنجاة من النار وخمسة منها بالطبع وهى الوفاء

عنده لاخيه مظلمة فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيآت اخيه فطرحت عليه وهذا حديث صحيح رواه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فكيف يؤخذ الظالم بذنب وكسب المظلوم قلنا معنى الآية لا يعاقب احد بذنب احد ابتداء واما في مسئلتنا فظلمة بقيت عنده وليس له وفاء بها فهو الذي اكتسب هذا الوزر وهو المعنى بقوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده لاحدهم اهدى لمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل موته من كانت له عندي مظلمة فليأت حتى اقتصه من نفسي فقام سواد بن غزية فقال يا رسول الله انك ضربتني على بطني ليلة العقبة فأوجعتني فقال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فاقتص فقال يا رسول الله انك ضربتني وانا مكشوف البطن فكشف النبي صلى الله عليه وسلم بطنه فاذا هو كالقباطي يعني ثياب مصر فأكب عليه يقبله فقال يا سواد ما حملك على هذا فقال يا رسول الله دنا لقاء هؤلاء المشركين ولا ندري فأردت ان يكون آخر العهد بك ان اقبل بطنك فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه مع ان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لعلمه ان الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد لان الله تعالى اعدل من ان يدع مظلمة لاحد عند نبي ولا غيره وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة انا الظالم ان فاتني ظلم ظالم وروى ان داود عليه السلام يقدمه خصمه الى الله يوم القيامة فيقضي له عليه فيدفعه الى اوريا سالماً ثم يستوهبه الله تعالى من اوريا ثم يعوض اوريا على ذلك الجنة وقال حبيب دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجد غلامه يعلف ناقة له واذا في علفها شيء فأخذ باذنه فعركها ثم ندم فقال لغلامه قم فاقتص مني فأبى الغلام فلم يزل به حتى قام فأخذ باذنه ثم قال يعرك وهو يقول شد شد حتى عرف عثمان انه قد بلغ منه ثم قال واها لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة (روى) عون بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه او كان نائما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا القصاص لاوجعتك ضربا وروى ابن وهب في موطئه عن ابن شهاب قال وقد اقاد النبي صلى الله عليه وسلم والخليفتان من انفسهم ليستن بهم ولم يتعمدوا حيفا وكانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فاذا فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قال مالك وبلغني ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما ولي الخلافة ضرب رجلا ثم ندم وقال مالي ولهذا الا رددته عليهم فسمعته عائشة فأرسلت الى عمر فجاءه عمر فقال له اني قد ضربت رجلا وقد كنت معافى من هذا ان اضرب فقال عمر كذلك الامام فقال فما المخرج قال ان تأتي الرجل فتسأله ان يجعلك في حل فأتياه فاستحلاه دلت الآثار على ان الامير والمأمور في القصاص سواء اذا جنى احدهما على الآخر وان الامير اذا ظلم المأمور زال تأمره عليه في ذلك المعنى وكان الامير في ذلك المعنى كبعض المؤمر عليهم حتى يتحاكموا الى السلطان الاعظم وكان عمر يقول انما بعثت امرائي ليعلموا الناس دينهم ويقسموا بينهم فيئهم ويعدلوا فيهم ولم أبعثهم ليضربوا ابشارهم ويحلقوا اشعارهم فمن ظلمه اميره فلا امرة عليه دوني حتى آخذ له بحقه قال عمرو بن العاص الله الله يا امير المؤمنين ان ادب رجل

والمداراة والتواضع والسخاء والصدق وخمسة منها بالعادة وهي المشي في الطريق والاكل والنوم والجماع والبول والتغوط وخمسة منها بالارث وهي الجمال وطيب الخلق وعلو الهمة والتكبر والدناءة ويقال ثلاثة من الشدائد التي لا يجوز للعقلاء نسيانها وهي فناء الدنيا وانقضاؤها وتقلب احوال الزمان ومحن الدهر وستة تساوي الدنيا الطعام السائغ والولد السليم الاعضاء والصاحب الموافق والامير المشفق والكلام الصحيح النظام والعقل التام

●(حكمة)● قال الحكيم خمسة اشياء ضائعة السراج المضيء في الشمس والمطر في السباخ المالحة والمرأة الحسناء عند الاعمى والطعام الطيب يقدم بين يدي الشبعان وكلام الله تعالى في صدر الظالم سئل الاسكندر لم تكرم معلمك فوق كرامة ابيك فقال لان ابي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية وقال اذا كانت بقسمة الله تجري الامور فالاجتهاد محظور وتاركه مشكور وقال اذا لم يمش معك الزمان كما تريد فامش مع الزمان كما يريد فالانسان عبد الزمان والزمان عدو الانسان وكل نفس تنفسه الانسان فبقدره يبعد عن الحياة ويقرب من الممات ●(حكمة)● سأل قوم من الحكماء لبزرجمهر

رجلا من رعيته انك لتقصه منه فقال عمر كيف لا اقصه منه وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه (فاما القصاص بين البهائم) فاختلف الناس في حشرها وفي جريان القصاص بينها فكان ابن عباس يقول حشرها موتها قال وحشر كل شئ الموت الا الجن والانس فانهم يوافيان يوم القيامة وقال معظم المفسرين انها تحشر و يقتص منها قال ابن حبيب تحشر البهائم وقال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب وقال ابو الحسن الاشعري لا نقطع باعادة البهائم و المجانين ومن لم تبلغه الدعوة ويجوزان يعادوا و يدخلوا الجنة ويجوزان لا يعادوا والدليل على ثبوت الاعادة في الجملة قوله تعالى واذا الوحوش حشرت وقال تعالى ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم الى ان قال ثم الى ربهم يحشرون (وروى) مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وقال أبو ذر انتطحت شاتان عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون فيما انتطحتا قالت لا أدرى قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما قال أبو ذر لقد تركنا النبي صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحيه في السماء الاذكرنا منه علما وقال أبو ذر ان الحجر ليسئل عن نكبه اصبع الرجل وفي الحديث الصحيح في مسلم والبخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يأتيني أحدكم على رقبته بعير له رغاء على رقبته بقرة لها خوار على رقبته شاة تيعر ثم بسط لها بقاع قرقر فتطؤه باظلافها وتنطحه بقرونها كلما مرت عليه أولاها عادت أخراها والحديث وارد في مانع الزكاة وقال أبو الحسن لا تجوز المقاصة بين البهائم لانها غير مكلفة ولا يجرى عليها القلم قال وما ورد في ذلك من الاخبار نحو قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للجماء من القرناء و يسئل العود لم خدش العود فعلى سبيل المثل والاخبار عن شدة التقصى في الحساب وانه لا بد ان يقتص للمظلوم من الظالم وأبى ذلك الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني قال في الجامع الجلى يجرى القصاص بينها قال ويحتمل انها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا فلهذا أجرى فيه القصاص وكلام الاستاذ له وجه في الصحة لان البهيمة تعرف النفع والضر فتنفر من العصا وتقبل الى العلف و ينزجر الكلب اذا زجر و يستأسد اذا أشلى والطير والوحش يفر من الجوارح استدفاعا لشرها ثم ان لم يجر عليها القتل في الدنيا فانما رفع القتل عنها في الاحكام فان قيل القصاص انتقام وهو جزاء على جناية وقعت من مخالفة الامر والبهائم ليست مكلفة ولا لها عقول ولا جاءها رسول والعقول عندكم لا يجب بها شئ على العقلاء فضلا عن البهائم وفي هذا انفصال عن قول الاستاذ انها كانت تعقل هذا القدر اذ لا يجب بالعقل شئ و يشهد له قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فالجواب انها ليست مكلفة لان من ضرورة التكليف ان يعلم الرسول والمرسل وذلك من خصائص العقلاء وهم الثقلان واذا لم تكن مكلفة كانت في المشيئة يفعل الله بها ما أراد كما سلط عليها في الدنيا الاستسخار والذبح فلا اعتراض عليه ولله تعالى ان يفعل في ملكه ما أراد من تنعيم وتعذيب واذا جاز ان يؤلم البهيمة ابتداء جاز ان يؤلمها بعد حياتها والآية محمولة على من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يجر عليهم القلم في الدنيا فانما رفع القلم عنها في الاحكام ولكن فيما بينها تؤاخذ وقد روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم عليه السلام فهذه عجماء عوقبت على سوء صنيع جنسها وفيه دليل على ان الله تعالى ان يعذب بملكه لا بالمعصية وقد ضرب موسى عليه السلام الحجر الذى مر بثوبه و بنو اسرائيل ينظرون عورته رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضربه بعصاه والحجر يفر وموسى يقول ثوبي حجر ثوبي حجر قال أبو هريرة والذى نفسي بيده انه لندب بالحجر ستة أوسبعة و روى في تفسير قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انها الحجارة التى تكسر الناس في الدنيا وروى ان المسيح عليه السلام مر بجبل

فقالوا عرفنا من أبواب الحكمة ماينفع أرواحنا وأشباحنا لنجتهد فيه وما يضرنا لنبعد عنه والله يجازيك عن احسانك فقال اعلموا وتيقنوا أن أربعة من الاشياء تزيد نور العين وتحد النظر وأربعة تنقص نورها وأربعة اشياء تسمن الجسم وتخصبه واربعة تضعفه وتهزله واربعة تحيي القلب واربعة تميته أما التى تزيد في نور العين فهي الخضرة والماء الجارى والشراب الصافي والنظر الى وجوه الاحباء وأما الاربعة التى تنقصه فهي أكل الطعام المالح وصب الماء الحار على الراس والنظر الدائم في عين الشمس ورؤية العدو وأما الاربعة التى تسمن الجسم وتخصبه فهي الثوب الناعم وخلو البال من الاحزان والرائحة الزكية والنوم في المكان الساخن وأما الاربعة التى تضعفه فاكل اللحم القديد وكثرة الجماع وطول المكث في الحمام ونوم العشايا ولبس الثوب الخشن وأما الاربعة التى يصح بها الجسم فأكل الطعام في وقته وحفظ مقادير الاشياء ومجانبة الاعمال المشقة وترك الحزن على غير موجب وأما الاربعة التى تكسر البدن دائما فسلوك الطريق الصعب وركوب الفرس الحرون والمشي على التعب ومجامعة العجوز وأما الاربعة التى تحيي القلب فالعقل

فسمع

فسمع ابنه فسأله عن ذلك فقال سمعت الله يقول وقودها الناس والحجارة فلا أدرى اكون من تلك الحجارة ام لا وقد تأول بعضهم قول ابن عباس حشرها موتها بحشر لضرب من القصاص بينها ثم تصير ترابا فقات وتأويل ابن عباس بعيد لان الحشر الجمع وليس فى موتها جمعها بل فيه تفرقتها وتفرقة أجزائها ثم قد قال والى ربهم يحشرون وانما يكون الحشر الى الرب تعالى باعادة الحياة اليها وجمعها الى ربها

(الباب التاسع والخمسون فى الفرج بعد الشدة)

قال الله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقال سبحانه أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال تعالى ان مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسران يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذى نفسى بيده لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسران يغلب عسر يسرين ومعنى هذا انه عرف العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كذلك فهو هو واذا انكرته ثم كررته كذلك فهما اثنان وقال بعضهم

ان يكن نالك الزمان ببلوى * عظمت عندها الخطوب وجلت
وتلتها قوارع ناكبات * سئمت دونها الحياة وملت
فاصبر وانتظر بلوغ مداها * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة فتجلت

وقال ابن عباس أول ما اتخذ النساء النطاق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وابنها اسمعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفا ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى ليس فيه انيس ولا شئ فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل البيت بوجهه ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى هل ترى أحدا فلم تر أحدا ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها فسمعت ايضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف فقال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف لكانت عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله (ومنها قصة الثلاثة الذين خلفوا) وذلك ان كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كلام الثلاثة قال كعب فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لنا الارض بما رحبت فما هى التى أعرف وكنت اطوف فى الاسواق وأشهد الصلاة مع المسلمين ولا يكلمنى احد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه واقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد

النافع والاستاذ العالم والشريك الامين والزوجة الموافقة والصديق المساعد واما الاربعة التى تميته فبرد الزمهرير وحر السموم والدخان الكريه ومخافة العدو وقال سقراط الحكيم خمسة اشياء يهلك المرء فيها نفسه خديعة الاصدقاء والالتفات من العلماء واحتقار الرجل نفسه واحتمال تكبر من لا يسوى واتباع الهوى

(حكمة) قال بقراط خمسة أشياء لا يشبع منها خمس عين من نظر وانثى من ذكر واذن من خبر ونار من حطب وعالم من علم

(حكمة) وسئل حكيم ما امر الاشياء فى الدنيا وما احلاها فقال أمر الاشياء استماع الكلام الخشن ممن لا قيمة له والدين الفادح وضايقة اليد واحلى الاشياء الولد والكلام الطيب واليسار وسئل حكيم ما الموت وما النوم فقال النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وسئل حكيم ما الغنى فقال القناعة والرضا فقيل ما العشق فقال مرض الروح وموت فى حسرة سئل ارسطاطاليس اى صديق اوثق واى صاحب اشفق فقال الصديق الاصيل اوثق والصاحب القديم اشفق وتدبير العقلاء افضل

(حكمة) قال جالينوس سبعة اشياء تجلب النسيان استماع الكلام الخشن لا يتصوره القلب والحجامة على حز العنق والبول

السلام أم لا حتى اذا طال ذلك على من جفوة الناس تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فلما تمت خمسون ليلة من يوم نهى رسول الله عن كلامنا صليت صلاة الفجر وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينما انا جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى قد ضاقت على نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت وما كان من شئ اهم علي من ان اموت فلا يصلى على النبي او يموت النبي صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس في تلك المنزلة لا يكلمني احد ولا يصلى علي فانزل الله توبتنا فسمعت صوت صارخ من اعلى الجبل يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا لله تعالى وعرفت ان قد جاء الفرج فجعلت ثوبي على الصارخ بشراه والله ما املك غيرهما ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وهو يبرق وجهه من السرور فقال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك فقلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله تعالى والى رسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك (وروى) ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما شب ودرج في موضع ربي فيه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال انه رأى الزهرة فقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل بعد طلوع الفجر قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما اصبح ورأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان يعني الى الاسلام ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيأ وسع ربي كل شئ علما افلا تتذكرون قالوا يا ابراهيم اما تخاف من آلهتنا ان تصيبك بسوء ان انت سببتها أو عبتها قال وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون وكان آزر يصنع أصناما يعبدها قومه ثم يعطيها ابراهيم يبيعها فيكسرها ويذهب بها الى نهر فيصب ماء فيه على رؤسها ويقول لها اشربي استهزاء بها واظهارا لقومه فساد ما هم عليه ففشا ذلك عندهم من غير ان يبلغ ذلك نمروذ فاول ما بدا لقومه ان نظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم يعني من الغيظ عليهم وعلى اصنامهم فظنوا انه مطعون وكانوا يفرون من الطاعون اذا سمعوا به فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فدخل عليها وهم قد وضعوا الطعام وشرابا فقال الا تأكلون ما لكم لا تنطقون فاقبل عليهم ضربا باليمين وكسرها وقطع ايديها وارجلها حتى جعلها جذاذا واراق طعامها وشرابها وعمد الى الفاس فعلقه بيد الههم العظيم ثم خرج عنها وتركها فلما رجع قومه من عيدهم دخلوا بيت اصنامهم فلما رأوا ما صنع بها راعهم ذلك واعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فقال بعضهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم سمعناه يسبها ويستهزئ بها فقال نمروذ فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون فلما اتى بابراهيم صلى الله عليه وسلم قالوا أ أنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون قالوا انا قد ظلمنا بما نسبنا اليه ثم قالوا وقد عرفوا انها لا تضر ولا تنفع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فقال له نمروذ حين سمع ذلك منه صف لنا الملك الذي تعبده وتدعو الى عبادته قال ابراهيم ان ربي الذي يحيي ويميت قال نمروذ وأنا أحيي وأميت قال كيف ذلك قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل احدهما فاكون قد امته واعفو عن الآخر فاكون قد احييته فقال ابراهيم ان كنت صادقا فاحي الذي قتلت بزعمك واخرج روحا من جسد من غير ان تقتله ان كنت صادقا وان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرد الى

كتاب الادوية ان النسيان يحدث من سبعة اشياء وهي البلغم وضحك القهقهة واكل المالح واللحم السمين وكثرة الجماع والهم مع التعب وسائر الرطوبات والبرودات فان كلها يضر ويجلب النسيان

* (حكمة) *

قال ابو القاسم الحكيم فتن الدنيا تنشأ من ثلاثة نفر من قائل الاخبار وطالب استماع الاخبار ومتلقي الاخبار فهؤلاء الثلاثة لا يخلصون من الملامة

* (حكمة) *

يقال ثلاثة اشياء لا تجتمع مع ثلاثة اكل الحلال مع اتباع الشهوات والشفقة مع ارتكاب الغضب وصدق المقال مع الكلام

* (حكمة) *

قال بزرجمهر الحكيم ان شئت ان تصير من جملة الابدال فحول اخلاقك الى اخلاق الاطفال فقيل له كيف ذلك فقال في الاطفال سبع خصال لو كانت في الكبار لكانوا ابدالا وهو انهم لا يهتمون للرزق واذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم تعالى وانهم يأكلون الطعام مجتمعين واذا تخاصموا لم يتحاقدوا ويسارعون الى الصلح وانهم يخوفون ويخافون بادنى تخويف وتدمع اعينهم (حكمة) قال وهب ابن منبه في

ابراهيم شيأ وامر به الى السجن فلبث فيه سبع سنين وجعل يدعو أهل السجن الى الله تعالى والى
الاسلام حتى ظهر أمره وفشا واتبعه قوم كثير على دينه فلما أرادوا ان يحرقوا ابراهيم واجتمع أمرهم على
ذلك بنوا حيزا طول جداره ستون ذراعا ووضعوه الى سفح جبل منيف لا يرام ولا يرقا وبلطوا الجدار
فلا يمشي فيه احد الا زلق عنه وأذن مؤذن نمرود أيها الناس احتطبوا لنار ابراهيم ولا يتخلفن عنها ذكر
ولا أنثى ولا حر ولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك ألقي في تلك النار ففعلوا في ذلك
أربعين ليلة حتى ان المرأة منهم تنذر ذلك على نفسها ان رجع غائبها او افاق عليلها حتى اذا كمل ذلك
قذفوا فيه النار حتى انه كان يسمع وهج النار على المسافة البعيدة فلما بلغ ذلك وضع ابراهيم في
كفة المنجنيق قال وهب بن منبه فبلغني ان السماء والارض والبحار وما فيها ضجوا الى الله تعالى ضجة
واحدة قالوا يا ربنا ليس في أرضك احد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته فأوحى الله تعالى اليهم ان
استغاث بشيء منكم فانصروه وأغيثوه وان دعاني فأنا وليه وناصره فلما وضعوه في كفة المنجنيق وقذفوه
قال حسبي الله ونعم الوكيل اللهم انك تعلم ايماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم ونجني من النار
فاوحى الله تعالى الى النار ان كوني بردا وسلاما على ابراهيم فاطاعت النار ربها ولو لم يقل سلاما لمات
من شدة البرد ولبث ابراهيم في النار سبعة ايام وظن قومه انه قد احترق ثم قال نمرود انظروا ماذا فعل
ابراهيم فاني رأيت الليلة في نومي ان جدار هذا الحيز قد تهدم وخرج ابراهيم يمشي قال وذاب النحاس
الذي سد به باب الحيز واحترق الجدار فصار رمادا فاطلعوا على ابراهيم فرأوه صحيحا سليما وخرج الى
الناس ينظرون اليه على تلك الحال فلما رآهم خرج يمشي حتى قعد الى امه وهي في الجمع واقبلت سارة
وكانت اول من آمن به حتى جلست اليه فقالت يا ابراهيم اني آمنت بالذي جعل النار بردا وسلاما فقالت
لها ام ابراهيم احذري القتل على نفسك فقالت اليك عني فاني لا اخاف شيأ وقد آمنت باله ابراهيم وحول
ابراهيم جمع من الناس لا يحصى عددهم يأمرون لجحوده عذابا فارسل الله تعالى ريحا عاصفا فسفت
رماد تلك النار في وجوههم وعيونهم ففروا عنه وقام ابراهيم داعيا الى الله تعالى ومذكرا به * وقال
مجاهد وقتادة وغيرهما ان نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام انطلق الى الحمام ومعه جني يقال له
صخر ولم يكن سليمان عليه السلام يدخل الخلاء بالخاتم فدخل الحمام واعطى الشيطان خاتمه فالقاه في
البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقي على الشيطان شبه سليمان فجاء فجلس على
كرسيه وسلط على جميع ملك سليمان غير نسائه فجعل يقضي بين الناس والناس ينكرون قضاياه حتى
قالوا لقد فتن نبي الله سليمان ومكث على ذلك اربعين يوما ثم اقبل في حالته تلك وهو جائع نائع حتى انتهى
الى صيادين في البحر فاستطعم احدهم من صيده وقال له انا سليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعصا فشج
وجهه فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم على ضربه اياه ثم اعطوا سليمان
سمكتين مما قد تغير عندهم ونتن ولم يشغله ما كان فيه من الضرب عن ان يقوم الى شاطئ البحر فشق
بطونهما وغسلهما فوجد خاتمه في بطن احدهما فاخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه وجاءت الطير
فحامت عليه فعرف القوم انه سليمان فجاؤا يعتذرون اليه (وروى) وهب بن منبه ان الله تعالى
وهب لابراهيم اسحق فلما كان ابن سبع سنين اوحى الله تعالى الى ابراهيم ان يذبحه وان يجعله قربانا فكتم
ابراهيم ذلك عن اسحق وامه وجميع الناس واسره الى خليل له يقال له العازر وكان اول من آمن به من
قومه يوم احرق فقال له ان الله سبحانه رفع اسمك في الملأ الاعلى على جميع اهل البلاء حتى كنت ارفعهم
بلية ليرفعك الله بقدر ذلك في المنازل والفضائل وقد علمت ان الله تعالى لم يبتلك بذلك ليفتنك ولا ليضلك
ولا يسوأن بالله ظنك واعوذ بالله ان يكون ذلك حملني على الله تعالى او سخطا لحكمه الذي حكم على عباده

التوراة أربع كلمات مكتوبة وهي كل عالم لم يكن متورعا فهو كاللص وكل رجل خلا من العقل فهو والبهيمة على مثال واحد

(حكمة)

قال بعض الحكماء أصل الزعامة العطف وأصل الذنب العجلة وأصل الذل البخل

(حكمة)

قال الحكيم ينبغي للانسان ان يكون بقلبه خادما وبقالبه متقدما وبعادته ابدا له أي يتجاوز عن الجيد والردي وينبغي ان يستمع كلام الحكمة من غير حكيم فانه قد يصيب الغرض من لم يكن راميا

(حكمة)

قال الاحنف بن قيس لا صديق لملول ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لدني ولا زعامة لسيئ الخلق

(حكمة)

قال ذو الرياستين اشتكى رجل من خصم له الى الاسكندر فقال الاسكندر أتحب أن أسمع كلامك فيه على أن أسمع كلامه فيك فخاف الرجل وامسك فقال الاسكندر كفوا أنفسكم عن الناس لتأمنوا من ناس السوء

(حكمة)

قال بزرجمهر العوافي أربعة عافية الدين وعافية المال وعافية البدن وعافية الاهل فاما عافية الدين ففي ثلاثة أشياء ان لا تتابع الهوى وان تعمل باوامر الشرع وان لا تحسد أحدا وعافية المال في ثلاثة أشياء أيضا إمعان النظر وأداء الامانة واخراج

ولكن هذا احسن الظن بالله فان عزم ربك على ذلك فكن عند احسن علمه بك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فتعزى ابراهيم عليه السلام بقوله واستدله رأيه و بصيرته فانطلق باسحق فلما صعدا الجبل ومعه السكين والحبل وأداة القربان فقال له اسحق يا ابت أرى معك اداة القربان ولا ارى قربانا فقال ابراهيم يا بنى القربان بعين ربك ينظر اليه وان شاء رحم أباك فلم يفطن اسحق فلما وافى رأس الجبل قال ابراهيم يا بنى ان الله تعالى امرنى ان اذبحك واجعلك قربانا يرفعك اليه و يتقبلك فانظر ماذا ترى فتهلل اسحق واستبشر فقال له والده لقد فجعتك يا بنى بامر ما فجع به والد ولده وانى لأرى من سرك بذلك وشكرك لربك امرا ارجو به العاقبة والفرج فقال يا ابت لم يكن شئ من الدنيا احب الى من البر بك و بامى وقد حرمنيه ربى فاذا أردت ذبحى فاشدد وثاقى فانى أخاف حين يفارقنى عقلى وأجد الم الحديد أن يتحرك منى عضو فيؤذيك وأنا أكره أن اختم بذلك عملى فاذا فرغت من أمرى فاقرئ أمى السلام وقل لها لا تجزعى فقد أكرم الله لك ابنك فى جنانه فلما فرغ من وصيته عمد ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه فعصبه بعمامته ما بين منكبيه الى الكعبين ثم كبه لوجهه وكره أن يستقبل وجهه كى لا تدركه له رحمة اذا هو تشحط فادخل يده من تحت حلقه فلما اراد ان يحز انقلب السكين فأوجس ابراهيم فى نفسه ثم عاد الثانية فلما أراد أن يحز انقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم هذا فداء ابنك قد فداه الله لك به فنظر ابراهيم خلفه فاذا بكبش قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة فوجهه ابراهيم الى القبلة وقبلته يومئذ مكة فذبحه ابراهيم وقصبه اسحق فلما فرغا منه وضعاه قربانا فرفعه الله اليه وتقبله (قال أبو هريرة) ولما صار يوسف عليه السلام الى مصر واسترق بعد الحرية جزع جزعا شديدا وجعل يبكى الليل والنهار على أبويه واخوته ووطنه وما ابتلى به من الرق فاحيا ليلة من الليالى يدعو ربه تعالى وكان من دعائه ان قال يارب اخرجتنى من احب البلاد الى وفرقت بينى و بين اخوتى وابوى ووطنى فاجعل لى فى ذلك خيرا وفرجا ومخرجا من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وحبب الى البلاد التى انا فيها وحببها الى كل من يدخلها وحببنى الى اهلها وحببهم الى ولا تمتنى حتى تجمع بينى و بين ابوى واخوتى فى يسر منك ونعمة وسرور وتجمع لنا به خير الدنيا والآخرة انك سميع الدعاء فاتى يوسف فى نومه فقيل له ان الله تعالى قد استجاب لك دعاءك واعطاك مناك وورثك هذه البلاد وسلطانها وجمع اليك ابويك واخوتك واهل بيتك فطب نفسا واعلم ان الله تعالى لن يخلف وعده و بدعاء يوسف صارت مصر محبوبة يحبها من دخلها فلا يكاد يخرج منها قال قتادة ما سكنها نبى قبله ولما جمع الله شمله وتكاملت النعمة عليه اشتاق الى لقاء ربه فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين ◉ ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق اهل السجون و يقسم الاموال ضيق على يزيد بن ابى مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن ابى مسلم افريقية فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن ابى مسلم فاتى به فى شهر رمضان عند المغرب وفى يد ابن أبى مسلم عنقود عنب فقال له يزيد حين دنا منه محمد قال نعم قال اما والله لطالما سألت الله تعالى أن يمكننى منك بغير عهد ولا عقد فقال محمد وأنا والله فطالما سألت الله ان يجيرنى منك و يعيذنى فقال يزيد فوالله ما اجارك ولا اعاذك وان سابقنى ملك الموت الى قبض روحك لسبقته والله لا اكلت هذه الحبة حتى اقتلك فاقام المؤذن الصلاة فوضع يزيد العنقود وتقدم ليصلى وكان اهل افريقية قد اجتمعوا على قتله فلما ركع ضربه رجل على رأسه بعمود فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير واحيا الاسير سنة الله التى قد خلت فى عباده طلوع الحياة من شفار الموت وحضور الموت من

الحق من المال وعافية البدن فى ثلاثة قلة الاكل والاقلال فى الكلام والاقلال من النوم وعافية الاهل فى ثلاثة القناعة وحسن العشرة وحفظ طاعة الله تعالى وسئل حاتم الاصم لاى سبب لا نجد ما نجده المتقدمون فقال لانكم فاتكم خمسة أشياء المعلم الناصح والصاحب الموافق والجد الدائم والكسب الحلال والزمان المساعد (خبر) جاء فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا على أقبل على بوجهك واخل لى قلبك وسمعك كل وغط واجمع وهب وتشدد فقال على ما معنى هذه الكلمات يا رسول الله فقال يا على كل الغضب وغط عيب أخيك وهب ظلم الظالم واجمع لذلك القبر الضيق المظلم وتشدد فى دين الله والاسلام

◉(حكمة)◉

قال رجل لبعض الحكماء أوصنى فقال انظر قضاه واطلب رضاه وتجنب جفاه

◉(حكمة)◉

سئل بعضهم اى شئ أكبر بين الخلق فقال كثرة التدبير وليس قدره مع الاستكثار يزيل الحاجة والعبد يحرص على كل شئ الا على الفقر وليس يحرص عليه أحد لان الخلق كلهم يطلبون الغنى ولا يحرص أحد على الغم لان الكل يطلبون السرور ويحرصون على الفرح ولا يحرص

معدن الحياة (ويروى) ان سلطان صقلية ارق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد البحر وقال انفذ الآن مركبا الى افريقية يأتوني باخبارها فعمر القائد المركب وارسله لحينه فلما اصبحوا اذا بالمركب في موضعه لم يبرح فقال له الملك اليس قد فعلت ما امرتك به قال نعم قد امتثلت امرك وانفذت المركب فرجع بعد ساعة وسيعد ثلك مقدم المركب فجاء ومعه رجل فقال الملك ما منعك ان تذهب حيث امرتك قال ذهبت بالمركب فبينا أنا في جوف الليل والبحارون يقذفون اذا انا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته في اسماعنا ناديناه مرارا يا لبيك يا لبيك وهو ينادي يا الله يا غياث المستغيثين ونحن نجيبه يا لبيك يا لبيك وقذفنا المركب نحو الصوت فالفيناه هذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة فاخذناه من البحر وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ ايام ومازلت اسبح حتى وجدت الموت فلم اشعر الا بالغوث من ناحيتكم فسبحان من اسهر سلطانا وارق جبارا في قصره لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة لا اله الا انت سبحانك (وأخبرني) رجل كان امام المسجد الجامع بالاسكندرية قال كنت بصقلية أيام فتن العدو فزحف الينا في البحر سفن تقارب ثلثمائة سفينة وارست في الساحل فرأينا أمرا مهولا وفينا الشيخ الصالح العابد ابن المستطاري فلجأ الناس اليه واستجمعوا حوله يتبركون به وينتظرون الفرج على يديه قال فنظر الى السماء حينا وسجد وعفر خديه بالارض يقلبهما يمينا وشمالا قال فوالله ما ذهبنا حتى هبت ريح مزقتها كل ممزق فلم يجتمع منها اثنان (وأخبرني) أبو القاسم بن فاتك رحمه الله قال كنت في طريق الحجاز فعطش الناس في مفازة تبوك ففقد الماء ولم يوجد الا عند صاحب لي جمال فجعل يبيعه بالدنانير بارفع الاثمان فجاء رجل كان موسوما بالصلاح عليه مقطعة يحمل ركوة ومعه شيء من دقيق فتشفع بي الى الجمال ليبيعه الماء بذلك الدقيق فكلمته فابى علي ثم عاودته فابى قال فبسط الرجل النطع في الارض ونثر عليه الدقيق ثم رمق السماء وقال الهي أنا عبدك وهذا دقيقك ولا أملك غيره وقد ابى أن يقبله ثم ضرب بيده في النطع وقال وعزتك لا برحت حتى اشرب فوالله ما تفرقنا حتى نشأ السحاب فامطر للحين فشرب الماء ولم يبرح فكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره (وأخبرني) شيخ مسن ممن كان يصحب العلماء بالقيروان يقال له حريز قال اخبرني عبد الكافي الديباجي قال رأيت بالقيروان آية عظيمة وذلك ان رجلا جاء بصبي له وقد أسكت فلا يتكلم فدخل به الى الفقيه أبي بكر بن عبد الرحمن وقال له ان ابني هذا قد اسكت منذ أيام فلا يتكلم فادع الله ان يفرج ما نزل به قال فدعا الشيخ ساعة ثم مسح وجه الصبي فاستفاق الصبي فقال له قل لا اله الا الله فقال الصبي أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله ثم التفت الى الرجل وقال اكتمها على الى الموت ثم التفت الى جاريته فقال اكتمي على هذا الى الموت وأنت حرة فلما كان يوم توفي الشيخ ابو بكر واجتمع الناس لجنازته وتكاثرت الامم قام الرجل فاستنصت الناس فسكتوا فقال يا أهل القيروان اسمعوا اقصتي مع هذا الشيخ وذكر الحديث كما سقناه (وحدثني) هذا الشيخ قال نزل عندنا بالقيروان قصة لم يسمع في السالفين مثلها وذلك ان بعض الجزارين اضجع كبشا ليذبحه فتخبط بين يديه فأفلت منه وذهب فقام الجزار يطلبه وجعل يمشي الى ان دخل خربة فاذا فيها رجل مذبوح يتخبط في دمه ففزع وخرج هاربا واذا اصحاب الشرطة والرجالة عندهم خبر القتيل وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول فاصابوا بيده السكين وهو ملوث بالدم والرجل مقتول بالخربة فقبضوه وحملوه الى السلطان فقال له أنت قتلت الرجل قال نعم قال فما زالوا يستنطقونه وهو يعترف اعترافا لا اشكال فيه فأمر به السلطان ليقتل فاخرج للقتل واجتمع الامم

احد على الموت لانهم يحرصون على الحياة قال أبو القاسم الحكيم هلاك العبد في شيئين المعصية والانفراد بالآراء في القراء

(حكمة) بلاء الخلق من ثلاثة العلماء المضلين والقراء البله والعوام الحسدة وقيل لا تطلب وفاء من خسيس الاصل ولا تطلب محبة من طامع وقال الحكيم شيئان غريبان في هذا الزمان الدين والفقر وقال ان حفظت أربعة أحوال كنت من جملة الرجال احدها سرك يجب ان يكون بحيث اذا علمه الناس رضيت الثاني علانيتك بحيث لو اقتدى بك الناس جاز لك الثالث أن تعامل الناس بما لو عاملوك به اخترته لنفسك الرابع أن تكون حالتك للناس بحيث لو كانت عليك رضيت بها

(حكمة) قال الحكيم ينبغي أن تنظر ثلاثة أشياء بعين ثلاثة وهي ان تنظر الفقراء بعين التواضع لا بعين التكبر وان تنظر الى الاغنياء بعين النصح لا بعين الحسد وان تنظر الى النساء بعين الشفقة لا بعين الشهوة

(حكمة) قال وهب بن منبه قرأت في التوراة أم المعاصي ثلاثة الكبر والحرص والحسد وانها نتيجة خمسة أشياء كثرة الاكل وكثرة النوم وراحة الجسم وحب الدنيا ومدح الناس وقال من خلص من ثلاثة فأوام

ليبصروا قتله فلما هموا بقتله اندفع رجل من الحلقة المجتمعين فقال لهم لا تقتلوه أنا قاتل القتيل فقبض وحمل الى السلطان فاعترف وقال انا قتلته فقال له السلطان قد كنت معافى من هذا فما حملك على الاعتراف قال رأيت هذا الرجل يقتل ظلما فكرهت أن القى الله تعالى بدم رجلين فأمر به السلطان فقتل ثم قالوا للرجل يا أيها الرجل ما دعاك الى الاعتراف بالقتل وانت برىء قال الرجل فما حيلتي رجل مقتول بالخربة واخذوني وانا خارج من الخربة وبيدى السكين ملطخة بالدم فان أنكرت من يقبلني وان اعتذرت من يعذرني فخلى سبيله وانصرف مكرما (ولما وزر فخر الملك) نظام الدين لسنجار الملك وكان لفخر الملك ابن عم يقال له شهاب الملك وكان يخاف منه على منزلته فقال للملك سنجار لا حياة لى معك الا ان تقتل ابن عمى شهاب الملك فابى سنجار فما زال يراجعه الى ان امر به فحبس فى بلد يقال لها بيرق وكان والى ذلك البلد يكرمه لجلالته وجلالة اهل بيته واخلى له دارا فى القلعة مشرفة ثم جعل فخر الملك يفسد قلب سنجار ويحمله على قتل شهاب الملك الى ان ارسل سنجار الى واليه بقتل شهاب الملك فاستعظم الوالى قتله وأخره اياما ثم لم يجد بدا من قتله فعزم على قتله فى يوم جمعة فبينما شهاب الملك يطلع من طاقات الدار اذا بفارس يركض فاوجس فى نفسه خيفة منه وقال هذا يريد ان يقتلني فوصل الفارس وقال مات فخر الملك فخلى سبيل شهاب الملك ثم وزر لسنجار فسبحان الفعال لما يريد (أخبرنى) ابو الفضل المعبر بمصر قال كان بمصر ملوك بنى حمدان وكان الرئيس ناصر الدولة وكان يشكو وجع القولنج فاعيا الاطباء ولم يوجد له شفاء ثم ان السلطان دس على قتله فارصد له رجل معه خنجر فلما جاء فى بعض دهاليز القصر وثب عليه الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة فى اسفل خاصرته فأصاب طرف الخنجر المعى الذى هو القولنج فخرج ما فيه من الخلاط ثم عافاه الله تعالى فصح وبرئ كأحسن ما كان (ولما كنت بالاسكندرية) نزلت سفن العدو بساحل مدينة برقا فاخذوا قوما من المسلمين وقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم فاخذ رجل منهم وشد كتافه من خلفه فلما نهبوا السفينة عمد اليه بعض الاعلاج فرفسه والقاه فى البحر ثم طعنه برمح كان معه فلم يخطئ نصل الرمح حبل الكتاف فقطعه وانحلت يد الرجل فسبح حتى لحق بالشاطئ سليما ووصل الى الاسكندرية فى عافية (وحدثنى) بعض الشاميين ان رجلا خبازا بينما هو يخبز فى تنوره بمدينة دمشق اذ عبر عليه رجل يبيع المشمش قال فاشترى منه وجعل يأكل بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشيا عليه فنظروا فاذا هو ميت فجعلوا يتربصون به ويحملون له الاطباء فيلمسون دلائله ومواضع الحياة منه فقضوا بانه ميت فغسل وكفن وحمل الى الجبانة فبينما هم خارجون به من باب المدينة استقبلهم رجل طبيب يقال له اليبرودى وكان طبيبا ماهرا حاذقا بالطب فسمع الناس يلهجون بقصته فقال لهم حطوه حتى اراه قال فحطوه وجعل يقلبه وينظر فى امارات الحياة التى يعرفها ثم فتح فمه وسقاه شيئا أو قال حقنه فاندفع ما هنالك يسيل واذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى دكانه (وكان رجل) يمشى ببغداد فبينما هو فى الطريق اذا بدار قد وقعت عليه فخرت كالجبل العظيم واذا فى الحائط طاقة فما أخطأت رأسه فصارت الدار كوما وخرج الرجل من الطاقة سليما (وحدثنى) ابو القاسم الحضرمى قال كنت باليمن فى ارض الصليحى فوشى بى الى السلطان فامر بقتلى فاخرجت وقدمت للقتل وتركنى السياف ثم قال لى مد رقبتك فمددت عنقى لقضاء الله تعالى ثم قال لى السياف اشدد فقلت دونك يا هذا فبينا نحن كذلك اذا بصائح من داخل القصر لا تقتلوه لا تقتلوه فخلوا سبيلى (وجرت بقرطبة قصة غريبة) فى ايام المنصور بن ابى عامر وذلك ان رجلا يعرف بقاسم بن محمد السنبسى شهد عليه بالزندقة فحبسه المنصور مدة مع جماعة الادباء من وجوه قرطبة مرموقون بالانهماك والزندقة وكان ينادى عليهم فى كل جمعة يوقفون اثر صلاة الجمعة بباب الجامع الاعظم من كانت عنده شهادة فيهم فليؤدها فثبت على

قاسم

الجنة وهى المنة والمؤنة والملامة اذا احسن لم يمن باحسانه وان يخفف مؤنته عن الناس واذا راى احدا لم يلمه (حكمة) يقال ان ابن القرية دخل على الحجاج وقال له ما الكفر فقال البطر بالنعمة واليأس من الرحمة فقال ما الرضا فقال القنوع بعطاء الله تعالى والصبر على المكاثرة فقال ما الصبر فقال كظم الغيظ والاحتمال لما لا يراد فقال ما الحلم فقال اظهار الرحمة عند القدرة والرضا عند الغضب فقال ما الكرم فقال حفظ الصديق وقضاء الحقوق فقال ما القناعة فقال الصبر عن الجوع والعرى عن اللباس فقال ما الغنى فقال استعظام الصغير بالآلة الحقيرة فقال ما الجبنة فقال الوقوف على رأس من هو دونك فقال ما الشجاعة فقال الجولة فى وجوه الاعداء والكفار والثبات فى موضع الفرار وارضاء الرجال قال ما العدل قال ترك المراد وصحة السيرة والاعتقاد فقال ما الانصاف قال المساواة عند الدعاوى بين الناس فقال ما الذل قال المرض عند خلو اليد والانكسار من قلة الرزق فقال ما الحرص قال حدة الشهوة عند الرجاء فقال ما الامانة قال قضاء الواجب فقال ما الخيانة قال التراخى مع القدرة فقال ما الفهم قال التفكر وادراك الاشياء على حقائقها * (حكمة) *

قاسم عند القاضي سجل شهادات الشهود بانواع منكرة تتضمن الزندقة والكفر فطلعوا الى القصر وعقدوا مجلسا عظيما واستشير الفقهاء فيه فاوجبوا قتله فاستحضر قاسم فحضر وحضر ابوه وحضر ابنان صغيران لقاسم ولبسوا ثياب الحداد وحمل ابوه معه نعشا وحمالين وجعل ابوه والصبيان يبكون على باب القصر واحضر لضرب عنقه سياف يعرف بابن الجندي ودفعت اليه اسياف من القصر فجعل يبرزها ويلمس شفارها وابوه وابناه ينظران وحضر الفقيه ابو عمر والمكودي الاشبيلي على كره منه وكان يابى الحضور فاستفتوه فقال ياهؤلاء ان الدماء لاتسفك الا بالحق الواضح دون الشبه احسبوا ان السندسي فروجاء اذا تذبحونه فقال القاضي ابن الشرفي بما ثبت عندي وامعنت النظر فيه قال الفقيه اوقفني عليه فاخذ السجل ونظر فيه فقال اخبرني بمن قتلته من هؤلاء الشهود وقال بهذا وهذا حتى عد خمسة قال الفقيه فجميعهم تقتله قال نعم قال فلو شهد منهم اثنان خاصة كنت تقتله قال لا انما اقوى بعضهم بعضا وزكى اكثرهم عندي فالتفت الفقيه الى الفقهاء المشاورين فقالوا ياهؤلاء بالدعائم يقتل المسلمون عندكم ويسفك دماؤهم فلست ارى قتله ولا اشير به فرجع الفقهاء الى قوله ولم يروا عليه شيأ بعد ما افتوا بقتله منذ ستة اشهر فانفض الجمع وشيم السيف وطار البشير الى ابن ابي عامر فاخبره بالمجلس فقال ابن ابي عامر مضيتم تقتلون ابن السندسي فدفنتم القاضي قد اجتهد نالك الدين ولا قاتل لمؤ جل فخمس ايامائم اطلق فكان ابن ذكوان الفقيه يقول للقاضي في مثل هذا قال القائل اذا سئل بم عرفت الله قال بنقضه عزائمي ومعنى الدعائم على لسان الفقيه هم الشهود الذين لو انفرد منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قبلا فيه فاذا كثروا اقوى بعضهم بعضا فلا يثبت الحكم بهم (وفي نقيض هذا ما حدثني القاضي) ابو مروان الداني بطرطوشة وقد ولي قضاءها فقد ذاكرنا يوما فقال نزلت قافلة بقرية خربة من اعمال دانية فاووا الى دار خراب هنالك ليستكنوا من الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وقرب تلك الخربة حائط مائل قد اشرف على الوقوع فقال رجل منهم لاهل القافلة ياهؤلاء لاتقعدوا تحت هذا الحائط ولا تدخلوا هذه البقعة فابوا الا دخولها وبات الرجل منتبذا خارجا عنهم لم يقرب ذلك المكان ثم اصبحوا في عافية وحملوا دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل الرجل الخربة ليستوقد ببقية النار فخر عليه الحائط فمات مكانه (وبلغني) عن بعض الفقهاء ان جيشا من الجيوش كان بصقلية ناهضا من مكان الى مكان فقعدوا ساعة لبعض شأنهم فاذا عقرب يدب فضرب به بعض الاجناد بمقرعة كانت معه ثم رفع المقرعة الى نحو عنقه فاذا بالعقرب قد تشبثت باهداب المقرعة وهو لا يشعر فلدغته في عنقه فقضى مكانه (واخبرني القاضي) ابو الوليد الباجي عن ابي ذر قال كنت اقرأ على الشيخ ابي حفص عمر بن احمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث في حانوت رجل يبيع العطر فجاء رجل طواف بطبق يحمله في يده واعطاه عشر دراهم وقال له ادفع الي اشياء سماها من العطر فاخذها في طبقه ومشى فسقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال ابو حفص لصاحب الحانوت لعلك تجبر لنا بعض هذه الاسباب قال نعم فنزل وجمع ما تجمع منها وجبر له ما نقص واقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لاتجزع فامر الدنيا ايسر من ذلك فقال الطواف اتظن ايها الشيخ ان جزعي لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى اني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي هميان فيه اربعمائة دينار او اربعة آلاف دينار الشك من ابي ذر ومعها فصوص قيمتها مثل ذلك فما جزعت لضياعها ولكن ولد لي في هذه الليلة مولود فاحتجت في البيت الى ما تحتاج اليه النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فاشفقت ان اشتري بها حوائج النفساء فابقى بغير رأس مال ولا اقدر على التكسب فقلت اشتري بها اشيأ واطوف صدر نهاري عسى استفضل شيأ اسد به رمقي ويبقى رأس المال اتصرف فيه فلما قدر الله تعالى بضياعه جزعت

قال الحكيم ثمانية يجاب الذلة على اصحابها وهي جلوس الرجل على مائدة لم يدع اليها ومن تأمر على صاحب البيت والطامع في الاحسان من اعدائه والمضي الى حديث اثنين لم يدخلاه بينهما ومحتقر السلطان ومن جلس فوق مرتبته ومن تكلم عند من لا يستمع كلامه ومن صادق من ليس باهل

(حكمة)

سئل بزرجمهر أي شئ يقبح بالرجل ذكره وان كان صحيحا قال مدح الرجل نفسه لانه لا يوجد بخيل محمودا ولا ذو غضب مسرورا ولا غافل حريصا ولا ترى كريما حاسدا ولا قنوطا غنيا ولا تجد للملوك صديقا

(حكمة)

قال الحكيم خمسة يفرحون بخمس ثم يندمون بعدها الكسلان اذا فاتته الامور والمنقطع عن اخوانه اذا نالته شدة ومن أمكنته فرصته على أعدائه ثم عجز عن انتهازها ومن ابتلي بامرأة سوء وتذكر المرأة الصالحة قبلها والرجل الصالح يقدم على ارتكاب الذنوب

(حكمة)

سئل بزرجمهر هل يقلب المال قلوب العلماء من الرجال فقال من قلب المال قلبه فليس بعالم وقال حكيم العتاب الظاهر خير من الحقد الباطن وقال بزرجمهر أصحاب الغم والحزن في الدنيا ثلاثة محب فارق حبيبه

فقلت لا عندي مال ارجع به اليهم ولا ما اكتسب به وعلمت انه لم يبق لي الا الفرار منهم وتركهم على هذه الحال يهلكون بعدي فهذا الذي اوجب جزعي قال الشيخ ابوذر وكان رجل من الجند جالسا على باب داره يستوعب الحديث فقال للشيخ ابي حفص انا ارغب اذ تم امره ان تدخل معه عندي وقام فظننا انه يريد ان يعطيه شيأ قال فدخلنا عليه فاذن لنا فقال الجندي للطواف عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال الجندي وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان بها من عظام الناس فلان وفلان فعلم الجندي صحة قوله فقال له وما علامة الهميان وفي اي موضع سقط منك فوصف المكان والعلامة فقال له الجندي لو رأيته كنت تعرفه قال نعم فاخرج الجندي هميان ووضعه بين يديه فقال هذا هميانى وعلامة صحة قولي ان فيه من الاحجار ما صفته كذا وكذا ففتح الهميان فوجد الاحجار على ما ذكر فقال الجندي خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف هذه الاحجار قيمتها مثل الدنانير او اكثر فخذ انت الدنانير فنفسي طيبة بذلك فقال الجندي لا آخذ على امانتي شيأ فدخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء فبكى الجندي بكاء شديدا وانتحب فقال له ابو حفص علام تبكي وقد ادى الله امانتك وقد بذل لك مالا كثيرا وان شئت عرضنا عليه ان يعيده عليك فقال ما ابكي لذلك وانما ابكي لاني اعلم انه قد حان اجلي فانه ما كان بقي امل أؤمله ولا امنية اتمناها الا ان يأتيني الله بصاحب هذا المال فيأخذه فاما اقضى الله تعالى ذلك بفضله ولم يبق لي امل علمت انه قد حان اجلي قال الشيخ ابوذر فما انقضى شهر حتى توفي وصلينا عليه (قال القاضي) وحدثني ابو القاسم بن الحسين بالموصل قال لقد جرت ههنا في هذا المسجد وهذه الدار والحانوت واشار اليها قصة عجيبة كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة في تجارة الخز فبينما هو يحمل الخز في خرجه على حماره وهو جميع ماله نزلت القافلة فاراد انزاله عن الحمار فثقل عليه فامر انسانا هناك فاعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فاجابه وأكل معه ثم سأله عن أمره فاخبره انه رجل خرج من الكوفة لامر ازعجه دون زاد فقال له الرجل تكون معي وتعينني على سفري ويكون طعامك عندي فقال الرجل اني حريص على خدمتك ومحتاج الى طعامك فسار معه في طريقه فخدمه على احسن حال قال فوصلا تكريت فنزلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال الرجل للخادم احفظ رحلنا حتى ادخل واشتري حاجتنا ثم دخل وقضى حوائجه فابطأ هناك ثم خرج فلم يجد الرفقة ولا وجد صاحبه فظن انه لما رحلت الرفقة رحل معها فلم يزل يسعى حتى وصل الى الرفقة بعد الجهد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما جاء معنا ولا رأيناه ولكنه ارتحل الاسباب على الحمار ودخل على اثرك وظنناك امرته بذلك ففكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عنه فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه وسار الى الموصل مسلوب المال فوافاها نهارا جائعا عريانا فقيرا مجهودا فاستحيا أن يدخل نهارا فيشمت العدو ويحزن الصديق فبقي حتى أمسى ثم دخل فدق باب الدار فقيل من هذا فقال فلان يعني نفسه فاظهر واسر ورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة والفاقة حملت جميع مالك وطال سفرك واحتاج أهلك وقد ولدت اليوم ولدا ووالله ما وجدنا ما نشتري به شيأ للنفساء ولقد كانت هذه الليلة طاوية على حالها فتحيل لنا في دقيق ودهن نسرج به فلا سراج عندنا فزاده ذلك غما وكره ان يخبرهم بحاله فيحزنهم وأخذ وعاء للزيت وجرابا للدقيق وخرج الى هذا الحانوت وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحوه وقد أغلق دكانه واطفأ مصباحه ونام فناداه فاجابه وعرفه وشكر الله على سلامته فقال التاجر لصاحب الحانوت اقدح زنادا أزن لك الدراهم في دقيق وزيت وعسل احتجت اليه الساعة وكره ان يخبره بتأخير الثمن فيمتنع

وهم المقاتل بالاجرة وحفار الآبار وراكب البحر للتجارة والحواء الذي يتصيد الحيات بيده وآكل السم بالمراهنة

(حكمة)

قال عمرو بن معدي كرب الكلام اللين يلين القلوب التي هي أقسى من الصخور والكلام الخشن يخشن القلوب التي هي أنعم من الحرير وقال الحكيم الحزن مرض الروح كما ان الوجع مرض الجسد والفرح غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الجسد وطلب حكيم من رجل ان يدينه دينارا فلم يفعل فقال الحكيم لم يكن من منعك الا ان احمر وجهي مرة من الحياء ولو أعطيتني لم يصفر وجهي وهي امر من مطالبتك بالف مرة

(حكمة)

وقال حكيم من لم يزرع قيمته لم تساو شيأ قيمته وقال من ليس له لب ولا خطر فهو شجرة بلا ثمر وقال من سل سيف البغي قتل به نفسه ومن لم ينصف من نفسه لم يخلص من حسرته ومن اطلق يده بالعطاء أشرق وجهه بالضياء وقال من تحرز من ذنوبه فقد تعلقت به وقال الشباب رضيع الجنون والشيب قبر بين التوقير والسكون وقال تزود لظاهر الزاد ولا تخف من الاضداد *(عظة)* قال لقمان

الحكيم كنت أسيرا في طريق فرأيت رجلا عليه مسح فقلت ما أنت أيها الرجل فقال آدمي قلت ما اسمك قال حتى أنظر

منه فقدح البياع الزناد واستصبح فقال له التاجر زن لي من الدقيق كذا ومن الزيت كذا ومن العسل
كذا ومن السمن كذا ومن الملح كذا وبينما هو كذلك اذ حانت منه التفاتة الى قعر الحانوت فرأى فيه
خرجه الذي هرب به صاحبه فلم يملك ان وثب عليه والتزمه وألقى يده في أطواق صاحب الحانوت
وجذبه الى نفسه وقال ياعدو الله أين مالي فقال له صاحب الحانوت مالك يافلان فوالله ما علمتك متعديا
ولا علمتني جنيت عليك ولا على سواك فما هذا قال خرجي فرلي به خادم خدمني بجميع مالي وبحماري
قال مالي علم غير ان رجلا ورد علي بعد العشاء واشترى مني عشاء واستضافني فأضفته وجعلت هذا
الخرج في حانوتي وهذا الحمار في دار جارنا والرجل في المسجد بائت فقال له احمل معي الخرج وانهض
الى الرجل فرفع الخرج معه وألقاه على عاتقه ومشى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم في المسجد فركضه
برجله فقام الرجل مذعورا فقال له مالك فقال له أين مالي ياخائن قال هو ذا على عنقك والله ما تغادر منه
ذرة قال فأين الحمار قال هو عند هذا الجاني معك فنهض الى داره فوجد متاعه سليما واستخرج الحمار
من الموضع الذي كان فيه ووسع على اهله وأخبرهم بقصته فزاد اهله فرحا وتبركا بذلك المولود * ولما وفى
موسى عليه السلام لصهره شعيب عليه السلام الاجل الذي أجله لرعي غنم شعيب التي دعاه موسى
عوضا عن مهر ابنته أخذ موسى عليه السلام زوجته وكر راجعا من مدين فلما وافى الوادي المقدس
عند جانب الطور أجنهم الليل بظلمته فامسوا بائتين فبينما هم كذلك اذ ضرب زوجته الطلق وكانت
حاملا وليس عندهم ما تحتاج اليه النفساء من الغذاء والدواء وما يصلح به شأنهم فبقوا في ضيق من
الحال وقلة من الحيلة فخرج موسى عليه السلام يلتفت وينظر يمينا وشمالا عسى فرج لما أمسوا فيه
من الضر اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او أجد على النار هدى
فلما أتاها ما أضيق ما يكون ذرعا وأحرجه قلبا وآيسه عن رفق نودي من شاطئ الوادي الايمن ياموسى
اني أنا ربك وهكذا الطائف الحق سبحانه مع من سلم لامره ورجا فضله وتكلم بالهدى والبشرى يفتح
الله فيه أمله ويعطيه فوق ما سأله هذا موسى عليه السلام خرج يقتبس نارا نودي بالنبوة وعن هذا
قال عالم وأنا ليس في خصال الخير وان جلت ولا في انواع الاعمال وان عظمت اعلى من حسن الظن بالله
تعالى ونظمه بعض الشعراء فقال

ايها العبد كن لما لست ترجو * من نجاح أرجى لما انت راج
ان موسى مضى ليقبس نارا * من ضياء رآه والليل داج
فأتى اهله وقد كلم الله * وناجاه وهو خير مناج
وكذا الكرب كلما اشتد بالعبد * دنت منه راحة الانفراج

(وروى) ان العدو نزل بساحة افريقية في عدد كثير من المراكب ففني ماؤهم وعطشوا فنفر المسلمون
لهم في خلق عظيم من تلك السواحل والحصون فمنعوهم النزول لاستقاء الماء وارسلوا الى المسلمين ان
يخلوهم واستقاء الماء فأبوا فتضاعف عطشهم حتى اشرفوا على الهلاك ففتحوا أناجيلهم واخذوا في
الدعاء والاستسقاء الى الله تعالى والتضرع اليه فلم يلبث بأوشك من السماء ان القت بأرواقها ثم أرخت
ماء كثيرا فبسط القوم انطاعهم وجفانهم وآلاتهم فشربوا وملؤا أوانيهم فضج المسلمون عند ذلك
وقالوا هؤلاء كفار وأعداء الله ورسوله قد اخلصوا الى ربهم وأنابوا اليه وسألوه ماء يحيون به رمقهم
فأغاثهم فنحن احق بالدعاء والتضرع الى الله سبحانه وأولى بالاجابة منهم ثم جد المسلمون في الدعاء
والصلاة والابتهال الى الله تعالى في ان يريهم آية يقوى بها قلوب الضعفاء ويزداد شكر اهل
المعرفة والاولياء فبينما هم كذلك اذ ارسل الله عليهم ريحا فبددتهم ومزقتهم كل ممزق وكسرت

ما اسمي نفسي فقلت
له من أين يعطيك فقال
من حيث يشاء فقلت
طوبى لك وقرة عين فقال
ومن الذي يمنعك عن هذه
الطوبى وقرة العين

* (حكمة) *

ثلاثة تذهب الغم عن
القلب صحبة العالم وقضاء
الدين ومشاهدة الحبيب
وقال شيآن يجلبان
الحزن الى القلب الطمع
في جود البخلاء والمزاح
مع الوضعاء وقال تجنب
من اربعة اشياء لتخلص
من اربعة اشياء تجنب
من الحسد لتخلص من
الحزن ولا تجالس جليس
السوء وقد تخلصت من
الملامة ولا تركب المعاصي
وقد خلصت من النار ولا
تجمع المال وقد استرحت
من عداوة الخلق

* (حكمة) *

قال الحكيم اربعة اعمال
مذمومة يعلمها الناس
فيجازون بها في الدنيا
والآخرة أحدها الغيبة
فقد قيل الغيبة فارس
يلحق سريعا الثاني احتقار
العلماء لانه من حقر العلماء
عاد حقيرا الثالث كفران
نعم الله تعالى الرابع قتل
النفس وللاكابر والحكماء
مثل قديم وهو قولهم كل
قاتل مقتول بعد حين كما
قال الشاعر

اذا امكنت يا اسكين كفا * لقتل الناس فاذكر السبيلا
رأى عيني قتيلا في طريق * فعض على أنامله طويلا

مراكبهم ولم يجتمع منهم اثنان • ومن عجائب صنع الله تعالى في هذا الباب ان رجلا من ديار بكر جاء الى بيت المقدس وزار قبر الخليل صلى الله عليه وسلم وأكل من ضيافته فطارت حبة عدس من ذلك الطعام في خيشومه ورام خروجها بكل حيلة فاعجزته حتى تركته مضني ثم رجع الى بلاده فبينما هو جالس اذ عطس فطارت العدسة في الارض فاذا طائر قد التقطها والتقمها وبرئ الرجل فسبحان من جعل أنف هذا الرجل حرز القوت هذا الطائر على بعد الشقة والمسافة • واما أنا فلما هممت بالرحيل من بلدي الى المشرق في طلب العلم كنت لا أعرف التجارة ولا الى حرفة أرجع اليها فجزعت من الخروج وكنت أقول ان ذهبت نفقتي ماذا أفعل وكان أقوى الآمال في نفسي ان أحفظ البساتين بالاجرة وأدرس العلم بالليل ثم استخرت الله تعالى فرحلت وكانت معي نفقة وافرة في هميان على وسطي وكنت أسمع المسافرين يقولون من نام بالليل في الفيافي وله نفقة على وسطه فليحلها فان اللصوص اذا كابرت الخلق يتفقدون أوساطهم فخرجت من بلاد السويدية الى انطاكية وهي اذ ذاك حرب للروم فسرينا ليلتنا وأصبحنا على باب انطاكية فأخذتني عيني وحللت الهميان ونمت ولم أستيقظ الا ضحوة النهار فاستيقظت ومددت يدي الى الهميان فلم أجده فجعلت أنظر الى القافلة والتفت الى الناس وقد أسقط في يدي ولم يبق لي حيلة فاسترجعت ورفعت أمري الى الله سبحانه واذا رجل من أهل القافلة ملتفتا الى فوقع وجهي في وجهه فاذا هو يضحك لما رأى ما بي فقال مالك أيها الفقيه قلت خير فراجعني فقلت خير فقام الي وقال خذ هميانك عافاك الله فسألته كيف ظفرت به فقال رأيتك قد تدحرجت ذراعين أو ثلاثة والتفت فرأيت سوادا في الموضع الذي كنت فيه نائما فسرت اليه وأخذته فاذا هو الهميان رحمة الله عليه ورضوانه لديه

•(الباب الستون في بيان الخصلة التي هي أم الخصال وينبوع الفضائل ومن فقدها لم يكمل فيه خصلة وهي الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس)•

قالت الحكماء أصل الخيرات كلها في ثبات القلب ومنه تستمد جميع الفضائل وهو الثبوت والقوة على ما يوجبه العدل والعلم والجبن غريزة يجمعها سوء الظن بالله تعالى والشجاعة غريزة يجمعها حسن الظن بالله تعالى سئل الاحنف عن الشجاعة فقال صبر ساعة وسئل أبو جهل عن الشجاعة فقال تصبرون على حر السيوف فواق ناقة وهو ما بين الحلبتين واعلم ان القادم للقتال طريدة من طرائد الموت فاستقبال الموت خير من استدباره وقد قال الاول رب حياة سببها التعرض للوفاة ووفاة سببها طلب الحياة ومن حرص على الموت في الجهاد وهبت له الحياة وقالوا الهزيمة شفرة من شفار الموت والفار يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عن نفسه وقالوا ثمرة الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل في الحرب مدبرا أكثر ممن قتل مقبلا وقالوا تأخير الاجل حصن المحارب وقيل لبعضهم في اى جنة تحب ان تلقى عدوك قال بادبار دولته وانقضاء مدته واعلم ان الشجاعة لمن كانت له الدولة واذا انقضت المدة لم تغن كثرة العدد وقال على رضى الله عنه اذا انقضت المدة كانت الهلكة في الحيلة واعلم ان كل كريهة ترفع أو مكرمة تكتسب لا تحقق الا بالشجاعة ألا ترى انك اذا هممت ان تمنع شيأ من مالك خار طبعك ووهن قلبك وعجزت نفسك فشححت به واذا حققت عزمك وقويت نفسك وقهرت ذلك العجز أخرجت المال المضنون به وعلى قدر قوة القلب وضعفه تكون طيبة النفس باخراجه أو كراهية النفس لاخراجه مع اخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضائل مهما لم يقارنها قوة نفس لم تحقق وكانت مخدوعة وروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الشجاعة والجبن غرائز يضعها الله تعالى فيمن يشاء من عباده فالجبان يفر عن امه وأبيه والشجاع يقاتل عمن لا يؤب به الى رحله فبقوة القلب يصاب امتثال الاوامر والانتهاء عن الزواجر بقوة

وقال لمن قتلت تراك حتى • غدوت كما أرى ملقى قتيلا • وقال الذي وأراك ايضا • يذوق القتل فليطل العويلا

•(الباب السادس في شرف العقل والعقلاء)• ان الله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤه خلق العقل على احسن صفة وقال له أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت في خلقي شيأ اعز منك بك آخذ وبك أعطي وبك أحاسب وبك أعاقب والدليل على صحة هذا ان الله تعالى على العباد شيئين الامر والنهى وكلاهما موقوفان على العقل كما جاء في محكم التنزيل قوله جل ذكره فاتقوا الله يا أولي الالباب وأولو الالباب هم ذوو العقول واشتقاق العقل من العقال والمعقل المنيع القلعة على رأس الجبل لا تصل اليها يد احد لامتناعها وقوتها واحكامها

•(حكمة)•

سئل حكيم الفرس لم سمى العاقل عاقلا فقال لان للعاقل أربع علامات يعرف بها وهي ان يتجاوز عن ذنب من ظلمه وان يتواضع لمن دونه وان يسابق الى فعل الخير لمن هو أعلى منه وان يذكر ربه دائما وان يتكلم عن العلم وان يعلم منفعة الكلام في موضعه واذا وقع في شدة التجأ الى الله تعالى وكذلك الجاهل له علامات وهو ان يجور على الناس ويظلمهم

القلب

القلب يصاب اكتساب الفضائل وبقوة القلب ينتهي عن اتباع الهوى والتضمخ بالرذائل قال الشاعر

جمع الشجاعة والخضوع لربه * ما أحسن المحراب في المحراب

وبقوة القلب يصبر الجليس على ايذاء الجليس وجفاء الصاحب وبقوة القلب يكتم الاسرار ويدفع العار وبقوة القلب يقتحم الامور والصعاب وبقوة القلب يتحمل أثقال المكاره وبقوة القلب يصبر على اخلاق الرجال وبقوة القلب تنفذ كل عزيمة وروية أوجبها الحزم والعدل وبقوة القلب يضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبهم مشحونة بالضغائن والاحقاد كما قال أبو ذر وانا لنكشر في وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم وقال علي رضي الله عنه انا لنصافح أكفا ترى قطعها وليس الصبر والشجاعة وقوة النفس ان تكون مصرا في الحال لجوجا في الباطل ولا ان تكون جلدا عند الضرب صبورا على التعب مصمما على التذمر والتهور فان هذه صفة الحمير والخنازير ولكن ان تكون صبورا على أداء الحقوق عليك صبورا على سماعها والقائها اليك غالبا هواك مالكا شهواتك ملتزما للفضائل بجهدك عاملا في ذلك على الحقيقة التي لا يحيلك عنها حياة ولا موت حتى يكون عندك موتك على الخير الذي أشار به العلم وأوجبه العدل خيرا من البقاء على ما أوجب رفض العلم والعدل كما قال علي بن الحسين رضوان الله عليهما يا بني وما يبالي أبوك لو ان الخلق خالفوه اذا كان على الحق وهل الخير كله للمعنى الا بعد الموت ومن هذا قالت حكماء الهند اذا لم يكن للملك من نفسه معين كان في جميع أموره ضعيفا مخذولا واعلم ان الجبن مقتلة والحرص محرمة والعز ذل والجبن ضعف والجبان يعين على نفسه يفر عن أمه وأبيه وصاحبته وبنيه واعلم ان كل كريهة ما بين الحلبتين والشجاع يحمي من لا يناسبه ويقي مال الجار والرفيق بمهجته والجبان يخاف مالا يحس به والجبان حتفه من فرقه واعلم ان الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه رجل اذا التقى الجمعان وتزاحف الزحفان واكتحلت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من مبارز والثاني اذا التحم القوم واختلطوا ولم يدر احد من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر اللب لم يخامره الدهش ولا خالطته الحيرة فينقلب بقلب المالك لامره القائم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوي قلوب أصحابه ويرجي ضعيفهم ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كردس فرسه كشف عنه حتى ييئس العدو منهم وهذا أحمدهم شجاعة وعن هذا قالوا المقاتل وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وقالوا) لكل واحد يومان لا بد منهما أحدهما لا يعقل عليه والثاني لا يغفل عنه فالجبان والفرار وكان شيوخ الجند يحكون في بلادنا قالوا ادارت حروب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها بما حوته من الرأس فيقال انه لم ير قط ضربة اقوى منها وكان شيوخ الجند في بلدنا طرطوشة يحكون انهم خرجوا في أيام سيف الدولة في سرية الى بلاد العدو فبينما هم يسيرون اذ لقيتهم سرية للروم يريدون مثل ما نريد منهم قال وعرف بعضهم بعضا وكان فينا صناديد الفرسان وفيهم صناديد الروم فقتتلوا ساعة ثم شددنا وشدوا فالتقينا وتجالدنا ساعة ثم منحنا الله تعالى أكتافهم فجعلناهم حصيدا كأنهم جزر على الاوضام وكان هناك بقربهم قرية فيها شيء من الخمر فشربناه وسكرنا ثم اشتهينا شرائح اللحم فقمنا نقطع من لحومهم ونجعل على النار وأكلنا منها ففزع من كنا اسرناه منهم وبلغ الحديث الى الروم فقضت الناس تعجبا منا وقذف الرعب في قلوبهم (وروى) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي عمرو بن معديكرب فقال له يا عمرو أي السلاح أفضل في الحرب فقال عن ايها تسأل قال ما تقول في السهام قال منها

ويعسف من دونه ويتكبر على الزعماء والمتقدمين وان يتكلم بغير علم وان يسكت عن الخطا واذا وقع في الشدة أهلك نفسه واذا رأى أعمال الخير لفت عنها وجهه

(حكمة)

قال سعيد بن جبير ما رأيت الانسان لابسا أشرف من العقل وان انكسر جبره واذا وقع أقامه واذا ذل اعزه واذا سقط في هوة جذب بضبعه منها واستنقذه وان افتقر أغناه وأول شيء يحتاج اليه البليغ العلم الممتزج بالعقل كما جاء في الحكاية

(حكاية)

انه ما كان في خلفاء بني العباس خليفة أعلم من المأمون في جميع العلوم وكان له في كل أسبوع يومان يجلس فيهما للمناظرة مع الفقهاء وكان يجتمع عنده الفقهاء والمناظرون والعلماء والمتكلمون فدخل بعض الايام مجلسه رجل غريب عليه ثياب رثة فجلس في أواخر الناس وقعد من وراء الفقهاء في مكان مجهول فلما ابتدؤا في المسائل وكان رسمهم انهم يديرون المسئلة على جماعة أهل المجلس وكل من عرف زيادة لطيفة أو نكتة غريبة ذكرها فذكرت المسئلة الى ان وصلت الى ذلك الرجل الغريب فاجاب عنها بجواب أحسن من أجوبة الفقهاء كلهم فاستحسنه المأمون فأمر ان يرفع من ذلك المكان الى موضع أعلى منه فلما وصلت المسئلة

مايخطئ ويصيب قال فما تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك قال فما تقول فى السيف قال ذاك ذاك لاأم لك قال فما تقول فى الترس قال هو الدائرة وعليه تدور الدوائر وكان عمرو هذا من شجعان العرب وابطالها نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه انى عابر على الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى اقاتل به تلقاء وجهى وقد عقرنى القوم وانا قائم بينهم وان أبطأتم وجدتمونى قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بنى زبيد على ماتدعون صاحبكم والله ماأرى ان تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد اخذ برجل فرس رجل من العجم فامسكها وان الفارس ليضرب فرسه فما يقدر الفرس ان يتحرك فلما غشيناه رمى الرجل بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال أنا ابو ثور كدتم والله تفقدونى قالوا أين فرسك قال رمى بنشابة فعار وشب فصرعنى (ويروى) ان عمرا حمل يوم القادسية على رستم وهو الذى قدمه يزدجرد ملك الفرس على قتال المسلمين فاستقبل عمرو رستما على فيل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه فيه اربعون الف دينار فقتل رستما وانهزمت العجم وروى ان قاتل رستم زنيم بن فلان واما الضربة التى حكيناها التى حازت ثلث البيضة بما حوته من الرأس فلم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعلقتها فى كنيستها وكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا أقواما هذا ضربهم فيرحل ابطال الروم اليها ليروها وانما كانت العرب تفتخر فى هذا الباب بقول النمر بن تولب يصف ضربة سيف

أبقى الحوادث والايام من نمر * آثار سيف قديم أثره بادى
تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والقيدين والهادى

وينشد قول النابغة فى السيف أيضا

يقد السلوقى المضاعف نسجه * ويوقد بالصفاح نار الحباحب

واين هذا من قد الحديد بما حواه من الرأس واين الثريا من الثرى واين الحسام من المنجل ولولا كراهة التطويل لذكرنا من امثال هذا ما فيه العجب وقد قالوا السيف ظل الموت السيف اماب المنية والرمح رشاء المنية والسهام رسل لاتؤامر من ارسلها والرمح اخوك وربما خانك والدرع مشغلة للراجل ومتعبة للفارس وانها الحصن حصين والترس مجن وعليه تدور الدوائر

(الباب الحادى والستون فى ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها واحكامها)

من حزم الملك ان لايحقر عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم من برغوث اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك * وان كان فى ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب * وتعجز عما تنال الابر

وفى الامثال لاتحقرن الذليل فربما شرق بالذباب العزيز ومثل العدو مثل النار ان تداركت اولها سهل اطفاؤها وان تركت حتى استحكم ضرامها صعب مرامها وتضاعفت بليتها ومثله ايضا مثل الجرح الردىء ان تداركته سهل برؤه وان اغفلته حتى تفل عظمت بليته واعيا الاطباء برؤه (واعلموا) ان الناس قد وضعوا فى تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيها ترتيبا فلا يسع اهل سائر الاقاليم جهلها اذ لكل امة فى الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيلة وضرب من المكيدة وجنس من اللقاء والكر والفر ونعبية المواكب وحمل بعضهم على بعض ولكن نصف منه أشياء تجرى مجرى المعاقد لاتكاد تختلف فى انهاء أزمة الحروب وتبدأ اولا بما ذكره الله تعالى فى القرآن قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما فى مقدور البشر

الثانية اليه اجاب بجواب أحسن من جوابه الاول فامر المأمون ان يرفع الى أعلى من تلك المنزلة فلما وصلت المسئلة الثالثة اجاب بجواب احسن واصوب من الجوابين الاولين فامر المأمون ان يجلس قريبا منه فلما انقضت المناظرة احضر الماء وغسلوا أيديهم واحضر الطعام فأكلوا ثم نهض الفقهاء وخرجوا فقرب المأمون ذلك الرجل وأدناه وطيب قلبه ووعده بالاحسان اليه والانعام عليه ثم عبى مجلس الشراب ونضده وحضر الندماء الملاح ودارت الراح فلما وصل الدور الى ذلك الرجل وثب قائما على قدميه وقال ان أذن أمير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة فقال قل ماتشاء فقال قد علم الرأى العالى زاده الله تعالى علوا ان هذا العبد كان اليوم فى المجلس الشريف من مجاهيل الناس ووضعاء الجلاس وان أمير المؤمنين بقدر يسير من العقل الذى أبداه جعله معروفا وأعلى درجته وبلغ به من الغاية التى لم تسم اليها همته والآن تريد ان تفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذى أعزه بعد الذلة وكثره بعد القلة وحاشا وكلا ان يحسده أمير المؤمنين على هذا القدر الذى معه من العقل والنباهة والفضل لان العبد اذا شرب الشراب باعد عنه

من العدة والآلة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة فمر على اناس يرمون فقال الا ان القوة
الرمى الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى وكان بعض اصحابه اذا اراد الغزو لا يقص أظفاره و يتركها
عدة و يراها قوة فأول ذلك ان يقدم بين يدى اللقاء عملا صالحا من صدقة وصيام ورد مظلمة وصلة رحم
ودعاء مخلص وأمر بمعروف وتغيير منكر وامثال ذلك فقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر بذلك
و يقول انما تقاتلون بأعمالكم وروى ان بريدا ورد عليه بفتح للمسلمين فقال له عمر أى وقت لقيتم
العدو قال غدوة قال ومتى انهزم قال عند الزوال فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون وقام الشرك للايمان
من غدوة الى الزوال لقد احدثتم بعدى حدثا او احدثت بعدكم حدثا ولشأن كل الشأن فى استجادة
القواد وانتخاب الامراء وأصحاب الولاية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود
الف أسد فلا ينبغى ان يقدم على الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراءة ثبت الجنان
صارم القلب جريئه رابط الجاش صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل
الاقران وقارع الابطال عارفا بمواضع الفرس خبيرا بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب وما الذى
يجب شحنه بالحماة والابطال من ذلك بصيرا بصنوف العدو ومواقع الغرة منه ومواقع الشدة منه فانه اذا
كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جميعهم كأنه مثله فان رأى لقراع الكتائب وجها والا ورد
الغنم لا زريبة (واعلم) ان الحرب خدعة عند جميع العقلاء وآخر ما يجب ركوبه قرع الكتائب وحمل
الجيوش بعضها على بعض فلتبدأ بتصريف الحيلة فى نيل الظفر (قال) نصر بن سيار كنت أمير خراسان
من قبل مروان الجعدى آخر ملوك بنى أمية قال وكان عظماء الترك يقولون ينبغى للقائد العظيم القياد ان
يكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحملة الخنزير
وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركى وغارة الذئب وسمن نغير وهى دويبة
تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء وكان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد
ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار والسحاب تحمل الماء والريح تصرف السحاب
والانسان يتقى الريح بحاجته والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فاشد خلق
ربك الهم فأول ذلك ان يبث جواسيسه فى عسكر عدوه يستعلم اخباره مع الساعات و يستعلم رؤساءهم
وقادتهم وذوى الشجاعة منهم ويدس اليهم و يعدهم ويعدا جيلا و يوجه اليهم بضروب الخدعة و يقوى
اطماعهم فى ان ينالوا ما عنده من الهبات الفاخرة والولايات السنية وان رأى وجها عاجلهم بالهدايا
والتحف وسألهم اما الغدر بصاحبها واما اعتزاله وقت اللقاء و ينشئ على ألسنتهم كتبا مدلسة اليه و يبثها
فى عسكره و يكتب على السهام اخبارا مزورة و يرمى بها فى جيوشهم و يضرب بينهم بما فى الميسور من
ذلك فان جميع ما ذكرنا تنفق فيه الاموال والحيل واللقاء تنفق فيه الارواح والرؤس ووجوه الخداع
فيه لا تحصى والحاضر فيها أبصر من الغائب ولله در المهلب لما كتب اليه الحجاج يستعجله فى حرب
الازارقة ورد الجواب فقال ان من البلاء ان يكون الرأى عند من يملكه لا عند من يبصره وقال المختار
ليزيد بن أنس حين ولاه الجزيرة وأمره بقتال عبد الله بن زياد امض الى عدوك برأى غير مستبد و بحزم
غير متكل ولا تركن الى الدولة فربما انقلبت واستشر من لا يطمع فى عملك ولا تمر بقلبك واستخر
الله تعالى قبل اقدامك توفق • وأوصت ام الذيال العبسية ابنها الفتاك وهو من أشد العرب يا بنى
لا تنشب فى حرب ان وثقت شدتك حتى تعرف وجه المهرب منها فان النفس أقوى شئ اذا وجدت سبيل
الحيلة وأضعف شئ اذا يئست منها واحمد الشدة ما كانت الحيلة مدبرة لها اذا لم يكن النصر من الله تعالى
قائدا لها واختلس من المحارب خلسة الذئب وطر منه طيران الغراب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور

مثله وقرب منه جهله وسلب أدبه فعاد الى تلك الدرجة الحقيرة كما كان ذليلا وزجع الى أعين الناس حقيرا مجهولا فان
رأى ان لا يسلب هذه
الجوهرة منه بفضله
وكرمه وسيادته وحسن
شيمته فعل ذلك متطولا
فلما سمع المأمون منه هذا
الكلام مدحه وشكره
وأجله فى مرتبته ووقره
وامر له بمائة ألف درهم
وحمله على فرس وأعطاه
ثياب تجمل وكان كل
مجلس يرفعه على جماعة
الفقهاء حتى صار ارفع منهم
درجة وأعلى منزلة وانما
أوردنا هذه الحكاية
لاجل نعت العقل لان
العقل يوصل صاحبه الى
كل درجة عالية ومرتبة
سامية وان الجهل يحط
صاحبه عن درجته
و يحطه عن مكانته

•(حكاية)•

يقال انه جاء فى بعض الايام
رجل الى باب دار ابى
الدوانيق المنصور وقال
للحاجب أعلم امير المؤمنين
ان بالباب رجلا من اهل
الشام اسمه عاصم وهو
يذكر انه كان فى الزمان
الماضى بينه و بين امير
المؤمنين مصاحبة مدة
سنة أو اقل او أكثر فى
التعليم والدروس وقد
وصل الآن للسلام
ولتجديد العهد بالامام
فلما عرفه الحاجب بذلك
اذن له فلما دخل وسلم
ثقل قدومه على أبى الدوانيق لغثاثة منطقه وسوء أدبه فاجلسه وسأله وقال لاى حاجة قدمت فقال لرؤية أمير المؤمنين بوسيلة تلك

عدو الشدة ۞ وقال أبو السرايا وكان أحد القتال لابنه يا بني كن بحيلتك أوثق منك بشدتك وبحذرك أوثق منك بشجاعتك فان الحرب حرب المتهور وغنيمة الحذر واعلم ان الدول اذا زالت صارت حيلها وبالا عليها واذا أذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الآفة في الحيلة ۞ وقالت الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة واذا انقضت مدة الدول ادبرت سنة الغفلة عن سنة الحذر ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوي بفناء مدته ۞ وقالوا سعود الدول ونحوسها مقرونة بسعود الملك ونحوسه وقالوا أبهى زي على كل امرئ دولته فاذا انقضت بدت عورته وقالوا رب حيلة أهلكت المحتال فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب ان تكون حماة الرجال وكماة الابطال في القلب فانه مهما انكسر الجناحان فالعيون ناظرة الى القلب فاذا كانت راياته تخفق وطبوله تضرب كانت حصنا للجناحين يأوي اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك الطائر اذا انكسر احدى جناحيه يرجى عوده ولو بعد حين وان كسر الرأس ذهب الجناحان ولا تحصى كثرة انكسار جناحي العسكر وثبات القلب ثم يرجع الفارون الى القلب ويكون الظفر لهم وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح أو تراجع اللهم الا ان يكون مكيدة من صاحب الجيش فيخل القلب قصدا وتعمدا ولا يغادر به كبير أمر حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه وأطبقت عليه الجناحان ومن أعظم المكايد في الحرب الكمناء ولا يحصى كثرة كم من عسكر استبيحت بيضته وقل عزمه بالكمناء وذلك ان الفارس لا يزال على حمية في الدفاع وحمي الذمار حتى يلتفت فيرى وراءه بندا منشورا أو يسمع ضرب الطبول فحينئذ همته خلاص نفسه ولتكن همتك وراء ذلك وعليه مدار الحروب في اصطناع الشجعان واختيار الابطال فاصطنع ذوي البسالة والاقدام والجراءة ولا عليك ان لا يكثروا أو بعيد عليك ان يكثروا ولا تنس بيت الشاعر

والناس ألف منهم كواحد ۞ وواحد كالالف ان أمر عنى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد منهم خيرا من عشرة آلاف وسأحكي لك من ذلك ما تقضي منه العجب فهم في الجيش وان قلوا كالانفحة في اللبن ۞ فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن ردميل النصراني على مدينة وشقة في ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يراهق عشرين الف مقاتل بين خيل ورجل فحدثني رجل ممن حضر الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن ردميل لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عد سبعة رجال قال انظر الآن من في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول يا بياضك من يوم ثم ناشب الحرب بينهم فلم تزل المصابرة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فني أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم فلما كان وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا حملة واحدة وداخلونا مداخلة ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا وصاروا بيننا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة معهم فأشار مقدموا العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذوو الحزم والبصيرة من جمع يحتوي على أربعين الف مقاتل ولا يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر رجلا وليعتبر بضمان العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما ازداد في أبطاله رجل واحد (وسمعت) أستاذنا القاضي ابا الوليد الباجي رحمه الله يحكي قال بينما المنصور بن ابي عامر في بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه ويساره

العصبة القديمة فأمر له بألف درهم فأخذها الرجل وانصرف ثم عاد بعد سنة وكان قد مات المنصور وولده وهو جالس في عزيته قد دخل الرجل وسلم عليه ودعا له فقال الخليفة فيم قدمت فقال أنا ذلك الرجل الذي كنت أتعلم معك العلم بالشام وقد أتيت معزيا لك بعزيتك ومؤديا حق عزيتك فأمر له بخمسمائة درهم وكان أبو الدوانيق بخيلا ولم يكن في بني العباس أبخل منه ولهذا لقب بأبي الدوانيق ثم عاد ذلك الرجل اليه بعد سنة أخرى فلم يجد حجة يحتج بها في الدخول عليه الا انه دخل في جملة الناس وسلم فقال له الخليفة لاي سبب وصلت فقال أنا الرجل الذي كنت معك بالشام للتعليم وكتابة الاخبار واستماع الاحاديث وكنت قد كتبت معك دعاء الحاجة كل من دعا به في حاجة قضى الله حاجته وقد ضاع ذلك الدعاء مني وقد أتيت أمير المؤمنين لاكتب نسخة ذلك الدعاء واحفظه فقال له المنصور لا تتعب في طلب ذلك الدعاء فانه غير مستجاب فاني دعوت به منذ ثلاث سنين ليخلصني الله من صداعك فلم أخلص ولو كان مستجابا كنت قد خلصت منك فخجل ذلك الرجل لما سمع هذا الكلام وانما أوردنا هذه الحكاية لان الانسان اذا كان عالما ولم يكن له عقل سقط

قد

قد ملؤا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصفى فقال كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال ابن المصفى ارى جمعا كثيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور لا يعجزنا ان يكون في هذا الجيش الف مقاتل من أهل الشجاعة والبسالة فسكت ابن المصفى فقال المنصور وما سكوتك أليس في هذه الجيوش الف مقاتل قال لا قال فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال أفيهم خمسمائة رجل من الابطال المعدودين قال لا فحنق المنصور ثم انعطف عليه فقال أفيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفيهم خمسون من الابطال قال لا فسبه المنصور واستخف به وأمر به فاخرج على اقبح صفة فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علج من الروم بين الصفين شاك في سلاحه يكر ويفر وهو ينادي هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون وصاحوا واضطرب لها المسلمون ثم جعل العلج يمرح بين الصفين وينادي هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويحمل وينادي هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل فقتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها غير ابن المصفى فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم قال بعيني جميع ما جرى قال فما الحيلة فيه قال وما الذي تريد قال ان تكفي المسلمين شره قال نعم الآن ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من اهل الثغور على فرس قد نشزت أوراكها هزالا وهو يحمل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل في نفسه وحليته غير متصنع فقال له ابن المصفى ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فماذا ترى فيه قال اريد رأسه الآن قال نعم فحمل القربة الى رحله ولبس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا ساعة فلم ير الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هنالك واذا الرجل يحمل رأس العلج فالقى الراس بين يدي المنصور فقال له ابن المصفى عن هؤلاء الرجال اخبرتك انه ليس في عسكرك منهم الف ولا خمسمائة ولا مائة ولا خمسون ولا عشرون ولا عشرة فرد ابن المصفى الى منزلته واكرمه (واعلم) ان اول الحرب شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى الحرب شعثاء عابسة شوهاء كالحة حرود في حياض الموت شموس في الوطيس تتغذى بالنفوس الحرب اولها الكلام وآخرها الحمام الحرب مرة المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها النصر * وقال الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقالوا الحرب غشوم سميت بذلك لانها تتخطى الى غير الجاني قال الشاعر

ألم أكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالي

وقال آخر

رأيت الحرب يجنيها اناس * ويصلى حرها قوم براء

وقال آخر

الحرب اول ما تكون فتية * تسعى ببزتها لكل جهول

حتى اذا اضطرمت وشب ضرامها عادت عجوزا غير ذات خليل

شمطاء ينكر لونها وتغيرت * مكروهة للشم والتقبيل

(وقال بعض الحكماء) قد جمع الله تعالى آداب الحرب في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * واستوصى قوم اكثم بن صيفي في حرب ارادوها فقال أقلوا الخلاف على أمرائكم واعلموا ان كثرة الصياح فشل ولا جماعة لمن اختلف وتثبتوا فان أحزم الفريقين الركين (وقال) عتبة بن ربيعة يوم بدر لاصحابه ألا ترون اصحاب محمد جثيا على الركب كانهم خرس يتلمظون

جاهه ورتبته * (حكاية) * يقال ان في ذلك العصر ايضا وصل رجل من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المنصور بحكم صداقة كانت بينهما قديما فلما رآه صار خليفة الزمان قدم عليه ووفد اليه وكان الرجل عاقلا لبيبا ولم يكن عالما فلما رآه قربه وأزلفه واستدعاه وقرب منزلته فقال ذلك الرجل يا أمير المؤمنين انا محب لك شديد المحبة والولاء مخلص في الطاعة والولاء غير اني لا أصلح لخدمة الملوك فكيف ينبغي ان أزورك بحيث لا يظهر مني سوء أدب ولا أثقل على قلبك فقال له المنصور أخر الزيارة واذا زرتني فاجعل بين زيارتك وانقطاعك مدة اذا غبت فيها لم انسك واذا حضرت لم أملك وازدادت عندي محبتك على ما كانت عليه واذا دخلت فاجلس بعيدا حتى يقربك الحاجب مني بالتدريج ولا تطل جلوسك فتنسب الى سوء الادب ولا تسأل حاجتك لئلا تثقل على قلبي واذا احسنت اليك فاشكرني في كل مجلس تحل فيه وكل منزلة تنزلها بحيث اذا بلغني ذلك سررت بشكرك وازددت في برك ولا تذكر في المجلس ما جرى بيني وبينك في الزمان الماضي فقبل الرجل هذه الوصايا فكان يأتي في كل سنة يمضي الى سلامه مرتين وكان الخليفة يعطيه

تلاحظ الحيات (ورأيت) غير واحد من الف فى الحروب يكره رفع الصوت بالتكبير و يقولون يذكر الله فى نفسه • واعلم ارشدك الله تعالى ان الله تعالى قد أوضح لنا فى كتابه علة النصر وعلة الهزيمة والفرار فقال يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم يعنى ان تنصروا رسوله ودينه واما الفرار فعلته المعاصى قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا أى بشؤم ذنوبهم وتركهم المركز الذى رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم رتب الرماة يوم أحد على ثلمة الجبل ليمنعوا قريشا أن يخرجوا عليهم كمينا من ذلك الموضع ثم التقى المسلمون فانهزم الكفار فقال الرماة لا تفوتنا الغنائم فاقبلوا على الغنائم وتركوا المركز الاول فخرجت خيل المشركين من هناك واقبلوا على المسلمين فكانت مقتلة أحد • وليخف قائد الجيش العلامة التى هو مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته والوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلا ونهارا وليبدل زيه و يغير خيمته و يعمى مكانه كى لا يلتمس عدوه غرته واذا سكنت الحرب فلا يمش فى النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه قد انكبت عليه وعلى هذا الوجه كسر المسلمون جيوش افريقية عند فتحها وذلك ان الحرب سكنت فى وسط النهار فخرج مقدم العدو يمشى خارج العسكر يتميز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن أبى السرح وهو نائم فى قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح • ولما عبر طارق مولى موسى بن نصير الى بلاد الاندلس ليفتحها وموسى اذ ذاك بافريقية خرجوا فى الجزيرة الخضراء وتحصنوا فى الجبل الذى يسمى اليوم جبل طارق وهم فى الف وتسعمائة رجل فطمعت الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة أيام وكان على الروم تدمير استخلفه لذريق ملك الروم وكان قد كتب الى الدريق يعلمه ان قوما لا ندرى أمن الارض ام من السماء قد وصلوا الى بلادنا وقد لقيتهم فانهض الى بنفسك فاتاه الدريق فى تسعين الف عنان والقيهم طارق وعلى خيله مغيث الرومى مولى للوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة ايام اشد قتال فرأى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام فحضهم على الصبر ورغبهم فى الشهادة و بسط فى آمالهم ثم قال أين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم وانا فاعل شيأ فافعلوا كفعلى والله لاقصدن طاغيتهم فاما أن أقتله واما ان اقتل دونه فاستوثق طارق من خيله وعرف حلية لذريق وعلامته وخيمته ثم حمل مع أصحابه عليه حملة رجل واحد فقتل الله تعالى لذريق بعد قتل ذريع فى العدو وحمى الله تعالى المسلمين فلم يقتل منهم كثير وانهزم الروم فاقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة ايام واحتز طارق رأس لذريق و بعث بها الى موسى و بعث بها موسى الى الوليد بن عبد الملك وسار مغيث الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم يكن همه غير المائدة التى تذكر اهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام فدفع اليه ابن اخت لذريق المائدة والتاج فقومت المائدة بمائتى الف لما فيها من الجواهر التى لم ير مثلها • وبهذه الحيلة قهر الب ارسلان ملك الترك ملك الروم وقومه وقتل رجاله واباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل ان يجمع لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة الف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدرك لهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة لفتح الحصون فى الحرب بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة قد دارت لهم وان نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت اخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك الاسلام فاحتشد للقائهم الب ارسلان التركى وهو الذى يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى

في كل مرة ألف درهم وانما ذكرت هذه الحكاية لتعلم ان من كان له عقل ولم يكن عالما فان عقله يكون له دليلا ومن كان ذا علم وليس له عقل عادت امووره جميعها منعكسة منقلبة ومن كان تام العقل والعلم كان فى الدنيا نبيا أو حكيما أو اماما فان جمال الانسان وعزه ومرتبته وصلاح أحوال دنياه وآخرته بالعقل وتمامه وتكامل صفاته وأقسامه كما قال الشاعر فى شعره شعر

بالعقل ينال المرء أوج البدر
والعقل به الجاه وسامى القدر
٣ والعقل يغسل عار الوزر
فى التاج مع نفاذ الامر

العقل أول الايمان ووسط الايمان وآخر الايمان وقال بعض القدماء ليس العقل ان الانسان اذا وقع فى أمر اجتهد فى حسن خلاصه منه بل العقل أن يجتهد أن لا يوقع نفسه فى أمر يحتاج الى الخلاص

•(حكمة)•
قال ابرويز الملك لولده احفظ الرعية بحفظك العقل واصرف آفتك عن الرعية ليصرف العقل آفته عنك واعلم انك حكم بين الناس والعقل حكم عليك فكما ينبغى أن يقبل الناس أمرك فكذلك ينبغى أن تقبل

٣ قوله والعقل يغسل الخ غير ظاهر المعنى ولا متزن فليحرر اه

ان

ان عادت طلائع المسلمين الى المسلمين وقالوا للبارسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم فى عدد لا يحصيهم الا الذى خلقهم وما المسلمون فيهم الا اكلة جائع فبقى المسلمون واجمين لما دهاهم فلما صبحوا واصباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من كثرة العدو وقوتهم وآلاتهم فامر البارسلان ان يعد المسلمون فبلغوا اثنى عشر الف تركى واذا هم منهم كارقة فى ذراع حمار فجمع ذوى الرأى من اهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر فى العواقب واستشارهم فى استخلاص صواب الرأى فتشاوروا برهة ثم اجمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحالفوا وناصحوا الاسلام واهله ثم تأهبوا اهبة اللقاء وقالوا للبارسلان نسمى الله ونحمل على القوم فقال البارسلان يا معشر اهل الاسلام امهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا فى شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وفاءت الافياء وعلمنا ان المسلمين قد صلوا ودعوا لنا وصلينا نحن حملنا امرنا فصبروا الى ان زالت الشمس ثم صلوا ودعوا الله تعالى ان ينصر دينه وان يربط على قلوبهم بالصبر وان يوهن عدوهم وان يلقى فى قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق من خيمة ملك الروم وعلامته وفرسه وزيه ثم قال لرجاله لا يتخلف احد كم ان يفعل كفعلى ويضرب بسيفه ويرمى بسهمه حيث اضرب بسيفى وارمى بسهمى ثم حمل جميعهم حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها فخلصوا اليه وقتل من حوله واسر ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك فسمعت الروم ان ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم اياما واخذ المسلمون اموالهم وغنائمهم واستحضر ملك الروم بين يدى البارسلان بحبل فى عنقه فقال له البارسلان ما كنت تصنع بى لو اخذتنى قال فهل تشك انى كنت اقتلك فقال له البارسلان انت اقل فى عينى من ان اقتلك اذهبوا به وبيعوه فيمن يزيد فكان يقاد بالحبل فى عنقه وينادى عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادى عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه احد شيأ حتى باعوه من انسان بكلب فأخذ الذى كان تولى ذلك من امره الكلب والملك وحملهما الى البارسلان وقال قد طفت جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل فيه احد شيأ الا رجل واحد دفع لى فيه كلبا قال قد انصف لان الكلب خير منه فاقبض الكلب وادفع اليه هذا الكلب ثم انه امر بعد ذلك باطلاقه فذهب الى قسطنطينية فعزلته الروم وكحلته بالنار فانظر ماذا يأتى على الملوك اذا عرفوا فى الحروب من الحيلة والقصد فى المكيدة (واعلم) أن القدماء قالوا الكثرة للرعب والقلة للنصر وقد قال تعالى يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثرة أبدا يصحبها الاعجاب ومع الاعجاب الهلاك وخير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة آلاف ولن يغلب جيش يبلغ اثنى عشر الفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم ● فاما صفة اللقاء وهو احسن ترتيب رأيناه فى بلادنا وهو ارجى تدبير نفعله فى لقاء عدونا ان نقدم الرجال بالدرق الكاملة والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفوا صفوفهم ويركزوا مراكزهم ورماحهم خلف ظهورهم فى الارض وصدورهم شارعة الى عدوهم وهم جاثمون فى الارض وكل رجل منهم قد القم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التى تمرق سهامهم من الدروع والخيل خلف الرماة فاذا حملت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجالة عن هيآتهم ولا يقوم رجل منهم على قدميه فاذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجالة بالمزاريق وصدور الرماح تلقاهم فاخذوا يمنة ويسرة فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة فتنال منهم ما شاء الله ● ولقد حدثنى من حضر مثل هذه الوقعة فى بلدى طرطوشة قال صافقت الروم على هذا الترتيب فحملوا علينا فبينا رجل منا

فشكره أنوشروان وأمر أن يكتب اليه جوابا وقال أيها الحكيم لقد أحسنت فى تأدية رسالة العقل لاننا ومن تقدمنا من الملوك انما تحلينا بالعقل فكيف يمكننا مخالفته فان العاقل أقرب الى الله تعالى عز وجل والعقل كالشمس فى الدنيا وهو قلب الحسنات والعقل حسن فى كل احد وهو فى الاكابر والزعماء احسن والعقل فى جسد الانسان كالرطوبة فى الشجرة لان الشجرة ما دامت رطبة طرية كان الخلق من اريجتها ونشر ازهارها وطيب ثمارها ونضارتها وطراوتها فى سرور وغبطة ونزهة وفرحة فاذا جفت رطوبتها وقلت نضارتها فلا تصلح حينئذ لسوى القطع والاحراق والقلع وكذلك الانسان ما دام عقله قويا وجسمه سليما فصحبته مباركة ومواصلته حسنة نافعة فاذا زال عقله وغلب عليه جهله فحينئذ لا يصلح للحياة ولا يستره غير الوفاة وقال أنوشروان كيف ينبغى أن اخالف العقل ولا افعل ما يأمرنى به العقل فانه ليس الملك ولا الرعية خيرا من العقل فان بضيائه يفرق بين القبيح والمليح والجيد والردىء والحق والباطل والصدق والكذب وقال بزرجمهر شيآن لا يمكن وجودهما فى

كان فى آخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه علج من العدو فاصاب غرته فقتله * ولما برز المقتدر بالله بن هود ملك الاندلس من سرقسطة فى ثغور بلاد الاندلس للقاء الطاغية ردميل عظيم الروم وكان كل واحد منهم قد احتشد بما فى ميسوره فالتقى المسلمون والكفار ثم تنازلوا للقتال وتضافوا ودام القتال بينهم صدرا كبيرا من النهار وكان المسلمون فى خسران فافزع المقتدر ذلك وفرق المسلمون من شر ذلك اليوم فدعا المقتدر رجلا من المسلمين لم يكن فى الثغور اعرف بالحرب منه يسمى سعداره فقال له المقتدر كيف ترى فى هذا اليوم فقال سعداره هذا يوم أسود ولكن قد بقيت لى حيلة فذهب سعداره زيه زى الروم وكلامه كلامهم لمجاورتهم وكثرة مخالطتهم فانغمس فى عسكر الكفار ثم صعد الى الطاغية ردميل فالفاه شاكى السلاح مكفنا فى الحديد لا يظهر منه الا عيناه فجعل يتخيله و يترصد غرته الى ان امكنته الفرصة فحمل عليه فطعنه فى عينه فخر صريعا لليدين والفم ثم جعل ينادى بلسان الروم قتل السلطان يا معشر الروم فشاع قتله فى العسكر فتخاذلوا وولوا منهزمين وكان الفتح باذن الله تعالى * ولما استضعف الروم صقلية وضربوا عليهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج و يحملون الاموال الى العرب بافريقية و يستنجدون بهم على الروم فقال لهم ملك الروم انما مثلى ومثلكم يا اهل صقلية مثل رجل له زوجتان عجوز وصبية فكان اذا بات عند الصبية تلقط الشيب من لحيته لتصبيه فيزهد فى العجوز واذا بات عند العجوز تلقط الشعر الاسود من لحيته لتشيخه فتزهد الصبية فيه فيوشك ان دام هذا به ان يصبح اطلس كذلك حالكم معى ومع العرب اذا اديتم المال لى ولهم يوشك ان تنفد اموالكم فتبقوا فقراء ضعفاء فأسلمكم واتسلم البلاد * و يروى انه لما هم بحصار صقلية امر ان يبسط بساط فى الارض ثم جعل فى وسطه دينارا ثم قال لوجوه رجاله من أخذ منكم هذا الدينار ولم يطأ البساط علمنا انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولم يصل احد اليه فلما اعياهم ذلك طووا ناحية من البساط من عنده وأمر كل واحد أن يطوى مما يليه حتى طوى البساط فدنوا ايديهم فلحقوا الدينار فحينئذ قال لهم اذا اردتم مدينة صقلية خذوا ما حولها من الحصون والمدن الصغار والضياع والقرى حتى اذا ضعفت أخذتموها * وكان بسرقسطة فارس يقال له ابن فتحون وكان ينا سبنى فيقع خال و الدنى وكان أشجع العرب والعجم وكان المستعين ابو المقتدر يرى له ذلك و يعظمه وكان يجرى عليه فى كل عطية خمسمائة دينار وكانت النصرانية باسرها قد عرفت مكانه وهابت لقاءه فيحكى ان الرومى اذا سقى فرسه فلم يشرب يقول له اشرب هل ابن فتحون رأيت فى الماء فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فاوغروا به صدر المستعين فنحاه أياما ثم ان المستعين أنشأ غزوة الى بلاد الروم فتوافقت المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز علج الى وسط الميدان ينادى هل من مبارز فخرج اليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومى وصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الرومى يكر بين الصفين و ينادى هل من اثنين لواحد فخرج اليه فارس من المسلمين فقتله الرومى فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل يجول بين الصفين و ينادى و يقول ثلاثة لواحد فلم يستجرئ احد من المسلمين ان يخرج اليه وبقى الناس فى حيرة فقيل للسلطان ما لها الا ابو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له أما ترى ما يصنع هذا العلج فقال هو بعينى قال فما الحيلة فيه فقال ابو الوليد فما اذا تريد فقال اكف المسلمين شره فقال الساعة يكون ذلك ان شاء الله تعالى فلبس قميص كتان واستوى على سرجه بلا سلاح واخذ بيده سوطا طويل الطرف وفى طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه فعجب منه النصرانى ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فلم تخط طعنة النصرانى سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لا شئ منه فى السرج ثم طفر على سرجه وحمل اليه وضربه بالسوط فى عنقه

(حكمة) وقال لقمان الحكيم مهما كان الرجل عالما فانه لا ينتفع بعلمه ما لم يكن العقل لعلمه مصاحبا

(حكمة) سأل انوشروان بزرجمهر من تحب ان يكون اعقل الناس قال العدو اذا عادانى فقال ولم قال لأمن اساءته وكل شئ اذا كثر هان الا العقل فانه كلما كثر كان صاحبه اعز

(حكمة) وقيل لبزرجمهر اى شئ من الاشياء لابد للانسان منه ولا مندوحة له عنه فقال العقل فقيل له ما قدر شئ لا يوجد فى احدهم تاما كيف يعرف قدره وقال بعض الحكماء جميع الاشياء مفتقرة الى العقل والعقل يفتقر الى التجربة ولا غنى اعز من العقل ولا فقر اشد من الجهل وكل من كان علمه أوفر كانت حاجته الى العقل أكثر والمثل فى هذا كراع ضعيف معه قطيع كبير يضرب للعالم الذى لا عقل له وقالت العلماء العقل امير وله جنود وجنوده التمييز والحفظ والفكرة والفهم وسرور الروح بالعقل لان به ثبات الجسم والروح سراج نوره العقل ثم ينبسط فى جميع الجسد والعاقل لا يغتم أبدا لانه لا يفعل ما يوجب الاغتمام ولا يهتم بامر لا يجوز فعله الاهتمام (حكمة) سئل ابن عباس رضى الله عنه العقل خير أم الادب فقال العقل لان

فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه من سرجه وجاء به يجره فالقاه بين يدى المستعين فعلم المستعين انه كان قد أخطأ فى صنعه معه فأكرمه ورده الى احسن احواله أيها الاجناد اقلوا الخلاف على الامراء فلا ظفر مع اختلاف ولا جماعة لمن اختلف عليه قال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واول الظفر الاجتماع وأول الخذلان الافتراق وعماد الجماعة السمع والطاعة وانما أتى على ابن أبى طالب رضى الله عنه يوم صفين من العصيان وكان قد ظهر أهل العراق على أهل الشام وتضعضعت صفوف معاوية فأحس بالشر وانه مغلوب فقال لعمرو بن العاص اذهب فخذ لنا الامان من ابن عمك يعنى عليا فادار عمرو الحيلة فأمرهم ان يرفعوا المصاحف فى اطراف الرماح و ينادون ندعوكم الى كتاب الله تعالى فلما رأى ذلك اصحاب على كفوا عن الحرب فقال لهم على رضى الله عنه اى قوم هذه مكيدة منهم ولم يبق فى القوم دفاع فعصوه وتركوا القتال وكان ذلك سبب الحكمين واعلموا ان من احزم مكايد الحرب ذكاء العيون واستطلاع الاخبار وافشاء الغلبة واظهار السرور وابانة الحذر والاحتراس من العدو وان لا تخرج هاربا الى قتال ولا تضيق أمانا على مستأمن وقال بعض المصنفين كثرة التكبير عند اللقاء فشل غضوا الاصوات وتجلببوا السكينة واكملوا الوثام واحتموا الجبن وادرعوا الليل فانه أخفى للويل الليل يكفيك الجبان ويصف الشجاع الليل المدد الاعظم الحازم يحذر عدوه على كل حال المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد اذا ولى الجهل قوة الجرأة من اغتر بقوته فقد وهن ليس من القوة التورط فى الهوة لكن أشد ما كنت حذرا ما كنت عند نفسك أكثر قوة وعددا من استضعف عدوه اغتر ومن اغتر ظفر به عدوه أشعروا قلوبكم فى الحرب الجرأة فانها سبب الظفر واذكروا الضغائن فانها تبعث على الاقدام والتزموا الطاعة فانها حصن المحارب اذا وقع اللقاء برز القضاء اذا التقى السيف السيف زال الخيار رب مكيدة أبلغ من نجدة رب كلمة هزمت عسكرا الصبر سبب النصر الظفر مع الصبر اجعل قتال عدوك آخر حيلك النصر مع التدبير لا ظفر مع بغى ولا تغتر بالاقوياء افضل قوتهم على الضعفاء لا تجبنوا عند اللقاء لا تميلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تغلوا عند الغنائم نزهوا الجهاد عن عرض الدنيا

●(الباب الثانى والستون فى القضاء والقدر والتوكل والطلب)●

اعلم وفقك الله تعالى ان مذاهب الخلق فى القضاء والقدر وخلق الافعال وارادة الكائنات منتشرة ولا يخرج عن علمه وقضائه وقدره وحكمه حادث فمن خالفنا فى القضاء والقدر ووافقنا فى العلم وقد تباين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم وتقاطعوا فيه وتدابروا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم نضع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا والاحتجاج لكل فريق لان ذلك يستدعى مجلدات وأسفارا وانما نذكر فى هذا الكتاب احكاما ظاهرة قريبة من العقول لتقرب الفائدة على الناظر فيه فاعلم أولا ان كل ما يجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية بقضاء وقدر وكذلك لا يطير طائر بجناحيه ولا يدب حيوان على بطنه و رجليه ولا تطير بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجرى شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به ثم اعلم ان القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والكسب لا يتضادان وذلك ان تعلم أن كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما علم الله تعالى انه يكون فهو كائن ومن خالفنا فى القضاء والقدر وافقنا فى العلم فرب أمر قدر الله تعالى وصوله اليك بغير طلب فهو واصل ورب أمر قدر وصوله اليك بعد الطلب فلا يصل الا بالطلب والطلب أيضا من القدر ولا فرق بين الامر المطلوب وبين الطلب فى انهما مقدوران فمن ههنا قلنا انهما لا يتنافيان وكذلك التوكل مع الكسب لان التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا يتضادان شيآن فى محلين

العقل من الله تعالى والادب تكليف من العبد وسئل عبد الله بن المبارك العقل خير أم الادب فقال العقل فقيل له ما العقل فقال العقل تعلم العلم والعمل بالعلم ان تعلم انه ينبغى ان تعمل والعقل انك اذا علمت عملت قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما قسم الله لعباده خيرا من العقل ونوم العاقل خير من عبادة الجاهل والعاقل المفطر خير من الجاهل الصائم وضحك العاقل خير من بكاء الجاهل

●(حكمة)●

قال رجل لاقليدس الحكيم لا استريح أو اتلف روحك فقال انا لا استريح حتى أخرج الحقد من قلبك قال الحكيم كما يفوح من الميتة الرائحة المنتنة كذلك يفوح من الجاهل نتونة الجهل فتضر به وبجيرانه وأفاد به

●(حكمة)●

سئل حكيم ما العقل فقال شداد وعقدة بين ثلاثة وعشرين شيأ ولولا هذه العقدة لاختلط الجيد بالردىء أولاهو عقدة بين التوحيد والشرك وبين الايمان والكفر وبين الحذر والتهور وبين الاسلام والغفلة وبين اليقين والشك وبين العافية والبلاء وبين الكرم والبخل وبين حسن الخلق والفصاحة وبين التواضع والكبر وبين العداوة والصداقة وبين المدح والذم وبين السهو والجهل وبين الحياء والفحة وبين

بعد ما يحقق العبد أن المقدور من قبل الله تعالى فان تعسر شيء فبتقديره وان اتفق فبتيسيره قال أنس جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول الله أدعها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل والتوكل والاعتصام بالقدر يستمدان من العقل والطلب والكسب يستمدان من الامر فالتوكل على الله تعالى هو الثقة بما ضمنه والقطع بكون ما حكم به فمن رام أمرا من الامور وليس الطريق في تحصيله أن يغلق بابه عليه ويفوض أمره الى ربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة يظهر به ويحترس من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لأمة الحرب ويعبي الجيوش ويأمرهم وينهاهم بما فيه مصالحهم واسترقى وأمر بالاسترقاء وتداوى وأمر بالمداواة وقال أنزل الداء الذي أنزل الدواء (فان قيل) قد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو اكتوى فقد برئ من التوكل (قلنا) أليس قد قال اعقلها وتوكل وظاهر بين درعين وسائر ما ذكرناه آنفا (فان قيل) فما الجمع بين ذلك (قلنا) معناه من استرقى واكتوى متكلا على الرقية والكي وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرج من التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله تعالى فاما من باشر الاسباب والادوية وتعاطى تدبير الامور بنفسه وأعوانه وماله على ما جرت به سيرة الله تعالى في أرضه وعادته في خلقه غير معتمد على شيء من ذلك بل هو واثق القلب أن ما حصل فبتقديره وما تعسر فبتقديره معتمدا في ذلك على المسبب لا على الاسباب فهذا هو المتوكل لكن شرطه ان يمشي في ذلك كله مع الاثر ولا يسلك طريقا فيه معصية فليس يستدرج ما عند الله بمعاصيه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ابتغى أمرا بمعصية الله كان أبعد لما رجا وأقرب لمجيء ما اتقى ومن ظن ان الطلب والاكتساب يناقض التوكل فقعد في بيته واغلق بابه متكلا على الله تعالى في زعمه كان عن العقل خارجا وفي تيه الجهل والجا ويقال له قبحت يا هذا أذجعت وحضر الطعام فهو الى الطعام أحوج منه الى المعرفة وينبغي لاهله ان يداووه ألا ترى أن الله تعالى قال لمريم وهزي اليك بجذع النخلة فهلا امرها بالسكون ثم حمل الرطب اليها وهكذا القول فيمن له دابة او بستان يؤمر بسقي البستان وحفره واصلاح شأنه ويؤمر بأن يعلف الدابة ويسقيها وانشدوا

الم تر أن الله قال لمريم ... اليك فهزي الجذع تساقط الرطب
ولو شاء اجنى الجزع من غير هزها ... اليها ولكن كل شيء له سبب

وهكذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل ارزاقها اليها في اوكارها بل ألهمها الطلب بالغدو والرواح وقد كان جهيل رئيس القندهارس يرى من تصديق القدر وتكذيب الطلب دون اهل زمانه من الملوك ما عجزه عن الطلب والتدبير فاخرجه اخوته من سلطانه وقهروه على مملكته فقال له بعض الحكماء ان ترك الطلب بضعف الهمة ويذل النفس وصاحبه سائر الى اخلاق ذوات الاجحرة من الحيوان كالضب وسائر الحشرات تنشأ في أجحرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا بين القدر والطلب وقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما أرجح مما حمل في الآخر سقط وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبا فقالوا ان اعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهما من الطعام والشراب فلم يزالا في عافية الى ان هلك المحتسب فاقاما بعده أياما فاشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمعوا رأيهما على ان يحمل الاعمى المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره ويستقل المقعد بحمل

الحق والباطل وبين الرزانة والخفة وبين الظلمة والضياء وبين الكرامة والدولة وبين الطاعة والمعصية وبين ذكر الله تعالى والغفلة وبين الرضا والحسد وبين السنة والبدعة وبين الرحمة والقساوة وبين الحكمة والحمق قال صاحب الكتاب جميع محاسن الناس في العقل وسائر العلوم والاعمال مرجعها الى العقل كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يروى ان الريح حملت كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام وجعلت تسير به فلاح لسليمان بلد فأمر الريح ان تحطه فرأى على باب البلد مكتوبا أجرة احتم ادبوم درهم والحسن والجمال في يوم أجرته مائة دينار وعلم ساعة واحدة لا تحصى قيمته وجميع الاشياء منوطة بالعلم والعلم أسير الرأي والتدبير والرأي مع العقل توأمان ومن أعطاه الله سبحانه وتعالى العقل فقد آتاه خيرا كثيرا كما قال الشاعر

(ان كنت من أصل جوهر منسوب
في الحسن أو يوسف فتى يعقوب)

فاما التي لها عادة الفارة فهي المرأة السراقة التي تحمل كيس زوجها وتسرق منه وتخبؤه في بيوت جيرانها او تسرق منه حنطته وأسبابه وتعطيه الغزلات وأما التي لها عادة الطير فهي التي تدور وتطول نهارها وتعول لزوجها

الاعمى فيدوران فى القرية يستطعمان اهلها فوقعا فيجمع مرهما ولولم يقع لاهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه فأخذ جهيل فى الطلب فظفر باعدائه ورجع الى ملكه فكان جهيل يقول لاتدعن الطلب اتكالا على القدر ولا تجهدن نفسك فى الطلب معتمدا عليه مستهينا بالقدر فانك اذا اجهدت نفسك بالطلب بوجوه التدبير المحمودة مصدقا بالقدر نلت ماتحاول ولم تلتو عليك الامور وان عملت بذلك فالتوى عليك امر من مطلوبك فذلك من اعانة القدر وانك قد أتيت ذنبا فتفقد جوارحك واستكشف ظاهرك وباطنك وتب الى الله تعالى من كل ذنب أتيته بجارحة من جوارحك واخرج من كل مظلمة ظلمتها فاذا فعلت ذلك قابلك الحظ وساعدك القدر ان شاء الله تعالى

واعلم ان هذا الاصل الذى قررناه يخرج عليه كل ما ورد فى القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الامر بالتوكل على الله والتسليم اليه والتفويض له من ذلك ان سليمان الخواص تلا يوما قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت فقال ما ينبغى لعبد بعد هذه الآية ان يلجأ الى احد غير الله قلنا معناه لا يلجأ الى الاسباب اعتمادا عليها ولكن يلجأ اليها واثقا بأن الله تعالى يفعل ما يشاء كما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بعقل الناقة ولبس درعين ألا ترى ان من يطلب الزرع والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولا بذر أرضه معتمدا فى ذلك على الله تعالى وثقا به ان تلد امرأته من غير وقاع وتنبت أرضه الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله تاركا وللائمة والحكماء فى القدر ألفاظ بارعة على السبر والامتحان فمنها ما روى ان على بن ابى طالب رضى الله عنه سئل عن القدر فاعرض عن السائل فأبى الا الجواب فقال على اخبرنى أخلقك الله كما تشاء او كما يشاء فامسك الرجل فقال على للحاضرين أترونه يقول كما أشاء اذا والله اضرب عنقه فقال الرجل كما يشاء فقال على أيحييك كما تشاء او كما يشاء قال كما يشاء قال أيميتك كما تشاء او كما يشاء قال كما يشاء قال أفيحشرك كما تشاء او كما يشاء قال كما يشاء قال أفيدخلك حيث تشاء او حيث يشاء قال حيث يشاء قال قم فليس لك من الامر شئ وروى ان رجلا قدريا ومجوسيا تناظرا فقال القدرى للمجوسى مالك لا تسلم فقال المجوسى لو أراد الله تعالى لاسلمت فقال القدرى قد أراد الله تعالى ان تسلم ولكن الشيطان يمنعك قال المجوسى فانا مع اقواهما وروى فى الاسرائيليات ان نبيا من انبياء الله تعالى مر بفخ منصوب واذا طائر قريب منه فقال الطائر يا نبى الله هل رأيت اقل عقلا من هذا نصب هذا الفخ ليصيدنى فيه وأنا انظر اليه قال فذهب عنه ثم رجع فاذا الطائر فى الفخ فقال له عجبا لك اولست القائل آنفا كذا وكذا فقال يا نبى الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين وقال رجل من الخوارج لعلى رضى الله عنه ارأيت من جنبنى سبل الهدى وسلكنى سبل الردى أحسن الى ام اساء فقال له على ان كنت استوجبت عليه حقا فقد اساء وان كنت لم تستوجب عليه شيأ فهو يفعل ما يشاء (وقال) ميمون بن مهران لغيلان القدرى سل فاقوى ما تكونون اذا سألتم فقال غيلان أشاء الله أن يعصى فقال ميمون أيعصى كارها فانقطع غيلان وروى ان رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر فى القدر فقال وما تصنع بالمناظرة فى القدر رأيت ظاهرا استدللت به على الباطن ورأيت احمق مرزوقا وعاقلا محروما فعلمت ان التدبير ليس الى العباد وقال بعضهم

يخيب الفتى من حيث يرزق صاحبه ✽ ويعطى المنى من حيث يحرم طالبه

ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك فقال له يزيد بن المهلب انت أدهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك فى يدى سليمان فقال موسى ان الهدهد يهندس الماء فى الارض الفيافى ويبصر القريب منه والبعيد على بعده فى التخوم ثم ينصب له الصبى الفخ بالدودة والحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وفى الاسرائيليات ان الهدهد كانت رائدة سليمان بن داود عليهما

أين تمضى ولا شك انك ماتريدنى وانك تحب غيرى ولست معى مستقيما ولا على مشفقا وأما التى لها عادة الثعلب فانها التى يخرج زوجها من البيت ومهما رأته فى البيت تمرضت وتعللت واذا دخل زوجها فتحت عليه الخصومة وابتدأته بالنقار وتقول له تركتنى فى البيت وحيدة مريضة وأما التى لها عادة الغنمة فهى المباركة الرحيمة كالغنمة التى كل شئ فيها منفعة وكذلك المرأة الصالحة الكثيرة النفع المشفقة على بعلها وجيرانها وقرابتها وأهل بيتها وأولادها المطيعة لربها تعالى

(فصل) واعلم ان ديانة المرأة وسترها نعمة من نعم الله تعالى على عبده وهيهات ان يقدر على المرأة العفيفة طامع كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

يقال انه اراد رجل فاسق ان يكابر امرأة عفيفة بالحرام فقال لها امضى واغلقى أبواب الدار جميعها واحكمى اغلاقها فمضت المرأة ثم عادت فقالت قد غلقت سائر الابواب وأوثقت اغلاقها سوى باب واحد فقال أى الابواب ذلك الباب فقالت تلك الابواب التى بيننا وبين الخلق قد اغلقتها وقد بقى الباب الذى بينى وبين الخالق جلت عظمته ما قدرت عليه ولا استطعت ان أغلقه وهو بحاله مفتوح فوقع فى نفس هذا الرجل من هذا الكلام الهيبة

السلام الى الماء فتقدم معسكره ثم تنظر الارض فتقول الماء ههنا على الف قامة او اقل او اكثر فتبادر الجن بحفره فلا يلحق سليمان الا وقد استعد الماء واعلموا ان الهارب بما هو مقضى مقدر كالمتقلب فى كف الطالب وانشد بعضهم

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

ولبشار

طبعت على ما فىّ غير مخير * هواى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا اعطى واعطى فلم أرد * وقصر علمى ان انال المغيبا
واصرف عن قصدى وعلمى مقصر * وأمسى وما اعقبت الا التعجبا

ولما وقع الطاعون بالكوفة فر ابن ابى ليلى على حمار له يطلب النجاة فسمع منشدا ينشد

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة طيار
او يأتى الحتف على مقدار * قد يصبح الله أمام السارى

فكر راجعا الى الكوفة وقال اذا كان الله امام السارى فلات حين مهرب وانشد بعضهم

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حاديها
وقال اخاف عادية الليالى * على نفسى وان أتى رداها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجدوا فى منطقته كتابا فيه اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بكل احد عجز واذا كان الموت بكل احد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصرى فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ عجبت من ثلاث رجل يريد تناول رزقه بتدبيره وهو يرى تناقض تدبيره ورجل شغله هم غده وعالم مفتون يعيب على زاهد مغبوط ومن عجيب ما نزل بالاسكندرية ان رجلا من خدمة السلطان غاب عن خدمته أياما فقبضه الشرط وحملوه الى دار السلطان فانساب منهم فى بعض الطريق وترامى فى بئر والمدينة مسربة تحت الارض باسراب يمشى الماشى فيها قائما يخترقها او بدورها الان فى دورها آبارا الى تلك السروب فما زال الرجل يمشى الى ان لاح له بئر مضيئة فطلع فيها واذا البئر فى دار السلطان فطلع الرجل فى دار السلطان فادبه السلطان فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب فى يد الطالب وقال ابن مسعود ان الرجل ليشرف على الامر من الامارة والتجارة او غيرها فاذكره الله تعالى فوق سمواته فيقول للملك اصرف عن عبدى هذا الامر فانى ان أيسره له أدخله به جهنم فيظل يتغيظ على جيرانه فيقول سبقنى فلان وحسدنى فلان وما صرفه عنه الا الله تعالى وأنشدوا

قالوا تقيم وقد احا * ط بك العدو ولا تفر
فاجبتهم الشيخ ما * لم ينتفع بالعلم غر
لانلت خيرا ما بقيت ولا عدانى الدهر شر
ان كنت أعلم ان غير الله ينفع أو يضر

استأذن العقل على الجد فقال اذهب لا حاجة لى بك فقال العقل ولم فقال انك تحتاج الى ولا أحتاج اليك (واوصى) حكيم ابنه فقال يا بنى رزقك الله جدا يخدمك به ذوو العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوى

الجدود

فاخلص لله التوبة واقلع عن ذنبه وعاد الى طاعة ربه الاعلى (حكاية مثلها) يقال انه كان رجل علوى بسمرقند بعض الايام قائما على باب داره فاجتازت عليه امرأة ذات حسن وجمال وكان الدرب خاليا فقبض العلوى على زند المرأة وجذبها الى داخل الدار وهم ان يفسد معها فقالت له المرأة أسألك مسئلة أجبنى عنها وافعل ما بدا لك فقال اذكرى ما تريدين فقالت اذا أنت وطئتنى حراما وحبلت منك وولدت ولدا هل يكون ذلك الولد علويا أو خبيثا عاميا فقال انه يكون علويا فقالت المرأة لا شك انك أنت من خبوث العلويين ولو لم تكن خبيثا لم تفعل مثل هذا فخجل العلوى فى الحال ورفع يده عنها ونذر على نفسه لله نذرا انه لا يعود ينظر الى امرأة محرمة عليه نظر فساد وينبغى ان يكون الرجل صاحب حمية وغيرة على حرمه وناسه فان الحمية من الدين الى حد انه لا يجوز للرجل الاجنبى ان يسمع دق المرأة الاجنبية بالهاون واذا دق رجل أجنبى باب الدار فلا يحل للمرأة ان تجيبه بلين وسهولة لان قلوب الرجال تتعلق باقل الاشياء واكثرها وان كان لابد للمرأة ان تجيبه فلتضع أصبعها فى فمها وتجيبه ليصير صوتها شبيها بصوت العجائز ولا يجوز للنساء أن ينظرن

الجدود وكان يقال افراط العقل مضر بالجد وروى ان رجلا خير في أمر فأبى ان يختار وقال انا بجدي
أوثق مني بعقلي فافرغوا وفي الامثال اسع بجد لا بكد اسع بجد أو دع جدك لا كدك الجد لا الجد الجد
أغنى من الكد واعلم ان زمام الامور التوفيق ولم ينزل من السماء الى الارض أقل من التوفيق وهو
مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد كنت جمعت فيه كتابا من جملة
كتابي في الاسرار وهل التوفيق مكتسب أو موهبة بلا سبب فلا مزيد عليه * ومن لطيف ما وقفت
عليه في مجاري القضاء والقدر وان الهارب من المقدور كالمنفلت في يد الطالب ما نزل في مدينة
الاسكندرية في قضية الرجل الذي تقدم ذكره

*(الباب الثالث والستون وهو جامع من أخبار ملوك العجم
وحكاياتهم وهو يشتمل على خمسة فصول)*

(الاول) يشتمل على أخبار رفعت الينا بعد الفراغ من الكتاب فالحقناها (والثاني) يشتمل على حكم
الحكيم الفرس خاصة (والثالث) يشتمل على حكم حكيم السند خاصة (والرابع) يشتمل على حكم الحكيم
العرب خاصة (والخامس) يشتمل على حكم مجموعة منتخبة ومعنا ذلك لتنظر في عقول القوم واغراضهم
ومنتهى مرامهم من كتاب جاويدان خرد الفارسي قال ثلاثة لا يصلح فسادهن بشيء من الحيل العداوة بين
الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة في العقول وثلاثة لا يستفسد صلاحهن بنوع من المكر والحيل
العبادة في العلماء والقنوع في المستبصرين والسخاء في ذوي الاخطار وثلاث لا يشبع منهن الحياة
والعافية والمال وقال ابن لقمان لابيه يا ابت ما الداء العياء قال دعوة مولودة قال فما الجرح الدوى قال
المرأة السوء قال فما الحمل الثقيل قال الغضب ولما قرأ هذه الحكاية أبو عباد الكاتب وكان
ظريفا في أخباره قال والله الغضب أخف علي من ريشة وكان أسرع الناس غضبا فقيل له انما يعني
لقمان ان احتمال الغضب ثقيل فقال لا والله لا يقوى على احتمال الغضب الا الجمل وغضب يوما
على بعض أصحابه فرماه بدواة فشجه فجعل الدم يسيل فقال أبو عباد صدق الله العظيم حيث قال والذين
اذا ما غضبوا هم يغفرون فاستدعاه المأمون وقال ويحك لا تحسن ان تقرأ آية من كتاب الله تعالى
قال بلى والله يا أمير المؤمنين اني لاقرأ من سورة واحدة الف آية فضحك المأمون وامر باخراجه * وقيل
لانوشروان ما العقل قال القصد في كل الامور وقيل فما المروءة قال ترك الريبة قيل فما السخاء قال ان
تنصف من نفسك قيل فما الحمق قال الاغراق في الذم والحمد وقيل لبعض الحكماء ما الحزم قال سوء
الظن وقال بعضهم في قوله الحزم سوء الظن قال انما أراد سوء الظن بنفسه لا بغيره قيل فما الصواب
قال المشورة قيل فما الذي يجمع القلوب على المودة قال كف بذول وبشر جميل قيل فما
الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض وقال معاوية لزياد حين ولاه العراق يا زياد ليكن حبك
وبغضك قصدا فان الغيرة كامنة واجعل للرجوع والنزوع بقية من قلبك واحذر صولة الانهماك
فانها تؤدي الى المهالك وهو مثل قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحبب حبيبك هونا ما عسى ان
يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما ومن ذلك قول الاول

وأحبب حبيبك حبا رويدا * فليس يعولك ان تصرما

وقال آخر

ولا تيأسن الدهر من حب كاشح * ولا تأمنن الدهر صرم حبيب

وسئل بزرجمهر عن العقل فقال ترك ما لا يعني قيل فما الحزم قال انتهاز الفرصة قيل فما الحلم
قال العفو عند المقدرة قيل فما الشدة قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مغرق وبغض

الى الرجال الاجانب ولو كان المنظور أعمى وجاء في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل الى بيت عائشة رضي الله عنها فرأى عبد الله ابن أم مكتوم قاعدا عند النساء فقال يا عائشة لا يحل للمرأة ان تقعد عند غير ذي محرم فقالت يا رسول الله انه أعمى فقال ان كان لا يراك فانك ترينه

(حكاية)

يقال ان الحسن البصري رحمة الله عليه قصد زيارة رابعة العدوية رضي الله عنها في جماعة من أصحابه فلما وصلوا الباب قالوا

مفرطا وقيل لبعض الملوك وبلغ في المنزلة والقدر مالم يبلغه احد من ملوك زمانه ما الذي بلغ بك هذه المنزلة قال عفوي عند قدرتي ولين بعد شدتي وبذل الانصاف ولو من نفسي وابقائي في الحب والبغض مكانا لموضع الاستبدال وقال الاسكندر لبعض الحكماء وأراد سفرا ارشدني لأحزم امري قال لا تملكن قلبك محبة الشئ ولا يستولين عليك بغضه واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية في القلب تنزع وتر جع واجعل وزيرك التثبت وسميرك التيقظ ولا تقدم الا بعد المشورة فانها نعم الدليل واذا فعلت ذلك ملكت قلوب رعيتك ملك استعباد قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لانسه ۞ ولا القلب الا انه يتقلب

وقيل لبعض الحكماء ما الدليل الناصح قال غريزة العقل مع الطبع قيل فما القائد المشفق قال حسن المنطق قيل فما العناء المعي قال تطبيعك من لا طبع له وقال الفضل بن مروان سألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم قال بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة لا ينغص جنده ولا يحرج رعيته سهل النوال حزن النكال الرجاء والخوف معقودان في يده قلت فكيف حكمه قال يرد الظالم ويردع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور في القلوب فتغضي له العيون قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغائي اليه واقبالي عليه وكانت الرسل تنزل عندي فقال للترجمان ما الذي يقول الرومي قال يصف له ملكهم ويذكر سيرته فكلم الترجمان بشئ فقال لي الترجمان يقول ان ملكهم ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجترام قد كسا رعيته جميع نعمته وقصرهم تعنيف عقوبته فهم يتراءونه ترائي الهلال خيالا ويخافونه مخافة الموت نكالا وقد وسعهم عدله وردعهم سطوته فلا تمتهنه مزحة ولا تؤسه غفلة اذا أعطى أوسع واذا عاقب اوجع فالناس اثنان راج وخائف فلا الراجي خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف هيبتهم له قال لا ترفع اليه العيون اجفانها ولا تتبعه الابصار انسانها كان رعيته قطا فرقتها صقور صوائد قال فحدثت المأمون بهذين الحديثين فقال لي كم قيمتهما عندك قلت الفا درهم قال يا فضل ان قيمتهما اكثر من الخلافة اما علمت حديث امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قيمة كل امرئ ما يحسن افتعرف احدا من الخطباء البلغاء يحسن ان يصف احدا من خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد امرت لهما بعشرين الف دينار معجلة لهما واجعل العدة مادة بيني وبينهما على الود فلولا حقوق الاسلام واهله لرأيت اعطاءهما ما في بيت المال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه وقال الفضل بن سهل كان عندي رسول ملك الروم وكان يحدثني عن اخت للملك يقال لها خاتون قال اصابتنا سنة اجتدم هشوا ظلها علينا بحرارة المصائب وصنوف الآفات ففزع الناس الى الملك فلم يدر ما يجيبهم به فقالت له خاتون أيها الملك ان الحزم عاق لا يخلق جديده ولا يهن عزيزه وهو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجره عن استفسادها وقد فزعت رعيتك اليك لفضل العجز عن الالتجاء الى من لا تزيده الاساءة الى خلقه عزا ولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا والملك اولى بحفظ الوصية من الموصي وبركوب الدلالة من الدال ولا يحسن الرعاية من الراعي ولم تزل في نعمة لم تغيرها نقمة وفي رضا لم يكدره سخط الى ان جرى القدر بما عمي منه البصر وذهل منه الحذر فسلبها وهو السالب والواهب فعد اليه بشكر النعم وعذ به من فظيع النقم فتى تدعه بنية ثبت لك ولا تجعلن الحياء من التذلل للعزيز المذل حجرا بينك وبين رعيتك فتقع في مذموم العاقبة ولكن مرهم وتقدم لتنصرف القلوب الى الاقرار

أتاه فنبين لنا في الدخول فقالت تمهلوا ساعة وجعلت الكساء بينها وبينهم سترا واذنت لهم فدخلوا وسلموا عليها فاجابتهم من وراء الستر فقالوا لم علقت بيننا وبينك سترا فقالت أمرت بذلك في قوله تعالى فاسئلوهن من وراء حجاب وواجب على الرجل ان لا ينظر الى امرأة اجنبية بخائنة قبل ان يجازى به في الآخرة فيجازى به في الدنيا كما جاء في الحكاية

۞ (حكاية) ۞

كان بمدينة بخارى رجل سقاء يحمل الماء الى دار رجل صائغ مدة ثلاثين

لله بكنه القدرة وتذليل الالسن فى الدعا ببعض الشكر فان الملك ربما عاقب عبده ابرجعه عن شئ فعل الى
صالح عمل وليبعثه على دؤوب شكر يحوز به فضل اجر فامرها الملك أن تقوم فيهم فتنذرهم بهذا
الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه وقد علم الله تعالى منهم الوعظ فى الامر والنهى فحال عليهما الحول
وما بينهم مفتقد نعمة كان سابها وتواترت عليهم الزيادات بجميل الصنع فاعترف الملك لها بالفضل
فقلدها الملك بعده وجمع الرغبة على الطاعة لها فى المحبوب والمكروه فهذا فعل الله باعدائه وضرائر
نعمته لما شكروه أعادلهم من نعمه ما كان قد استرجع وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف بمن يوحدونه
ويؤمنون به لو صدقت نياتنا وصحت ضمائرنا وقال الواقدى توفى رسول بعض الملوك بدمشق فى
خلافة هشام فوجد فى جيبه لوح من ذهب مكتوب فيه اذا ذهب الوفاء نزل البلاء واذا مات الاعتصام
عاش الانتقام واذا ظهرت الخيانات امتحقت البركات وقال الوضاحى وجه أنوشروان رسولا له الى
ملك قد اجمع على محاربته وامره ان يتعرف سيرته فى نفسه ورعيته فرجع اليه فقال وجدت عنده
الهزل أقوى من الجد والكذب اكثر من الصدق والجور أرفع من العدل فقال انوشروان رزقت
الظفر به سر اليه وليكن عملك فى محاربته بما هو عنده أضعف وأقل وأوضع فانك منصور وهو مخذول
فسار اليه فقتله واستولى على مملكته وقال بزرجمهر المزح آفة الجد والكذب عدو الصدق والجور
مفسدة الملك فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته واذا استصحب الكذب استخف به واذا بسط
الجور فسد سلطانه وكان نقش خاتم رستم وهو أحد ملوك الفرس الهزل مبغضة والكذب منقصة
والجور مفسدة وقتل لبعض أصحاب اسفنديار رجل من الترك فأصيب فى عنقه لوح ذهب مكتوب فيه
آفة الشدة التهيب وآفة المنطق الحياء وآفة كل شئ الكذب وقيل لبعض الحكماء ما قيمة الصدق
قال الخلد فى الدنيا قيل فما قيمة الكذب قال موت عاجل قيل فما قيمة العدل قال ملك الابد قيل
فما قيمة الجور قال ذل الحياة قال وسأل ملك الهند الاسكندر وقد دخل بلاده ما علامة الملك ودوامه قال
له الجد فى كل الامور قال فما علامة زواله قال الهزل فيه قال فما سرور الدنيا قال الرضاء بما رزقت
قال فما غمها قال الحرص على ما لعلك لا تناله وقال بزرجمهر ثلاث هن سرور الدنيا وثلاث هن غمها فاما
السرور فالرضا بالقسم والرضا بالطاعة فى النعم ونفى الاهتمام بالرزق لغد وأما الغم فحرص مسرف وسؤال
مجحف وتمنى ما لم يهف ومر بعض الملوك بغلام يسوق حمارا غير منبعث وقد عنف عليه فى السوق فقال
يا غلام ارفق به فقال الغلام يا ايها الملك فى الرفق به مضرة عليه قال وما مضرته قال تطول طريقه
ويشتد جوعه وفى العنف احسان اليه قال وما الاحسان اليه قال يخف حمله ويطول أكله فاعجب الملك
بكلامه وقال له قد امرت لك بالف درهم قال رزق مقدور وواهب مأجور قال وقد أمرت باثبات اسمك
فى حشمى قال كفيت مؤنة ورزقت بها معونة قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك قال ان يعدم
الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان
نفسه حتى يبلوها قال فاستوزره فوجده ذا رأى صليب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق قال
وكتب الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد نفذ فى الشرق والغرب وبلغ منهما ما لم يبلغه أحد قبله ا كتب
الى لفظا موجزا ينفع ويردع فكتب اليه اذا استولت بك السلامة فجدد ذكر العطب واذا اهنتك
العافية فحدث نفسك بالبلاء واذا اطمأن بك الامن فاستشعر الخوف واذا بلغت نهاية الأمل فاذكر
الموت فان أحببت نفسك فلا تجعلن لها فى الاساءة اليها نصيبا قال ووعظ بعض الحكماء مليكا فقال له
ايها الملك ان الدنيا دار عمل والآخرة دار ثواب ومن لا يقدم لا يجد فهن نفسك حلاوة عيشها بترك الاساءة
اليها واعلم ان زمام العافية بيد البلاء وأمن السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف

سنة وكان لذلك الصائغ
زوجة فى نهاية الحسن
والجمال والظرف والكمال
معروفة بالديانة موصوفة
بالستر والصيانة فجاء
السقاء على عادته يوما
وقلب الماء فى الباب وكانت
المرأة قائمة فى وسط الدار
فدنا منها السقاء وأخذ
بيدها ولواها وفركها
وعصرها ثم مضى وتركها
فلما جاء زوجها من السوق
قالت له أريد ان تعرفنى
اى شئ صنعت اليوم
فى السوق لم يكن لله تعالى
فيه رضا فقال الرجل
ما صنعت شيأ فقالت
المرأة ان لم تصدق وتعرفنى
ما اقعد فى بيتك ولا تعود

فلا تكونن فى حال من هذه الثلاثة غير متوقع لاضدادها ولا تجعل نفسك غرضا لسهام الهالكة فان الدهر عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد واذا فكرت فى نفسك وعدوها استغنيت عن الوعظ (قال) وكتب الاسكندر على باب الاسكندرية أجل قريب فى يد غيرك وسوق حثيث من الليل والنهار واذا انتهت المدة حيل بينك وبين العدة فاحتل قبل المنع واكرم اجلك تحسن صحبة السائقين واذا آنستك السلامة فاستوحش بالعطب فانه الغاية واذا فرحت للعافية فاحزن للبلاء فاليه تكون الرجعة واذا بسطك الامل فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو الموعد واليه المورد (وقال) ابن الاعرابى حدثنى من رأى بين اصبهان وفارس حجرا مكتوبا عليه العافية مقرونة بالبلاء والسلامة مقرونة بالعطب والامن مقرون بالخوف ولما ضرب أنوشروان عنق بزرجمهر لما رغب عن دين المجوسية وانتقل الى دين المسيح عليه السلام وجد فى منطقته كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق ولما تاب الله تعالى على النبى سليمان عليه السلام ورد عليه ملكه كتب على كرسيه اذا صحت العافية نزل البلاء واذا تمت السلامة نجم العطب واذا تم الامن علن الخوف (وحفر) حفير بفارس فوجد فيه لوح رخام فيه أربعة أسطر محفورة أولها أيها المعافى أبشر بالبلاء والثانى أيها السالم توقع العطب والثالث أيها الآمن خذ أهبة الخوف والرابع أيها الموسر لن يبعد عنك العسر ولما نزل أبو مسلم مدينة سمرقند أتاه اسبهندها فقال أيها الملك ان بالقندهار حجرا مدفونا فيه ثلاثة أسطار وجدت فى الكتب ان سليمان بن داود عليهما السلام بعث به ودفن فى هذا الموضع ووجدانك أنت الذى تستخرجه وتعمل بما فيه فامر به فاخرج فاذا أول سطر منه الحزم انتهاز الفرصة وترك الونا فيما يخاف عليه الفوت والسطر الثانى الرياسة لا تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يقتل الآباء من ترك الابناء ولم يصب من لم يخب فكان أبو مسلم يقول علم جليل به تتم هذه الدولة ان لم ينزل القدر بما يحول بيننا وبين الحذر فلم يزل يستعمل هذا الكلام الى أن قدم العراق فاعماه القدر عن الاستعانة بالحذر فقتله أبو جعفر المنصور ولما حج أبو مسلم قيل له ان بالحيرة نصرانيا قد أتت عليه مائتا سنة وعنده علم من العلم الاول فوجه اليه فاتى به فلما نظر الشيخ الى أبى مسلم قال قدمت بالكفاية ولم تأل فى العناية وقد بلغت النهاية أحرقت نفسك لمن سيكفت حسك وكأن قد عاينت رمسك فبكى أبو مسلم فقال لا تبك فانك لم تؤت من حزم وثيق ولا من رأى دقيق ولا تدبير نافع ولا من سيف قاطع ولكن ما استجمع أحد لامله الا أسرع فى تقريب أجله قال فمتى تراه يكون قال اذا تواطأ الخليفتان على أمر كان والتقدير فى يدى من يبطل معه التدبير وان رجعت الى خراسان سلمت وهيهات فاراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالمضى ووجه اليه من يحثه فلولا ان البصر يعمى اذا نزل القدر لكانت هذه دلالة تقع موقع العيان وتبعث على التيقظ فى الحذر والاحتيال فى الهرب على ان لكل نفس غاية ولكل امر نهاية (وقيل) لجالينوس وهو حكيم الطب وفيلسوفه وقد نهكته العلة ألا تتعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء واذا قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل وبئس الداء الامل وقال بعض الغزاة فتحنا حصنا من بلاد الروم فرأينا فيه صورة الاسد من حجر مكتوب عليه الحيلة خير من الشدة والتأنى أفضل من العجلة والجهل فى الحرب أحزم من العقل والتفكر فى العاقبة مادة الجزع (وقال) احمد بن سهل وجه ملك الروم الى هرون الرشيد بثلاثة أسياف مع هدايا كثيرة وعلى سيف منها مكتوب أيها المقاتل احمل تغنم ولا تفكر فى العاقبة فتهزم وعلى الثانى منها مكتوب اذا لم تصل ضربة سيفك فصلها بالاقدام خوفك وعلى الثالث مكتوب التأنى فيما لا يخاف عليه الفوات افضل

من

ترانى ولا أراك فقال اعلى ان فى يومنا هذا أتت امرأة الى دكانى فصنعت لها سوارا من ذهب فاخرجت المرأة يدها ووضعت السوار فى ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن زندها فتذكرت هذا المثنوى

فى ساعدها سوار تبر وار
كالنار يلوح فوق ماء جارى
هل يخطر فى هواجس الافكار
ماء وله منطقة من نار

ثم اخذت يدها فعصرتها ولو يتها فقالت المرأة الله أكبر لم فعلت مثل هذا لاجرم ذلك الرجل الذى

من العجلة الى ادراك الامل وقال الحسن بن سهل قرأت فى كتاب جاويدان خرد ثلاث تبطل مع ثلاث
الشدة مع الحيلة والعجلة مع التأنى والاسراف مع القصد (وقال) الخضر بن على رأيت بمعدن حجرا
عليه مكتوب بالحميرية أيها الشديد احذر الحيلة أيها العجول احذر التأنى أيها الهارب تايس من
الفكر فى العاقبة أيها الطالب موجود الا انقطع املك من بلوغه (وكتب) قيصر الى كسرى اخبرنى
بأربعة اشياء لم اجد من يعرفها واخالها عندك أخبرنى ما عدو الشدة وصديق الظفر ومدرك الامل
ومفتاح الفقر فكتب اليه الحيلة عدو الشدة والصبر صديق الظفر والتأنى مدرك الامل والجود
مفتاح الفقر (وقال) بعض الملوك لحكيم وأراد سفرا اوقفنى على اشياء من حكمتك اعمل بها فى سفرى
فقال اجعل تأنيك زمام عجلتك وحيلتك رسول شدتك وعفوك ملك قدرتك وأناضامن لك قلوب
رعيتك ان لم تحرجهم بالشدة او تبطرهم بالاحسان اليهم وقال الخضر بن على قرأت فى كتاب جاويدان
خرد وهو اجل كتاب للفرس الحيلة انفع من أقوى الشدة وأقل التأنى اجل من أكثر العجلة والدولة
رسول القضاء المبرم واذا استبد الانسان برأيه عميت عليه المراشد وكان البختكان أبو بزرجمهر خامل
القدر وضيع الحال مفهه المنطق فلما أتت لبزرجمهر خمس عشرة سنة وحضر فى مجلس الملك وقد
جلست الوزراء على كراسيها والمرازبة فى مجالسها وقف بحيال الملك ثم قال الحمد لله المأمول نعمه
المرهوب نقمه الدال عليه بالرغبة اليه المؤيد الملك بسعوده فى الفلك حتى رفع شانه وعظم سلطانه
وأنار به البلاد وأعاش به العباد وقسم له فى التقدير وجوه التدبير فرعى رعيته بفضل نعمته
وحماها المؤيدات واوردها المعشبات وذادها عن الآكلين وألفها بالرفق واللين انعاما من الله
تعالى عليه وتثبيتا لما فى يديه واسأله أن يبارك له فيما آتاه ويخير له فيما استرعاه ويرفع
قدره فى السماء وينشر ذكره تحت الماء حتى لا يبقى له بينهما مناوى ولا يجد له فيهما مدانى
وأستوهب له حياة لا تنغيص فيها وقدرة لا شاذ عنها وملكا لا بؤس فيه وعافية تديم له البقاء
وتكثر له النماء وعزا يؤمنه من انقلاب رعيه أو هجوم بليه فانه مولى الخير ودافع الشر فأمر الملك
فحشى فمه بثمين الجواهر ورفيعه ولم يدفع حداثة سنه مع نبيل كلامه أن استوزره وقاده خيره وشره
فكان أول داخل وآخر خارج (وقال) عمر بن عبد العزيز ما لله على العاقل نعمة بعد الاسلام
افضل من مباينة هذه السفلة بالفهم والعقل ولولم يكن هذا ما عرف الله تعالى الا بالجهل ألا ترى ان الله
تعالى خاطب أولى النهى وذوى الالباب وذوى البصائر ويجب على العلية أن يحمدوا الله تعالى على
مباينتهم هذه السفلة بالعقول والافهام كما يحمدونه على جميع النعم (وقيل) لمروان بن محمد وهو آخر
ملوك بنى أمية ما الذى أصارك الى هذا قال الاستبداد برأيى لما كثرت على كتب نصر بن سيار أن أمده
بالاموال والرجال قلت فى نفسى هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال والجند بما يظهر لى من فساد
الدولة قبله وهيهات ان ينتقض على خراسان فانتقضت دولته من خراسان وقال الواقدى قال
الفضل بن سهل لما دعى للمأمون فى كور خراسان بالخلافة جاءتنا هدايا الملوك سرورا بمكانه من الخلافة
ووجه ملك كابلستان شيخا يقال له ذوبان وكتب يذكر انه قد وجه بهدية ليس فى الارض أسنى منها
ولا أرفع ولا أنبل ولا أفخر منها فعجب المأمون وقال سل الشيخ ما معه فسألته فقال ما معى شئ أكثر من
علمى قلت وأى شئ علمك قال رأى ينفع وتدبير يقطع ودلالة تجمع قال فسر المأمون بذلك فأمر
بانزاله واكرامه وكتمان أمره فلما أجمع على التوجه الى العراق لقتال أخيه قال لذوبان ماترى
فى التوجه الى العراق قال رأى وثيق وحزم مصيب وملك قريب فالسير ماض فاقض ما أنت قاض
قال له فمن نوجه قال الفتى الاعور الطاهر الاطهر يسير ولا يعثر قوى مرهوب مقاتل غير مغلوب قال فكم

كان يدخل الينا منذ
ثلاثين سنة ولم نر فيه خيانة
أخذ اليوم يدى وعصرها
ولواها فقال الرجل الامان
أيتها المرأة أنا تائب ابدا
منى فاجعلينى فى حل
فقالت المرأة الله المسؤل
ان يجعل عاقبة أمرنا الى
خير فلما كان من الغد
جاء السقاء والقى نفسه بين
يدى المرأة وتمرغ على
التراب وقال ياصاحبة
المنزل اجعلينى فى حل فان
الشيطان اضلنى واغوانى
فقالت المرأة فى حال سبيلك
فانما ذلك الخطأ لم يكن
منك وانما ذلك من الشيخ
الذى فى الدكان فاقتص
الله منه فى دار الدنيا فكذلك

نوجه من الجند قال أربعة آلاف صوارم الاسياف لا ينتقصون العدد ولا يحتاجون الى المدد فسر المأمون بذلك ووجه بطاهر بن الحسين قال وفى اى وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يجمع لك الامر و يصير الى النصر نصر سريع وقتل ذريع وتفريق تلك الجموع والنصر له لا عليه ثم يرجع الامر اليك واليه فظفر طاهر وكان له النصر وقتل على بن عيسى وزير الامين واستولى على عسكره وحاز امواله فامر الملك لذوبان بمائة الف درهم فلم يقبلها وقال أيها الملك ان ما كى لم يوجهنى اليك لانقصك مالك فلا تجعل ردى انعمتك تسخطا واقبل ما فى هذا المال و يزيد عليه قال المأمون وما هو قال كتاب يوجد بالعراق فيه مكارم الاخلاق وعلوم الآفاق من كتب عظيم الفرس فيه شفاء النفس من صنوف الآداب بما ليس فى كتاب عند عاقل لبيب ولا فطن أديب يوجد تحت ايوان بالمداين فيقاس بالذرعان فى وسط الايوان لا زيادة ولا نقصان فاحفر المدر واقلع الحجر فاذا وصلت الى الساجه فاقلعها تجد الحاجه ولا تلزم لغيرها فيلزمك غب ضرها فارسل المأمون الى ايوان كسرى فحفروا فى وسطه فوجدوا صندوقا صغيرا من زجاج عليه قفل منه فحمل الى المأمون فقال لذوبان هذا يغنيك قال نعم أيها الملك قال خذها وانصرف فتكلم بلسانه ونفخ فى القفل فانفتح فاخرج منه خرقة ديباج فنشرها فسقط منها أوراق فعدها مائة ورقة ولم يكن فى الصندوق شئ غيرها فاخذ الاوراق وانصرف الى منزله قال الفضل بن سهل فجئته فسألته فقال هذا كتاب جاويدان خرد تاليف كيجور وزير ملك ايران شهر فطلبت منه شيأ فدفع الى ورقات منه وترجمها الى الخضر بن على ثم أخبرت المأمون فقال احمل الى الورقات فحملتها اليه فقرأها فقال والله هذا الكلام لا ما نحن فيه من لى السنتنا

(فصل) من نوادر بزرجمهر حكيم الفرس نصحنى النصحاء ووعظنى الوعظاء شفقة ونصيحة وتأديبا فلم يعظنى أحد مثل شيبى ولا نصحنى مثل فكرى ولقد استضأت بنور الشمس وضوء القمر فلم استضئ بشئ أضوأ من نور قلبى وكنت عند الاحرار والعبيد فلم يملكنى أحد ولا قهرنى غير هواى وعادانى الاعداء فلم أر أعدى لى من نفسى اذا جهلت واحترزت لنفسى بنفسى من الخلق كلهم حذرا عليها وشفقة فوجدتها أشر الانفس لنفسها ورأيت انه لا يأتيها الفساد الا من قبلها وزحمنى المضايق فلم يزحمنى مثل الخلق السوء ووقعت من أبعد البعد وأطول الطول فلم أقع فى شئ أضر على من لسانى ومشيت على الجمر ووطئت على الرمضاء فلم أر نارا أحر من غضبى اذا تمكن منى وطالبنى الطلاب فلم يدركنى مدرك مثل انسانى ونظرت ما الداء القاتل ومن أين نالنى فوجدته من معصية ربى سبحانه والتمست الراحة لنفسى فلم أجد شيأ أروح لها من تركها ما لا يعنيها وركبت البحار ورأيت الاهوال فلم أره ولا مثل الوقوف على سلطان جائر وتوحشت فى البرية والجبال فلم أر مثل القرين السوء وعالجت السباع والضباع والذئاب وعاشرتها وعاشرتنى وغلبتها فغلبنى صاحب الخلق السوء وأكلت الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم اجد شيأ ألذ من العافية والامن وتوسطت الشياطين والجبال والسباع فلم اجزع الا من الانسان السوء وأكلت الصبر وشربت المر فلم أر شيأ أمر من الفقر وشهدت الحروب وتعبية الجيوش وباشرت السيوف وصارعت الاقران فلم أر قرنا أغلب من المرأة السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم أر حملا أثقل من الدين ونظرت فيما يذل العزيز ويكسر القوى ويضع الشريف فلم أر أذل من ذى فاقة وحاجة ورشقت بالنشاب ورجمت بالحجارة فلم أر أنفذ من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق وعمرت السجن وشددت فى الوثاق وضربت بعمد الحديد فلم يهدمنى مثل ما هدمنى الغم والهم والحزن واصطنعت الاخوان وانتخبت الاقوام للعدة والشدة والنائبة فلم أر شيأ اخير من التكرم

ينبغى ان تكون المرأة مع زوجها ظاهرها وباطنها واحد وتقنع منه بالقليل ان لم يقدر على الكثير وتقتدى بفاطمة وعائشة رضى الله عنهما لتكون من خواتين الخلد كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

كانت فاطمة رضى الله عنها تطحن كثيرا بالجاروشة حتى أدمت اناملها فشكت ذلك فى بعض الايام الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال لها قولى لابيك ليبتاع لك خادمة فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول

عندهم وطلبت الغنى من وجوهه فلم أر أغنى من القنوع وتصدقت بالذخائر فلم أر صدقة أنفع من رد ذى ضلالة الى هدى ورأيت الوحدة والغربة والمذلة فلم أر أذل من مقاساة الجار السوء وشيدت البنيان لاعز به وأذكر فلم أر شرفا أرفع من اصطناع المعروف ولبست الكساء الفاخرة فلم ألبس شيأ مثل الصلاح وطلبت أحسن الاشياء عند الناس فلم أجد شيأ أحسن من حسن الخلق وسررت بعطايا الملوك وحباتهم فلم أسر بشئ أكثر من الخلاص منهم

(فصل) ● ومن حكم شاناق السندى من كتابه الذى سماه منتحل الجواهر للملك بن قابص الهندى يا أيها الملك اتق عثرات الزمان واخش تسلط الايام ولوم غلبة الدهر واعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب وللايام عثرات فكن على حذر وللاقدار مغيبات فاستعد لها وللزمان منقلب فاحذر دولته ملئيم الكرة فخف سطوته سريع الغرة فلا تأمن دولته واعلم ان من لم يداو نفسه من سقام الآثام فى أيام حياته فما أبعده من الشفاء فى دار لا دواء لها ومن اذل حواسه واستعبدها فيما يقدم من خير لنفسه بان فضله وظهر نبله ومن لم يضبط نفسه وهى واحدة لم يضبط حواسه وهى خمس واذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها اصعب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية فى نواحى البلاد واطراف المملكة ابعد من الضبط فليبدأ الملك بسلطانه على نفسه فليس من عدو احق ان يبدأ بالقهر من نفسه ثم يشرع فى قهر حواسه الخمس لان قوة الواحدة منهن دون صواحبها قد تأتى على النفس القوية الحذرة فكيف اذا اجتمعت خمس أنفس على واحدة واعلم ان لكل واحدة منهن شرة ليست للاخرى فيزما تسلم من شرها وانما يهلك الحيوان بالشهوات الا ترى ان الفراش يكره الشمس فيسكن من حرها ويعجبه ضياء النار فيدنو منها فتحرقه والظبى على نفارته وشدة حرصه ينصت للسماع المونق الملهى فيمكن القانص من نفسه وذباب الورد المتبع لطيب الروائح يطلب ما يقطر من اذن الفيل لطيب رائحته فانه فى طيب رائحة المسك فيلهيه طيب الرائحة عن الاحتراس من تحريك الفيل اذنه فيتولج فى اصل اذنه فتقع عليه ضربة الاذن فتقتله والسمك فى البحر تحمله لذة الطعم أن يبتلعه فتحصل الصنارة فى جوفه فيكون فيه حتفه (وذكر الحكيم) ان خصال الامور معروفة قتلت بالافراط فيها ملوكا معروفين فالصيدمات فيه قيده الملك والافراط فى العهارمات منه سبب الملك والافراط فى السكرمات فيه مخارق الملك وشدة الحرص مات منه مهريق الملك والغضب أخرسحى الملك والطمع واثل والفرح واطبات والانفة بوليس والتوانى زمير بهر وأخلاق بخصال أهلكت ملوكا أن يجتنبها الملوك ● واعلم ان الرعية تستمطى الى الملك العادل استمطاء اهل الجدب الى الغيث وينتعشون بطلعته عليهم كما تنتعش النبات بما ينالها من القطر بل الرعية بالملك العادل أتم انتعاشا منها بالغيث لان منفعة الغيث وقتا معلوما وعدل الملك على الدوام لا يتعين له وقت ويحسن بالملك ان يتشبه تصاريف تدبيره بطباع ثمانية اشياء وهى الغيث والشمس والقمر والريح والنار والارض والماء والموت فاما شبه الغيث فان اثره فى اربعة اشهر من السنة ومنفعته لجميع السنة كذلك ينبغى للملك ان يعطى جنده واعوانه فى الاربعة اشهر لتقدير التتمة السنة فيعدل وفيهم ووضيعهم فى الحق الذى يستوجبونه بمنزلة كما يسوى المطر بين كل أكمة مشرفة وغائط مستفل ويغمر كلا من مائه بقدر حجمه ثم يستجبى الملك فى الثمانية الاشهر حقوقه من غلاتهم وخراجهم كما تنض الشمس بحرها وشدة فعلها انداوة الغيث والامطار فى الاربعة الاشهر وأما شبه الريح فان الريح اللطيفة المداخل تسرح فى جميع المنافذ حتى لا يفوتها مكان كذلك الملك ينبغى ان يتولج قلوب الناس بجواسيسه وعيونه لا يختفون عنه بشئ حتى يعرف ما يأمرون به فى بيوتهم وأسواقهم وكالقمر

الله انى مفتقرة الى خادمة تعيننى فى أشغالى وتحمل عنى بعض اثقالى فقال صلى الله عليه وسلم الا اعلمك يا فاطمة ما هو خير لك من كل خادم وخادمة واعز من سبع سموات وسبع أرضين فقالت علمنى يا رسول الله فقال لها اذا أردت المنوم فقولى قبل منامك ثلاث مرات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وفى الخبر انهم لم يكن لهم فى البيت الا كسا كانوا اذا غطوا رؤسهم انكشفت أرجلهم وفى الليلة التى كانت فاطمة عروسا وزفت الى على بن أبى

اذا استهل ايامه فاضاء واعتدل نوره على الخلق وسر الناس بضوئه ينبغي ان يكون الملك بهيبته وزينته واشراقه في مجلسه وايناسه رعيته ببشره فلا يخص شريفا دون وضيع بعدله وكالارض في كتمان السر والاحتمال والصبر والامانة وكالنار على اهل الدعارة والفساد وكعاقبة الموت في الثواب والعقاب يكون ثوابه لا يقصر عن اقامة حد ولا يتجاوزه وكالماء في لينه لمن لاينه وهدمه واقلاعه عظيم الشجر لمن حاربه * واعلم انه قد يكتنف السلطان من شرار الناس والاعوان على الحاجة اليهم من يستبشع ويستكره كالحيات تكتنف بالصندل فيقتلها الصندل بطيب رائحته وبرده ويبسه وينتفع الصندل بها اذ لا يقرب منه من يريد ان يقطعه * ليكن فيك مع تلطفك تشديد البلاء فلا يتجرأ عليك فان القمر يستنار بضوئه ويظهر له لكن الشمس يستظل من حرها ويسكن لها وقد قالت العرب في مثل هذا لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتلفظ اجعل لكل طبقة من اعدائك اشباههم من أعوانك يسوسونهم فانهم كالماء في الاذن لا حيلة في اخراجه الا بارفق من الماء الذي هو من جنسه * اذا عاديت رجلا فلا تعاد جنسه واستبق من دونه أحدا فسيتنتفع به فان السيف القاتل من جنس الدرع الواقي ولا تطمعن في الكذوب والمطبوع على الشر ان تعطفهما بالاحسان فانهما كالقرد كلما سمن باطعام الحلاوة والدسم ازداد وجهه قبحا * قد يرد الواحد كيد الجميع اذا كان عاقلا كما يرد الظل حر شعاع الشمس اذا كان وافيا غاية أرمي الناس ان يقتل بسهمه واحدا لكن رمية عاقل ذهن تقتل الجيش باسره والملك الشريف العاقل لا يتقدفيه قدح اهل البغي من انقطع اليه ولزمه كان كالجوهر المضي بنوره لا تطفئه عصوف الرياح من كان قابلا للماء ردعليه في اصغائه الى كل قول يسمعه كان كالسراج يميل به كل ريح لينة ثم لا يلبث ان عصفت الرياح ان يطفأ * تدبير الملك الحازم في سلطانه كتعاهد صاحب البستان بستانه يخرج ناحل عيدانه وشوك شجره فيحيط به على ثمره وزرعه ليقيه من الشر والفساد كما ينتخب الملك اهل الشكيمة والشوكة فيجعلهم في اقاصيه وحدوده ردا للمملكة * وليكن الملك احذر ما يكون آمن ما يكون (قلت) وقد صدق الشاعر

أأمنتم ريب المنون فنمتم * رب خوف مكمن في امان

قال الاترى ان بهرشان الملك أنامت المرأة على فراشه رجلا فلما رام فراشه وثب عليه فقتله وباسراج الملك قتلته بخلخال مسموم ودروف الملك قتلته امرأته بمدية خبأتها في عقاصها واعلم ان العدو قد علم منك مواضع الحذر وحالات الامن وانما ترصدك في حالات الامن والمواضع التي تظن العدو لا يكمن فيها فكن أحذر ما يكون فيها وسائر حكم هذا الباب قد قدمنا في تراجم كتابنا

* (فصل) * قال غيره لا ينبغي للملك ان يكون له أيام معلومة يظهر فيها فان في ذلك خصالا مذمومة منها انه قد يعوق عن ذلك اليوم ممسك يهم او بعض كسل اولذة مغتنمة فيلزمه الخروج على كره ومنها انه اذا تخلف عن الظهور في ذلك اليوم لامر ما تطاولت الاعناق من الرعية وكثر كلامها وقالوا امرض اومات او اصابته آفة فيكسب العدو جرأة وسرورا ويكسب الولي حزنا وحسا ومنها انه قد يواعده عدوه ليوم يلتقيان فيه فلا يتم له ذلك * ولا ينبغي ان يكون الملك كثير التصرف عند فساد الزمان وخبث الرعية وعن هذا قالت الحكماء اذا كان الجهل كثير القفز كان نصيب الذئب

* (فصل) * من نوادر كلام العرب من حكما اكثم بن صيفي وهذا رجل كان له عقل وعلم ومعرفة وتجربة وقد علق الناس عنه حكما لطيفة والفوا فيها تصانيف فن حكمه قال من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء أفضل من السؤال ركوب الاهوال من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه العديم من احتاج الى لئيم من لم يعتبر فقد خسر ما كل عثرة تقال ولا كل فرصة تنال لا وفاء

طالب رضي الله عنه كانت تحتها جلد شاة كانانا عين عليه وما كان لفاطمة رضي الله عنها من متاع البيت سوى كساء ومخدة من ليف لا جرم ينادي يوم القيامة مناديا اهل الموقف غضوا أبصاركم حتى تعبر سيدة النساء فاطمة الزهراء والمرأة تعز عند زوجها وتنمو محبتها في قلبه باكرامها له وطاعتها الامر وقت خلوته بها وا كتمانها في بيته ومجامعته لها وبحفظها منافعه واجتنابها مضاره وتزينها له وقلة خروجها من خدرها وبأن تكون عبقة النشر مجملة الامر

لمن ليس له حياء قد يشهر السلاح في بعض المزاح من وفى بالعهد فاز بالحمد الموت يدنو والمرء يلهو طول الغضب يورث الوصب رب عتق شر من رق من اصطنع قوما احتاج اليهم يوما ما الكذب بهت والحلف مقت من لم يكف أذاه لقى ما ساءه الحر يتقاضى لك من نفسه واللئيم يستحسن تسويفه وحبسه ليس بانسان من ليس له اخوان أنت مزر بنفسك ان صحبت من هو دونك عليك بالمجاملة لمن لا تدوم له مواصلة في الاسفار يبدو الاختبار أفسد كل حسب من ليس له أدب أفضل الفعال صيانة العرض بالمال ليس من حادث المجهول بذي معقول ليس للملحف مثل الرد من جالس الجهال فليستعد للقيل وقال ما جلا عنك الذيان مثل البيان ولا نفى عنك البهتان مثل البرهان لم ينج من الموت غنى لماله ولا فقير لاقلاله اذا أردت طرد الحر فسمه الهوان كثرة العلل آية البخل كفر النعمة لؤم وصحبة الاحمق شؤم ان من الكرم لين الشيم اياك والخديعة فانها خلق لئيم امحض أخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة رب سباب قد هاجه العتاب الصدود آفة المقت سبب الحرمان التوانى من سأل فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤب ان من الفساد اضاعة الزاد من حلم ساد ومن تفهم ازداد لا ترغب فيمن يزهد فيك رب بعيد أقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار غنك خير من سمين غيرك من أجد المسير أدرك المقيل استر عورة اخيك لما يعلم فيك لا تكثر من المزاح فتذهب هيبتك ولا من الضحك فيستخف بك من أكثر من شيء عرف به كفى بالحلم ناصرا المنة تهدم الصنيعة نعم الشيء الهدية بين يدي الحاجة ربما نصح غير الناصح وربما غش المنصح الكلام فيما ينفعك خير من السكوت والسكوت عما يضرك خير من الكلام لا يغرنك من جاهل قرابة ولا جوار ولا الف فان أقرب ما تكون من النار قربا اقرب ما تكون منها تلهبا ارفض اهل الدناءة تلزمك المهابة دع مجالسة اهل الريب على كل حال فانك ان يسلم دينك لم تسلم من سوء المقال الكرم شكر البلاء واللؤم كفر النعمة كرم الصنائع سلامة الصدور ان تسلم من الناس حتى يسلموا امنك من عدم الايمان لم تزده الرواية فقها الحزن مفسدة للعقل ومقطعة للحيلة كثرة النوم اماتة للقلب شدة الحذر تدل على ضعف اليقين محادثة الحمقى والسفهاء تورث سوء الخلق الدليل على الحمق اعجاب المرء بعقله من لم يسمع الحديث فارفع عنه مؤنته من حدث من لا يفقه كمن قدم مائدة لاهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحدثه فليس بصاحب أدب من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه من وصل من يحسده قوى عدوه وقصر بنفسه اغتفر زلة صديقك من غضب من غير شيء رضى من لا شيء من غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه الرجل عبد هواه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل من خاف ربه كف ظلمه كسل الفقير هلاكه شح الغنى فضيحته من لم يتورع في كلامه أظهر فجوره كل شيء لا يوافق الاحمق فاعلم انه صواب اذا غلبتك امرأتك فجاهدها فانها عدوك من لم يعرف الخير من الشر فالحقه بالبهائم من طلب ما عند البخيل مات جوعا جار الرجل الجواد كمجاور البحر لا يخاف العطش وجار البخيل في المفازة هالك اذا لم تنتفع بمصادقة الاحياء فأت اهل القبور من عادى من فوقه ابغضه من تحته الرزق مقسوم والحريص محروم من كثر كلامه على المائدة غش بطنه وابغضه صحابه العلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة الجاهل يستطعم الشر والعاقل يمنع نفسه من الشر من لم يرتح للثناء فليس له نصيب في المروءة اذا كان لك جار وصديق لا ينتفع به فصور مثله في الحائط فانه أزين للحائط واخف للمؤنة العاقل يرغب في الادب والجاهل يهرب منه

وبأن تحفظ وقت طعامه وشرابه ومهما علمت انه يشتهيه اصطنعته له بطلاقة وبشر لا تكلفه حاجة مستقبلة وان لا تكون لجوجة وان تستر نفسها عند منامها وبان تحفظ سر زوجها في غيبته وحضوره

(وقال صاحب الكتاب) واجب على الرجال ان يؤدوا حق النساء العورات وان يحفظوا بهن من وجه الترحيم والاحسان والمداراة ومن أحب ان يكون مشفقا على زوجته متحديا اليها رحيما بها فليذكر لها عشرة أشياء من أحوالها لينصفها

اذا استهل ايامه فاضاء واعتدل نوره على الخلق وسر الناس بضوئه ينبغى ان يكون الملك بيهجته وزينته واشراقه فى مجلسه وايناسه رعيته ببشره فلايخص شريفا دون وضيع بعدله وكالارض فى كتمان السر والاحتمال والصبر والامانة وكالنار على اهل الذعارة والفساد وكعاقبة الموت فى الثواب والعقاب يكون ثوابه لايقصر عن اقامة حدولا يتجاوزه وكالماء فى لينه لمن لاينه وهدمه واقلاعه عظيم الشجر لمن حاربه * واعلم انه قد يكتنف السلطان من شرار الناس والاعوان على الحاجة اليهم من يستبشع ويستكره كالحيات تكتنف بالصندل فيقتلها الصندل بطيب رائحته وبرده ويبسه وينتفع الصندل بها اذلايقرب منه من يريدان يقطعه * ليكن فيك مع تلطفك تشديد البلاء فلايتجرأ عليك فان القمر يستنار بضوئه ويظهر له لكن الشمس يستظل من حرها ويسكن لها وقد قالت العرب فى مثل هذا لاتكن حلوا فتسترط ولامرا فتلفظ اجعل لكل طبقة من اعدائك اشباههم من أعوانك يسوسونهم فانهم كالماء فى الاذن لاحيلة فى اخراجه الا بارفق من الماء الذى هو من جنسه * اذا عاديت رجلا فلا تعاد جنسه واستبق من دونه أحدا فمن تنتفع به فان السيف القاتل من جنس الدرع الواقى ولاتطمعن فى الكذوب والمطبوع على الشر ان تعطفهما بالاحسان فانهما كالقرد كلما سمن باطعام الحلاوة والدسم ازداد وجهه قبحا * قد يرد الواحد كيد الجميع اذا كان عاقلا كما يرد الظل حر شعاع الشمس اذا كان وافيا غاية أرمى الناس ان يقتل بسهمه واحدا لكن رمية عاقل ذهن تقتل الجيش باسره والملك الشريف العاقل لايتقد فيه قدح اهل البغى من انقطع اليه ولزمه كان كالجوهر المضيء بنوره لاتطفئه عصوف الرياح من كان قابلا للماء وردعليه فى اصغائه الى كل قول يسمعه كان كالسراج يميل به كل ريح لينة ثم لايلبث ان عصفت الرياح ان يطفا * تدبير الملك الحازم فى سلطانه كتعاهد صاحب البستان بستانه يخرج ناحل عيدانه وشوك شجره فيحيط به على ثمره وزرعه ليقيه من الشر والفساد كما ينتخب الملك اهل الشكيمة والشوكة فيجعلهم فى اقاصيه وحدوده ردأ للمملكة * وليكن الملك احذر ما يكون آمن ما يكون (قلت) وقد صدق الشاعر

أأمنتم ريب المنون فنمتم * رب خوف مكمن فى امان

قال الاترى ان بهرشان الملك أنامت المرأة على فراشه رجلا فلمارام فراشه وثب عليه فقتله وباسراج الملك قتلته بخلخال مسموم ودروف الملك قتلته امرأته بمدية خبأتها فى عقاصها واعلم ان العدو قد علم منك مواضع الحذر وحالات الامن وانما ترصدك فى حالات الامن والمواضع التى تظن العدو لايكمن فيها فكن أحذر ما يكون فيها وسائر حكم هذا الباب قد قدمنها فى تراجم كتابنا

* (فصل) * قال غيره لاينبغى للملك ان يكون له أيام معلومة يظهر فيها فان فى ذلك خصالا مذمومة منها انه قد يعوق عن ذلك اليوم مملك يهمه او بعض كسل اولذة مغتنمة فيلزمه الخروج على كره ومنها انه اذا تخلف عن الظهور فى ذلك اليوم لامر ما تطاولت الاعناق من الرعية وكثر كلامها وقالوا امرض اومات او اصابته آفة فيكسب العدو جرأة ويسر وداويكسب الولى حزنا وحبسا ومنها انه قد يواعده عدوه ليوم يلتقيان فيه فلايتم له ذلك * ولاينبغى ان يكون الملك كثير التصرف عند فساد الزمان وخبث الرعية وعن هذا قالت الحكماء اذا كان الجمل كثير القفز كان نصيب الذئب

* (فصل) * من نوادر كلام العرب من حكما كثم بن صيفى وهذا رجل كان له عقل وعلم ومعرفة وتجربة وقد علق الناس عنه حكما لطيفة والفوا فيها تصانيف فن حكمه قال من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء أفضل من السؤال ركوب الاهوال من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه العذيم من احتاج الى لئيم من لم يعتبر فقد خسر ما كل عثرة تقال ولا كل فرصة تنال لاوفاء

لمن

طالب رضى الله عنه كانت تحتها جلد شاة كانانامين عليه وما كان لفاطمة رضى الله عنها من متاع البيت سوى كساء ومخدة من ليف لاجرم ينادى يوم القيامة مناد يا اهل الموقف غضوا أبصاركم حتى تعبر سيدة النساء فاطمة الزهراء والمرأة تعز عند زوجها وتنمو محبتها فى قلبه باكرامها له وطاعتها الامر وقت خلوته بها واكتنانها فى بيته ومجامعته لها وبحفظها منافعه واجتنابها مضاره وتزينها له وقلة خروجها من خدرها وبأن تكون عبقة النشر مجملة الامر

لمن ليس له حياء قد يشهر السلاح فى بعض المزاح من وفى بالعهد فاز بالحمد الموت يدنو والمرء
يلهو طول الغضب يورث الوصب رب عتق شر من رق من اصطنع قوما احتاج اليهم يوما ما الكذب
بهت والحلف مقت من لم يكف أذاه لقى ما ساءه الحر يتقاضى لك من نفسه واللئيم يستحسن تمويهه
وحسه ليس بانسان من ليس له اخوان أنت مز ر بنفسك ان صحبت من هو دونك عليك بالمجاملة
لمن لا تدوم له مواصلة فى الاستقامة يبدو الاختبار أفسد كل حسب من ليس له أدب أفضل
الفعال صيانة العرض بالمال ليس من حادث الجهول بذى معقول ليس للملف مثل الردمن
جالس الجهال فليستعد لقيل وقال ما جلا عنك الغيان مثل البيان ولا نفى عنك البهتان مثل
البرهان لم ينج من الموت غنى بماله ولا فقير لاقلاله اذا أردت طرد الحر فسمه الهوان كثرة العلل آية
البخل كفر النعمة لؤم وصحبة الاحمق شؤم ان من الكرم لين الشيم اياك والخديعة فانها خلق
لئيم امحض أخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة رب سباب قد هاجه العتاب الصدود آفة المدت
سبب الحرمان التوانى من سأل فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب
يؤب ان من الفساد اضاعة الزاد من حلم ساد ومن تفهم ازداد لا ترغب فيمن يزهد فيك رب
بعيد أقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل
الدار غنك خير من سمين غيرك من أجد المسير أدرك المقيل استر عورة اخيك لما يعلم فيك
لا تكثر من المزاح فتذهب هيبتك ولا من الضحك فيستخف بك من أكثر من شئ عرف به كفى بالحلم
ناصرا المنة تهدم الصنيعة نعم الشئ الهدية بين يدى الحاجة ربما نصح غير الناصح وربما غش
المنصح الكلام فيما ينفعك خير من السكوت والسكوت عما يضرك خير من الكلام لا يغرنك
من جاهل قرابة ولا جوار ولا الف فان أقرب ما تكون من النار قربا اقرب ما تكون منها انها
ارفض اهل الدناءة تلزمك المهابة دع مجالسة اهل الريب على كل حال فانك ان يسلم دينك
لم تسلم من سوء المقال الكرم شكر البلاء واللؤم كفر النعمة ا كرم الصنائع سلامة الصدور ان
تسلم من الناس حتى يسلموا منك من عدم الايمان لم تزده الرواية فقها الحزن مفسدة للعقل
ومقطعة للحيلة كثرة النوم اماتة للقلب شدة الحذر تدل على ضعف اليقين محادثة الحمقى والسفهاء
تورث سوء الخلق الدليل على الحمق اعجاب المرء بعقله من لم يسمع الحديث فارفع عنه مؤنته
من حدث من لا يفقه كمن قدم مائدة لاهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحدثه فليس
بصاحب أدب من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه من وصل من
يحسده قوى عدوه وقصر بنفسه اغتفر زلة صديقك من غضب من غير شئ رضى من لا شئ من
غضب على من لا يقدر عليه طال حزنه الرجل عبد هواه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل
من خاف ربه كف ظلمه كسل الفقير هلاكه شح الغنى فضيحته من لم يتورع فى كلامه أظهر فجوره
كل شئ لا يوافق الاحمق فاعلم انه صواب اذا غلبتك امرأتك فجاهدها فانها عدوك من لم يعرف الخير
من الشر فالحقه بالبهائم من طلب ما عند البخيل مات جوعا جار الرجل الجواد كمجاور البحر لا يخاف
العطش وجار البخيل فى المفازة هالك اذا لم تنتفع بمصادقة الاحياء فأت اهل القبور من عادى من
فوقه ابغضه من تحته الرزق مقسوم والحريص محروم من كثر كلامه على المائدة غش بطنه وابغضه
صحابه العلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة الجاهل يستطعم الشر والعاقل يمنع نفسه
من الشر من لم يرتح للثناء فليس له نصيب فى المروءة اذا كان لك جار وصديق لا ينتفع به فصور
مثله فى الحائط فانه أزين للحائط واخف للمؤنة العاقل يرغب فى الادب والجاهل يهرب منه

وبأن تحفظ وقت طعامه
وشرابه ومهما علمت
انه يشتهيه اصطنعته له
بطلاقة وبشر لا تكلفه
حاجة مستقيلة وان
لا تكون لجوجة وان تستر
نفسها عند منامها وبان
تحفظ سر زوجها فى غيبته
وحضوره
(وقال صاحب الكتاب)
واجب على الرجال ان
يؤدوا حق النساء العورات
وان يحفظوا بهن من وجه
الترحيم والاحسان
والمداراة ومن أحب ان
يكون مشفقا على زوجته
متحدبا اليها رحيما بها
فليذكر لها عشرة أشياء
من أحوالها لينصفها

العاقل اذا فاته الادب لزم الصمت لا تستنطق من تكذبه العاقل يتهم رأيه فى نفسه والجاهل يقيم على جهله من لم يمالكه عقله لم يملك نفسه من اظهر محاسنه ودفن مساويه كمل عقله من غلب هواه عقله افتضح من استشاره عدوه فى صديقه امر بقطيعته مصادقة الكرام غنيمة ومصادقة اللئام ندامة لا تدخل على صديقك التهمة فيرجع لك عن النصيحة اذا انقطع رجاؤك عن صديقك فالحقه بعدوك من طلب مراضاة الاخوان بغير شئ فليصادق أهل القبور العاقل ليس فى مصادقته مخادعة رأس مال الاحمق الخديعة وفائدتها الغضب والحليم رأس ماله الصمت وفائدته الحلم اذا جهل عليك الاحمق فالبس له سلاح الرفق واللطف صديق كل امرئ عقله وعدو كل امرئ حمقه من أنزل نفسه عاقلا أنزله الناس جاهلا من قنع بكذب الثناء أظهر للناس رقاعته السكوت عن الاحمق جوابه السكوت يزين الاحمق والكلام يشينه من استطال عليك عاسه وتحلى بفضله فلا كثر الله فى الناس مثله الجواد محبب والبخيل مبغض اذا حملت البخيل مؤنة ابدى لك الحرمان والعداوة البخيل يمنع ما عنده ويبخل على الجواد بجوده من طلب من البخيل حاجة فهو شر منه من بذل لبخيل صلته ورفع عنه مؤنته دامت له مودته ضيف البخيل آمن من التخمة من طلب من لئيم حاجة كمن طلب السمك فى المفازة عدة الكريم نقد وعدة اللئيم تسويف الكريم يواسى اخوانه فى دولته واللئيم يقطعهم لا تخضع للئيم فانه لا يعطيك انما الصديق الذى يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند البلية ويحفظك عند المغيب وينفعك عند الرجاء اذا صادقت الوزير فلا تخش الامير من لم ينصحك فى الصداقة فعاده من غشك فى العداوة فلا تلمه من كان الناس عنده سواء لم يكن له أصدقاء من صادق الاخوان بالمكر كافؤه بالغدر من لم يواس الاخوان فى دولته خذل عند عدمه اياك أن تبغى مودة من يحسدك فانه لا يقبل اخاك من حسدك على علمك لم يستمع حديثك الحاسد يفرح بزلتك ويعيب صوابك اذا رأيت من يحسدك ويسرك ان تسلم منه فعم عليه امورك من صبر على مودة الكاذب فهو مثله وكل شئ شئ ومودة الكاذب لا شئ من بدأك بجهله فكافئه بحلمك تغمه أول المروءة طلاقة الوجه والثانية التودد والثالثة النصاحة الفاجر لا يبالى ما قال والورع يتعاهد كلامه من شغل مشغولا فقد أظهر ثقله من صبر على شغل سوء فقد نظر الى سخنة عينه من لم يغلب الحزن بالصبر طال غمه من استطال على الناس بغير سلطان فليصبر على الذل والهوان لا تحقر الفقير السرى ولا ترغب فى الغنى الدنى من تشبه بالسراة وغلبت عليه الدناءة فلا تكرمه من اغضبته انكرته من أغنيته أعطفته من تعرض لصاحب الدولة انقلب بهزيمة من صانع بماله لم يحتشم من طلب حاجته من صاحب الكتاب ملوه ومن عاداهم انكروه من شمخ عليك بأنفه وطمح ببصره ولم يدخل عليك فضله فليهن عليك سلبه السفيه يقطع مودة لم تزل ويكسب عداوة لم تكن حمل المروءة ثقيل من سالم الناس غنم خذلان الجار لؤم ورجال البلاء قليل احفظ اخوانك تذل أعداءك ما أجمل الصبر على ما لا بد لك منه الحر من طال نصبه وكان لغيره نشبه لا قوى أقوى ممن قوى على نفسه ولا عاجز أعجز ممن عجز عنها الخير فى أهله غريب ما أضعف قوة من يغالب من لا يغلب

بها أولها ان المرأة لا تقدر ان تطلقه وهو قادر على طلاقها متى شاء وانها لا تقدر ان تأخذ شيأ بغير اذنه وهو قادر على ذالك وانها ما دامت فى حبالك لا تقدر على زوج سواك وأنت تقدر على التزويج عليها وانها لا يجوز ان تخرج من البيت بغير اذنك وانت يجوز لك وانها لا يمكنها ان تعرى وأنت يمكنك وانها تخافك وأنت لا تخافها وانها تقنع منك بطلاقة وجهك فى وجهها وبالكلام اللين وأنت لا ترضى بجميع أفعالها وانها تفارق أمها وأباها وجميع أقاربها

(الباب الرابع والستون مشتمل على حكم منثورة)

اعلم أيها المريد ان الله تعالى يمتحن أنبياءه وأصفياءه بأعدائه ويضطر أولياءه وأحباءه الى أعدائه رفعة وتقريبا لانبيائه وتمحيصا لهفوات أوليائه وذخرا لهم عنده وزلفى لديه تعظيما لاقدارهم وتشريفا لمنازلهم

وترفيع الدرجاتهم قال الله سبحانه وتعالى تعزية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لعظيم ما كان يلقاه من سطوات أعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين يا محمد لا تستوحش منا ولا تتهمنا في سير تنافيه من نحبه ونجتبنا فالبلاء على وجهين أحدهما الذنب والآخر رفع درجة وتوفير أجر ولذلك كان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل فالبلاء بلاآن بلاء رحمة لتضعيف درجة وتمحيص سيئة وبلوغ فضيلة وعلو منزلة وبلاء عقوبة لانتهاك حرمة واقتراف معصية لن تخلو المكاره ان تكون لحادث رحمة فلا رغبة عما أنعم الله به منها أو لسيئة عن اضاعة فلا غنى عن زاجرها فلاى ذلك كان حلولها عظمت به المنة ووجبت لله به النعمة (وكان جعفر بن محمد) رضي الله عنه اذا وقع في شئ يكرهه يقول اللهم اجعله أدبا ولا تجعله غضبا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان المؤمن في رأس جبل لقيض الله له من يؤذيه يا من ضاق صدره وحرج قلبه وساء خلقه من عدو أقلقه وحاسد حسده طب نفسا وقر عينا وأنعم عيشا بشهادة الرسول لك بالايمان وعدوك بالنفاق بخ بخ ان عقلتها امالك في الانبياء اسوة امالك في الصالحين قدوة فلولم نلق الله عز وجل من الحسنات الا بما اقترفناه اختيارا للقينا الله تعالى فقراء من الحسنات ثقلاء من السيئات قال الشاعر

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

قال بعض الحكماء الذي رأيناه نحب فيما نكره أكثر مما رأيناه مما نحب فيما نحب * وقال على بن ابى طالب رضي الله عنه ما أهمني ذنب أمهلت بعده حتى اصلى ركعتين * السجون قبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء وأسعد الناس من كان القضاء له مساعدا وكان لمساعدته اهلا غلب على الكريم من بدر اليه الشماتة لوم عوام الناس عدة لخواصهم مجئ القدر يسبق الحذر من تحرز من شئ حاق به من غير شئ ابتلى به الخلق نهب المصائب مذاكرة الرجال تلقيح لالبابها أول ما في طلب الحيلة الخروج من الاستكانة جانى العقوبة على نفسه اعظم جرما عليها من المعاقب له عليها قرابة بغير منفعة بلية عظيمة النعمة متعة كفاك ادبا لنفسك ما كرهته من غيرك الحمية شؤبوب الجهل الانفة قوام السفه قل انف لم يعقب ذلا الغادر كمين لا يؤمن من ازدحام الكلام مضلة الصواب عجلوا القرى قبل سوء الظن والحاق السبة أعجب ما في هذا الانسان قلبه وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء أذله الطمع وان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان استعد بالرضا نسى التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الامن استلبته الغرة وان حدثت له نعمة أخذته العزة وان امتحن بمصيبة فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة اشغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف وان افرط في الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد افضل القول بديهة امرئ وردت في مقام خوف أشد الناس غما الذي يرى غيره في الموضع الذي هو فيه أولا ما أخذ الله طاقة احد الا رفع عنه طاعته من العجب ان لا ترضى عمن ابتغى رضاك وأعجب من ذلك ان تسخط عليه زئير الاسد يشبه صولته علامة العلم العمل بالاعراض عند المنادهة لا تعادوا حتى تروا الا تغفروا حتى تفعلوا الا تانفوا حتى تظلموا أوجه الشفعاء براءة الساحة من لزم الصحة والاستقامة لزمته الغبطة والسلامة قصص الاولين مواعظ الآخرين البحث يوضح الحق كما يورى النار القدح ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط غناء (قال جعفر بن

لاجلك وأنت لا تفارق أحد الاجلها وتقدر ان تسرى وتختص بالجوارى دونها وانها تخدمك دائما وأنت لا تخدمها وانها تتلف نفسها اذا كنت مريضا وأنت لا تغتم لها ولو ماتت فلهذه الوجوه التى ذكرناها يجب على العقلاء ان يكونوا رحماء النساء ولا يظلموهن ولا يجوروا عليهن فان المرأة أسيرة الرجل ويجب على الرجال مداراة النساء لسبب نقص عقولهن وبسبب نقص عقولهن لا يجوز لاحد ان يتدبر بآرائهن ولا يلتفت الى أقوالهن ومن اعتمد على آرائهن والتفت الى

لا تكن على الاساءة أقوى منك على الاحسان الشقي من جمع لغيره وضيق على نفسه شر اخلاق الكريم أن يمنع خيره من كانت الآخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه ومن كانت الدنيا رأس ماله كانت الآخرة خسارته أفضل العلم وقوف الرجل عند علمه أفضل المال ما قضيت به الحقوق البدع فخاخ مخبوءة قد علقت عليها الفاظ ظاهرة رجاء العامة أمنية على ضلالة و رجاء الخاصة يقين على ثقة القليل من الملك كالكثير من غيره عطاء الملوك زينة وسؤالهم شرف وفي الامثال جاو ربحرا أو ملكا اذا كذب السفير بطل التدبير أخبث الازمنة زمن لا يتميز فيه الصواب لا تعطوا في الفضول ما خفتم العجز عن الحقوق الآذان أقماع تؤدى والقلوب قوابل تعى من أحب أن يسمى داهيا لم يظهر دهاءه لا دليل أهدى من التوفيق الجلاء البلاء من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن الحفظ قيد العلم المدارسة اذكاء للفهم المقايسة احياء الفطن استدم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة بالتألف والنصر بالتواصل لله والرحمة للخلق استقلال الكثير تعرض للتغيير ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها لم يحكم على العقول حاكم كالعبر ولم يحكمها حاكم كالتجربة من عاب سفلة فقد رفعه ومن عاب سيدا فقد وضع نفسه أحق الناس أن يؤمن على الدنيا أهل الآخرة صح من صحت سرائره وسقم من سقمت ظواهره بالكلام يعرف فضل العقل كما بالرسول يعرف قدر المرسل ملاك أموركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الادب وحصن أعراضكم الحلم اذا أعطيت مالا ترضى فارض بما أعطيت كلما ازداد الخير كثرة كان الخارج منه أشد حسرة وبقدر السمو في الرفعة تكون وجبة الوقعة الابقاء على العمل أشد من العمل من التوقي ترك الافراط في التوقي وتوريث الحرمة والذمام سنة في المروءة كما أن وراثة التركة فريضة في الديانة لا تمدحن امرأ أبا كثر من قدره فتكون مهينا لنفسك كذابا على غيرك لا تفرحن بسقطة عدوك فانك لا تدرى متى يحدثها لزمان بك من الجفاء الكلام في الامر الجسيم من غير مشاورة أكثر الناس مخادعة لنفسه في أمر جسده عند الحمية وفي أمر مروءته عند الشهوة وفي أمر دينه عند الشبهة المصائب بغتات العاقل المدبر أرجى من الاحمق المقبل أشرف الصنائع ما لم يكن مكافأة لماض ولا رجاء لباق أرض النظير ثم كافئه وآنس الملهى ثم استمع منه لم تكن غواية ولا هداية الا واليهما سائق وعنهما ناكص احسانك الى الحر يحرضه على المكافأة واحسانك الى الخسيس يبعثه على معاودة المسئلة ليس يمتحن الاديب بان يكون فاعلا للخير انما يمتحن بان يكون تاركا للشر من صنع معك خيرا فاضعفه له والا فلا تعجزن أن تكون مثله الاشرار يتبعون مساوي الناس ويغفلون عن محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع النغلة من الجسد ويدع صحيحه الظرف فطنة مازجتها عبادة مع حذر وتوق فاذا خلت الفطنة من التوقي فصاحبها لا يستمتع به أهل المروءة واذا خلت الفطنة من العبادة وقارنتها فصاحة فصاحبها غير طيب الظرف الالفاظ التي يرتفع عنها أهل الجلالة من الخاصين في باطن الدنيا والمترفين في ظاهر الحال (وسمعت القاضي) أبا العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة يقول أول من نطق بهذه الكلمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك انه أتى بسارق فقال له أسرقت قل لا فقال الرجل لا فقال عمر انك لظريف جهد البلاء الاقلال والعيال ينبغي للعالم ان يتطامن للجاهل بقدر ما رفعه الله عليه العقل أفقر الى الحكمة والادب من الجسد الى الطعام والشراب أعظم الناس غما من زالت نعمته وبعدت شهوته وضاقت مقدرته قلة العيال أحد اليسارين معالجة الموجود خير من انتظار المفقود من عدم الحياء عند النضيحة والصبر عند الفضيحة سهلت عليه المعاصي كلها العالم مثل السراج من مر به اقتبس

ثمانية آلاف درهم ووضعها في جراب كان معه وحملها على عنقه وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين لخسرو أرأيت خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على الدرهم فأخذه ولم يسهل عليه ان يتركه ليأخذه غلام من غلمان الملك فحرد خسرو من ذلك وقال صدقت يا شيرين ثم أمر باعادة الصياد وقال

منه من تقدم بحسن النية نصره التوفيق ان تكون لله ناصحا حتى تحب ان يكون عدوك مطيعا من
آذى الناس بالاسلطان كان مصيره الى الهوان مادحك بما ليس فيك مخاطب لغيرك فعوابه
وثوابه ساقطان عنك المكر والخديعة فى النار الاحداث تاتى من على مامنه يؤتى الحذر المأكول
للبدن والموهوب للعاد والمحفوظ للعدو من غضب من لا يقدر على غمه عذب نفسه واشتد غيظه
اطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك فان فى ترك ما لا يعنيك درك ما يعنيك من انكى الاشياء
لعدوك انك تريه انك لا تعاديه كل آت قريب الاستغناء عن الشئ خير من الاستغناء به ومن خير
خبر ان تسمع بالمطر لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى شر العيوب ما كان مغينا على العيوب
شر الذنوب ما كان علة للذنوب ابلغ الرسل الكتب حاول الامور بالنصفة وانا زعيم لك بالظفر من
اراد جمالا لا تهدمه الايام فليصحب المروءة والصيانة فهما ذروة الشرف رب امرله ما بعده من سبق اليك
كان له صفوه من شروط المروءة التغابن للضعيف المروءة ترك الريبة يكاد استقضاء القوى على
الضعيف أن يكون ظلما يكاد استيفاء الغنى من الضعيف ان يكون جورا القرآن ظاهره أنيق
وباطنه عميق أوله حكم وآخره علم المداومة على الطعام تزيد فى الشهوة وتذهب الحشمة وتزيل
الانقباض ان تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره وان تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما
تحب ذهاب البصر خير من كثير من النظر لا تعد الهزم عزما اذا ساق غمها مع الرأى الاول الوهم
النظرة بعد النظرة تعقب لما قبلها وتزيد لما بعدها ليس مدح الرجل بما فيه تزكية انعم الناس من
كفى امر دنياه ولم يهمه دينه الغريب من فقد اخوانه ونظراءه وان كان فى وطنه الغريب من
لا صديق له الغريب الفقير الغريب الاحمق الغريب من لا ناصر له شيآن لا يستحى العاقل منهما
المرض وذو القرابة الفقير من كانت الدنيا سبب صلته فانها سبب قطيعته فاحذران تجعلها وسيطا
بينك وبين احد علامة الاشرار ان من خالطهم لا يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفوا شرهم عنه واما
الاخيار فمن خالطهم ربح عليهم ومن غالطهم ترك رشده البر ثلاثة الصدق فى الغضب والجود فى العسر
والعفو عند القدرة من عتب على الزمان طالت معتبته ستساق الى كل ما أنت لاق اذا صحب
الارتياد الرشاد وجد المراد ما اعتق من الذم من ملكه الجهل ولا ظفر بالعز من احتمل ما فى المعصية
من الذل ولا خرج من الدناءة من صرف جميع عقله الى الدنيا أخو الظلماء مريب المسئلة آخر المكسبة
ما عدم من أهل الحجى من كان من اهل الهوى ولا كان من اهل التقى من حاد عن سبيل الهدى من ذم
أدنى الاحسان لامتناع أقصاه لم يحمد شيأ منه من دواعى الهلكة اضاعة المعرفة واعجبا لمن يبنى داره
وجسمه يهدم ولمن يبرم امور الدنيا وأموره فى نفسه تختل (قال على رضى الله عنه) من لم يكن معنا كان
علينا والساكت أخو الراضى الكاتم للعلم كمن لا علم له او هو غير واثق فيه بالصواب المرء مخبوء تحت
لسانه قيمة كل امرئ ما يحسن العلم بما فى المصيبة من الثواب ينسى المصيبة شر من المصيبة سوء الخلق
منها الحكمة ربيع القلوب الخصومة تكشف العورة وتورث المعرة بلاء المؤمن من عافيته كالنار
حريقها من نورها قد يكون اليأس ادراكا اذا كان الطمع هلاكا من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل
رفع الجاهل قدره عليه الذلة مع القلة تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها موت عاجل خير من ضنى آجل
الغضب عند المناظرة منساة للحجة الاختصار أثبت للمتكلم وافهم للسامع الكلب فى الحاضرة يشبع
الضيف ويدفع الزائر ويرد السائل والكلب فى البادية يعين الصاحب وينذر بالضيف ويدفع
السارق لا تغتر بقول الجاهل لك ان فى يدك لؤلؤة وانت تعلم انها بعرة مثل الصلاة مع سائر العبادات
مثل السفينة مع جميع من فيها ان سلمت سلم الكل وان أصيبت اصيب الكل الحب والبغض فتنة

له يا ساقط الهمة لست
بانسان وضعت هذا المال
عن عنقك لاجل درهم
واحد واسفت ان تتركه
فى مكانه فقبل الصياد
الارض وقال اطال الله
بقاءك ايها الملك انى لم أرفع
ذلك الدرهم لخطره عندى
وانما رفعته عن الارض
لان على وجهه صورة
الملك وعلى الوجه الآخر
اسم الملك فخشيت ان
يأتى أحد بغير علم يضع
عليه قدميه فيكون ذلك
استخفافا باسم الملك واكون
انا المؤاخذ بهذا فعجب
خسرو من كلامه واستحسن
ما ذكره فأمر له باربعة
آلاف درهم فعاد الصياد

طلب المطامع خرم وطلب المؤيس عجز قد ينظر المنطق من يغنى به اذا فسد الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت وصار خوف الموسر أكثر من خوف المعسر لقاء اهل الخير عمارة القلوب لا يصيد الكثير من لا يصيد لنفسه الواحدة بالعمل يحسن المنطق وبالقوة يتم العمل الفكرة مرآة من اعظم الناس من قل ماله وكثر مجده الادب مع العقل كالشجرة المثمرة والعقل بلا ادب كالرجل العقيم الماء الين من القول والقلب اقسى من الحجر وقد يثلم الماء الحجر اذا كثر انحداره عليه اشد الاشياء اخفاء الفاقة اولى الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل لم يغب من شهد رايه ولم يفن من بقى اثره ولم يمت من خلد علمه وقد سبق المثل ليس بهالك من ترك مثل مالك كما انه قبيح اذا ركبنا الخيل ان تجرى بنا حيث ارادت دون أن ندبرها كذلك قبيح ان يجرى البدن والنفس بالعقل حيث ارادت من الشهوات أشق الامور معرفة المرء بنفسه عاقب المجتمع عليه محجوج ليس شئ من البر الا ودونه عقبة من الصبر ضرب الانسان عار باق وتر مطلوب (قيل للحكيم) هل للغضب مادة تحسمه قال نعم ان يعلم الانسان انه ليس يجب ان يكون مطاعا ابدا ولا يجب ان يخدم ابدا ولا يجب ان يحتمل خطؤه ابدا ولا يجب ان يصبر عليه ابدا بل قد يطيع ويخدم ويحتمل الخطأ ويصبر على النوائب فاذا عقل ذلك لم يغضب وان غضب فقليل السعيد من وعظ بغيره والشقى من وعظ بنفسه لا تنفع كثرة العلم لمن لا يعمل كما لا يغنى ضوء الشمس عمن لا يبصر رضى بالذل من كشف ضره بترك التورع وازرى بنفسه من استشعر الطمع البدع فخوخ سترها زخرفة الكلام وخدع المال الناس فى الدنيا بالاخوان وفى الآخرة بالاعمال صديق الرجل عقله وعدوه حمقه من اجتمعت اليه النعمة اديمت له الرغبة يحفظ الاحمق من كل شئ الا من نفسه لا جود الا بمال ولا صداقة الا بوفاء ولا فقه الا بورع العليل الذى يشتهى ارجى من الصحيح الذى لا يشتهى قلوب الرجال وحشية فمن تألفها اقبلت عليه اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال لقاء الرجل اخلاءه مسلاة للهم من لم يصلح على تدبير الله لم يصلح على تدبير نفسه والاحلام فرح وهم كاذب والعامل بها كالمتمد على الظل الزائل الدنيا دول فما كان منها لك أتاك وما كان عليك لم تقو على دفعه العافية خير من الواقية الكريم لا يستحى من اعطاء القليل العفاف زينة الفقير الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل اختلاف كلام المرء دليل على ميل الهوى به من حق النعمة أن يرى أثرها من كان شبعه فى الطعام لم يزل جائعا ومن كان غناه فى المال لم يزل فقيرا ومن كان قصده بحوائجه الخلق لم يزل محروما ومن استعان فى امره بغير الله لم يزل مخذولا من خاف من فوقه خافه من تحته ومن لم يخف من فوقه لم يخفه من دونه ما تحسنه وما تعمل به لغيرك نوره وعليك بوره واعجبا لمن يختار المذلة فى طلب ما يفنى على العز فى طلب ما يبقى من حذرك كمن بشرك الشفيع جناح الطالب اذا أقبلت الدنيا عليك فانفق منها فانها لا تفنى واذا أدبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى قال الشاعر

فأنفق اذا أيسرت غير مقتر ۞ وانفق على ما خلت حين تعسر
فلا الجود يفنى المال والحظ مقبل ۞ ولا البخل يبقى المال والحظ مدبر

۞(ولغيره)۞

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة ۞ فلن يضر بها التبذير والسرف
وان تولت فاحرى أن تجود بها ۞ فالشكر منها اذا ما أدبرت خلف

الغريب فى كل مكان مظلوم من سلك محذار أمن العثار لم يحر راكب القصد عجبا للئيم يستعجل الفقر الذى منه هرب ويفوته الكرم الذى اياه طلب فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب

ومعه اثناعشر ألف درهم واهرخسرو ومناديا ينادى لا يتدبر احد برأى النساء فانه من تدبر برأيهن وأتمر بأمرهن خسر دراهمه ثلاثة

۞(فصل)۞

قال صاحب الكتاب عمارة الدنيا وتناسل بنى آدم بالنساء والعمارة لا تصح بغير رأى ولا تدبير وقيل شاوروهن وخالفوهن ويجب على الرجل الفاضل المتيقظ ان يحتاط فى خطبة النساء وطلاقهن وليزوج البنت لاسيما اذا بلغت لئلا يقع فى العار والعيب ومرض القلب وعلى الحقيقة كل ما ينال الرجال

فى الآخرة حساب الاغنياء من يطل ذيله يكثرويله (وقال على رضى الله عنه) مايظل فعل الله ينطق به غثك خير من سمين غيرك ان أحببت أن لا يفوتك ما تشتهى فاشته ما يمكنك من قصد أسهل ومن أسرف أوعر الفصد أخو الحمام شر السير الحقحقة بوئ انفسك فى المجالس مجلسا لا يقصر بك ولا تقام عنه اقطع الشر من صدر غيرك يقطعه من صدرك وازجر المسىء بإثابة المحسن لكى يرغب فى الاحسان ان يهلك من مالك ما وعظك الخلاف يهدم الرأى خير الناس لغيره خيرهم لنفسه احسان الله مكفور عند من أصبح مصرا على ذنب مستور بصير التخلق خالقا بالاجتهاد والاعتياد الحجر الغصب فى البنيان رهن على الخراب ربما شرق شارب الماء قبل ريه رب رأى أنفع من مال وحزم أوفى من رجال من استوعب الحلال تاقت نفسه الى الحرام من ذم الزمان لم يحمد الاخوان بتقلب الاحوال تعلم جواهر الرجال من عرف الزمان لم يحتج الى ترجمان من عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد رسولك ترجمان عقلك الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط العاجز كلما اشتد الظلام حسن ضوء السراج الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عى أو حسد أولى الناس بالرحمة من احتاج اليها فحرمها من لم يدر قدر البلية لم يرحم اهلها كفاك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرها مجالسة الاحمق غرر والقيام عنه ظفر لا تسأل عما لم يكن فان فى الذى كان شغل البخل جامع لمساوى العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء اذا صح القلب وصح العمل كان التوفيق احراز العواقب بالاجتهاد والاجتهاد اربح بضاعة التوفيق خير قائد كمال العمل التوفيق من ترفق فى استتمام الحظ من البغية أدرك وبالغ مقاربة الناس فى اخلاقهم امن من غوائلهم لا تنظر الى أحد بالموضع الذى رتبه فيه زمانه ولكن انظر اليه بقيمته فى الحقيقة فانها امكانه الطبيعى أبعد الناس سفرا من سافر فى طلب اخ صالح ليست البركة من الكثرة لكن الكثرة من البركة (وقال داود عليه السلام) ان كان ما ترى من الجهل يغيظ اذن يكثر الجهل ويطول غمك (قيل لبزرجمهر) مالكم لا تعاتبون الجهلة قال لانا ما نريد من العميان ان يبصروا العشق مرض نفس فارغة لا همة لها اجالة الفكرة واستخراج الفطنة تتبع الاساءة بالندم وتتبع الندم بالاقلاع الامن من البراءة وكثرة الصديق بالتواضع وأعم الاشياء نفعا فقد الاشرار من بذر عداوة حصد ندامة السمنة للنساء غامة وللرجال غفلة (قال المسيح) عليه السلام ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب سبحانه عيادة النوكى الحمى فى غير وقت والجلوس فوق القدر واذا وقعت الضرورة ارتفعت المشورة (قيل لحكيم) أخرج الهم من قلبك قال ليس باذنى دخل من اغتر بحاله قصر فى احتياله اياكم وطلب الامور من غير وجهها فيعنيكم طلبها ولا تدركوا احظامنها هيبة الزلل تورث الحصر (قيل للحكيم) لاى شئ تزوجت امرأة دميمة وأنت وسيم قال اخترت من الشر أقله (وقيل لحكيم) ما تقول فى الزواج قال لذة شهر وهم دهر فتنة عالم الى ابليس خير من غواية ألف جاهل غنى المعاتب ولا تمنى المعاذير الموالاة فى الاسلام بمنزلة الحلف فى الجاهلية سب الجاهل للحكماء تشريف لهم عند أهل الفضل لان الجاهل منسوب الى فعله وكما ان الحكيم يتألم بحديث الجاهل كذلك الجاهل يتألم بسماع الحكمة أغنى الناس عن الحقد من عظم قدره عن المحاذاة الكبير الهمة من الرجال من كان عنف الناصح عنده ألطف موقعا من ملق الكاشح ان كانت الجدود هى الحظوظ فما بال الحرص وان كانت الامور ليست بدائمة فما بال السرور وان كانت الدار غدارة فما بال الطمأنينة (وقال الشعبى) ما رأيت الله سبحانه وتعالى اعطى عباده أجل من الحلم (وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترجه لشئ من أمر الدنيا والآخرة من لم تعرف الوثيقة فى أرومته والدماثة فى خلقه

من البلاء والهلاك والمحن فسدب النساء كما قال الشاعر

من فتنة النسوان قد يعصى الذى الـ
رحمن أو يخشى من الشيطان
اللص لولا من لم يلك باثما
للروح منه بارخص الاثمان

والكرم فى طبعه والنبل فى نفسه والتحاقر عند ربه (قال ابو عبد الله بن حمدون) كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فرأى ديرا قديما هناك حسن البناء بين مزارع وانهار واشجار فدخله فبينما هو يطوف اذ بصر برقعة قد الصقت فى صدره فامر بقلعها فاذا فيها هذه الابيات

أيا منزلا بالدير أصبح خاليا * تلاعب فيه شمأل ودبور
كأنك لم يسكنك بيض أوانس * ولم يتبختر فى فنائك حور
وابناء املاك غواشم سادة * صغيرهم وعند الاله كبير
اذا لبسوا ادراعهم فعوابس * وان لبسوا تيجانهم فبدور
على أنهم يوم اللقاء ضراغم * وانهم يوم النوال بحور
ليالى هشام بالرصافة قاطن * وفيك ابنه يا دير وهو امير
اذ العيش غض والخلافة لذة * وانت طريب والزمان غرير
وروضك مرتاد ونورك مزهر * وعيش بنى مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحائب * عليك لها بعد الرواح بكور
تذكرت قومى فيكما فبكيتهم * بشجو ومثلى بالبكاء جدير
فعزيت نفسى وهى نفس اذا جرى * لها ذكر قومى انه لزفير
لعل زمانا جار يوما عليهم * لهم بالذى تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون و ينعم بائس * و يطلق من ضيق الوثاق اسير
رويدك ان الدهر يتبعه غد * وان صروف الدائرات تدور

فلما قرأها المتوكل ارتاع وتطير وقال اعوذ بالله من شر اقداره ثم دعا صاحب الدير فسأله عمن كتبها فقال لا علم لى به واما الكتب وصفاتها فتجل عن الوصف ولقد احسن ابن الجهم فى قوله

سمير اذا جالسته كان مسليا * فؤادك مما فيه من ألم الوجد
يفيدك علما او يزيدك حكمة * وغير حسود او مصر على الحقد
و يحفظ ما استودعته غير غافل * ولا خائن عهدا على قدم العهد
زمان ربيع فى الزمان باسره * يريك رياضا غير ذاو ولا جعد
ينور احيانا بورد بدائع * اخص واولى بالنفوس من الورد

وانشد بعض العجم

اذا ما خلا الناس فى دورهم * بخمر سلاف وخود كعاب
وانسهم فى ظلام الليال * لغير الندامى ورهو السحاب
خلوت وصحبى كتب العلوم * وبيت العروس ببيت الكتاب
ودوس العلوم شراب العقول * فدور واعلى بذاك الشراب
وما يجمع المرء فى دهره * سوى العلم يجمعه للتراب

ومن مليح ما ينشد فى الكتب

اذا ما خلوت من المؤنسين * جعلت المؤانس لى دفترى
فلم اخل من شاعر محسن * ومن عالم صالح منذر
ومن حكم بين أثنائها * فوائد للناظر المفكر

وبهن قرع آدم مع يوسف
فى محكم التنزيل بالعصيان
ولذاك هاروت ببابل
منكس
ومعلق بالشعر جدا عانى
مجنون عامر هام من حب
النسا
فى السندب عجائب
النسوان
كل البلا منهن يأتى والوفا
منهن لا يأتى مع الازمان

وان ضاق صدرى باسراره * واودعته السر لم يظهر
وان صرح الشعر باسم الحبيب لم احتشمه ولم احصر
وان عدت من ضجره بالهجاء وسب الخليفة لم احذر
ونادمت فيه كريم المغيب * لندمائه طيب المخبر
فاستاري مؤنسا ما حييت * عليه نديما الى المحشر

وانشد ابن حزم لبعض الادباء

ان صحبنا الملوك تاهوا علينا * واستبدوا بالرأى دون الجليس
او صحبنا التجار عدنا الى الفقر * وصرنا الى حساب الفلوس
فلزمنا البيوت نتخذ الحبر * ونملا به وجوه الطروس
لوتر كنا وذاك كنا ظفرنا * من امانينا بعلق نفيس
غيران الزمان اغنى بنيه * حسدونا على حياة النفوس

وانشد غيره

انست الى التفرد طول عمرى * فمالى فى البرية من انيس
جعلت محادثى ونديم نفسى * وانسى دفترى بدل العروس
قد استغنيت عن فرسى برجلى * اذا سافرت او نعل كبوس
ولى عرس جديد كل يوم * يطارح الهم فى امر العروس
فبطنى سفرتى والخرج جسمى * وهميانى فمى ابدا وكيسى
و بيتى حيث يدركنى مساقى * واهلى كل ذى عقل نفيس

واثن كان الناطقون قد وصفوا فجودوا وقالوا فابلغوا فلقد قصروا واجل ممدوح من استقصر فى مدحه المنتهى واستنزر فى تقريظه المحتفل وكيف لا والكتاب نعم الانيس فى ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا واناء ملئ مزاحا وجدا بستان يحمل فى ردن و روضة تنقلب فى حجر هل سمعت بشجرة تؤتى اكلها كل ساعة بالوان مختلفة وطعوم متباينة هل سمعت بشجرة لا تذوى وزهر لا يتوى وثمر لا يفنى ومن لك بجليس يفيدك الشئ وخلافه والجنس وضده ينطق عن الموتى و يترجم عن الاحياء ان غضبت عليه لم يغضب وان سخطت عليه لم يجب اكتم من الارض وانم من الريح والهى من الهوى واخدع من المنى وامتع من الضحى وانطق من سحبان وائل واعيى من باقل هل سمعت بمعلم واحد تحلى بحال كثيرة و جمع اوصافا غزيرة عربى فارسى هندى سندى رومى يونانى ان وعظ اسمع وان الهى امتع وان ابكى ادمع وان ضرب اوجع يفيدك ولا يستفيد منك و يزيدك و يستزيدك ان جد فيسر وان مزح فنزهة قبر الاسرار وحرز الودائع قيد العلوم وينبوع الحكم ومعدن المكارم ومؤنس لا ينام يفيدك علم الاولين ويخبرك عن كثير من انباء الآخرين هل سمعت فى الاولين او بلغك عن احد من السالفين جمع هذه الاوصاف مع قلة مؤنته وخفة محمله لا يرزاك شيأ من دنياك نعم الذخر والعدة والمستغل والحرفة جليس لا يضر بك ورفيق لا يملك يطيعك بالليل طاعته بالنهار و يطيعك فى السفر طاعته فى الحضر ان ادمت النظر اليه اطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بنانك وفخم الفاظك ان الفته خلد على الايام ذكرك وان درسته رفع فى الخلق قدرك وان حملته نوه عندهم باسمك يقعد العبيد فى مقاعد السادة ويجلس السوقة فى مجالس

الملوك فاكرم به من صاحب واعزز به من مرافق وقد قال فيه الاول

لنا جلساء ما نمل حديثهم * الباء مأمونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى * ورأيا وتأديبا وعقلا مسددا

بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة * ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا

فان قلت أموات فما أنت كاذب * وان قلت أحياء فلست مفندا

فهذا ما اوردنا أن نمليه في هذا الكتاب فاكتبوا ان شئتم انفاسه ان كانت الانفاس مما يكتب

(يقول راجي عفو القريب المجيب محمد عبد اللطيف الخطيب)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبشكره تتوالى وتدوم البركات والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير الداعي الى الحق السراج المنير وعلى آله هداة الانام واصحابه نجوم الاسلام (وبعد) فقد تم بحمده تعالى طبع هذا الكتاب المسمى بسراج الملوك وهو كتاب حوى من محاسن النصائح المفيده ومن الحكم والعلم والادب ما يغني طالبه عن مطالعة كتب عديده لاسيما وقد رقت طرره ووشيت صفحاته بكتاب التبر المسبوك للعلامة حجة الاسلام ابي حامد الغزالي وهو كتاب نهج منهجا حقا وسبيلا صدقا ولعمري ان هذا الكتاب لجليل الوضع كبير الفائدة كثير النفع اخذ بطرفي التاريخ والنصيحه وسبق بكاسي العلم والادب وبالجملة فهو الكتاب الذي قل ان يشار خلفه غبار او يجرى معه في مضمار وذلك الطبع الزاهي والوضع الباهي بالمطبعة الازهرية المصريه الكائنة بخان جعفر بجوار الساحة الحسينية ادارة الراجي من الله الغفران *(حضرة السيد محمد رمضان)* وفاح مسك الختام وتم سلك النظام أواخر شهر شعبان المعظم سنة ١٣١٩ هجريه على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحيه



